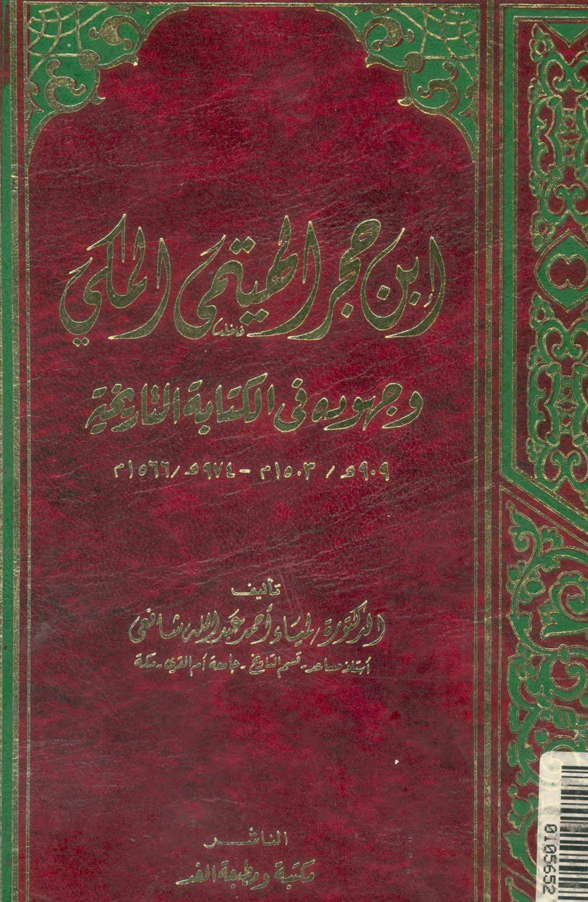

ابن حجر الهيتمي المكي
وجهوده في الكتابة التاريخية
٩٠٩هـ / ١٥٠٣م - ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م
تأليف
الدكتورة لمياء أحمد عبدالله شافعي
أستاذ مساعد - قسم التاريخ - جامعة أم القرى - مكة
الناشر
مكتبة ومطبعة

ابن حجر الهيتمي المكي
وجهوده في الكتابة التاريخية

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد
العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - جيزة
تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢ - ٣٢٦٥٩٣٠
رقم الإيداع : ٩٨/٧٠٢٥
الترقيم الدولى : 0 - 21 - 5819 - 977
الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٨م



٩٠٩هـ / ١٥٠٣م - ٩٧٤هـ / ١٥٦٦م

تأليف

الدكتورة ضياء أحمد عبد الله شافعي
أستاذ مساعد - قسم التاريخ - جامعة أم القرى - مكة

الناشر
مكتبة ومطبعة الغد

إهـــداء

أهدي خلاصة جهدي وثمرة سهري إلى والدي الحبيبين ، أبقاهما الله لي ذخراً ومنّ عليهما بالصحة والعافية ، وجزاهما عني خير الجزاء ، فهما من غرسا فيّ حب العلم والسهر عليه ، فلهما مني خالص الشكر والطاعة والولاء ، كما أهديها إلى أستاذي الفاضل ومقام والدي ، سعادة الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، الذي لم يأل جهداً في إرشادي وتوجيهي في دراسة هذا البحث .

وأهديها لرفيق حياتي ومُضِيء طريقي ، زوجي المهندس / عادل ، شكر الله له حسن عشرته وصفاء نفسه .

كما أهديها إلى أخي المهندس / وهيب ، الذي وجدتُ منه الحنو والتشجيع والرعاية الصادقة .

ولا أنسى في غمرة الإهداء أن أهديها إلى ولدي الحبيبين مازن ولجين ، وأدعو الله لهما بالتوفيق والنجاح .

لمياء شافعي

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً مباركاً ، نستغفره ونستعين به ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، اللهم علّمْنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزدنا منك علماً ، واجعله لنا صالحاً زكياً ، وارفعنا به إلى درجات العلماء والصالحين ، بمنّك وكرمك يا رب العالمين .

وبعد : فإن الإسلام اعتبر العلماء الصالحين منارات الأمة وهداتها ، الذين يضيئون محجّة الحق ويسلكونها ، ويكشفون سبل الضلالات ويفضحونها ، فهم ورثة الأنبياء ومُثُل الأتقياء ، والرادعون للأشقياء المضلين .

وبما أنّ التاريخ - كما وصفه الله تعالى - عبرة وموعظة لأولي الألباب ، فإن الحديث عن علماء المسلمين ، والبحث في حياتهم وآثارهم ، من أرفع درجات العلم الصالح ، لأنه يسجل للأجيال ما قدموه للإسلام والمسلمين من آثار وأقوال ومؤلفات بقيت إلى أزماننا وستبقى - بإذن الله - إلى أمد الآمدين ، فيكونون بذلك أمثلة صالحة تُحتَذى ، ومصادر للخير نسير على خطاها .

لهذا الغرض الشريف اخترتُ الكتابة في موضوع يتعلق بأحد علماء عصره وهو شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي [(١)] ، الفقيه المحدث المؤرخ ، الذي أثرى المكتبة بفيض مؤلفاته ، وأثرى التاريخ الإسلامي بما قدّمه من كتابات وجهود فقهية نافعة لأهل عصره ، ولمن جاء بعدهم من المسلمين ، وجعل الكتابة التاريخية دواء لما يصيب الناس من بدع وضلالات .

---

(١) أريد أن أنبه القارئ إلى أنني كلما استعملت في هذا الكتاب اسم ابن حجر مطلقاً غير معين ، فإني أريد به ابن حجر الهيتمي المكي . أما ابن حجر العسقلاني فإني أخصصه بذكر لقبه « العسقلاني » .

وقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أوجّه عملي إلى غرضين رئيسيين يدل عليهما عنوان البحث هما :

أولاً : التعريف الواسع بشخصية ابن حجر المكي ودرجته العلمية ، ومكانته في مجتمعه ، مع التعريف بمؤلفاته .

ثانياً : دراسة جهوده الكبيرة والمثمرة في الإنتاج التاريخي وأغراضه منها .

فلم يسبق أن حظي ابن حجر كمؤرخ بدراسة علمية أكاديمية ، توضح مدى جهوده في الكتابة التاريخية وآثاره ومنهجه ، عدا إشارات بسيطة لإنتاجه التاريخي وترجمة غير شاملة ولا موفية بالغرض قام بها الشيخ عبد المعز الجزار في كتابه «ابن حجر الهيتمي» ، ومع أنه مجهود طيب قام به الباحث - شكر الله له - إلا أنه يعتبر عملاً أولياً في ترجمة ابن حجر الهيتمي ، اكتفى فيه صاحبه بذكر ستة من شيوخه وثلاثة من تلاميذه . أما مؤلفاته التي اكتفى - في الغالب - بعرض عناوينها ، فقد أغفل منها سبعة وثلاثين عنواناً . ولئن كان الشيخ عبد المعز الجزار يستحقّ الشكر على ما بذل من جهد - كما ذكرت - ، فإن ظهور كتابه لا يمنع من ظهور كتب أخرى تتناول ترجمة أكثر شمولاً واتساعاً لابن حجر الهيتمي .

كما تُرجِم ابن حجر ترجمة قديمة وضعها له أحد تلاميذه ، وهو الجامع لفتاويه الفقهية في حياته لم يُعرف اسمه ، ولكن كتابته تدل على رسوخ قدمه في العلم ، كما تدل على وطيد صلته بشيخه ابن حجر ، فقد ترجم له في مقدمة الفتاوى ترجمة موجزة ، ذكر فيها بعض شيوخه وبعض مؤلفاته وبعض أخباره .

كما وضع تلميذ آخر لابن حجر ترجمة لشيخه بعد وفاته ، وهو أبو بكر باعمرو السيفي في كتابه « نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر » أورد فيها ذكرًا لعدد من شيوخه دون ترجماتهم ، وأورد فيها تعداداً لاثنين وتسعين من مؤلفات ابن حجر دون ذكر محتوياتها .

أما غير ذلك من الترجمات ، فإنها لا تعدو أن تكون موجزة قصيرة ، وردت ضمن كتب التراجم وبعض مصادر التاريخ ، وهذا ما حملني على جعل الغرض

الأول من هذا الكتاب هو التعريف الشامل الكامل - بحول الله - بابن حجر الهيتمي المكي .

أما ثاني أغراض هذه الرسالة : وهو بيان جهود ابن حجر الهيتمي في الكتابة التاريخية ، فإنني لم أعلم ولم أجد من يعلم بحثاً كُتب في الموضوع ، رغم كثرة ما قرأتُ وكثرة مَن سألت مِن أهل الاختصاص والمعرفة .

هذا ما حملني على أن أخصّ هذا العالم بدراستي هذه التي أقدمها تحت رعاية جامعتنا الموقرة - جامعة أم القرى بمكة المكرمة - لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي تحت عناية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية) أُبرِز فيها شخصية ابن حجر ومكانته العلمية ، وأخصّ إنتاجه التاريخي بالدراسة التي تتناول منهجه فيها وأهدافه منها ومصادره المعتمدة .

وإني أسأل الله العلي القدير أن يوفقني فيما قصدتُه وييسّر لي ما أردْته ، ليخرج هذا البحث للناس على أكمل وجه ، وليكون مرجعاً مفيداً لمعرفة شخصية ابن حجر المكي وإنتاجه العلمي .

وقد اشتمل هذا الكتاب على تمهيد وستة فصول وخاتمة :

ففي التمهيد : عرّفتُ تعريفاً موجزاً بحركة التأليف في علم التاريخ بمكة خلال القرن العاشر الهجري ، حتى تتضح لنا مكانة الرجل بين مؤرخي عصره .

أما الترجمة : فقد خصّصتُ لها **الفصل الأول** ، وعرفتُ بعصر ابن حجر الذي نشأ فيه ، لأن الإنسان ابن عصره وبيئته كما يقولون ، فيكون متأثراً بما في عصره من خصائص .

وقد عاش ابن حجر في فترة انتقال السلطة في مصر من المماليك إلى سلطة العثمانيين سنة (٩٢٢ هـ/١٥١٦م) ، حيث قضى من حياته عشرين سنة في عصر المماليك واثنين وخمسين سنة في العصر العثماني .

وعرّفتُ بنشأته في مصر ومرحلة الطلب والتخرّج ، مع تتبُع دقيق لشيوخه الذين درس عليهم هناك ، حتى أجازوه بالإفتاء والتدريس والتأليف وعمره دون العشرين .

ثم ورد على مكة لأول مرة للحج والمجاورة وهو ابن أربع وعشرين سنة ،

وعاد مرة أخرى للمجاورة بها ، ولما بلغ واحداً وثلاثين سنة انتقل إلى مكة المكرمة ليجعلها مستقراً ومقاماً ، فسكنها بأهله وظل بها أربعاً وثلاثين سنة إلى أن توفي بها سنة (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م) .

وفي مكة تفتّحت قريحة ابن حجر بالإنتاج العلمي ، وشعّت أنوار ثقافته بالتدريس والإفتاء ، فعاش بين علمائها مؤاخيًا مفيدًا ومستفيدًا ، وأصبح من رجال مكة المؤثّرين في مجتمعها ، المحترمين من مختلف طبقاتها ، وظهرت مكانته العالية عند مختلف طبقات المجتمع ، سواء عند السلطة أو بين نظرائه من أهل العلم وتلاميذه من طلاب المعرفة .

وكانت إقامته بمكة سببًا في انتشار صيته بين علماء مختلف الأمصار الإسلامية ذات العلاقة بالحجاز ، فتأسستْ بينه وبين علماء تلك الأمصار علاقات دار فيها الحوار العلمي المثمر ، خاصة مع علماء مصر واليمن والقسطنطينية حاضرة الدولة العثمانية الحاكمة .

أما علاقته بالمجتمع المكي ، فكانت وطيدة مثمرة ، حيث وجد ابن حجر من المجتمع المكي اعترافاً بعلمه وتقديرًا لشأنه ، كما وجد المجتمع المكي من ابن حجر محبّة ورعاية وفائدة في التدريس والفتوى ، بالإضافة إلى مواقفه الحازمة تجاه ما أصاب ذلك المجتمع من البدع والضلالات .

فقد عاش ابن حجر في المجتمع المكي خلال القرن العاشر الهجري ، الذي ظهرت فيه أنواع من البدع وأشكال من الضلالات .

فمن البدع التي ظهرت فيه - كما ظهرت في غيره - خرافات الصوفية وشذوذاتهم التي تتعارض مع صريح مواقف الشريعة وأحكامها ، كتلك التي ظهرت في الموالد والاحتفالات الشعبية التي صاحبتها ، وظهرت فيها منكرات وأباطيل .

فلم يكن ابن حجر ممن يسكت عن البدع المغالية التي ليست من الدين ، وهو عالم مكة وفقيهها الذي تُسمع كلمته ويُطاع أمره ، لذلك انبرى محاربًا لها ومقاوماً ومظهرًا لخطرها على نصاعة الدين وسلامته .

وقد اشتهر في القرن العاشر بمكة أمْرُ الروافض وتكاثروا في البلد الأمين ،

فأظهروا بسبب كثرتهم ضلالهم وعقائدهم الباطلة مِن سبّ الصحابة ، وإنكار الأحاديث الصحيحة ، وتغيير قواعد الدين بإدخال الأحاديث الموضوعة ، وبإيقاد نار الفتنة بين المسلمين ، فلم يكن أيضاً ابن حجر فقيه مكة ممّن يسكت على هذه الضلالات ، فأخذ في محاربتها وبيان أخطارها ليتجنّبها الناس .

وختمتُ الفصل الأول بذكر أهمّ صفات ابن حجر وأقوال العلماء فيه ، مع ذكر حياته العائلية وأبنائه وأحفاده ، ثم وفاته بمكة بعد أن ترك عائلة مكية أنتجتْ من العلماء الأفاضل والمؤلفين ما يرفعها إلى درجة المجد العلمي .

أما الفصل الثاني : فقد خصّصته للحديث عن مؤلفات ابن حجر ، في غير التاريخ ، فقد بلغت مؤلفاته عامة عدداً ضخماً ، حيث وصلت إلى ١١٧ تأليفاً بين مطوّلات ومختصرات ورسائل ، وتنوعت الفنون التي تناولها وكتب فيها ، فمنها مؤلفات في الحديث ، ومؤلفات عديدة في الفقه، وأخرى في العقيدة والأخلاق والنحو والأدب والفلك .

أما مؤلفات ابن حجر في التاريخ ومجالاته ومتعلقاته ، فقد جعلتُها في الفصول الأربعة الموالية نظراً إلى أن دراستي الدقيقة لمؤلفات ابن حجر ، يجب أن تركز أساساً على أنواع الكتابة التاريخية التي يتناولها هذا المؤلف .

فقد ألّف ابن حجر في السيرة النبوية ، لذلك خصصت لمؤلفاته فيها الفصل الثالث ، وألّف ابن حجر في التاريخ الإسلامي عامة ، وهو الذي خصَّصتُ له الفصل الرابع ، ولابن حجر مؤلفات في التراجم ومناقب العلماء والأئمة ، وهو ما خصَّصت له الفصل الخامس .

وعند مطالعتي لمؤلفات ابن حجر ، وجدتُ له رسائل وكتابات ضمن مؤلفاته في غير التاريخ ، تشتمل هذه الرسائل والكتابات على أخبار تاريخية ، ومعلومات حضارية تصوّر عصره ومجتمعه ، فجمعتُها وخصّصتُ لها الفصل السادس .

وختمتُ هذا الكتاب بخاتمة حاولتُ فيها أن أوجِز القول في بيان أهم عناصر شخصية هذا العالم المسلم الذي كان له في مجتمعه أبعد الأثر ، وكان له رسوخ قدم في مختلف الميادين العلمية .

كما بيّنتُ جهوده في الكتابة التاريخية التي جعلها وسيلة لإصلاح أوضاع عصره وحلّ مشاكله ، مما يدل على أن الرجل كان يسير على منهج إسلامي في فهم مقاصد وغايات الكتابة التاريخية .

وأخيراً أقول : إنّ كل بحث علمي يتطلب جهوداً ويواجه صعوبات - فقد لقيتُ خلال قيامي بهذا البحث صعوبات جمّة منها :

- إن أغلب مؤلفات ابن حجر ما زالتْ مخطوطة لم تُطبع ، والتي طُبعتْ منها في الغالب طبعاتها قديمة وغير متوفّرة في المكتبات .

فكان عليّ أن أواجه صعوبات الحصول على المخطوطات ، فتقصّيتُ لأجلها العديد من فهارس المخطوطات ، ثم سعيتُ وراء مؤلفاته المخطوطة للحصول على مصوّراتها ، باذلةً في ذلك الغالي والنفيس من الوقت والجهد ، فوفقني الله إلى جمع العديد منها من مركز البحث ومن المكتبة المركزية بجامعتنا المحترمة ، ومن مكتبة مكة المكرمة ، ومن مخطوطات مصر واليمن والمغرب والهند ، ومن جامعات أمريكا وألمانيا وغيرها ، ولم يكن الحصول على بعض المطبوعات القديمة بأقلّ جهداً من الحصول على بعض المخطوطات .

- إن الحصول على المخطوطات المنسوبة لابن حجر لا يمثل نهاية الصعوبات فيه ، بل إن قراءته والاستفادة منه - خاصة إن كان خطه غير دقيق ولا واضح - تمثل مرحلة أخرى من الجهد .

تليها مرحلة ثالثة ، وهي تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه - فقد واجهتْني مشكلة في كتاب تاريخي نُسب لابن حجر الهيتمي ، وكُتب على ورقته الأولى اسمه : أنه كتاب « منتهى الإعلام ، بوفيات الصحابة وملوك الإسلام » ، وهو مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب ، وبعد مطالعة كامل الكتاب وتتبّع جميع مواده ودراسته دراسة نقدية ، تبيّن - بما لا يدع مجالاً للشك - أن الكتاب نُسِب لابن حجر خطأً ، وأنه لمؤلف آخر مجهول عاش بعد عصر ابن حجر .

- إن عدد شيوخ ابن حجر وتلاميذه الذين ذُكروا في تراجم الرجل القديمة وبعض الدراسات الحديثة ، لا تفوت عدد الأصابع ، وهو ما لا يتناسب ومكانة ابن حجر وكثرة أخذه وعطائه وتدريسه بالحرم المكي ، الذي يرد عليه طلاب

العلم من مختلف الأصقاع الإسلامية ، وعندما أردت أن أجمع شيوخه من كتاباته ومن ترجمات أصحاب الطبقات ، لم أجد إلا عدداً محدوداً ، فإن ابن حجر لم يترجِم في معجمه إلا لثلاثة من شيوخه فقط .

وعندما أردتُ أن أجمع تلاميذه أيضاً ، وجدتُ نفس المشكلة ، لذلك أخذتُ على نفسي أن أطالع العديد من الكتب والمصادر مما سمح لي بعد ذلك بوضع قائمة موسّعة من شيوخه الذين بلغوا واحداً وثلاثين شيخاً ، وقائمة من تلاميذه بلغوا ثمانية وأربعين تلميذاً ، عرفتُ أسماءهم وتراجمهم .

هذه بعض الصعوبات التي واجهتني في هذا العمل ؛ أما الجهود التي بذلتها فليس من شأني أن أتحدث عنها بتفصيل ، ولكن الذي يمكنني قوله : هو أنني لم أدّخر جهداً في إنجاز هذا الكتاب ولم يصرفْني الطريق الصعب الوعر إلى المركب السهل ، وكل ذلك بتوفيق الله وبمنّه وكرمه ، فقد بذلتُ كل جهدي وطاقتي في إنجاز هذا المؤلَّف على أكمل وجه ، راجية من الله عز وجل أن أكون قد وُفّقتُ في إعطاء هذا العالم حقّه من الدراسة والتعريف ، وأعتذر عما قد أكون وقعتُ فيه من خطأ أو تقصير ، فالكمال لله وحده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين .

دكتوره / لمياء شافعي

التمهـــــيد

حركة التأليف في التاريخ بمكة
خلال القرن العاشر الهجري

يُعتبر القرن التاسع الهجري من أكثر القرون ازدهاراً بمكة المكرمة في ميدان الكتابة التاريخية ، ففيه ظهر أعظم المؤرخين المكيين ، الذين جمعوا أخبار مكة ورتّبوها على مناهج عديدة من مختلف المصادر المكية وغيرها ، وتفنّنوا في عرضها على أساليب متنوعة ، وكادوا لم يتركوا شاردة ولا واردة من أخبار البلد الحرام ورجالاته إلا وجمَعُوها وعرضوها ببراعة المؤرخين الراسخين في علم التاريخ .

فكان من أشهرهم على الإطلاق في أول القرن التقي الفاسي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) صاحب كتابي « شفاء الغرام ، بأخبار البلد الحرام » ، و«العقد الثمين ، في أخبار البلد الأمين » ، وغيرهما من عشرات المؤلفات التاريخية .

وفي آخر القرن النجم بن فهد (ت٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠م) صاحب كتابي « إتحاف الورى ، بأخبار أم القرى » ، و« الدر الكمين ، بذيل العقد الثمين » ، وغيرهما من عشرات المؤلفات التاريخية .

بالإضافة إلى مؤلفين مكيين آخرين أصحاب كتب تاريخية أخرى ، نذكر منها أهمها «تاريخ مكة والمدينة» لأبي البقاء بن الضياء القرشي (ت٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م).

وغير هؤلاء من المؤرخين الذين ألّفوا في مختلف مجالات الكتابة التاريخية المتعلقة بمكة ورجالها ودُوَلها وقُراها ومعالمها وآثارها ، بالإضافة إلى مجالات أخرى من التاريخ العام وكتب الطبقات ومعاجم الشيوخ وفهارسهم وغيرها .

وجاء القرن العاشر الهجري فورث أبناؤه عن سابقيهم كل عوامل ازدهار الكتابة التاريخية ، وظهرت آثار أولئك المؤلفين الكبار ومؤلفاتهم العظيمة فيما أنتجَهُ هؤلاء مع ما أضافوه من مجالات فرعية جديدة .

وكانت من أبرز هذه الآثار ظهور ذيلين لكتاب « إتحاف الورى في أخبار أم القرى » للنجم بن فهد، ويُعتبر هذا الكتاب أول تاريخ حَوْلي خاص بمكة، تناول تاريخها على نظام السنين من السنة الهجرية الأولى إلى سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، وفي القرن العاشر ظهر له ذيلان يكملان أخبار مكة على ترتيب السنين .

وفي تواريخ المدن والقرى المحيطة بمكة :

- كتاب في « تاريخ جدة » ، للصلاح بن ظهيرة (ت ٩٤٠ هـ/ ١٥٣٣م) .

- وكتاب « تاريخ مدينة جدة » .

- وكتاب « تحفة اللطائف ، في فضل الحبر بن عباس ووج والطائف » .

- وكتاب « حسن القرى ، في أودية أم القرى » ، وثلاثتها لجار الله بن فهد (ت ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م) .

- وكتاب « نشر اللطائف ، في قطر الطائف » ، لعلي بن عراق (ت٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) .

- وكتاب « عقود اللطائف ، في محاسن الطائف » ، لعبد القادر الفاكهي (ت ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م) .

ومن كتب التراجم :

- كتاب « نزهة ذوي الأحلام ، بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة البلد الحرام » ، للعز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م) .

- وكتاب « الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان خان » ، لجار الله ابن فهد.

- وكتاب « الخيرات الحسان ، في مناقب أبي حنيفة النعمان » .

- وكتاب « معدن اليواقيت الملتمعة في مناقب الأئمة الأربعة » ، وكلاهما لابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م) .

- وكتاب « طبقات فقهاء الحنفية » لقطب الدين النهروالي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) .

بالإضافة إلى العديد من كتب معاجم الشيوخ والفهارس والأثبات ، خاصة تلك التي ألّفها العز بن فهد وابنه جار الله ، وهي كثيرة تُعرف بالرجوع إلى ترجمتيهما .

كما تناول مؤرخوا مكة في هذا القرن الكتابة في بعض الرحلات ، والعديد من كتب الأنساب ، وخاصة أنساب الأشراف وبعض عوائل مكة [1] .

ولو أحصينا – إحصاء أولياً – العلماء من المؤرخين الذين عاشوا بمكة وتوفوا بها خلال هذا القرن العاشر ، لوجدناهم أكثر من عشرين عالماً مؤرخاً ، اختلفتْ درجات اهتمامهم بالتاريخ ، فمنهم مَن تناول نوعًا واحدًا من أنواع الكتابة التاريخية ، فلم يؤلف فيها غير كتاب واحد ، ومنهم مَن تعدّد إنتاجهم فبلغ العشرات من الكتب والرسائل التاريخية ، ومنهم مَن كان بين هذا وذاك .

فكان أكثرهم إنتاجاً تاريخياً العز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ/١٥١٦م) ، وابنه جار الله بن فهد (ت ٩٥٤ هـ/١٥٤٧م) ، وابن حجر المكي (ت ٩٧٤ هـ/١٥٦٦م)، وقطب الدين النهروالي (ت ٩٩٠/ ١٥٨٢م) .

وسنرى أن ابن حجر الهيتمي المكي يُعَدّ من بين أكثر المؤلفين في التاريخ ومتعلقاته في هذا القرن العاشر الهجري ، بالنظر إلى عدد مؤلفاته ورسائله التي تناولت المادة التاريخية ، رغم اشتهاره الواسع بالفقه الشافعي ، ووفرة تآليفه فيه، ونظراً لأهمية إنتاجه في الكتابة التاريخية وكثرة تناوله لها في مجالات عديدة رأيتُ أن أخصّه بهذا الكتاب الذى أعرّف فيه بالرجل وجهوده في الإنتاج التاريخي .

والله الموفق إلى الخير والصواب .

* * *

---

(١) انظر : تراجم هؤلاء المؤرخين وذكر مؤلفاتهم في الصفحات الخاصة بالتعريف بهم ضمن كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة للدكتور الهيلة من (ص ١٧٠ إلى ص ٢٥٧) .

٢ - مكانته بين العلماء :

(أ) علاقته بعلماء مكة .

(ب) علاقته بعلماء مصر .

(جـ) علاقته بعلماء اليمن .

(د) علاقته بعلماء القسطنطينية .

٣ - مكانته وعلاقته بالمجتمع المكي :

(أ) موقفه من البدع عامة .

(ب) موقفه من بدع الصوفية والموالد .

(جـ) موقفه من ضلال الشيعة والروافض .

● عقيدته :

- صفات ابن حجر وأقوال العلماء فيه .

● حياة ابن حجر العائلية :

- زوجاته .

- أبناؤه .

- أحفاده .

● وفاة ابن حجر .

● خط ابن حجر .

عصـــره

ولد ابن حجر الهيتمي بمصر سنة (٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) ، وحج وجاور مرتين سنة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) ، و(٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠م) ، وانتقل للإقامة بمكة المكرمة من سنة (٩٤٠ هـ/١٥٣٣م) ، وبقي بها إلى أن توفّاه الله سنة (٩٧٤هـ/١٥٦٧م) ، فقد عاش (٦٥ سنة) ، قضى منها بمصر (٣١ سنة) ، و(٣٤ سنة) بمكة المكرمة ، عدا مجاورتيْه السابقتين لإقامته .

فكانت طفولته في عصر انحلال دولة الچراكسة المماليك ، وبسطت الدولة العثمانية نفوذها على مصر والحجاز ، وهو شاب يافع لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، وعاش بمصر العثمانية ثمانية عشر سنة ، ثم انتقل إلى مكة التي بقيت تحت حكم الأشراف الخاضعين للسلطة العثمانية ، فأقام بها (٣٤ سنة) .

وبناء على القاعدة الأساسية في التعرف على الشخصية المترجمة والقائلة بأن : « الإنسان ابن بيئته » ، فإنه لا بد أن نَصِف ولو بإيجاز العصر الذي عاشه مترجمنا ابن حجر في البلدين اللّذيْن عاش فيهما وهما مصر والحجاز .

انضمت مصر إلى بقية ولايات العثمانيين سنة (٩٢٢ هـ/١٥١٦م) ، وظهرت فيهما مظاهر التغيير السياسي والإداري والاجتماعي ، الذي تبع ظهور العثمانيين على سلطتها ، وتبعتها بلاد الحجاز في الدخول تحت راية العثمانيين بعد بضعة أشهر، وذلك سنة (٩٢٣ هـ/١٥١٧م) .

وورث العثمانيون عن دولة المماليك الچراكسة كل ما كانت تتمتع به من سلطة على بلاد النيل والشام وبلاد الحرمين ، وكل ما فيها من مشاكل ومعضلات اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية .

فكان على العثمانيين أن يواجهوا كل المشاكل الاقتصادية ، وخاصة في المناطق الصحراوية المجدبة ، وأن يواجهوا جميع المشاكل الاجتماعية التي تركتها دولة المماليك الچراكسة في عمرها الأخير ، نتيجة الظلم وسوء التصرف مع المجتمع، وما أصاب المماليك من تشتت وما ظهر فيهم من سوء الخلق والفجور والفساد.

ومات السلطان سليمان سنة (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م) ، وهي نفس السنة التي توفي فيها مترجمنا الشيخ ابن حجر المكي ، وهما أبرز من مات من مشاهير هذا العصر في هذه السنة حتى قيل : « مات في هذا العام سلطان الدنيا وسلطان الدين. . . »[١] .

وما دمنا نتحدث عن أحوال مكة في عصر ابن حجر المكي ، فإنه لا يمكن أن نهمل ذكر دولة إسلامية أخرى كان لها بعض الأثر الإيجابي في مكة ، بما كانت تقدمه من مبرات وتبنيه من منشآت . إنها الدولة الكجراتية الهندية (٨١٠ هـ/ ٩٦٥هـ) ، فقد كان لملوكها اهتمام بالغ بالحرمين الشريفين ، إذ أنشأ سلطانها أحمد شاه المدرسة الكنبائية بمكة (في النصف الأول من القرن ٩ هـ) .

ثم أنشأ السلطان مظفر شاه المتوفي سنة (٩٣٢ هـ/ ١٥٢٦م) بمكة مدرسة ورباطاً، وقرر مدرسين وطلاب علم وموظفين مع مواصلة المبرات والصدقات على أهل الحرمين .

وتولى بعده السلطان بهادر شاه الذي واجه حروبًا عنيفة مع المغول ، فوجّه وزيره آصف خان الكجراتي إلى مكة مع حريمه ونفائس خزائنه ، وذلك سنة (٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م) ، ومكث بها أكثر من عشر سنين أنفق فيها أموالاً طائلة على مكة المكرمة وأهلها [٢] ، كما كان يعقد مجالس العلم والحديث ببيته ، يحضرها أكابر علماء مكة ويقرءون الكتب الكبيرة في الحديث ، وكان منهم ابن حجر الهيتمي المكي مترجمنا [٣] .

* * *

---

(١) الشلي : السنا الباهر ، ورقة (٢٨٣ أ - ب) .

(٢) الدولة الكجراتية : هي دولة هندية تأسست في القرن الخامس الهجري وقضى عليها المغول في سنة (٩٧٨ هـ) ، ولخص الشيخ حمد الجاسر أخبار هذه الدولة الإسلامية الهندية في مقدمته لتحقيق كتاب البرق اليماني في الفتح العثماني للنهروالي (ص ١١ - ١٥) .

(٣) جار الله بن فهد : نيل المنى (١٦٢ أ - ١٦٣ ب) .

النشـــأة

● **اسمه :**

هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن عليّ بن حجر السَّلْمُنْتي الهيْتمي الأزهري الوائلي السعدي المكي ، هكذا أورد ابن حجر المكي اسمه في معجمه نسخة اليمن (١) ، وقد ورد اسمه في نسختي ألمانيا والقاهرة (٢) : أحمد ابن محمد بن عليّ بإسقاط اسم الجد محمد ، ولا نظن ذلك إلا خطأ من الناسخيْن في النقل ، إذ أنّ التسمية التي وردتْ في نسخة اليمن ، تُعضّدها التسمية التي أوردها تلميذاه المترجمان له ، وهما السيفي في نفائس الدرر ، وتلميذه الذي وضع مقدمة لكتابه « الفتاوى الكبرى الفقهية » ، وترجم له فيها في حياته، وتبعتهم في هذه التسمية مصادر أخرى (٣) .

وجاءت بعض المصادر المتأخرة عن عصر المؤلف تذكره باسم أحمد بن محمد ابن علي (٤) ، على غرار الخطأ الذي وقع في معجم ابن حجر نسختي ألمانيا والقاهرة .

أما الغزي في كتابه « الكواكب السائرة » ، فقد أورد اسمه : أحمد بن أحمد

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، نسخة اليمن ، ورقة (١١٤ أ) .

(٢) ابن حجر : الإجازة ، نسخة ألمانيا ، ورقة (١٢٥ أ) ، نسخة مصر ، ورقة (٩٤ب).

(٣) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٣) ، السيفي : نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر ، ورقة (١ ب) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٢) ، البغدادي : هدية العارفين (ص ١٤٦) ، كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ١٥٢) .

(٤) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧) ، اللكنوي : هامش الفوائد البهية (ص٢٤٠)، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٣٧) ، سركيس : معجم المطبوعات (ص ٨١)، زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٢) ، الزركلي : الأعلام (١/ ٢٣٤) .

ولقد اشتهر بهذا اللقب قبله شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، وهو شيخ شيوخ ابن حجر المكي [١] الذي يشترك معه أيضاً في علم الحديث ، ويزيد عليه بما اشتهر عنه في علم الفقه ، فهو شبيهه اسماً وعلماً وزادته نسبته إلى جوار الحرم الشريف شرفاً [٢] .

* * *

● **كنيته :**

لابن حجر كنيتان : الأولى والمذكورة كثيراً هي « أبو العباس » [٣] .

والكنية الثانية هي : « أبو عبد الله » ، كما جاءت في الورقة الأولى من مخطوط شرح الهمزية لابن حجر ، نسخة جامعة أم القرى .

وكما جاءت أيضاً في النسخ الثلاثة من مخطوط أسنى المطالب في صلة الأقارب لابن حجر ، وهي نُسَخ نُقلتْ من أصلٍ واحد بدليل أنها تبدأ جميعها بما نصه : « قال شيخنا وسيّدنا ومولانا العالم العلامة البحر الفهامة . . . أبو عبد الله أحمد بن حجر الهيتمي المكي الأنصاري » .

* * *

---

(١) كما سماه بذلك في معجم شيوخه ، ورقة (١١ أ) ، فقال : « شيخ شيوخنا أمير المؤمنين في الحديث » .

(٢) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٩٢) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) .

كما اشتهر باسم ابن حجر بالإضافة إلى هذين الشيخين علماء آخرون ، منهم : علي ابن محمد بن حجر (ت ٧٧٧ هـ/ ١٣٧٥م) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٦/ ٢٥٢)، ومحمد ابن أحمد بن حجر ولد الشيخ ابن حجر العسقلاني (كان حياً ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) ، هدية العارفين (٢/ ٢١٧) .

(٣) جار الله بن فهد : نيل المنى (١٦٢ أ) ، النهروالي : التذكرة ، لوحة (١٦) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٢) ، سركيس : معجم المطبوعات (ص ٨١) ، جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٢) ، وغيرها .

● مولده :

وُلد ابن حجر المكي في قرية « محلّة أبي الهيتم بعد انتقال أهله عن بلدهم الأصلية سَلْمُنْت » ، وهو ما أخبرنا به تلميذه السيفي نقلاً عن خطّ مترجمنا .

أما تاريخ ولادته فيحدِّدُهُ السيفي نقلاً عنه أيضاً أنه كان في أواخر سنة تسع وتسعمائة [1] (٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) .

وبعض المصادر حدّدت تاريخ ولادته بشهر رجب من سنة تسع وتسعمائة [2]، إلا أن الغزي يجعلها في سنة إحدى عشر وتسعمائة (٩١١ هـ/١٥٠٥م) ، ويعزز روايته هذه بقوله : « أخبرني عنه تلميذه شيخ الإسلام محمد بن عبد العزيز الزمزمي مفتي مكة » [3] .

والزمزمي هذا هو حفيد ابن حجر .

وشذّت بعض المصادر فذكرتْ أنّ ولادته كانت سنة تسع وتسعين وثمانمائة [4] (٨٩٩ هـ/١٤٩٣م) . والأرجح أنه وُلد في شهر رجب سنة تسع وتسعمائة (٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) على إجماع أغلب المصادر وعلى تحديد تلميذه السيفي بأنه شاهده بخطه .

كما يُستدل على تأكيد هذا التاريخ من كتابه الإجازة عند ذكر شيوخه ، فذكر منهم شيخه الجلال السيوطي وهو شيخه « بالإجازة العامة ، لأنه أجاز لمن أدرك حياته ، وأني ولدت قبل وفاته بنحو ثلاث سنين ، فكنتُ ممّنْ شملَتْهُ إجازته » .

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ أ) ، أحد تلاميذ ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (٣/١) ، الشوكاني: البدر الطالع (ص ١٠٩)، سركيس: معجم المطبوعات (ص٨١)، الزركلي : الأعلام (١/ ٢٣٤) ، دائرة المعارف : باللغة الإنجليزية (ص ٧٧٩) .

(٢) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٢) ، كحالة : معجم المؤلفين (١٥٢/٢) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (١١١/٣) .

(٤) الزبيدي : تاج العروس (٩٨/٩) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٣٨) ، البغدادي: هدية العارفين (ص ١٤٦) ، مقدمة الصواعق المحرقة لابن حجر - وضعها عبد الوهاب عبد اللطيف (ص ف) .

والمعروف أن السيوطي مات في جمادى الأولى من سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م)[١].

* * *

● **طفولته وشبابه :**

مات أبوه وهو صغير ، فتكفّل جده برعايته وتدريسه ، فحفظ القرآن وكثيراً من المنهاج [٢] ، ثم مات جده [٣] فكفَلَه شيْخا أبيه الإمامان الشمس الشنّاوي والشمس بن أبي الحمائل الذي بالغ في رعايته وتعليمه ، وأوصى الشيخ الشناوي به ، فتولّى رعايته ونقَلَه إلى مقام السيّد البدوي في طنطا ، حيث قرأ هناك على شيخين من شيوخ هذا المقام [٤] ، وأخذ بعض مبادئ العلوم [٥] .

* * *

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٢ أ) ، الجزار : ابن حجر الهيتمي (ص ٢٨) .

(٢) هو من أشهر كتب الشافعية ، تأليف الإمام النووي المتوفي سنة (٦٧٦ هـ/١٢٧٧م). راجع : حاجي خليفة : كشف الظنون (١٨٧٣) .

(٣) مقدمة الفتاوى الفقهية: لأحد تلاميذه (٣/١)، العيدروسي: النور السافر (ص٢٨٨)، وقد ذكر ابن حجر في الجزء الرابع من الفتاوى الفقهية (ص ٣٣٠) أن جدّه هذا جاوز المائة والعشرين سنة من عمره .

(٤) لم تذكر المصادر المتوالية اسم هذين الشيخين .

(٥) مقدمة الفتاوى الفقهية: لأحد تلاميذه (٣/١)، العيدروسي: النور السافر (ص ٢٨٨) ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) ، اللكنوي : الفوائد البهية (هامش ص٢٤١)، دائرة المعارف الإسلامية : باللغة الإنجليزية (ص ٧٧٩) .

الطلب والتخرج

• ابن حجر المكي في القاهرة :

نقله شيخه الشناوي إلى الجامع الأزهر بالقاهرة أول سنة أربع وعشرين [(١)] وتسعمائة (٩٢٤ هـ/١٥١٨م) ، وأشكّ شخصياً في صحة هذا التاريخ نظراً إلى أنّ ولادته كانت سنة (٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) ، فهو في سنة (٩٢٤ هـ/١٥١٨م) يكون له من العمر أكثر من (١٥ سنة) ، وهذا يتناقض مع ما ذكره ابن حجر نفسه في معجمه عندما قال : إنه اجتمع بالشيخ زكريا الأنصاري بالقاهرة ، وفي أول اجتماع له به أخذ عنه حديث المسلسل بالأولية وله من العمر (١٣ سنة) [(٢)] ، وذكر ابن حجر أيضاً في كتابه « الفتاوى الحديثية » عن حضوره لدروس العلم بالجامع الأزهر بمصر المحروسة وسِنَّه نحو أربع عشرة سنة [(٣)] ، كما ذكر العيدروسي أن ابن حجر ورد على القاهرة وله من العمر نحو (١٤ سنة) [(٤)] .

وفي القاهرة تكفل به رجل صالح من تلامذة شيخه الشناوي ، لم تذكر المصادر اسمه ، تولى رعايته وأقرأه متن المنهاج وجمَعَه بعلماء مصر [(٥)] ، وفيها قرأ الحديث على جماعة أعلام كالإمام الزيني عبد الحق السنباطي ، والقاضي زكريا الذي أخذ عنه المسلسل بالأولية ، وأجازه به وبسائر مروياته [(٦)] .

وتحدّث ابن حجر نفسه في معجمه عن أهمية دراسته لعلم الحديث ، فقال : «إني كنتُ بحمد الله ممّن وفّق برهة من الزمان في أوائل العمر بإشارة مشائخي

---

(١) الفتاوى الفقهية: مقدمة لأحد تلاميذه (٣/١)، العيدروسي: النور السافر (ص٢٨٨)، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) .

(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٣ أ) .

(٣) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٣٢٥ - ٣٢٦) .

(٤) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) .

(٥) نفس المصادر التي وردت في الهامش (١) أعلاه .

(٦) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) ، محمد الجمل : بهجة الفكر (ص ١٥٩) ، الجزار : ابن حجر الهيتمي (ص ٣٠ - ٣١) .

أرباب الأحوال وأعيان الأعيان لسماع الحديث من المسندين ، وقراءة ما تيسر من كُتب هذا الفن على المعتبرين ، وطلب الإجازة بأنواعها المقررة في هذا العلم الواسعة أرجاؤه، الشاسعة أنحاؤه، مع الدؤاب والملازمة في تحصيل العلوم الآلية، والقوانين العقلية، والعلوم الشرعية، لا سيما علم الفقه وأصله تفريعاً وتأصيلاً واستنباطاً وإفادة واستفادة »، ثم ذكر أهم شيوخه في علم الحديث روايةً ودرايةً، وهم زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي، وقد أخذ عنهما بالإجازة الخاصة[1].

ودرس ابن حجر علم الفقه على جماعة ، منهم الناصر الطبلاوي ، وتاج العارفين أبو الحسن البكري [2] .

ودرس النحو على الشمس البدري ، والشمس الحطابي ، والناصر اللقاني ، والشمس الضيروطي ، والشمس الطهواي ، وغيرهم .

ودرس « التصريف للغزي على الطبلاوي ، والجاربردي على الحطابي » ، وكان يقول في إقرائه لهذا الدرس بحضرة جمع جمّ من الفضلاء : لي زمان ما طالعتُ لقارئ في هذا العلم إلا لهذا الدرس .

ودرس علم المعاني والبيان على الشمس المناوي والشمس الدلجي ، ودرس علم الأصلين على الشمس الدلجي، والشيخ ناصر الدين الطحان ، والطبلاوي ، والبكري ، والشهاب ابن عبد الحق، والشمس العبادي، والشهاب البرلسي»[3].

ودرس المنطق على النور الطهواي ، والمحقق الشيخ عبيد الشنشوري ، والدلجي ، وغيرهم . والفرائض والحساب على إمام وقته فيهما الشمس بن عبد القادر الفرضي ، وغيره كالشهاب الصالح البطوي . وحضر الطب عند إمام وقته فيه الشهاب الصائغ الحنفي [4] .

وعن تحصيل ابن حجر لهذه العلوم يقول هو في معجمه : « حتى أجاز لي أكابر أساتذتي بإقراء تلك العلوم وإفادتها ، وبالتَّصَدُّر لتحرير المشكل منها

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢١ أ) ، وورقة (٢٢ أ) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) ، محمد الجمل : بهجة الفكر (ص ١٥٩).

(٣) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤) .

(٤) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤)، الجزار: ابن حجر الهيتمي (ص٣٢).

بالتقرير والكتابة وإشادتها ، ثم بالإفتاء والتدريس على مذهب الإمام المطلبي الشافعي بن إدريس ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه ، ثم بالتصنيف والتأليف فكتبتُ من المتون والشروح ما يُغني روايته عن الإطناب في مدحه ، والإعلام بشرحه ، كل ذلك وسِنّي دون العشرين » [١] .

وذكر تلميذاه ذلك فقال السيفي : إنه أواخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) أجاز شيوخ ابن حجر له بالإفتاء والتدريس والتأليف من غير سؤال منه لذلك [٢] ، وعمره دون العشرين [٣] .

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢١ أ - ب) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) ، محمد الجمل : بهجة الفكر (ص ١٥٩) .

(٣) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٢) .

شيوخه

١ - زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠م) :

زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري ، السنيكي القاهري الأزهري الشافعي . ولد سنة (٨٢٦ هـ/ ١٤٢٢م) بسنيكة من شرقية مصر ، وتلقّى بها علومه الأولية ، ثم انتقل إلى القاهرة (٨٤١ هـ/١٤٣٧م) ، فأخذ عن أجلّ علماء مصر في عصره ، وعلى رأسهم : ابن حجر العسقلاني ، والشرف السبكي، والزين النويري ، وشهاب الدين الغَزي ، وشمس الدين القاياتي ، وعلم الدين البلقيني ، وغيرهم كثير ، حتى جمع في ثَبْته من شيوخه الذين أجازوه في الحديث أكثر من (١٥٠ شيخاً) ، وحجّ فأخذ عن كبار علماء مكة : كالتقي بن فهد، والشرف المراغي ، وأبي اليُمن النويري ، وأبي السعادات بن ظهيرة .

برَّز في علوم كثيرة ، فكان من مشاهير فقهاء الشافعية في وقته ، ومن علماء أصول الفقه والمحدثين وأصحاب القدم الراسخة في النحو ، بالإضافة إلى علمه بالتفسير ، وعلوم الهيئة والهندسة والميقات والفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، وغيرها .

أذن له شيوخه ومن بينهم ابن حجر العسقلاني [١] بالتدريس والإفتاء ، فتولى التدريس في عدة مدارس ، ثم تولى منصب قاضي القضاة في سنة (٨٨٦هـ/ ١٤٨١م) في عهد الأشرف قايتباي .

وألف المؤلفات الكبيرة في الفقه الشافعي ، كشرح الروض ، وشرح البهجة ، وشرح مختصر المزني ، كما شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، وغيرها كثير .

---

(١) نقل العيدروسي في النور السافر (ص ١٢٢) نص الإذن الذي كتبه ابن حجر العسقلاني للشيخ زكريا الأنصاري في التدريس .

أما في التفسير ، فقد وضع حاشية على تفسير البيضاوي ، مع مؤلفات في القراءات ، منها شرح الجزرية .

وألف في الحديث شرحاً على صحيح مسلم ، وشرحاً على البخاري ، وكتاب الأعلام بأحاديث الأحكام ، وشرح ألفية العراقي . وفي علم النحو وضع حاشية على شرح الألفية لابن مالك سماه الدرر السَّنيّة .

بالإضافة إلى مؤلفات في المنطق وآداب البحث وغيرها من العلوم ، وبلغت مؤلفاته واحداً وأربعين مؤلّفاً .

واشتهر علمه بين الناس حتى اعتبره بعض المترجمين له من مجدّدي القرن التاسع لشهرته وكثرة الانتفاع به ، وبتصانيفه خاصة ما يتعلّق منها بالفقه .

وقد عمّر الشيخ زكريا فبلغ المائة سنة ، فكثر تلاميذه من طلبة العلم الذين أصبحوا من كبار علماء عصرهم في مصر والشام والحجاز ، من أشهرهم النور المحَلّي ، والكمال بن حمزة ، والبدر الغَزي ، والشهاب الحمصي ، وابن السيرفي ، والبدر العلائي ، والشهاب الرملي ، وابنه شمس الدين ، ومترجمنا ابن حجر الهيتمي [١] .

بدأ ابن حجر في الأخذ عن شيخه هذا ولم يتجاوز عمره الثالثة عشر . وكان أول حديث أخذه عنه هو حديث « الرَّاحمون يرحمهم الرحمن » [٢] ، وهو المسلسل بالأولية ، كما أخذ عنه الكثير من الأحاديث المفردة والمسلسلات المتعددة والكتب الكبيرة في الحديث [٣] ، وقويت صلته بشيخه حتى خصّص له ابن حجر أغلب فهرسته المعروفة بالإجازة .

---

(١) اتفقت المصادر التي ترجمت لابن حجر على ذكر تتلمذه على شيخه زكريا . انظر : ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/٣) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، الغزي : الكواكب السائرة (ص ١٩٩) ، وغيرها كثير .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٨٥) رقم (٤٩٤١) .

(٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٣أ) (نسخة ألمانيا) ، الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر الهيتمي (ص ٧) .

كما اعتمد على شيخه زكريا في العديد من مؤلفاته ، وأحال على كُتُبه كثيراً[١] ، وكان لقاء ابن حجر بشيخه زكريا في مصر ، وقال عنه : « ما اجتمعتُ به قط إلا قال : أسأل الله أن يُفقهّك في الدين » [٢] .

وتوطدت علاقتهما مما جعل ابن حجر يقول عنه في معجمه (الإجازة) ما نصه : « وقدَّمتُ شيخنا زكريا لأنه أجلّ مَن وقع عليه بصري من العلماء العاملين والأئمة الوارثين ، وأعلى مَن عنْه رويتُ ودريتُ من الفقهاء الحكماء المسندين ، فهو عمدة العلماء الأعلام ، وحجة الله على الأنام ، حامل لواء مذهب الإمام الشافعي على كاهله ، ومحرر مشكلاته ، وكاشف عويصاته في بُكَرِهِ وأصائله ، ملحِق الأحفاد بالأجداد ، والمتفرّد في زمنه بعلوّ الإسناد ، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة ، بل وقع لبعضهم أنه أخذ عنه مشافهة تارة ، وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى، وهذا لا نظير له في أحد من أهل عصره ، فنعم هذا التميّز الذي هو عند الأئمة أولى به وأحرى ، لأنه حاز به سعة التلامذة والأتباع ، وكثرة الآخذين ودوام الانتفاع » [٣] .

وكفّ بصر الشيخ زكريا الأنصاري في آخر حياته ، وتوفي في الثالث من ذي القعدة سنة (٩٢٦ هـ/ ١٥٢٠م)، ورثاه العديد من تلامذته بعدّة مَرَاثٍ مطولة[٤] .

---

(١) من أمثلة ذلك ما نقله عنه في الفتاوى الفقهية (١/ ١٤ ، ١٨٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣، ٢/ ٧٤ ، ٧٩ ، ١٣٩ ، ١٩٨ ، ٢٥٤ ، ٣/ ٢٧ ، ٢٢٠ ، ٤/ ٣٣٠) ، وغيرها كثير . ونُقولُه عنه أيضاً في الفتاوى الحديثة (ص ١٨ ، ٥٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥، ٣٢٥) وغيرها .

(٢) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٣) .

(٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٢ أ - ٢٢ ب) .

(٤) انظر : مصادر ترجمة الشيخ زكريا الأنصاري في معجم المؤلفين ، لكحالة (٤/ ١٨٢ - ١٨٣) ، وأهمها الغزي : الكواكب السائرة (١/ ١٩٦ - ٢٠٧) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ١٣٤ - ١٣٦) ، العيدروسي : النور السافر (١٢٠ - ١٢٥) ، الزركلي : الأعلام (٣/ ٤٦) .

٢ - الزيني السنباطي (ت ٩٣١/ ١٥٢٤م) :

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي القاهري الشافعي . ولد سنة (٨٤٢ هـ/١٤٣٨م) بسنباط ، واهتم والده بتحفيظه القرآن وتدريسه الفقه ، ثم نقله إلى القاهرة سنة (٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م) ، حيث أكمل دراسته فيها على كبار علمائها أمثال البدر العيني ، والجلال البلقيني ، وابن الهمام ، وابن الديري ، والولي السنباطي ، وأجاز له الكثير من الشيوخ منهم ابن حجر العسقلاني بالإفتاء والتدريس ، وجلس للإقراء بالجامع الأزهر ، فدرس عليه خلق كثير .

كان من صفوة العلماء الأعلام ، واشتهر بالعقل والتواضع والحلم .

حج إلى مكة ودرّس بها ، ثم عاد إلى مصر ، ثم عاد وجاور واستقر بمكة مع عائلته وأولاده يَدَرّس ، فانتفع به خلق كثير إلى أن توفي بها ، وهو من أجل شيوخ مترجمنا ابن حجر [1] ، حيث ذكره في كتابه « الإجازة » ضمن أهم شيوخه الثلاثة الذين أخذ عنهم خاصة علم الحديث فقال : « . . . وأنا أرجو أن أكون من متّبعيهم بحقّ ، ووارثيهم بصدق ، لأنني أخذتُه رواية ، وأتقنته دراية ، عن الأئمة المسندين والأكابر والمسنّين ممن يضيق المقام عن استيعابهم ، ويجب الاقتصار على مسانيد أشهر مشاهيرهم ، شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي ، ثم شيخنا الزيني عبد الحق السنباطي . . . » [2] .

وذكر تلميذ ابن حجر المترجِم له في مقدمة الفتاوى الفقهية الكبرى (١/ ٤) أن ابن حجر درّس على الشيخ السنباطي ومَن في طبقته الكتب الستة في جمْع كثيرين ، وأجازوا له بباقيها وبغيرها .

وأشار الفاداني في كتابه أسانيد الفقيه ابن حجر إلى المؤلفات التي أخذها ابن حجر عن شيخه السنباطي ، وقد قدمتُ لها دراسة بمقارنتها مع ما ورد في كتاب

---

(١) ذكر المترجمون لابن حجر تتلمذه على شيخه السنباطي . انظر مثلاً : العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، والغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١١) ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٣٣٨) ، ودائرة المعارف الإسلامية : المترجمة (١/ ١٣٣) ، وغيرهم .

(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٢ أ) .

الإجازة لابن حجر عن الكتب التي درسها على شيخه السنباطي وذكرتُها في موضعها من هذا الكتاب [1] .

توفي الشيخ السنباطي بمكة المشرفة في رمضان سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة (٩٣١ هـ/ ١٥٢٤م) [2] .

٣ - الشمس بن أبي الحمائل (ت ٩٣٢ هـ/ ١٥٢٥م) :

هو شمس الدين محمد السروي المشهور بابن أبي الحمائل ، عاش بمصر [3] ، درس على الشيخ الشرف المناوي ، ومن تلامذته الشمس الشناوي ، والشيخ محمد بن علي بن حجر والد مترجَمنا ، وبعد وفاته تعهّد ابن أبي الحمائل برعاية ابنه مترجَمنا (ابن حجر) والاهتمام به وتدريسه ، وبالغ في وصاية تلميذه الشناوي به [4] . وذكر ابن حجر نفسُه عن شيخه محمد بن أبي الحمائل بأنه عمّر طويلاً ، وكان ممن جاوز المائة والعشرين من عُمره [5] .

توفي ابن أبي الحمائل بمصر سنة (٩٣٢ هـ/ ١٥٢٥م) .

٤ - الشهاب الصائغ (ت ٩٣٤ هـ/ ١٥٢٧م) :

أحمد بن الصائغ المصري ، الحنفي .

أخذ عن شيوخ كبار في علوم متعددة ، منهم الشيخ أمين الدين الأقصرائي ، والشيخ تقي الدين الشمني ، والكافيجي ، وغيرهم .

فبرع في العلوم الشرعية والنقلية ، وبرّز في الطب ، وزهد في قبول الوظائف التي عُرضتْ عليه لما اشتهر به من التواضع وحسن الخلق ، وإنما جلس للإفتاء

---

(١) انظر : (ص ١٠٦ - ١٠٨) من مبحث تحصيله العلمي في هذا الكتاب .

(٢) انظر : مصادر ترجمة الشيخ السنباطي، العيدروسي : النور السافر (١٥٣ - ١٥٥)، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ١٧٩) .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ١٨٦ - ١٨٧) .

(٤) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٣) .

(٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٦ أ - ٢٨ ب) ، الفتاوى الفقهية (٤/ ٣٣٠) ، السيفي: نفائس الدرر ، ورقة (٢ أ) .
وممن ذكر تتلمذ ابن حجر على شيخه ابن أبي الحمائل : العيدروسي : النور السافر (ص٢٨٨) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٣٨) .

والتدريس [(١)] ، فكان من تلاميذه الإمام أحمد بن حجر مترجمنا ، حيث درس عليه الطب [(٢)] .

توفي سنة (٩٣٤ هـ/ ١٥٢٧م) .

٥ - شمس الدين الدلجي (ت ٩٤٧ هـ/ ١٥٤٠م) :

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الدلجي العثماني الشافعي .

ولد سنة (٨٦٠ هـ/ ١٤٥٥م) بدلجة : قرية بصعيد مصر غربي النيل [(٣)] ، حفظ القرآن ثم دخل القاهرة ودرس على علمائها ، ثم رحل إلى دمشق وأقام بها نحو (٣٠ سنة) ، ودرس على كبار علمائها أمثال البرهان البقاعي ، والخيضري ، وابن زريق ، والسخاوي ، ثم عاد إلى القاهرة وبدأ في كتابة مؤلفاته ، ومنها شرح على الخزرجية ، وشرح على الأربعين النواوية ، وشرح على الشفاء للقاضي عياض ، ومقاصد المقاصد ، اختصر به مقاصد التفتازاني في علم الكلام وغيرها [(٤)] ، أخذ عنه تلاميذ كثيرون ، منهم المحدث نجم الدين الغيطي ، ودرس عليه ابن حجر مترجَمنا [(٥)] عدة علوم ، وهي علم المعاني والبيان ، وعلم الأصلين ، وعلم المنطق [(٦)] ، وذكر لنا ابن حجر نفسه أنه درس على شيخه هذا وله من العمر (١٨ سنة) [(٧)] .

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٢٠١) .

(٢) ذكر تتلمذ ابن حجر عليه : تلميذه المترجِم له في مقدمة الفتاوى الكبرى (١/ ٤) ، والسيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) ، والعيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، وابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان (٢/ ٤٦٠) .

(٤) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ٦ - ٧) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٢٧٠)، الزركلي : الأعلام (٧/ ٥٦ - ٥٧) ، كحالة : معجم المؤلفين (١١/ ٢٦٥) .

(٥) ذكر تتلمذ ابن حجر على شيخه الدلجي . السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، اللكنوي : الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، الشلي: السنا الباهر ، ورقة (١٩٣ أ) .

(٦) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الكبرى (١/ ٤) .

(٧) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٣٢٥) .

توفي الشيخ الدلجي بالقاهرة سنة سبع وأربعين وتسعمائة (٩٤٧ هـ/ ١٥٤٠م).

٦ - الشمس الضيروطي (ت ٩٤٩ هـ/ ١٥٤٢م) :

محمد بن شعبان بن أبي بكر بن خلف الدمياطي، شمس الدين الضيروطي[١] المشهور بابن عروس المصري - الشافعي . ولد سنة سبعين وثمانمائة (٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م) .

درس على كبار شيوخ عصره ، منهم الشهاب أحمد المغربي المعروف بابن شقير ، والشيخ نور الدين المحلّي ، والكمال بن أبي شريف وغيرهم . درس النحو والحديث وحفظ الكثير من كتب العلم عن ظهر قلب .

كان متواضعاً ذكياً ، وتولّى التدريس بمقام الإمام الشافعي بمصر ، وتدريس الخشابية المشروطة لأعلم علماء الشافعية .

ومن مؤلفاته : شرح المنهاج للنووي ، وشرح مسائل الستين في الفقه ، وغيرها ، وهو من شيوخ ابن حجر الذين درس عليهم علم النحو [٢] .

توفي الشيخ الضيروطي في شوال سنة تسع وأربعين وتسعمائة (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) ، ودفن بالقاهرة [٣] .

٧ - أحمد بن عبد الحق السنباطي (ت ٩٥٠/ ١٥٤٣م) :

أحمد بن عبد الحق السنباطي ، الشافعي ، المصري (شهاب الدين) ابن الشيخ عبد الحق السنباطي ، درس بالقاهرة وأخذ عن والده بجامع الأزهر ، كما لازم والده في حجته سنة (٩٣١ هـ/ ١٥٢٤م) ، ووعظ بالمسجد الحرام في حياة أبيه .

تولى تدريس الخشابية بمصر بعد الشيخ الضيروطي ، وهي مشروطة لأعلم علماء الشافعية ، كما ذكرنا سابقاً [٤] .

---

(١) أورده البغدادي وكحالة بالدال - الديروطي ، انظر أسفله .

(٢) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ٣٥ - ٣٧) ، البغدادي : هدية العارفين (٢/ ٢٣٧) ، كحالة : معجم المؤلفين (١٠/ ٦٩) .

(٤) ترجمه الغزي في الكواكب السائرة (٢/ ١١١ - ١١٢) .

درس عليه مترجمنا ابن حجر علم الأصلين [١] .

٨ - أبو الحسن البكري (ت ٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) :

محمد [٢] بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البكري ، الصديقي ، المصري، الشافعي .

أخذ العلم عن كبار علماء القاهرة ، فدرس الفقه على القاضي زكريا ، والبرهان بن أبي شريف وغيرهما ، وقد قال عنه الغزي : « وتبحّر في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث ، وغير ذلك ، وكان إذا تكلم في علم منها كأنه بحر زاخر لا يكاد السامع يحصل من كلامه على شيء ينقله عنه إلا إن كَتَبَهُ»[٣] .

اشتهر بِحُسْن الخُلق وكثرة الصدقة في السر والعلن .

وله مؤلفات كثيرة هامة منها : الكنز في شرح المنهاج للنووي ، وشرح الروض ، وشرح العِباب للمزّجد ، وحاشيته على شرح المحلّي .

وهو أول مَن حج من علماء مصر في محفّة .

واشتهر بعلمه في مصر والحجاز والشام واليمن ، وغيرها مع صغر سنّه .

---

(١) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٢) ذكرتْه بعض المصادر باسم عليّ بن محمد ، لأنّ كنيته أبا الحسن . ومنهم الغزي في الكواكب السائرة (٢/ ١٩٤ - ١٩٧) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٢٩٢ - ٢٩٣) ، وكحالة في معجم المؤلفين (٧/ ٢٠٨) .
ولكن الصواب ما ذكره معاصره المؤرخ جار الله بن فهد في كتابه « نيل المنى » مرات كثيرة منها ورقة (١٦٥ ب ، ١٧٦ أ) وغيرها .
وهو أيضاً ما وجد على بعض مؤلفاته التي ذكرها البغدادي في إيضاح المكنون (١/ ٤٦٠، ٢/ ٦٧١) ، لذلك نجد المراجع الحديثة تذكره باسم محمد بن محمد .
انظر: زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣١١) ، الزركلي : الأعلام (٧/ ٢٨٥) ، أما كحالة في معجم المؤلفين ، فقد أورد له ثلاث ترجمات مختلفة (٧/ ٢٠٨ ، ١٠/ ١٣٧ ، ١١/ ٢٢٩- ٢٣٠) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ١٩٥) .

ويعتبر الشيخ البكري من أهم شيوخ ابن حجر [١] ، حيث درس عليه علومًا عديدة منها : علم الأصلين ، وكان البكري ضمن الشيوخ الذين أجازوا لابن حجر بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين ، سنة تسع وعشرين وتسعمائة (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) .

ومّما يدلّ على قوة علاقتهما أن ابن حجر حجّ هو وشيخه البكري هذا آخر سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) ، وجاورا سنة (٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م) [٢] .

ولقد درس ابن حجر هو وشيخه البكري كتاب الصحيح بنقل العدل عن العدل للإمام مسلم على الشيخ زكريا الأنصاري [٣] .

وكانت وفاة الشيخ البكري في القاهرة سنة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) [٤] .

٩ - الشمس الحطابي (ت ٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م) :

هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب الرعيني الأندلسي المكي ، من عائِلة الحَطّاب الشهيرة بالعلم والسيادة في مكة .

تتلمذ الشمس الحطاب علىٰ السخاوي ، وعبد الحق السنباطي ، وعبد القادر النويري ، وعبد العزيز بن فهد وغيرهم ، وجلس للإقراء والتعليم ، وله مؤلفات عديدة أهمها : قرة العين بشرح الورقات لإمام الحرمين في الأصول ، وتفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدّم وما تأخّر من الذنوب ، ومتمّمة الأجرومية في علم العربية .

---

(١) ذكر تتلمذ ابن حجر على شيخه البكري كلٌ من : السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨)، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠)، الشوكاني : البدر الطالع (١/ ١٠٩) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٣٨) ، اللكنوي : الفوائد البهية (ص ٢٤١) .

(٢) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٧٤ - ٧٥) .

(٤) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ١٩٤ - ١٩٧) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٢٩٢ - ٢٩٣) ، كحالة : معجم المؤلفين (٧/ ٢٠٨) .

وأخذ عنه كثير من طلاب العلم ، من بينهم ابن حجر [١] ، حيث أخذ عنه النحو والتصريف [٢] .

توفي الشمس الحطابي سنة (٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م) [٣] .

١٠ - الشهاب الرملي (ت ٩٥٧/ ١٥٥٠م) :

أحمد الرملي المنوفي ، المصري ، الأنصاري ، الشافعي . ولد برملة المنوفية بمصر .

من أجلّ تلاميذ القاضي زكريا الأنصاري ، اشتهر بالإفتاء والتدريس ، وألّف المؤلفات الفقهية العديدة مثل : شرحه على صفوة الزبد في الفقه ، وصار بعد وفاة شيخه زكريا إمام علماء مصر ، وتتلمذ عليه أغلب طلاب العلم فيها .

تتلمذ ابن حجر على الشهاب الرملي [٤] ، وأجاز له بالإفتاء والتدريس في أواخر سنة (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) ، وكان له من العمر دون (٢٠ سنة) [٥] .

أما علاقة ابن حجر بشيخه هذا ، فتظهر لنا من خلال كلامه عنه ، فقد قال : « أجل جماعته ، محقق أهل عصره ، باتفاق أهل مصره ، شيخنا شهاب الدين الرملي الأنصاري ، متّع الله بحياته المسلمين » [٦] .

وله فتاوى تناولت مسائل فقهية وحديثية وغيرهما من العلوم الشرعية واللّغوية جمعها ورتبها ابنه شمس الدين محمد الرملي ، وطُبعت على هامش فتاوى ابن حجر منسوبة إلى الابن .

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٣٩ب ، ٤٩ أ) .

(٢) ابن حجر : الفتاوي الفقهية (١/ ٤) ، السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) .

(٣) ترجم للحطاب الكبير : الشلي : السنا الباهر ، ورقة (٢٢٢ ب - ٢٢٣ أ) ، مخلوف: شجرة النور الزكية (١/ ٢٧٠) ، الزركلي : الأعلام (٧/ ٥٨) ، كحالة : معجم المؤلفين (١١/ ٢٣٠) ، د . محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص١٩٤).

(٤) اتفقت مصادر ترجمة ابن حجر على تتلمذه للشهاب الرملي . من أهمها : العيدروسي: النور السافر (ص ٢٨٨) ، الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١٢)، الشوكاني: البدر الطالع (١/ ١٠٩) .

(٥) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٦) ابن حجر: الفتاوى الفقهية (٢/ ٧٩) .

توفي الشهاب الرملي سنة (٩٥٧ هـ/ ١٥٥٠م) بالقاهرة [١] .

١١ - الأرميوني (ت ٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) :

يوسف بن عبد الله بن سعيد الحسيني الأرميوني المصري الشافعي . من أهل أرميون من قرى مصر الغربية ، تتلمذ على الشيخ السيوطي .

له عدة مؤلفات ، منها أربعون حديثاً تتعلق بسورة الإخلاص ، وتحفة الأساطين في أخبار بعض الخلفاء والسلاطين ، ورسالة في تجويد القرآن ، وغيرها [٢] ، لم تذكر المصادر المترجمة لابن حجر تتلمذه عليه عدا ما ورد في كتاب الفاداني من أنه درس عليه المسلسل بالسؤال عن الاسم وتوابعه [٣] .

توفي الشيخ الأرميوني سنة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) .

١٢ - ناصر الدين اللقاني (ت ٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) :

هو محمد بن حسن اللقاني المالكي الشهير بناصر الدين ، ولد بمصر سنة (٨٧٣ هـ/ ١٤٦٧م) ، وأخذ عن كبار العلماء كنور الدين السنهوري ، فبرز خاصة في الفقه المالكي ، وفي العقيدة وأصول الفقه والبلاغة ، بالإضافة إلى العلوم العقلية كالمنطق .

وألف في أغلب هذه العلوم تآليف كثيرة وهامة منها : شرح على جمع الجوامع ، وحاشية على السعد التفتازاني في العقائد ، وشرح على التصريف للزنجاني .

أما تلاميذه فهم كُثر ، من أهمهم القرافي ، والأجهوري ، وسالم السنهوري [٤] .

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ١١٩) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣١٦) ، الزركلي : الأعلام (١/ ١٢٠) .

(٢) الزركلي : الأعلام (٨/ ٢٤٠ - ٢٤١) ، كحالة : معجم المؤلفين (١٣/ ٣١٣) ، البغدادي : إيضاح المكنون (١/ ٥٥) ، هدية العارفين (٢/ ٥٦٤) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٢٠) .

(٤) ترجمه مخلوف في شجرة النور الزكية (١/ ٢٧١ - ٢٧٢) ، كحالة : معجم المؤلفين (٩/ ٢٠٣ ، و١١/ ١٦٧) .

لازم ابن حجر شيخه هذا مدة مديدة ، وأخذ عنه علوماً عديدة كالمنطق [١] .

ورغم أن ابن حجر جعل معجمه خاصاً بشيوخه الثلاثة زكريا ، وعبد الحق السنباطي ، والسيوطي ، إلا أنه ذكر شيخه هذا من خلال عرض سنده إلى شرح القطب الرازي على الشمسية (في المنطق) ، فاعتبره من أجلّ شيوخه على الإطلاق ، وذكر براعته في علم المنطق ، ووصفه بأنه من أجلّ العلماء فيه على الإطلاق وقال عنه : « وكانت هذه العلوم [العقلية] نصْب عينيه ، وكان له فيها من الغور والتحقيق واستدراك على من سبقه ما لا يعرف قدره ، إلا من سمع تقريره ، وسمعت عليه شرح إيساغوجي الذي ألفه الفناري . . . وبعد ختم هذا الكتاب قال لي : اقرأ عَليَّ العَضُد ، فإن الناس إنما يستصعبون فيه مقدماته المنطقية ونحوها ، وأنت صرتَ تُدرك ذلك وتفهمه ، فقرأتُ عليه من أوله ، فحضر جماعة كثيرون . . . وبالجملة فلم يخلف بعده في مصر مثله ، كما أنه لم يكن فيها في زمنه من يدانيه في تحقيقه وغوصه على المعاني الدقيقة والنُكت والاستدراكات على الأكابر العجيبة ، فرحمه الله وعفا عنه » [٢] .

توفي الناصر اللّقاني في شعبان من سنة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) [٣] .

١٣ - ناصر الدين الطبلاوي (ت ٩٦٦ هـ/ ١٥٥٨م) :

محمد بن سالم بن علي المصري الأزهري الشافعي . تلقى العلم على أجلّة من شيوخ مصر ، منهم الشيخ زكريا ، والفخر الديلمي ، والسيوطي ، وغيرهم وبرع في عدة علوم فأصبح من المتبحرين فيها ، منها علم التفسير والقراءات والفقه والحديث والأصول والمعاني والبيان والطب والمنطق والكلام وغيرها .

---

(١) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الكبرى (١/ ٤) ، السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ أ)، وذكر تتلمذ ابن حجر عليه العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) ، اللكنوي : الفوائد البهية (ص ٢٤١) .

(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٩ ب - ١٠٠ ب ، ١٠١ أ ، ١٠٣ ب) .

(٣) نلاحظ أن كحالة ترجم لناصر الدين اللقاني مرتين ، ولم يعتمد على مصادر قديمة، فأخطأ في المرة الأولى في تاريخ وفاته ، حيث ذكر أنه توفي سنة (٩٥٧ هـ/ ١٥٥٠م)، وذلك لأنّه اعتمد على بروكلمان فقط .

تولى التدريس في الخشابية ، وهي من أجلّ المدارس بمصر ، ودرس عليه خلق كثير .

اشتهر بحسن الخلق والكرم والتواضع [(١)] ، له مؤلفات عديدة أهمها : بداية القاري في ختم صحيح البخاري ، شرح الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه، مرشدة المشتغلين في أحكام النون الساكنة والتنوين [(٢)] .

تتلمذ عليه ابن حجر في عدة علوم [(٣)] منها : علم الأصلين ، كما درس عليه التصريف للغزي .

وكان ممن أجاز لابن حجر بالإفتاء والتدريس سنة (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) ، وعمره دون العشرين [(٤)] .

توفي الشيخ الطبلاوي بالقاهرة سنة (٩٦٦ هـ/ ١٥٥٨م) .

١٤ - الشنشوري (ت ٩٨٣ هـ/ ١٥٧٦م) :

محمد بن عبد الله بن علي الشنشوري المصري الشافعي . ولد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة (٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣م)، ينسب إلى شنشور من قرى المنوفية بمصر.

أقام بالقاهرة ودرس على كبار علمائها ، منهم الجلال السيوطي ، والقاضي زكريا ، والديمي ، والقلقشندي ، والكمال الطويل ، والنور المحلي ، وغيرهم. له مؤلفات في الفرائض اشتهر بها . ومن تلاميذه : ولده عبد الله ، وابن كسباي[(٥)] ، وابن حجر مترجمنا [(٦)] ، حيث درس عليه علم المنطق [(٧)] ،

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ٣٣ - ٣٤) .
(٢) كحالة : معجم المؤلفين : (١٠/ ١٧) ، البغدادي : هدية العارفين (٢/ ٢٤٧) .
(٣) ذكر تتلمذ ابن حجر على شيخه الناصر الطبلاوي : السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب)، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨)، ابن العماد: شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠)، اللكنوي : الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، دائرة المعارف الإسلامية : المترجمة (١/ ١٣٣).
(٤) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .
(٥) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ٣٧ - ٣٨) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٩٥) ، الزركلي : الأعلام (٦/ ٢٣٩) ، كحالة : معجم المؤلفين (١٠/ ٢٢٦ - ٢٢٧) .
(٦) ذكر تتلمذ ابن حجر على شيخه الشنشوري تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٢ب) .
(٧) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الكبرى (١/ ٤) .

وترجم ابن حجر لشيخه الشنشوري في كتابه الإجازة رغم أنه خصصه لذكر شيوخه الثلاثة زكريا والسنباطي والسيوطي ، فقال عنه : « ويليه شيخنا الزين الشنشوري ، رجل من طلبة العلم بالجامع الأزهر ، كان مشتغلاً بالفقه لا غيره، فرحل إلى بلاد الروم ، وأفرغ وسعه في قراءة العلوم العقلية على علمائها ، ولازمهم مدة مديدة إلى أن أتقن تلك العلوم وبلغ فيها ما لم يبلغه المصريون ، إلا شيخنا اللقاني المذكور . ولما جاء إلى مصر اجتمعت به وقرأت عليه شرح القطب المذكور ، فكان يحفظه على الغيب ويحفظ حاشيته كذلك ، وكنتُ إذا جئته للقراءة يقول : طالعت الشرح والحاشية ؟ فأقول : نعم ، فيقول : اسمع أقررّ لك الدرس قبل أن تقرأ ، فيقرّره كما في القطب والحاشية ، ثم يزيد على ذلك فوائد من عنده ومن بعض مشايخه . . . ولقد رأيته اجتمع يوماً بشيخنا اللّقاني ، فقال له شيخنا اللّقاني : يا شيخ زين الدين ، أو يا مولانا ، وقع في شرح المواقف كذا ، وذكر بحثاً وقع للسيد وللمُحَشّين عليه ، وإشكالاً منه فيما ذكروه، فسكت الشنشوري هُنْيهة ثم قال : يا مولاي ، الجواب عن ذلك ممكن ، وذكر جواباً استحسنه شيخنا اللّقاني ، ثم قال له : المبحث يحتمل أكثر من هذا فتأملوه في هذه الليلة ، لعلّ يحصل جواب آخر أوضح من الأوّل ، وهذه من أجلّ مناقب الشنشوري حيث أهَّلَه اللقاني إلى سؤاله وقبوله لجوابه وتعظيمه وطلبه منه تأمّلاً أزيد مِن تأمله الأول ، مع أنه - أعني اللقاني - كان لا يسمح بذكر نظير ذلك لأحد من معاصريه ، هذا مع أنّ الشنشوري كان تلميذه » (١) .

توفي الشيخ الشنشورى سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة (٩٨٣ هـ/ ١٥٧٦م) .

١٥ - الشمس الشناوي :

لم نجد لهذا الشيخ ترجمة ولا ذكرًا لاسمه كاملاً فيما بين أيدينا من المصادر، ولم يذكره غير تلميذين لابن حجر ، أولهما المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية(٢)، والثاني السيفي في نفائس الدرر (٣) . ومن هذين المصدرين علمنا أن

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٠٠ ب - ١٠١ أ) .
(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١/ ٣) .
(٣) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ أ - ٢ ب) .

الشمس الشناوي من أهم شيوخ ابن حجر ، حيث تعهّده بالرعاية والعناية منذ صغره ، وتكفّل به بعد وفاة أبيه ، وبتوصية من شيخه ابن أبي الحمائل نقل ابن حجر من بلده إلى المقام البدوي بطنطا ، فدرس على اثنين من أشهر علمائها مبادئ العلوم ، ثم نقله إلى الجامع الأزهر أول سنة أربع وعشرين وتسعمائة (٩٢٤ هـ/١٥١٨م) ، وسلّمه إلى رجل صالح من تلامذته وتلامذة شيخه ابن أبي الحمائل ، فتعهّد به وأقرأه متن المنهاج ، وجمعه بعلماء مصر من محدثين أمثال الإمام الزيني عبد الحق السنباطي ، وفقهاء كبار من تلامذة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني أمثال الشيخ زكريا الأنصاري .

١٦ - الشمس بن عبد القادر الفرضي :

لم يُذكر اسمه كاملاً في تراجم ابن حجر ، وإنما عثرنا على ترجمة شمس الدين محمد الفرضي المصري الشافعي ، الذي اشتهر بعلم الفرائض والحساب في مصر ، وتوفي سنة (٩٤٥ هـ/١٥٣٨م) [١] .

ويغلب على الظن أنه هو نظراً إلى أن ابن حجر أخذ عن الشمس بن عبد القادر الفرضي علم الفرائض والحساب [٢] .

١٧ - الشمس المشهدي :

ذُكر في ترجمة ابن حجر في مقدمة الفتاوى الفقهية [٣] ، بأنه من شيوخ والد ابن حجر الذين عمروا طويلاً وأدركوا ابن حجر وأهل عصره ، كما ذكر تتلمذ ابن حجر عليه كلٌ من العيدروسي [٤] ، وابن العماد [٥] ، ولم نعثر على ترجمة لمن اسمه الشمس المشهدي ، في حين أنّنا عثرنا على ترجمات للبدر المشهدي الذي ولد سنة (٨٦٢ هـ/١٤٥٧م) .

وتوفي سنة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) [٦] .

---

(١) انظر : الغزي : الكواكب السائرة (١/ ٧٢) .
(٢) انظر : ابن حجر : مقدمة الفتاوى الكبرى (١/ ٤) .
(٣) انظر : ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .
(٤) النور السافر (ص ٢٨٨) .
(٥) شذرات الذهب (٨/ ٣٧) .
(٦) ترجمة الغزي : الكواكب السائرة (١/ ٢٧ - ٢٨) .

١٨ - الشهاب الطحان (ناصر الدين) :

ذكر تلميذ ابن حجر المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية [١] أن ابن حجر درس عليه علم الأصلين ، كما ذكر تتلمذه عليه العيدروسي [٢] ، ولم يذكر اسمه كاملاً ، وإنما وجدنا اسمه في الكواكب السائرة [٣] ، وهو أحمد بن محمد بن الطحان القادري، ولم نجد له ترجمة فيما توفر بين أيدينا من المصادر.

١٩ - الشهاب البرلسي :

ذكر تلميذ ابن حجر المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية أن « ابن حجر درس عليه علم الأصلين » [٤] ، ولم يذكر اسمه كاملاً ، وبالرجوع إلى كتاب الغزي الكواكب السائرة [٥] ، وجدنا أنه ذُكر مرّات عرضاً باسم شهاب الدين أحمد البرلسي الشافعي المعروف بعُمَيْرة ، وأنه كان نزيل جامع منكل بغا بحلب ، وأنه كان حياً سنة (٩٤٠ هـ/ ١٥٣٣م) ، ووصفه بأنه محقّق عصره بمصر .

وقد ترجمه كحالة [٦] وقال : إنه من رجال القرن العاشر .

٢٠ - الشمس العبادي :

ذكره تلميذ ابن حجر في مقدمة الفتاوى الفقهية [٧] وقال : إنه أخذ عليه الأصلين ، ولم يذكر اسمه كاملاً .

٢١ - الإمام مجلي :

ذُكر من بين شيوخ ابن حجر ، ذكره تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية الكبرى [٨] ، وقال : إنه أخذ عنه بعض كتب الحديث ، ولم نجد له

---

(١) انظر : ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٢) النور السافر (ص ٢٨٨) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١٤٠) .

(٤) انظر : ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٥) الغزي : الكواكب السائرة (١/ ١٩٩ ، ٢/ ٢٢٢ ، ٣/ ١٢٤ ، ٢٢٢) .

(٦) كحالة : معجم المؤلفين (٨/ ١٣) .

(٧) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٨) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر نظراً لعدم ذكر اسمه كاملاً ، وقد ورد اسمه أيضاً في الكواكب السائرة [1] ، وهو من تلاميذ الإمام زكريا الأنصاري .

٢٢ - الشمس المناوي :

ذكره تلميذ ابن حجر المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية [2] ، وقال : إن ابن حجر درس عليه علم المعاني والبيان . والملاحظ أن الشمس المناوي هذا توفي سنة (٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢م) أي بعد ولادة ابن حجر بعام واحد ولا نحسب أن ذلك يقع إلا إن كان والد ابن حجر أحضره عليه صغيراً [3] .

٢٣ - ابن عز الدين الباسطي :

ذكره تلميذ ابن حجر المترجم له في الفتاوى الفقهية [4] بأنه من شيوخ ابن حجر ، ولم يورد اسمه كاملاً ، ولم نعثر على ترجمة له فيما بين أيدينا من مصادر .

٢٤ - الجويني :

هو أبو عبد الله محمد الجويني ، ذكر ابن حجر أنه كان مدرساً بالأزهر ، وكان ضريراً يقوده ابن حجر فيذهب به إلى الشيخ زكريا الأنصاري ، قرأ عليه مختصر أبي شجاع في الحديث وسِنّه نحو أربعة عشر سنة [5] .

ولم يذكر ابن حجر اسمه كاملاً، ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

٢٥ - الطنبداوي :

ذكره ابن حجر في فتاويه الفقهية [6] ، وقال عنه شيخنا الطنبداوي : ولم يذكر اسمه كاملاً ، كما أن مصادر ترجمته لم تذكره ضمن شيوخه .

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة (١/ ١٩٩).

(٢) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٣) انظر ترجمته في كتاب الغزي : الكواكب السائرة (١/ ٨٤) ، وذُكر عرضاً في نفس المصدر (١/ ١١٥ ، ١٣١) .

(٤) انظر : ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٥) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٣٢٥) .

(٦) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ٣ ، ٤/ ٢٢٥) .

ولم نعثر على ترجمته فيما بين أيدينا من مصادر ، ولعله مكي ينتسب إلى حي الطنبداوي بمكة (ويسمى أيضاً الطندباوي ، يقع على يمين الداخل إلى الحرم بشارع أم القرى حالياً) .

٢٦ – الأمين العمري :

ذكره تلميذ ابن حجر المترجم له في مقدمة الفتاوى الكبرى الفقهية [١] بأنه من شيوخ ابن حجر ، ولم يذكر اسمه كاملاً أو ما درسه عليه ابن حجر ، ولم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر .

٢٧ – الشهاب البدري :

ذكره تلميذ ابن حجر المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية [٢] ، وقال : إن ابن حجر درس عليه النحو ، ولم يذكر اسمه كاملاً .

ولم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر .

٢٨ – الشهاب الصالح البطوي :

ذكره من ضمن شيوخ ابن حجر تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية[٣] بأن ابن حجر درس عليه علم الفرائض والحساب ، ولم يذكر اسمه كاملاً .

ولم أعثر على ترجمته فيما بين يديّ من مصادر .

٢٩ – الشمس الطهواي :

ذكره تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية [٤] ، وقال : إنه درس عليه علم النحو ، كما ذكر تتلمذ ابن حجر عليه العيدروسي [٥] . ولم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر .

---

(١) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .
(٢) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .
(٣) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .
(٤) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .
(٥) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) .

٣٠ - النور الطهواي :

ذكره تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية [١] ، وقال : إنه درس عليه علم المنطق . ولم أجد له ترجمة فيما بين يديّ من مصادر .

٣١ - الشمس السمنودي :

لم أعثر على مصدر ذكر اسمه كاملاً ولا ترجمة له ، إلا أنه ذكره عرضاً ابن حجر في الإجازة [٢] ، وذُكر في قوائم شيوخ ابن حجر عند المترجمين له [٣] .

---

(١) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٣٧ ب) .

(٣) وهم : تلميذ ابن حجر : في مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٨) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٠) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٣٨) ، اللكنوي : الفوائد البهية (ص ٢٤١) .

ابن حجر في مكة

كانت لابن حجر زيارتان إلى مكة قبل أن يقيم بها ويسكنها نهائياً ، فكان قدومه إلى مكة المكرمة لأول مرة هو وشيخه البكري [1] في آخر سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) ، فحج وجاور بها سنة أربع وثلاثين [2] (٩٣٤ هـ/١٥٢٧م) ، « وخطر له أن يؤلف في الفقه فتوقّف إلى أن رأى في النوم الحارث بن أسد المحاسبي ، وهو يأمره بالتأليف فاستبشر وألّف ، قال : وأذكرني ذلك ما كنتُ رأيته أيام الطلب ، فإني رأيتُ امرأة في غاية الجمال كشفتْ لي عن أسفلِ بطنها وقالت : اكتب على هذا متناً بالأحمر وشرحاً بالأسود ، ثم انتبهتُ ففزعتُ حتى قيل لي في تعبيره : ستظهر مؤلفاتك في الدنيا بعد خفائها الكلي ظهوراً عظيماً ، فاستبشرتُ وابتدأتُ في شرح الإرشاد»[3] ، ثم عاد ابن حجر إلى مصر .

وكانت له زيارة ثانية إلى مكة للحج اصطحب فيها عائلته وشيخه البكري ، وذلك سنة سبع وثلاثين وتسعمائة (٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠م) ، وجاور سنة ثمان وثلاثين (٩٣٨ هـ/ ١٥٣١م) . وفي مكة واصل اختصاره لمتن الروض الذي بدأ تأليفه في مصر وعرَضَه على علماء اليمن الذين شُغفوا به ، ثم عاد إلى

---

(١) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤) .

(٢) ابن حجر : مقدمة مختصر الإيضاح (ص ٣) ، ذكر في سبب تأليفه الكتاب : «قصدت إلى ذلك عند شروعي في أسباب الحج سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة » ، الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٩) ؛ ابن العماد: شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، اللكنوي : الفوائد البهية هامش (ص ٢٤١) .
وانفرد سركيس بذكر قدومه إلى مكة سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة . سركيس : معجم المطبوعات (ص ٨٢) ، وقوله : لا يعتمد في ذلك لأن ابن حجر ذكر أنه أخذ في أسباب الحج سنة (٩٣٣ هـ) . انظر أول الهامش .

(٣) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤) .

القاهرة [١] ، ولما كانت سنة أربعين وتسعمائة (٩٤٠ هـ/ ١٥٣٣م) قرر ابن حجر المكي الرحلة إلى مكة والإقامة بها .

وسبب خروجه من مصر وإقامته بمكة ما حصل له في مصر من سرقة بعض حُسَّاده لكتابه اختصار متن الروض السابق الذكر وإتلافه [٢] . وذكر تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية القصة مفصّلة ، حيث أورد خبر إعجاب بعض علماء الأعاجم بكتابه اختصار متن الروض أثناء وجوده بمكة سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة (٩٣٨ هـ/ ١٥٣١م) ، فحكى ذلك قائلاً : « فرآه بعض علماء الأعاجم فأعطى مبلغاً كثيراً لكتابته إذا وصلوا مصر ، فلما وصلوها أُريد استنساخه له فحاسَدَه بعض حاسديه فترصَّد له إلى أن أخرج الكتاب ليكشف منه، ثم اشتغل ، ثم التفت إليه فلم يره ، فكأنما وقع في بئر أو أحرق لوقته ، فلم يظهر له خبر حتى أصابه بسبب ذلك علّة خطيرة لا زالت تلازمه إلى أن تكاد تزهق نفسه وهكذا ، ثم تعافى منها ولله الحمد ، ثم صبر واحتسب فعوّضه الله خيراً من ذلك » [٣] .

ويُضيف السيفي في ترجمته لابن حجر : « وسمعتُ شيخنا رحمه الله وهو يَعْفو عن فاعل ذلك ويقول : حلّله الله وعفى عنه » [٤] .

كما تحمل ابن حجر المكي في مدة إقامته بمصر من الشدائد الشيء الكثير ، فقد قال عنه أحد تلاميذه : « سمعتُه يقول : قاسيتُ في الجامع الأزهر من الجوع ما لا تحتمله الجبلّة البشرية لولا معونة الله وتوفيقه ، بحيث أني جلستُ فيه نحو أربع سنين ما ذُقْتُ اللحم إلا في ليلة دُعينا لأكلٍ ، فإذا هو لحم يوقَد عليه فانتظرناه إلى انبهار اللّيل ، ثم جيء به ، فإذا هو يابس كما هو نَيءٌ فلم أستطع

---

(١) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٤) .

(٢) السيفي: نفائس الدرر ، ورقة (٣آ) ، الشوكاني: البدر الطالع (١/ ١٠٩)، عبد الوهاب عبد اللطيف : مقدمة الصواعق المحرقة لابن حجر (ص : ص) ، جماعة من العلماء: مقدمة الصواعق المحرقة لابن حجر (ص ٧) ، خليل الميس : مقدمة الخيرات الحسان لابن حجر (ص ٧) .

(٣) مقدمة الفتاوى الفقهية : لأحد تلاميذه (١/ ٤) .

(٤) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) .

منه لقمة ، وقاسيتُ أيضاً من الإيذاء من بعض أهل الدروس التي كُنَّا نحضرها ما هو أشد من ذلك الجوع إلى أن رأيتُ شيخنا ابن أبي الحمائل السابق قائماً بين يديْ سيدي أحمد البدوي ، فجيء باثنين كانا أكثر إيذاءً لي فضربهما بين يديه بأمرين فمزُقا كل ممزق » (١) .

وعن ذلك أيضاً قال السيفي : « فلقد رأيتُ بخطه ما صورتُه ، كابدتُ في أربع سنين بالجامع الأزهر ما لا يطيق الغير مُكَابَدَتَه في عشرين سنة » (٢) .

وكل هذه الأسباب دفعتْه إلى أن يغادر القاهرة ويقيم بمكة بداية من سنة (٩٤٠هـ/١٥٣٣م) إلى أن توفي بها سنة (٩٧٤ هـ/١٥٦٦م) (٣) ، وسكن ابن حجر بمكة المكرمة في منزله الذي يقع بالحريرة القريب من سوق الليل (٤) .

كما كانت له خلوة برباط الأشرف قايتباي قرب المسجد الحرام (٥) .

واشتهر أمر ابن حجر بمكة منذ وصوله ، وفي السنوات الأولى من استقراره بها ، فقد رفع إليه أهلها بطلب الفتوى في مسائل دينهم ودنياهم ، وذلك سنة (٩٤٢ هـ/١٥٣٥م)، فكانت السبب في تأليفه لكتابه الإعلام بقواطع الإسلام(٦) .

وعن مكانته هذه ذكر لنا تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية قوله : «فرُبَّ قضايا لا يكشف إشكالها غير فتواه ، وأمور ينجلي الحق ببيانها وينتظر جدواه ، فإنه لا سيما حين اتخذ مكة وطناً ، وآثرها سكناً ، انتشر صيته في الآفاق ، ووقع على سعة علمه وصحة استنباطه وباهر فهمه الاتفاق ، فقصده الأئمة وغيرهم بالفتاوى من سائر الأقاليم المشهورة » (٧) .

---

(١) الفتاوى الفقهية : مقدمة لأحد تلاميذه (١/ ٥) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٦ ب) .

(٣) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٩) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص١٢٣) .

(٤) ابن حجر : خاتمة المنهاج القويم على المقدمة الحضرمية (ص ١٥٠) .

(٥) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٨٩ ب) .

(٦) ابن حجر : الإعلام بقواطع الإسلام (ص ٤) .

(٧) تلميذه : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٢) .

رفقاء ابن حجر

١ - عبد العزيز بن علي الزمزمي (ت ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٩م) :

عز الدين عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز المكي الزمزمي الشافعي ، وُلد سنة تسعمائة (٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م) ، وكان من علماء مكة وأعيانها وفضلائها ، فقيه ، محدث ، شاعر ، أديب .

دخل بلاد الشام مارا بها إلى الروم سنة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) .

ومن مؤلفاته : قصيدتان في مدح النبي ﷺ ، الأولى عنوانها : الفتح التام في مدح خير الأنام ، والثانية : الفتح المبين في مدح سيد المرسلين .

وله كتاب الفتاوى الزمزمية ، ومنظومة في التفسير ، وشرح على مقامات الحريري .

أما علاقته بابن حجر ، فتتضح لنا من حديث ابن حجر عنه : بأنه كان من علماء عصره وتربطهما علاقة صداقة وتقدير واحترام ، فقد ذكر ابن حجر في كتابه الفتاوى الفقهية قدوم أحد علماء اليمن إلى مكة وذهابه مع صديقه الزمزمي للسلام عليه بقوله : « فتوجّهنا للسلام عليه . . . أنا وصاحبنا الشيخ الإمام العالم العلامة والحبر الهمام الحجة القدوة الفهامة ، عبد العزيز الزمزمي ، أدام الله به النفع العام للمسلمين ، ومتّعهم بعلومه وفتاويه ، لا سيما أهل هذا البلد الأمين»[(١)] .

وأشار الميرغني لهذه العلاقة بقوله في ترجمته لعبد العزيز الزمزمي : « وأخذ عن شيخ الإسلام زكريا ، وشارك الشيخ أحمد بن حجر في أكثر شيوخه ، وكانا رضيعيْ لبان ، وفرسيْ رهان . . . »[(٢)] .

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٢/٣) .

(٢) الميرغني : تنزيل الرحمات ، الجزء الثالث ، ورقة (٦٥ أ) .

أما وفاته فقد أرّخها العيدروسي والميرغني ومرداد بسنة (٩٧٦ هـ/ ١٥٦٩م) [١] وأرختها مصادر أخرى بسنة (٩٦٣ هـ/ ١٥٥٥م) [٢] .

وذكر ابن العماد وفاته بالتاريخَيْن [٣] .

والصحيح أنّ وفاته كانت سنة (٩٧٦ هـ/ ١٥٦٩م) ، كما ذكرها الغزي في ترجمته لحفيده عبد العزيز بن محمد فقال : « أخبرني شيخنا الشيخ محمد الزمزمي، وكتبتُ عنه بخطه في مستهل الحرام سنة ثمان وألف(١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م) إن والده الشيخ عبد العزيز مات في ليلة تاسع ذي القعدة الحرام سنة (٩٧٦هـ/ أبريل ١٥٦٩م) رحمه الله تعالى » [٤] .

٢ - بدر الدين الغزي (ت ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٧م) :

محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن بدر بن عثمان بن جابر الغزي العامري القرشي الشافعي .

وُلد في ذي القعدة سنة أربع وتسعمائة (٩٠٤ هـ/ ١٤٩٩م) ، حفظ القرآن وجوده وقرأه على كبار شيوخ عصره أمثال الشيخ علي السنهوري ، ومحمد البغدادي ، ومحمد بن السبكي ، وغيرهم . ثم درس الفقه والعربية والمنطق على والده الشيخ رضي الدين ، ثم رحل مع والده إلى القاهرة ، وأخذ عن علمائها منهم القاضي زكريا ، والبرهان بن أبي شريف ، والقلقشندي ، وغيرهم ، وبقي بها خمس سنوات ، ثم عاد إلى دمشق وتولى التدريس والإفتاء ، وتولى الوظائف الدينية كمشيخة القرّاء بالجامع الأموي وإمامة المقصورة ، ودرّس بالعادلية والفارسية والشامية .

---

(١) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٢٠ - ٣٢٤) ، الميرغني : تنزيل الرحمات ، الجزء الثالث ، ورقة (٦٥ أ) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٢٥٨ - ٢٥٩).

(٢) الغزي : الكواكب السائرة (٢/ ١٧٠) ، البغدادي : هدية العارفين (١/ ٥٨٤) ، كحالة: معجم المؤلفين (٥/ ٢٥٤) .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٣٦ - ٣٣٧) ، وأعاد له ترجمة في نفس الجزء (ص ٣٨١ - ٣٨٢) ، وجعل وفاته سنة (٩٧٦ هـ) ، وسماه عبد العزيز الزمزمي دون ذكر اسم الأب .

(٤) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١٦٧ - ١٦٨) .

وتتلمذ على يديه الكثير من طلاب العلم بمصر والشام .

وأما مؤلفاته فزادت على المائة مصنف ، من أشهرها : حاشيتان على شرح المنهاج للمحلي ، وشرحان على المنهاج كبير وصغير ، وكتاب الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد ، وتفسير آية الكرسي ، وثلاثة شروح على الألفية في النحو، وشرح على التوضيح لابن هشام ، وغيرها .

اشتهر بالعلم والعمل وحسن الخلق والسخاء والحياء [(١)] .

وكان لقاؤه بمترجمنا ابن حجر ، حيث دَرَسا على الشيخ زكريا الأنصاري كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري [(٢)] ، كما اجتمع به في مكة سنة (٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م) ، فقال الغزي : « واجتمع بالوالد سنة اثنتين وخمسين بمكة وتذاكر معه ، والوالد أسَن منه » [(٣)] .

وتوفي الشيخ الغزي بدمشق في شوال سنة أربع وثمانين وتسعمائة (٩٨٤هـ/ ١٥٧٧م) .

٣ - الشمس الرملي (ت ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٦م) :

محمد بن أحمد بن حمزة الرملي ، المنوفي المصري ، الأنصاري الشافعي .

وُلد بالقاهرة سنة (٩١٩ هـ/ ١٥١٣م) ، وينسب إلى الرملة ، من قرى المنوفية بمصر ، فقيه الديار المصرية في عصره ، وولي إفتاء الشافعية .

له مؤلفات كثيرة منها : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي ، عمدة الرابح شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية ، شرح شروط الإمامة لوالده ، غاية البيان في شرح زُبَد ابن رسلان ، وغيرها [(٤)] .

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ٣ - ١٠) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤٠٣ - ٤٠٦) ، كحالة : معجم المؤلفين (١١/ ٢٧٠ - ٢٧١) .

(٢) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٤٥ - ٤٦) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) .

(٤) الزركلي : الأعلام (٦/ ٧ - ٨) ، كحالة : معجم المؤلفين (٨/ ٢٥٥ - ٢٥٦) .

ولقد كان الشمس الرملي من رفقاء ابن حجر مترجمنا ، حيث درسا على الشيخ زكريا الأنصاري كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري [١] .

وقد عثرت على مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط برقم (١٩٠٢ د) عنوانها : كشف الغطاء واللبس عن اختلاف ابن حجر والشمس ، وهي منظومة عدد أبياتها (١٧٣٥ بيتاً) ، ناظمها هو مصطفى بن إبراهيم بن حسن بن أويس العلواني الشافعي المتوفي سنة (١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩م) [٢] .

والمخطوطة تقع في (٨٥ ورقة) ، ذكر فيها مسائل فقهية وقع فيها الخلاف بين ابن حجر المكي الهيتمي ورفيقه في الدراسة شمس الدين الرملي الشافعيين ، وهي تشتمل على (٣٣٠ مسألة) خلافية بينهما .

* * *

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٤٥ - ٤٦) .
(٢) ترجمه كحالة في معجم المؤلفين (١٢/٢٣٦) .

تلاميذ ابن حجر

• كبار تلاميذ ابن حجر :

١ - عبد الرحمن العمودي (ت ٩٦٧ هـ/ ١٥٦٠م) :

وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد العمودي الشافعي ، درس الفقه وبرع فيه ، وكان إماماً .

ومن شيوخه أبو الحسن البكري ، وعبد القادر الفاكهي ، وابن حجر الهيتمي مترجَمُنا . وذكر لنا عبد القادر الفاكهي علاقة العمودي بشيخه الهيتمي بما نصّه : « أخذ عنه . . . أخْذ شيخ عن شيخ كما قيل في أخذ أحمد عن الشافعي ، وإنْ جلّ الشيخ - يعني ابن حجر - ، ومن تصانيفه حاشية على الإرشاد ، وكان أرادَ مَحْوَها فمنَعَه ابن حجر من ذلك » ، وهو الذي طلب من الشيخ ابن حجر أن يشرح مختصر الفقيه عبد الله بافضل في الفقه فشرحه .

وتوفي الشيخ العمودي بمكة في رجب سنة سبع وستين وتسعمائة (٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م) [١] .

٢ - صلاح الدين بن ظهيرة (ت ٩٨٠ هـ/ ١٥٧٢م) :

صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيرة ، القرشي ، الهاشمي ، الشافعي . من فضلاء مكة وأدبائها وفقهائها ، تتلمذ على كبار علمائها ، فدرس على العلامة العفيف الفاكهي النحو ، وعلى الشيخ عبد العزيز الزمزمي ، وتتلمذ كثيراً للعلامة ابن حجر في الفقه ، وكان يكتب مؤلفاته . برع صلاح الدين بن ظهيرة في الشعر ، وانفرد بكتابة القاموس ، مات عن نحو خمسين عاماً بمكة سنة (٩٨٠ هـ/ ١٥٧٢م) [٢] .

---

(١) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٦٤ - ٢٦٨) ، الأسدي : طبقات الشافعية لوحة (١٥٧) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٤٩) .

(٢) الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٦٥ ب) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٢٢٣) .

٣ – عبد القادر الفاكهي (ت ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م) :

عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي . ولد بمكة سنة (٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) ، من أعيان العلماء بمكة ، وله الكثير من المؤلفات حتى شبَّهوه بالجلال السيوطي ، فما مِن مسألة إلا وله رسالة عليها .

درس على الشيخ أبي الحسن البكري ، وأحمد عبد الغفار المكي، وعبد العزيز الزمزمي ، ولازَمَ العلامة ابن حجر مترجمنا في دروسه كلها ، وأخذ عنه الفقه ، وأجازه الشيخ محمد بدر الدين الغزي ، واجتمع بالفقيه محمد بن عبد الرحيم باجابر بمكة سنة (٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢م) .

وله من المؤلفات ما لا يُحصر عدداً في مختلف مجالات العلم من فقه وتفسير وحديث وتاريخ وغيرها ، منها : شرحان على البداية للغزالي ، أحدهما أكبر من الآخر ، وعقود اللّطائف في محاسن الطائف ، وشرح منهج القاضي زكريا، وشرح قصيدة الصفي الحلّي ، ومناهج الأخلاق السّنية في مباهج الأخلاق السُّنّية، التبر المنقوش في فضل الحبوش ، والقول النقي في مناقب المتقي ، ومشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس وغيرها ، ولعل أهم ما يهمنا من مؤلفاته هو كتابه « فضائل ابن حجر الهيتمي » [١] .

توفي الإمام الفاكهي بعد إصابته بمرض الفالج سنة (٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م) [٢] .

٤ – عبد الرؤوف الواعظ (ت ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦م) :

عبد الرؤوف بن يحيى بن عبد الرؤوف المكي الشافعي ، عُرف جده بالوعظ .

---

(١) الدكتور محمد الحبيب الهيلة : في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ٢٤١) ، قال عنه: ذكره الشوكاني في البدر الطالع (١/ ٣٦٠) ، ورجح أن الغزي نقل عن هذا الكتاب في الكواكب السائرة (٣/ ١١٤) في ترجمته لابن حجر ، لأنه أحال عليه في ضبط نسب الهيتَمي .

(٢) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١٦٩) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٣٥٣ – ٣٥٤)، الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٦٦ أ) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٩٧) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٢٧٢ – ٢٧٣) ، الزركلي: الأعلام (٤/ ٣٦) ، كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ٢٨٣) ، د . الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص ٢٣٨ – ٢٤٢) .

ولد سنة (٩٣٠ هـ/ ١٥١٤م) بمكة ، من أكبر تلاميذ مترجمنا ابن حجر ، فقد لازمه وأخذ عنه عدة علوم منها : التفسير ، والأصول ، والعربية ، حتى اعتبره من أجلّ تلامذته وأجازه بجميع مروياته ومؤلفاته ، وكان يمدحه ويُثني عليه .

تولى التدريس والإفتاء بإجازة شيوخه له بذلك ، ويبدو أن علاقته بشيخه ابن حجر كانت وطيدة ، وضحها لنا الميرغني في تنزيل الرحمات بقوله : « وكان له اعتناء بكتب شيخه ، وكان قد أذن أن يُصْلِح ما يراه في الكتب مما يحتاج الإصلاح . وكان يُنَبِّه ولا يُغيّر ، ولَه فتاوى جمعها ، وألّف كتباً عديدة منها : شرح مختصر الإيضاح [(١)] لابن حجر » [(٢)] .

من هذا النص الذي نقله صاحب تنزيل الرحمات تظهر لنا درجة علاقته بشيخه ابن حجر ، حيث أذن له بإصلاح وتغيير ما يراه في كتبه ، ولكن الطالب كان يُنَبّه ولا يُغير ، وقال بعد ذلك : « وله فتاوى جمعها » ، ويغلب على ظني أن الضمير بعد لام الجر « له » يعود لابن حجر والضمير في الفعل « جمعها » يعود لعبد الرؤوف الواعظ ، بدليل أن المترجم قال بعد ذلك : « وألف كتباً. . . » مما يقوي عندنا اعتبار أن عبد الرؤوف الواعظ هذا هو الذي جمع فتاوى شيخه ابن حجر ، ولعله هو الذي وضع ترجمة ابن حجر الواقعة في مقدمة الفتاوى .

توفي عبد الرؤوف الواعظ في ربيع الأول سنة (٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦م) [(٣)] .

٥ - محمد طاهر الهندي (ت ٩٨٦ هـ/ ١٥٧٨م) :

جمال الدين محمد طاهر الملقب بملك المحدثين ، الهندي ، ولد سنة ثلاث

---

(١) وذكر ذلك عرضاً الأسدي في طبقات الشافعية ، لوحة (١٥٧ أ) عندما ترجم لابن حجر .

(٢) الميرغني : تنزيل الرحمات ورقة (٦٦ أ) .

(٣) لم نعثر على ترجمة خاصة بهذا الشيخ ، غير تلك التي أوردها أمين الميرغني في تنزيل الرحمات ، ورقة (٦٦ أ) . أما المصادر المذكورة بعد هذا فقد ذكرته عرضاً في تراجم غيره ، وقرنتْ اسمه دائماً بأنه تلميذ شيخ الإسلام ابن حجر . انظر : باعلوي : المشرع الروي (٢/ ٢٩٠) (في ترجمة عبد الرحمن بن شهاب الدين) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٤٥٤) (في ترجمة محمد بن أبي اليمن الطبري ، وفي ترجمة حفيده محمد الواعظ ص ٤٩٤) .

عشرة وتسعمائة (٩١٣ هـ/ ١٥٠٧م) ، وحفظ القرآن صغيراً وجَدَّ في طلب العلم من كبار شيوخ عصره حتى بلغ مبلغاً في علم الحديث لم يبلغه أحد من علماء كجرات (بالهند) ، ولما حج أخذ عن الشيخ أبي الحسن البكري ، والشيخ ابن حجر الهيتمي مترجمنا ، وعلي بن عراق ، وعلي المتقي الهندي المكي ، وجار الله بن فهد وغيرهم .

وله مؤلفات ، منها : مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار. واهتم بتعليم الأولاد وأنفق أموالاً طائلة في ذلك .

وكان يناظر الطوائف الخارجة من رافضة ومهدوية ليرجعهم إلى الحق وقال بكفرهم ، فاحتالوا عليه وقتلوه في شوال سنة ست وثمانين وتسعمائة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) [١] .

٦ - شيخ عبد الله العيدروسي (ت ٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢م) :

شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروسي .

ولد سنة (٩١٩ هـ/ ١٥١٣م) بمدينة تريم بحضرموت . ودرس علوم الدين كالفقه والتفسير والحديث والأصلين ، كما برع في العربية والفرائض والحساب حتى أصبح من أشهر علماء عصره وشيوخهم .

حج مع والده حجته الأولى سنة (٩٣٨ هـ/ ١٥٣١م) واجتمع بالشيخ أبي الحسن البكري . ثم حج ثانياً بمفْرده في حياة والده سنة (٩٤١ هـ/ ١٥٣٤م) وجاور بمكة ثلاث سنين يلازم فيها طلب العلم والعبادة ، فأخذ عن الشيخ أحمد ابن حجر مترجمنا ، والشيخ عبد الله باقشير والعلامة عبد الله بن أحمد الفاكهي وأخيه عبد القادر الفاكهي وغيرهم [٢] .

وله من شيْخيْه ابن حجر وعبد الله بن أحمد باقشير إجازة من كل منهما في جماعة .

---

(١) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٦١) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤١٠) .

(٢) الأسدي : طبقات الشافعية ، ورقة (١٥٨ أ) ، باعلوي : المشرع الروي (ص ٢٧٢ - ٢٧٧) .

وذكر الفاداني أن شيخ العيدروسي أخذ عن ابن حجر كتاب بهجة الحاوي [1] كما أخذ عنه كتاب المسند للدارمي [2] ثم رحل إلى زبيد وأخذ من علمائها وأقام بها نحو (١٣) سنة ، وأخذ عنه خلائق لا يُحصَوْن .

له مؤلفات عديدة ، منها : العقد النبويّ والسرّ المصطفوي ، وشرحان على قصيدته المسماة تحفة المريد ، ومولدان كبير وصغير ، ونفحات الحكم على لامية العجم ، وديوان الشعر .

دخل الهند سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) ، وعاش بها شيخاً إلى أن توفي في رمضان سنة (٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢م) [3] بعد أن أقام بها ٣٢ سنة .

٧ - أبو السعادات محمد الفاكهي (ت ٩٩٢ هـ/ ١٥٨٤م) :

محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الحنبلي ، ولد سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة (٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م) ، قرأ الفقه على المذاهب الأربعة ونبغ في علوم الدين، كما حفظ الأربعين النووية والعقائد النسفية والمقنع في فقه الحنابلة ، وجمع الجوامع في أصول الفقه ، وألفية ابن مالك في النحو ، وتلخيص المفتاح في المعاني والبيان وغيرها من علوم القراءات والنظم والنثر .

ومن شيوخه : أبو الحسن البكري ، وابن حجر الهيتمي ، ومحمد الحطّاب وآخرين من أهل مكة وحضرموت وزبيد يكثر عددهم .

ومن مؤلفاته : شرح مختصر الأنوار المسمى نور الأبصار في فقه الشافعية ، وله رسالة في اللّغة ، كتاب جليل جعله باسم أحد السلاطين .

---

(١) كتاب بهجة الحاوي لابن الوردي في فروع الشافعية - انظر : البغدادي : إيضاح المكنون (١/ ٢٠٠) .

(٢) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٣٧ ، ٩٧ - ٩٨) .

(٣) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٧٢ - ٣٧٩) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤٢٣ - ٤٢٤) ، كحالة : معجم المؤلفين (٤/ ٣١٢) ، وأخطأ كحالة فذكر « وأخذ عنه العلم ابن حجر الهيتمي وغيره » وهذا الخطأ وقع فيه عند نقله من ابن العماد ما نصه « وممّن أخذ عنه العلم ابن حجر الهيتمي والعلامة عبد الله بن باقشير الحضرمي ، وله من كل منهما إجازة » .

دخل الهند وأقام بها مدة مديدة ثم رجع إلى وطنه مكة في سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) وحج وزار المسجد النبوي ، ثم حج في السنة التي تليها وعاد إلى الهند في سنة ستين وتسعمائة (٩٦٠ هـ/ ١٥٥٢م) وأقام بها إلى أن توفي في سنة جمادى الأولى سنة (٩٩٢ هـ/ ١٥٨٤م) (١) .

٨ - أحمد بن قاسم العبادي (ت ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٥م) :

شهاب الدين أحمد بن قاسم العبادي ، القاهري ، الشافعي ، كان بارعاً في العربية والبلاغة والتفسير والأصول والكلام .

درس على الشيخ ناصر الدين اللقاني ، وشهاب الدين البرلسي ، وقطب الدين عيسى الصَّفَوي ، وابن حجر الهيتمي وغيرهم .

وله الكثير من المؤلفات منها : كتاب الحاشية على شرح جمع الجوامع المسماة بالآيات البينات ، وحاشية على شرح الورقات ، وحاشية على شرح المنهج ، وحاشية على شرح ألفية ابن مالك في النحو ، وغيرها .

وذكر الفاداني أن أحمد العبادي ، درس على ابن حجر كتاب عوارف المعارف للشهاب السَّهْرَوَرْدي وكتاب الورقات للإمام الجويني وسائر تصانيفهما (٢) .

ورغم أنه تتلمذ على ابن حجر ، فإنه قد اعترض عليه في كتابه التحفة ، ويبدو أنه كتب الاعتراض بعد وفاة الشيخ مما جعل حفيد ابن حجر رضي الدين الهيتمي ، يضع حاشيةً على كتاب جده التحفة ردًّا بها على تلك الاعتراضات التي وضعها أحمد العبادي هذا (٣) .

توفى الإمام أحمد العبادي سنة (٩٩٤ هـ/ ١٥٨٥م) وهو عائد من الحج ، ودفن بالمدينة المنورة (٤) .

---

(١) الأسدي : طبقات الشافعية ، ورقة (١٤٤ ب - ١٤٥ أ) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٤٠٧ - ٤١٣) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤٢٧ - ٤٢٨) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص٤٧١ - ٤٧٣). ذكر وفاته سنة (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م)، الزركلي : الأعلام (٦/ ٧) ، كحالة : معجم المؤلفين (٨/ ٢٩٨) .

(٢) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٨٢ ، ١٠٩) .

(٣) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٩٨) .

(٤) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١٢٤) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤٣٤) ، الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٦٨ أ) ، كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٤٨ -٤٩).

٩ - محمد الزمزمي (ت ١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠م) :

محمد بن عبد العزيز بن علي الزمزمي البيضاوي ، شهاب الدين ، درس على والده عبد العزيز ، والعلامة أحمد بن حجر ، وبهما تخرَّج ، وتزوج ابنة شيخه ابن حجر وأولدها الشيخ عبد العزيز .

تولى التدريس والإفتاء بمكة . واشتهر بالفضل والنبل ، وله الكثير من المؤلفات والتلاميذ - توفي بمكة سنة (١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠م) ودفن بالمعلاة [(١)] .

١٠ - عبد الكريم القطبي (ت ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م) :

عبد الكريم بن محب الدين بن أبي عيسى ، علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان ، النهروالى الحنفي المكى الشهير بالقطبي .

ولد سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١ هـ/١٥٥٣م) بأحمد أباد من بلاد الهند، وقدم مكة مع والده ودرس بها على كبار علمائها ، منهم عمه قطب الدين الحنفي النهروالي ، مفتي مكة ، وعبد الله السندي ، وابن حجر الهيتمي .

كان فقيهاً عالماً مؤرخاً ، محدّثاً ، آلت إليه جميع كُتبِ عمّه فنماها وزادها حتى بلغت أربعة عشر ألف كتاب ، وله الكثير من المؤلفات منها : اختصار تاريخ قطب الدين النهروالي ، وسماه إعلام العلماء الأعلام . وله شرح على البخاري لم يكمله سماه (التعبير الجاري على البخاري) وغيرهما .

تولى الافتاء في مكة سنة (٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م) ، وأمَّ بالمقام الحنفي في حدود سنة (٩٩٠ هـ/ ١٥٨٢م) .

وتوفي بمكة في ذي الحجة سنة (١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م) [(٢)] .

---

(١) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١١) (ذكره عرضاً في ترجمة ابن حجر الهيتمي)، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٣٧) (ذكره في ترجمة والده عبد العزيز الزمزمي)، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص٤٣٥) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص٨٥٣) .

(٢) البغدادي : هدية العارفين (١/ ٦١١) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص٢٨٠ - ٢٨٣) ، كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ٣٢٠) ، د. الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ٢٦٥ - ٢٦٧) .

١١ - الملا علي القاري (ت ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م) :

الملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري المكي - وُلد بهراة ناحية خراسان ودرس بها على شيوخها ، ثم انتقل إلى مكة ودرس على كبار شيوخها ، منهم أبو الحسن البكري ، وزكريا الحسيني ، وعبد الله السندي ، وقطب الدين المكي، وأحمد بن حجر الهيتمي مترجمنا ، حيث قرأ عليه كتباً كثيرة .

وبرع علي القاري في مختلف العلوم العقلية والنقلية ، فصار علامة زمانه . وألف الكثير من الكتب في الحديث [١] والتاريخ والحضارة واللغة والفقه والمناسك وغير ذلك ، حتى قيل إن عدد مؤلفاته بلغت أكثر من مائة مؤلف وقيل، بل بلغتْ ثلاثمائة .

وانتشرت كُتُبه في العالم الإسلامي ، لأنه أوقفها على أولاده وشرط أن لا يُمنع أحد من استنساخها ، وقد اشتهر بجمال الخط ، فكان يكتب في كل عام مصحفاً ويبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام .

أما علاقة علي القاري بشيخه ابن حجر فسنأخذها من بحث خليل قوتلاي الذي وضحها بقوله : « وقد نص المترجمون للشيخ القاري ، أنه أخذ عنه بمكة المكرمة ، كما صرح بذلك الشيخ القاري نفسه في مستهل كتابه « مرقاة المفاتيح » حيث وصفه بقوله : « شيخنا العالم العلامة ، والبحر الفهامة ، شيخ الإسلام ، ومفتي الأنام ، صاحب التصانيف الكثيرة والتآليف الشهيرة ، مولانا وسيدنا وسَنَدنا ، الشيخ شهاب الدين بن حجر المكي » . وقد تأثر الشيخ علي القاري بأستاذه الشيخ ابن حجر الهيتمي تأثراً كبيراً ، حيث إن الشيخ القاري اقتفى أثره، وانتهج نهجه ، ونقل عنه في مؤلفاته الشيء الكثير ، واتفق هو وشيخه في تصنيف بعض المؤلفات ، فلكل منهما : شرح الشمائل للإمام الترمذي ، وشرح الأربعين النووية ، ومؤلف في زيارة المدينة المنورة ، ومؤلف في مناقب الإمام أبي حنيفة ورسالة في العمامة . . . » [٢] .

---

(١) انظر : خليل قوتلاي : الإمام علي القاري وأثره في علم الحديث ، وهو رسالة وضعت في اهتمامات وتأليف علي القاري في علوم الحديث ونوقشت في جامعة أم القرى سنة (١٤٠٦ هـ) . وقد طُبعت ونُشرت .

(٢) خليل قوتلاي : الإمام علي القاري (ص ٧١ - ٧٢) .

ومن مؤلفات الإمام القاري ، رسالة في بيان الحج المبرور وضعها في تحقيق الخلاف بين شيخه ابن حجر ، والشيخ الميربادشاه البخاري الحنفي في أن الحج هل يُكفر الكبائر أم لا . وقال في أولها : « لما رأيتُ كلام العالِمين الهُمامين أحدهما من أعلم علماء الشافعية ، وثانيهما من أفضل فضلاء الحنفية في عصرهما ، وهما الشيخ ابن حجر المكي والميربادشاه البخاري ، رحمهما الله ونفعنا ببركة علوم كل منهما وتقواه ، متعارضين متناقضين . . . » (1) .

ومن مؤلفاته أيضاً الدرة المضيئة في زيارة الروضة المصطفوية ، وقد اعتمد فيه كثيرًا على مؤلفات شيخه ابن حجر في هذا الموضوع ، وله أيضاً : الإعلام بفضائل بيت الله الحرام ، شرح البردة ، شرح الشفاء للقاضي عياض ، شرح مشكلات الموطأ ، شرح الحصن الحصين ، شرح الأربعين النووية ، حاشية على تفسير الجلالين سماها الجمالين ، لخّص مواد من القاموس وسماه الناموس ، المقالة العذبة في العمامة والعذبة . وغيرها كثير .

توفي الشيخ علي القاري بمكة سنة (١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م) وصلى عليه علماء مصر صلاة الغائب ، بالجامع الأزهر (1) .

١٢ – سالم السنهوري (ت ١٠١٥ هـ/ ١٦٠٦م) :

سالم بن محمد عز الدين بن محمد ناصر الدين السنهوري ، المصري ، المالكي. ولد بسنهور وتعلّم في القاهرة .

فقيه ، محدّث ، كان مفتي المالكية في عصره ، قدم إلى مصر وعمره ١١ سنة وأخذ عن النجم الغيطي ، والناصر اللقاني ، وله الكثير من المؤلفات منها : حاشية على مختصر خليل في فروع الفقه المالكي سماه « تيسير الملك الجليل لجمع الشروح وحواشي خليل » ، وشرح رسالة الوضع ، وغيرها .

---

(١) د . محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ٢٨٠ – ٢٨١) .

(٢) الشلي : عقد الجواهر والدرر (ص ٧٩) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٣٦٥ – ٣٦٩) ، البغدادي : هدية العارفين (١/ ٧٥١ – ٧٥٣) ، سركيس : معجم المطبوعات (ص ١٧٩١ – ١٧٩٤) ، الزركلي : الأعلام (٥/ ١٢ –١٣) ، كحالة : معجم المؤلفين (٧/ ١٠٠ – ١٠١) ، د . محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ٢٦٨ – ٢٩١) .

وذكر الفاداني تتلمذه على ابن حجر مترجمنا ، بأنه أخذ عنه كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، وكتاب التفسير الكبير المسمّى مفاتيح الغيب للفخر الرازي ، وشرح الشمسية للقطب التحتاني [١] ، وتوفي الإمام سالم السنهوري بالقاهرة في جمادي الآخرة سنة (١٠١٥ هـ/١٦٠٦م) [٢] .

١٣ - أبو بكرالشنواني (ت ١٠١٩ هـ/ ١٦١١م) :

أبو بكر بن إسماعيل بن شهاب الدين عمر بن علي الشنواني . التونسي الأصل والمصري المولد والدار . الشافعي .

ولد ببلدة شنوان بالمنوفية سنة (٩٥٩ هـ/١٥٥١م) . وكان عالماً بالنحو والصرف . ومن مؤلفاته حاشية على شرح المقدمة الأزهرية في علم العربية لخالد الأزهري ، وحاشية على شرح القَطْر للفاكهي ، وحلية الكمال بأجوبة أسئلة الحلال ، والدرة الشنوانية على شرح الأجرومية في علم اللغة العربية ، وشرح البسملة للقاضي زكريا ، والطوالع المنيرة على بسملة عميرة . وغيرها .

وهو من تلاميذ ابن حجر ، فقد درس عليه الكثير من الكتب منها : رياض الصالحين ، والأذكار المسمى حلية الأبرار للإمام النووي وسائر مؤلفاته . وكتاب الإسعاد شرح الإرشاد للكمال بن أبي شريف ، وكتاب تفسير القرآن لأبي الليّث السمرقندي ، وسنن الدارقطني وغيرها [٣] .

وتوفي الشيخ الشنواني بالقاهرة في ذي الحجة سنة (١٠١٩ هـ/١٦١١م) [٤] .

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٣٥ ، ٤٠ ، ٦٨) .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر (٢/ ٢٠٤) ، التنبكتي : نيل الابتهاج (ص١٩١) ، مخلوف : شجرة النور الزكية (١/ ٢٨٩) ، البغدادي : هدية العارفين (١/ ٣٨١) ، الزركلي : الأعلام (٣/ ٧٢) ، كحالة : معجم المؤلفين (٤/ ٢٠٤) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٣٠ ، ٣٢ ، ٤٠ - ٤١ ، ٤٣ ، ٦٥ ، ٧٢، ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٠ - ١٠١) .

(٤) البغدادي : هدية العارفين (١/ ٢٣٩) ، كحالة : معجم المؤلفين (٣/ ٥٩) .

١٤ - عبد الرؤوف الزمزمي :

لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من المصادر ، وذكره لنا علي الونائي في مقدمة كتابه بأنه من تلاميذ ابن حجر ، وله شرح على كتاب شيخه ابن حجر « عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار » .

قال الونائي : « ألَّفتُ هذا الكتاب جامعًا لما يحتاج إليه الحجاج على مذهب الإمام الشافعي تغمده الله بالرحمة ، ملخصًا فيه شرح العلامة عبد الرؤوف الزمزمي على مختصر شيخه العلامة ابن حجر الهيتمي »[١] .

---

(١) علي الونائي : عمدة الأبرار في أحكام الحج (ص ٢) .

من صغار تلاميذ ابن حجر :

مرتبين على ترتيب الوفاة .

١٥ - أبو بكر السيفي (كان حياً سنة ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م) :

أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن علي باعمرو السيفي ، اليزني ، الشافعي(١) ، من تلاميذ الشيخ ابن حجر . وهو الذي وضع له ترجمة بعنوان «نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر » .

لم نعرف تاريخ وفاته ، إلا أنه كان حيا سنة (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م) . حيث أنه ألف كتابه المذكور أعلاه بعد وفاة شيخه ابن حجر .

١٦ - أحمد الأيدوني (ت ٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠م) :

أحمد بن يحيى محي الدين بن أمين الأيدوني الشافعي .

حفظ القرآن وبرع في الفقه والتفسير كما تعلم الفارسية .

ومن شيوخه : الشيخ تقي الدين القاري ، ومحمد الإيجي ، ومحمد بدر الدين الغزي .

تولى التدريس والإمامة بالجامع الأموي ، وذكره الغزي في كتابه الكواكب السائرة في ترجمة ابن حجر فقال : إنه من أهل الشام الذين درسوا على ابن حجر (٢) ، توفي أحمد الأيدوني في ربيع الآخر سنة (٩٧٨ هـ/ ١٥٧٠م) (٣) .

١٧ - عطية بن علي بن حسن السلمي (ت ٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م) :

زين الدين ، المكي ، من علماء مكة وفقهائها ومحدثيها . درس على علماء مكة منهم عبد العزيز الزمزمي ، وابن حجر المكي .

---

(١) البغدادي : هدية العارفين (١/ ٢٣٩) ، كحالة : معجم المؤلفين (٣/ ٧٣) .

(٢) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) . (٣) المصدر السابق (٣/ ١٢٥ - ١٢٦) .

وأجازوه بالافتاء والتدريس . وتولى التدريس بالمدرسة السلطانية السليمانية بمكة، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التفسير المشهور في ثلاثة مجلدات .

توفي بمكة آخر ذي الحجة (٩٨٢ هـ/ ١٥٧٤م) [١] .

١٨ - أحمد بن محمد الغزي (ت ٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥م) :

أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، شهاب الدين الغزي ، الشافعي - ولد سنة (٩٣١ هـ/ ١٥٢٤م) . درس الأصول والفقه والنحو والمعاني والبيان والتفسير والقراءات . ومن شيوخه بمصر : الشيخ بدر الدين بن الطباخ ، وشهاب الدين الرملي ، وأحمد الدجاني وغيرهم .

تولّى الإفتاء والتدريس فدرّس بالمدرسة القيمرية والشامية ، وتولى إمامة الشافعية الأولى بالجامع الأموي . ولازم والده وساعده في كتابة مؤلفاته ، لذا لم يكثر هو من التصنيف وله منظومة رائية في أسماء الكواكب الثابتة ، ومنظومة أخرى لامية ، واختصر المنهج في كتاب سماه النهج ولم يُتِمّه .

ذكره أخوه الغزي في الكواكب السائرة في ترجمته لابن حجر وعدّه من تلاميذه فقال : « وأخذ منه من أهل الشام جماعة منهم الشهب الثلاثة أخي . . . وأجاز أخي بالإفتاء والتدريس » [٢] . وتوفي سنة (٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥م) [٣] .

١٩ - سعيد سلطاني الحبشي (ت ٩٨٤ هـ/ ١٥٧٦م) :

سعيد سلطاني الحبشي الحنفي، حفظ القرآن ودرس الفقه ولما حج قرأ على الشيخ ابن حجر الهيتمي. اهتم بجمع الكتب حتى أنه كان يسافر إلى مصر لشرائها وابتنى بأحمد أباد مسجداً جيّد العمارة-وتوفي بها سنة (٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م)[٤].

---

(١) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص٣٣٨) ، الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٦٦ أ) .

(٢) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١٠٠ - ١٠٩) .

(٤) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٥٧ - ٣٥٨) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤٠٣) .

٢٠ - أحمد بن أحمد بن عمر التنبكتي (ت ٩٩١ هـ/ ١٥٨٣م) :

أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التنبكتي .

ولد سنة (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) ، من علماء تُنْبُكْت ببلاد السودان الغربية (موريتانيا) محدّث ، فقيه ، أصولي ، نحوي .

رحل سنة (٩٥٦ هـ/ ١٥٤٩م) للمشرق ، فحجَّ وزار ودرس على كبار العلماء منهم الناصر اللّقاني ، والشريف يوسف الأميوطي ، والتاجوري والأجهوري وابن حجر المكي وغيرهم . وأجازه بعضهم بالإفتاء ، ثم رجع إلى بلاده وجلس للإفتاء والتدريس .

وله مؤلفات عديدة منها : شرح تخميسات العشرينيات الفازازية لابن مُهيب في مدحه ﷺ ، وشرح منظومة المغيلي في المنطق ، وحاشية على شرح التتائي على خليل ، وغيرها .

ذكر ابنه أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج : أن والده تتلمذ على ابن حجر . كما ذكر الفاداني أنه درس على ابن حجر الكافية في النحو والشافية في الصرف لابن الحاجب [(١)] - توفي التنبكتي في شعبان سنة (٩٩١ هـ/ ١٥٨٣م) [(٢)] .

٢١ - جمال الدين محمد الأشخر (ت ٩٩١ هـ/ ١٥٨٣م) :

محمد بن أبي بكر الأشخر الزبيدي ، اليمني ، الشافعي ، ولد سنة (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) بقرية (بيت الشيخ) بقرب الضحى في اليمن، ودرس في زَبيد وتفقّه على يد والده ، ومن شيوخه الأكابر شيخ الإسلام أحمد ابن حجر الهيتمي ، وإبراهيم مطير ، والعلامة ابن زياد ، وله منهم إجازات ، وله مؤلفات كثيرة منها : نظم الإرشاد في الفروع ، وشرح الشذور ، ومختصر المحرر للسمهودى في تعليق الطلاق ، وألفية في النحو ، وفتاوي مرتّبة على أبواب الفقه، وغيرها .

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٨٨) .

(٢) أحمد التنبكتي : نيل الابتهاج (ص ١٤٢) ، مخلوف : شجرة النور الزكية (١/ ٢٨٦)، كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٣٣) .

وذكر الفاداني أن محمد الأشخر درس على ابن حجر الهيتمي كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري [1] - توفي محمد الأشخر باليمن سنة (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) [2] .

٢٢ - أحمد الطيبي (ت ٩٩٤ هـ/ ١٥٨٥م) :

أحمد بن أحمد بن أحمد بن بدر ، شهاب الدين المقري الطيبي .

ولد سنة (٩٥١ هـ/ ١٥٤٤م) ، وبرع في الفقه والأصول والنحو والمعاني والبيان والتجويد والقراءات والتفسير . درس على والده وعلى الشيخ محمد بدر الدين الغزي الذي أجازه بالإفتاء والتدريس .

تولى التدريس بالمدرسة العادلية بدمشق ، والوعظ بالجامع الأموي . وذكر الغزي في ترجمته لابن حجر : أن أحمد الطيبي من أهل الشام الذين درسوا على ابن حجر المكي [3] - توفي أحمد الطيبي في رمضان سنة (٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م) [4] .

٢٣ - عبد الرحمن بن فهد (ت ٩٩٥ هـ/ ١٥٨٦م) :

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن عبد العزيز بن فهد المكي .

درس على عمه جار الله بن فهد وابن حجر المكي . فكان من فقهاء مكة ، وقال الكتاني في فهرس الفهارس : « ولعله آخر فقهاء ومسندي بني فهد بمكة ، فإنه انقطع ذِكْرُهم مِن بعده في الفهارس والأثبات التي وقَفْتُ عليها » [5] .

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٤٥ - ٤٦) .

(٢) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٩٠ - ٤٠١) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٤٢٥ - ٤٢٦) ، الزركلي : الأعلام (٦/ ٥٩) ، البغدادي : هدية العارفين (٢/ ٢٥٧) ، كحالة : معجم المؤلفين (٩/ ١٠٦) .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) .

(٤) المصدر السابق : (٣/ ١١٤) .

(٥) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٧٣٤) .

وذكر الفاداني أن عبد الرحمن بن فهد ، درس على ابن حجر كتاب الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للشمس الكرماني [1] ، كما ذكر الكتاني أيضاً تتلمذه على ابن حجر [2] - توفي عبد الرحمن بن فهد سنة (٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م)[3] .

٢٤ - داود بن علي اليماني (توفي في حدود الألف) :

داود بن علي بن شعبان اليماني - الوصابي الشافعي ، من أهل العلم والصلاح ، ورَحَل في طلب العلم فدخل مكة والمدينة ومصر والشام ودرس على علمائها . وأجازه الشيخ محمد بدر الدين الغزي بدمشق بعد زياراته العديدة له. ثم استقرّ به المقام بمصر .

وقد ذكر الفاداني أنّ داود الوصابي درس على ابن حجر كتاب اقتضاء العِلْم العمل للخطيب البغدادي ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري وسائر مؤلفاتهما [4] ، كما ذكر الكتاني تتلمذ داود اليماني على ابن حجر [5] - توفي داود الوصابي بمصر في حدود الألف [6] .

٢٥ - أحمدالطبري (ت ١٠٠٣ هـ/ ١٥٩٤م) :

أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري الحسيني الشافعي المكي ، ولد في رمضان سنة (٩٢٧ هـ/ ١٥٢١م) .

قرأ على الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مترجمنا ولازم دروسه ، كما درس على الشيخ أحمد بن عبد الغفار ، وعبد العزيز الزمزمي وغيرهم .

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص٨٩) .
(٢) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٩٢) .
(٣) د . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ١٠٧ - ١٠٨) .
(٤) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٣٢ ، ١٠٧) .
(٥) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٨٩) .
(٦) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١٥٠) .

اشتهر بالتقشف والصلاح وملازمة المسجد - توفي في ذي الحجة سنة (١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م) ودفن بالمعلاة [١] .

٢٦ - يعقوب الكشميري (ت ١٠٠٣ هـ/ ١٥٩٤م) :

يعقوب بن حسن الكشميري ، الحنفي ، مفسر ومحدث .

ولد سنة (٩٠٨ هـ/ ١٥٠٢م) .

له مؤلفات باللغة الفارسية ، بالإضافة إلى تفسير القرآن ، وشرح صحيح البخاري ، وتآليف أخرى كثيرة .

ذكر الكتاني تتلمذه على ابن حجر[٢]، وتوفي سنة (١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م)[٣].

٢٧ - محمد بن إسماعيل بافضل (ت ١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٧م) :

ولد بتريم - وحفظ القرآن والإرشاد وتخرّج على شيوخها ، ثم حج فأخذ بمكة عن الشيخ أحمد بن حجر مترجمنا ولزمه في دروسه الفقهية وغيرها ، كما أخذ عن تلميذه عبد الرؤوف الواعظ - وتوفي سنة (١٠٠٦ هـ/ ١٥٩٧م) [٤]

٢٨ - حميد السندي (ت ١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠م) :

حميد بن عبد الله السندي الحنفي . صاحب المؤلفات في المناسك - أخذ عنه الكثير من أهل مكة واشتهرتْ كتبه .

ذكر الكتاني أنه روى القرآن الكريم عن ابن حجر المكي [٥] .

---

(١) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٩٨) .

(٢) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٧٦٠) .

(٣) البغدادي : هدية العارفين (٢/ ٥٤٧) ، كحالة : معجم المؤلفين (١٣/ ٢٤٧) .

(٤) الشلي : عقد الجواهر والدرر (ص ٢٧ - ٢٨) .

(٥) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٨٥٣) .

وذكر الفاداني أنه أخذ كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي وسائر تصانيفه عن ابن حجر المكي [1] - توفي سنة (١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠م) بمكة [2] .

٢٩ - محمد بن أبي اليُمن الطبري (ت ١٠١٠ هـ/ ١٦٠١م) :

محمد بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات الطبري الحسيني الشافعي المكي .

وهو تلميذ مترجمنا ابن حجر وصهره ، فقد تزوج ابنة شيخه . اشتهر بالصلاح والتقوى والقناعة ، واشتغل بالعلم . ومن شيوخه الشيخ عبد الرؤوف الواعظ والشمس محمد النحراوي الحنفي - توفي في صفر سنة (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) [3] .

٣٠ - عبد القادر بن أحمد بن فرج (ت ١٠١٠ هـ/ ١٦٠١م) :

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعي المشرعي الجدّي .

ولد بجدة ، وأخذ العلم بمكة على كبار علمائها ، منهم ابن حجر المكي مترجمنا ، عالم جدة وخطيبها ، له كتاب « السلاح والعدة في فضل ثغر جدة» - توفي في رمضان سنة (١٠١٠ هـ/ ١٦٠١م) بجدة [4] .

٣١ - محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠١١ هـ/ ١٦٠٢م) :

محمد بن عمر الخفاجي ، المصري ، الشافعي .

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ، ابن حجر (ص ٣٦) .

(٢) الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٧٢ أ) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٨٣ - ١٨٤) .

(٣) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٤٥٤) .

(٤) الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٢١٤ ب) ، البغدادي : هدية العارفين (١/ ٥٩٩)، عبد الستار الدهلوي : الأزهار الطيبة النشر في ذكر الأعيان من كل عصر ، ورقة (٦١أ)، الزركلي : الأعلام (٤/ ٣٦) ، كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ٢٨٣) ، د.الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة (٢٦٣ - ٢٦٥) .

من أجلاء علماء عصره ، نزيل مكة فقد أقام بمكة أكثر من ثمانين عاماً [1] .

أخذ عن كبار الشيوخ وتولى الإفتاء والتدريس ، فتخرج عليه كبار العلماء منهم أبو بكر الشنواني وابنه الشهاب . ولقد ذكر ابنه الشهاب الخفاجي في ريحانة الألبَّاء عند ترجمته لابن حجر تتلمذ والده على ابن حجر مترجمنا فقال : « وهو من أجلّ شيوخ والدي » [2] .

وذكر الفاداني أن محمد الخفاجي درس على ابن حجر كتاب الشفاء للقاضي عياض [3] .

توفي محمد الخفاجي سنة (١٠١١ هـ/ ١٦٠٢م) [4] .

٣٢ - إبراهيم بن الأحدب (ت ١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣م) :

إبراهيم بن محمد المعروف بابن الأحدب الزبداني الأصل ، الشافعي .

ولد سنة (٩٢١ هـ/ ١٥١٥م) بدمشق .

درس الفرائض والحساب على العلامة محمد بن إبراهيم النجدي بدمشق ، ودرس الحديث على البدر الغزي ، والشمس محمد بن طولون ، والشهاب أحمد الطيبي ، والشهاب أحمد بن حجر المكي . تولى التدريس .

وذكر ابن العماد تتلمذه على ابن حجر في ترجمته لابن حجر فقال : « وممن أخذ عنه مشافهة شيخ مشايخنا البرهان بن الأحدب » [5] .

كما ذكر الفاداني أن المحدث إبراهيم الأحدب درس على ابن حجر جمع الجوامع في أصول الفقه للسبكي ، وسائر تصانيفه [6] - توفي البرهان بن الأحدب سنة (١٠١٠ هـ/ ١٦٠١م) وقيل : سنة (١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣م) [7] .

---

(١) الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٦٥ أ) .
(٢) الخفاجي : ريحانة الألباء (١/ ٤٣٥) .
(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٧٢ - ٧٣) .
(٤) المحبي : خلاصة الأثر (٤/ ٧٦ - ٧٧) .
(٥) ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، خليل الميس : مقدمة الخيرات الحسان لابن حجر (ص ٧) .
(٦) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٥٢ - ٥٣) .
(٧) المحبي : خلاصة الأثر (١/ ٣٦ - ٣٧) .

٣٣ - عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت ١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م) :

عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي بن السقاف الحضرمي الشافعي [١] . قال باعلوي في المشرع الروي : « شيخ الإسلام وعلَم العلماء الأعلام ... مفتي الشافعية في الديار الحضرمية ... قاضي قضاة المسلمين ...

ولد رضي الله عنه سنة خمس وأربعين وتسعمائة (٩٤٥ هـ/١٥٣٨م) بمدينة تريم... وحفظ القرآن العظيم ، ... وأخذ العلوم الشهيرة على أشياخ كثيرين، من أجلّهم المحدث محمد بن علي خرد ، والقاضي محمد بن حسين ابن الشيخ علي ، والشيخ حسين بن عبد الله بافضل ، وارتحل إلى الحرمين ، وأخذ بهما عن جماعة من أكابر العارفين ، من أجلّهم الشيخ أحمد بن حجر ، وتلميذه عبد الرؤوف الواعظ ، وأخذ من جماعة من المجاورين والواردين ، وبرع في التفسير والحديث والفقه والعربية ، وأجازه جماعة من شيوخه في الإفتاء والتدريس ، ... وانتفع به خلق كثير وتخرّج به جمّ غفير ... وكانت وفاته سنة أربع عشرة وألف » (١٠١٤ هـ/ ١٦٠٥م) [٢] . وذكر الفاداني أنه أخذ عن ابن حجر كتاب صحيح ابن خزيمة [٣] .

٣٤ - محمد بن يحيى الطبري (ت ١٠١٨ هـ/ ١٦٠٩م) :

محمد بن يحيى بن مكرم الطبري الحسيني الشافعي المكي .

ولد سنة (٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠م) . قرأ على كبار شيوخ مكة منهم عبد الله الفاكهي وأبو الفتح الجناني ، ودرس العربية والفقه والمتون ، وقرأها كلها على الشيخ أحمد بن حجر مترجمنا . توفي في ربيع الأول سنة (١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م)[٤] .

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر (٢/ ٣٥٩) .

(٢) باعلوي الشلي : المشرع الروي (٢/ ٢٩٠ - ٢٩١) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٧٧) .

(٤) الطبري : إنباء البرية بالأنباء الطبرية ، ورقة (١١ ب) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٤٥٩) .

٣٥ - محمد الميموني (ت ١٠٢٣ هـ/ ١٦١٤م) :

محمد بن عيسى الميموني المصري الشافعي - شمس الدين .

ولد سنة (٩٣٠ هـ/ ١٥٢٣م) . من علماء عصره درس على الشمس الرملي، والشهاب البلقيني ، وأحمد بن قاسم وشمس الدين الصفوي وغيرهم - له العديد من المؤلفات منها : مختصرالآيات البينات تأليف شيخه ابن قاسم .

ذكر الفاداني أنه درس على ابن حجر الهيتمي ألفية ابن مالك وسائر تصانيفه[(١)] .

توفي محمد الميموني في صفر سنة (١٠٢٣ هـ/ ١٦١٤م) [(٢)] .

٣٦ - إبراهيم الطبري (ت ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م) :

إبراهيم بن أبي اليمن بن محمد أبي السعادات الطبري الحسيني الشافعي المكي .

ولد سنة (٩٤٥ هـ/ ١٥٣٨م) . ودرس الحديث والفقه والنحو منذ صغره .

ومن شيوخه : الشيخ عبد العزيز بن علي الزمزمي ، والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي مترجمنا . تولى بمكة قضاء الشافعية . وتوفي سنة (١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م) ودفن بالمعلاة [(٣)] .

٣٧ - علي الزيادي (ت ١٠٢٤ هـ/ ١٦١٥م) :

نور الدين علي ابن الشيخ يحيى الزيادي ، المصري ، الشافعي رئيس العلماء والفقهاء بالديار المصرية .

جمع العلوم العقلية والنقلية ، فدرس الفقه والحديث على شيخيه الشمس الرملي والشبريني، وقدم مكة وفيها أخذ عن أحمد بن حجر ثم رجع إلى مصر.

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٣٣) .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر (٤/ ١٠٥) ، كحالة : معجم المؤلفين (١١/ ١٠٩) .

(٣) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٤٧) .

وله الكثير من المؤلفات منها : حاشية على المنهج لزكريا الأنصاري ، وشرح المحرر للرافعي وهما في فروع الفقه الشافعي .

ولقد ذكر الفاداني أنَّ عَليا الزيادي أخذ عن ابن حجر أحاديث وكتباً كثيرةً من بينها بعض مؤلفات ابن حجر مثل كتابه « الدرّ المنضود في الصلاة على صاحب المقام المحمود » ﷺ وغيرها [١] . توفي علي الزيادي بالقاهرة سنة (١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م) [٢] .

٣٨ – عمرالبصري (ت ١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٧م) :

عمر بن عبد الرحيم البصري الحسيني الشافعي . من علماء مكة . تربى ودرس على كبار علماء عصره أمثال محمد الرملي ، والشهاب أحمد بن قاسم العبادي ، وابن حجر الهيتمي ، والملا عبد الله السندي ، والسيد ميربادشاه وغيرهم .

ودرس على ابن حجر بمكة العديد من الكتب منها « زاد المعاد إلى هدي خير العباد » لابن القيم ، وشرح معاني (الآثار) للطحاوي [٣] . توفي عمر البصري سنة (١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٧م) [٤] .

٣٩ – علي بن مطير (ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م) :

علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن مطير الحكمي ، اليمني ، الشافعي . ولد سنة (٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦م) .

---

(١) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ١٢ ، ١٤ ، ١٩ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ٧٩ ، ٨٠، ٩٣ – ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٠) .

(٢) الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٧٤ أ) ، البغدادي : هدية العارفين (١/ ٧٥٤)، كحالة : معجم المؤلفين (٧/ ٢٦٠) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ١٥ ، ٥٩ ، ٧٠) .

(٤) الميرغني : تنزيل الرحمات : في أخبار سنة (١٠٣٧ هـ) من الجزء غير المرقم الورقات.

كان من علماء عصره ، فهو فقيه ، مفسر ، نحوي ، أديب ، لغوي ، وله العديد من المؤلفات ، منها كتاب الإتحاف في اختصار التحفة لابن حجر ، وخلاصة الأحرى في تعليق الطلاق على الإبراء ، والديباج على المنهاج للنووي، والضنائن في تكملة تفسير القرآن ، وكشف النقاب بشرح مُلْحَة الإعراب للحريري، فتح المبين في شرح قصيدة الإمام ضياء الدين .

وتوفي الفقيه علي بعبس الحضن من المخلاف السليماني بتهامة اليمن في ذي القعدة سنة (١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م) (١) .

وذكر الفاداني أن الفقيه علي درس على ابن حجر الكثير من الأحاديث والكتب منها : كتاب الأبواب للنيسابوري والجامع الصحيح للبخاري والسنن للنسائي ، والشفاء للقاضي عياض والمعجم الكبير للطبراني وغيرها (٢) .

٤٠ - أحمد البقاعي العرعاني (ت ١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥م) :

أحمد بن محمد البقاعي العرعاني الشافعي . ولد سنة (٩٢٨ هـ/ ١٥٢١م) . من أجلاء علماء الشام درس فيها على الشيخ البدر الغزي ورحل إلى مصر والحرمين ليدرس على كبار العلماء ، فأخذ عن النجم الغيطي ، وجمال الدين ابن القاضي زكريا ، وأبي النصر الطبلاوي وغيرهم .

ودرس بمكة على ابن حجر المكي مترجمنا ثم رجع إلى دمشق .

تولّى التدريس في الزاوية الغزالية .

وذكر الفاداني أنّ أحمد البقاعي درس على ابن حجر المسلسلات بالأحاديث كما أخذ عنه مسند الإمام أحمد (٣) .

---

(١) البغدادي : هدية العارفين (١/ ٧٥٥) ، الزركلي : الأعلام (٥/ ١٣)، كحالة : معجم المؤلفين (٧/ ١٨٦ - ١٨٧) .

(٢) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ١٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦، ٥٠ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢، ١٠١ ، ١٠٢) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص٢٠ ، ٢٥ ، ٩٦) - إلا أنه ذكره بأنه أحمد ابن علي وفي ترجمته وجدنا أنه أحمد بن محمد .

توفي الشيخ أحمد البقاعي سنة (١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥م) [1] .

*   *   *

وبالإضافة إلى مجموع هؤلاء العلماء المذكورين من تلاميذ الشيخ ابن حجر ، فقد أورد الفاداني في كتابه أسانيد الفقيه ابن حجر مجموعة من التلاميذ الذين رووا عنه مباشرة ، ولكننا لم نجد لهم تراجم فيما بين أيدينا من المصادر وهم :

١ - المعمر المسند أحمد بن عبد الرحمن الناشري [2] .

٢ - الشيخ محمد القطان [3] .

٣ - أحمد بن محمد الوائلي [4] .

٤ - القاضي السيد محمد بن حسن [5] .

٥ - علي بن أحمد بن علي بن عبد القدوس الشناوي [6] .

٦ - علي الكوراني [7] .

٧ - خليل السبكي [8] .

٨ - أحمد السنهوري المالكي [9] .

كما نسب الفاداني أيضاً بعض الأسانيد إلى بعض العلماء الذين ذكرهم وقال إنهم أخذوا مباشرةً عن ابن حجر في رواية الأحاديث أو الكتب ، ولكن عندما

---

(١) المحبي : خلاصة الأثر (١/ ٣١٥) .
(٢) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٢٧) .
(٣) المرجع السابق (ص ٥٠ ، ١٠٨) .
(٤) المرجع السابق (ص ٤٥ - ٤٦ ، ٤٧) .
(٥) المرجع السابق (ص ٧٣ - ٧٤) .
(٦) المرجع السابق (ص ٦٣ ، ٦٨ - ٦٩ ، ٨٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢) .
(٧) المرجع السابق (ص ٥٤) .
(٨) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٧) .
(٩) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر : (ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٨، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ - ٤٥ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٩ - ٦٠ ، ٦٤- ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣، ١٠٤ ، ١٠٩) .

رجعنا إلى تراجمهم وجدنا أنهم لا يمكن أن يأخذوا عن ابن حجر نظراً لأنهم ولدوا بعد وفاته وهم :

١ - أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي البكري المكي ، فقد ولد سنة (٩٧٥هـ/١٥٦٧م) [١] .

٢ - علي بن إبراهيم الحلبي ولد سنة (٩٧٥ هـ/١٥٦٧م) [٢] .

٣ - أحمد القشاشي ولد سنة (٩٩١ هـ/١٥٨٣م) [٣] .

* * *

---

(١) ذكره الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٢٢) ، وترجمه المحبي : خلاصة الأثر (١/١٥٧ - ١٥٨) ، الزركلي : الأعلام (١/٨٨) ، د . الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص٣١٤) .

(٢) ذكره الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٢٣ ، ٢٤) . انظر ترجمته : المحبي: خلاصة الأثر (٣/١٢٢ - ١٢٤) ، كحالة : معجم المؤلفين (٧/٣) .

(٣) ذكره الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص١٠) ، انظر ترجمته : المحبي : خلاصة الأثر (١/٣٤٣ - ٣٤٦) ، كحالة : معجم المؤلفين (٢/١٧٠) .

انتاج ابن حجر العلمي

لم يأل ابن حجر جهدًا في العمل من أجل تثبيت مكانته في مكة ونيل ثقة أهلها ، فعاش فيها مواصلاً للعمل العلمي ، ينشر المعرفة بمختلف الأسباب والطرق ، من تدريس وفتوى وتأليف .

وإذا ألقينا الضوء على هذا التنوع في العمل العلمي وجدناه يتناول :

١ - التدريس :

دخل ابن حجر مكة المكرمة فوجد في حرمها الآمن العديد من كبار العلماء يلقون دروسهم في المسجد الحرام ، فحرص على أنْ يُدلي بدلوه وينال مكانة مرموقة بينهم ، فكان يبذل الجهد الكبير والاجتهاد التام في إلقاء الدروس بالحرم المكي ، حتى إنه في شهر رمضان من سنة (٩٤٣ هـ/١٥٣٦م) أصيب بمرض الحمى والإرهاق من كثرة ما كان يُجْهِد نفسه في دروسه . فقد شهد لنا على ذلك معاصره مؤرخ مكة ومحدثها جار الله بن فهد في كتابه نيل المنى في أخبار شهر رمضان المذكور قائلاً : « واتفق في آخر الشهر (رمضان) انقطاع الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر المصري الشافعي بالحمى الباطنية وتحريك دمويه ، ترك لأجلها قراءة الشفاء . . . وسبب وجعه كثرة اجتهاده في إلقاء الدروس ليلاً ونهاراً في المسجد الحرام واجتماع العامة عليه، وصار له شهرة أدّى ضررها إليه » (١) .

وليس في إمكان الباحث أن يتعرف على كل الدروس ومواعيدها وموادها العلمية التي كان يلقيها ابن حجر في حلقات الحرم المكي ، ولكنّنا نكتفي ببعض ما عثرنا عليه مما ذُكر من هذه الدروس خلال بحثنا في ترجمته . فمن ذلك :

- كان له درس في منزل الوزير الهندي آصف خان بمكة قرأ فيه كتاب الشفاء للقاضي عياض ، وذلك في رمضان سنة (٩٤٣ هـ/١٥٣٦م) (٢) .

- كانت له دروس في المسجد الحرام في رمضان يدرس فيها كتابه فتح الإله ،

---

(١) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٦٢ أ - ١٦٣ ب) .

(٢) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٦٢ أ) .

في شرح المشكاة بلا مطالعة ، وكان يحضر الدرس كثير من الخواص والعوام[1] . ولقد ألف ابن حجر كتابه فتح الإله في شرح المشكاة في موسم حج سنة (٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م) بمكة المكرمة [2] .

- كما أنه كان في درسه بالمسجد الحرام يكتب حاشية شرحه على المنهاج المسمى طرفة الفقير بتحفة القدير « إذا سُئل واستشكل عليه أجاب في الحاشية على البديهة من غير مراجعة ، وفي ذلك دليل على استعداده وكثرة محفوظاته»[3] .

- وفي رمضان سنة (٩٦١ هـ/ ١٥٥٣م) كان له درس فقهي في المسجد الحرام ووقعتْ له فيه مُساءلة فقهية تحدّث عن حلها في فتاويه الفقهية [4] .

- إن بعض مؤلفاته كتبها في مجالس دروسه مثل كتابه حاشية فتح الجواد [5] الذي ألفه سنة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤م) [6] .

هذا قليل من كثير من دروسه التي كان يلقيها والتي وصفها معاصره جار الله ابن فهد في النص السابق الذكر حيث قال فيه : إنه كان يلقي دروسه بالمسجد الحرام ليلاً ونهاراً واجتمع حوله العامة [7] » .

٢ - الفتوى :

أما النشاط العلمي الثاني الذي بذل فيه ابن حجر جهداً كبيراً فهو نشاط الإفتاء. لقد اشتهر ابن حجر بأنه عالم مكة ومفتيها ، وهو ما اتفق عليه أغلب المترجمين له وخاصة معاصروه . فقد ذكره معاصره النهروالي بقوله : « شيخ الإسلام مفتي الشافعية الشهاب ابن حجر » [8] وذكره معاصره جار الله

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ) .
(٢) ابن حجر : مقدمة كتابه فتح الإله في شرح المشكاة .
(٣) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب - ٤ أ) .
(٤) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١/ ٢٥٥) .
(٥) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) .
(٦) ابن حجر : حاشية فتح الجواد بشرح الإرشاد (ص ٥ - ٦) .
(٧) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٦٣ ب) .
(٨) النهروالي : التذكرة ، لوحة (١٦) .

ابن فهد بقوله : « الشيخ العلامة مفتي المسلمين شهاب الدين أحمد الهيتمي الشافعي »[1] .

ووصفه تلميذه جامع فتاويه في مقدمتها بقوله : « مفتي المسلمين ، صدر المدرسين ، بقية المجتهدين »[2] .

أما تلميذه السيفي فقد وصفه بقوله : « يُقصد بالفتاوى الدينية من كل فج عميق ، وتأتيه المشكلات مقفلة فتعود بفتح مبين ووجه طليق »[3] .

وسارت بقية مصادر ترجمة ابن حجر على نفس النسق .

أما المسائل التي كان يُستفتَى فيها ابن حجر فكثيرة العدد متنوعة الاختصاصات من فقه وعقيدة وأصول وحديث وغير ذلك ، مما يُستشكل على الناس مما جعلنا نجد له آلاف الفتاوى ، وهي التي جمعها أحد تلاميذه فجعل الفقهية منها في أربعة أجزاء كبيرة والحديثية العَقَدية في جزء كبير .

وبما أن شهرة ابن حجر بلغتْ الكثير من بلدان العالم الإسلامي ، فقد وردت عليه الاستفتاءات من مختلف أمصار المسلمين وخاصة تلك التي انتشر فيها المذهب الشافعي ، وذلك ما أكّده لنا تلميذه الذي وضع مقدمة الفتاوى الفقهية قائلاً : «فإنه لا سيما حين اتخذ مكة وطناً ، وآثرها سكناً ، انتشر صيته في الآفاق ، ووقع على سعة علمه وصحة استنباطه وباهر فهمه الاتفاق ، فقصده الأئمة وغيرهم بالفتاوى من سائر الأقاليم المشهورة ، لما اشتهر من حديث فضله من كل طريق صحيحة مأثورة ، كمصر والشام وحلب وبلاد الأكراد والعراقين والبصرة ونجد الإحساء والبحرين واليمن والسواحل وبرّ عجم وحضرموت والهند والسند ودلي (يقصد دلهي) وأعمالها وغير ذلك . . . »[4] .

وكان يُستفتى في المسائل الدينية التي لها علاقة بالسياسة الاجتماعية حين يختلف الناس ، ومن أبرز أمثلتها فتواه التي طلبها منه المكلفون بتجديد عمارة

---

(١) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٦٢ أ) .

(٢) تلميذه : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٢) وكذلك (٤/ ١٧٩) .

(٣) السيفي : نفائس الدرر ،ورقة (١ ب – ٢ أ) .

(٤) تلميذه : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٢) .

الكعبة المشرّفة عندما اختلف الناس في ذلك وتضاربت الأقوال ، فكانت فتواه هي الحجة التي اقتنع بها المخالفون وعملت بها سلطة الأشراف ونواب الدولة العثمانية بمكة [1] .

٣ - التأليف :

كانت حياة ابن حجر حافلة بالإنتاج العلمي ، ثرية بالتآليف في مختلف الاختصاصات في العلوم الإسلامية .

ورغم أن مصادر ترجمة ابن حجر لم تقدم لنا إحصاء لعدد مؤلفاته إلا أننى ، وبعد الدراسة والبحث ، أحصيتُ من مؤلفاته (١١٧) كتاباً ورسالة تناولتْ العديد من العلوم من حديث وفقه وعقيدة وأخلاق ونحو وأدب وسيرة وتاريخ عام وتراجم ورسائل تعتبر مصادر تحدثت عن المظاهر الحضارية في عصره .

وقدم لنا تلميذ ابن حجر باعمرو السيفي في ترجمته لشيخه بعنوان « نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر » عرضاً لاثنين وتسعين مؤلَّفاً من مؤلفات ابن حجر [2] . .

وأورد في ترجمته قصيدة الشيخ عبد القادر الفاكهي التي رثى بها ابن حجر بعد وفاته ، وفيها ذكر لعدد مؤلفاته أحصاها بأكثر من (٧٧) مؤلفاً فقال :

تصانيف علم زاد في الكم عدها   على السبع والسبعين حرَّرها الحَسب [3]

وكان لمصنفات ابن حجر عظيم الأثر في نفوس العلماء ، فقال تلميذه السيفي في وصفه لمؤلفات شيخه : « فكانت مصنفاته جديرة أن تكتب بماء العيون ، وأن يبذل في تحصيلها المال والأهل والبنون » [4] .

أما أمين الميرغني في ترجمته لابن حجر فقد قال عن مؤلفاته : « الشيخ أحمد ابن محمد بن محمد بن علي بن حجر الأنصاري الهيتمي ، صاحب التصانيف والتآليف ، ومؤلفاته شملت وتفرقت في البلدان والأمصار ، وله اليد الطولى في العلوم.، وعليه العمدة في مذهب الشافعية » [5] .

---

(١) النهروالي : التذكرة ، لوحة رقم (١٦ - ١٨) .
(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ - ٦ أ) .
(٣) السيفي : المصدر السابق ، ورقة (٧ ب) .
(٤) السيفي : المصدر السابق ، ورقة (٢ أ) .
(٥) أمين الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٥١٨ ب) .

وقدّم العيدروسي وصفاً ومدحاً وإطراءً لهذه المؤلفات بقوله : « مصنفاته في العصر آية يعجز عن الإتيان بمثلها المعاصرون ، فهم عنها قاصرون ، وأبحاثه في المذهب كالطراز المذهب ، طال ما طاب للواردين من منهل تدريسه صفاء المشرب ، وطال ما طاف حول كعبة مناسكه من الوافدين مَن يريد وفاء المآرب ، فوقع له قلم الباري ، في إرشاد المقري والقاري » [1] .

كما قدم لنا الخفاجي إطراء لمؤلفات ابن حجر يتضمن عناوين بعضها فقال عنه: « إن حدّث عن الفقه والحديث ، لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث ، تآليفه غرر مثيرات ، أضاءت في وجوه دُهم المشكلات . فكم أغنى بتُحَف أفكاره محتاجاً ، وأوضح للإرشاد منهاجاً ، وكف المبتدعة بالصواعق والزواجر ، وفاق بأقواله المعتمدة الأوَّل والآخر . . . أقلام فتاواه مفاتيح ما أُرْتِجَ من المسائل المشكلة ، والعلمُ باب مقفل مفتاحه المسألة » [2] .

بدأ ابن حجر التأليف في مصر وقبل قدومه إلى مكة واستيطانه بها ، ومن أوّل مؤلفاته « شرح ألفية ابن مالك فى النحو » ألّفها سنة (٩٣٠ هـ/١٥٢٣م) فقال عن ذلك تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوي : « وفي حال قراءته النحو شرح ألفية ابن مالك شرحاً مزجاً متوسطاً حاوياً لأكثر شروحها والتوضيح وحواشيه وفرغ منه سنة ثلاثين » [3] . وله في مصر بعض المؤلفات في الفقه ، إلا أن أكثر عطاء ابن حجر وانتاجه العلمي كان في مكة .

وقد يذكر لنا ابن حجر في بعض مؤلفاته المدة التي يستغرقها في كتابة هذا المؤلف أو ذاك . فنجد أنّ بعضها يستغرق منه يوماً واحدًا وبعضها يؤلفه في أيام أو شهور أو سنوات . وسنورد لذلك بعض الأمثلة منها :

- رسالته « الإيضاح والبيان لما جاء في ليلة النصف من شعبان»[4]لم يستغرق منه سوى يومٍ واحد، فقد بدأهُ في ثاني عشر شعبان سنة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩) وفرغ من تصنيفه عصر الجمعة المبارك ثالث عشر من نفس الشهر.

---

(١) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧) .

(٢) الخفاجي : ريحانة الألباء (١/ ٤٣٥ - ٤٣٦) .

(٣) تلميذ ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٤) انظر ما سنوضحه من أمر هذه الرسالة وحكم الشرع فيها ، عند حديثي عنها ضمن دراسة مؤلفاته .

- ورسالة « رفع الشبه والريب عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب» أنجزَه في دون اليومين فقال في آخره : « نجز في دون يومين سلخ ذي القعدة الحرام سنة ثمان وخمسين وتسعمائة » [١] (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) .

- وكتابه « إتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام » ألّفه في أقلّ من شهر فقد قال في مقدمته : « سنح لي في مستهل شهر رمضان سنة (٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م) أن أؤلف كتاباً في الصوم » . وقال في خاتمته : « فرغتُ من تسويده بين الظهر والعصر ، سلخ رمضان سنة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) » .

وكذلك كتابه « الدر المنضود ، في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود» ألّفه في أقلّ من شهر ، فقد بدأه أواخر صفر سنة (٩٥١ هـ/ ١٥٤٤م)، وأتمه ٨ ربيع الأول من نفس العام .

- وكذلك كتابه « تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون » ألّفه فيما يزيد على الشهر (بأيام قليلة) [٢] . فقد بدأه في ٣ رجب سنة (٩٤٩ هـ/ ١٥٤٢م) وأنهاه بقوله في آخره : « ووافق الفراغ من تصنيفه خامس شعبان من شهور سنة تسع وأربعين وتسعمائة » [٣] .

- أما كتابه « تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات » فقد استغرق في تأليفه قرابة أربعة أشهر . حيث بدأه في موسم حج سنة (٩٤٩ هـ/ ١٥٤٣م) وأنهاه ١٧ صفر سنة (٩٥٠ هـ/ ١٥٤٣م) .

- وكتابه « تحفة المحتاج بشرح المنهاج » كتبه في قرابة ستة أشهر ، فقد بدأه في ١٢ محرم سنة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) وأنهاه في ٣ رجب من نفس العام .

- وكتابه « مختصر الإيضاح » استغرق منه عدة سنوات تُقارب السبع ، فذكر في مقدمته أنه شرع في تأليفه سنة (٩٣٣ هـ/ ١٥٢٧م) ، وأورد في الخاتمة أنه فرغ منه يوم الاثنين ثالث عشر شوال سنة أربعين وتسعمائة (٩٤٠ هـ/ ١٥٣٤م) .

واستمر إنتاج ابن حجر وعطاؤه التأليفي ، فلم يتوقف طوال حياته إلى قبيل

---

(١) ابن حجر : رفع الشبه والريب - ضمن الفتاوى الفقهية (٣/ ١٤١) .
(٢) (ص ١٩٢ - ١٩٣) .
(٣) ابن حجر : تنوير البصائر والعيون - المطبوع ضمن الفتاوى الفقهية (٢/ ٢٢١) .

وفاته. فها هو ذا يضع « معجمه » قبل وفاته بنحو سنتين ، فقد ألفه في رمضان سنة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٥م) .

وله مؤلَّف وضَعَه قبل وفاته بأربعة أيام في موضوع المخاصمة في أمر الدنيا ، ذكره تلميذه السيفي وقال عنه : « وشرع أيضاً قبل وفاته بأربعة أيام في مؤلف لطيف سبَبُه ورود سؤال عليه حاصله أنّ شخصاً نهى عن المخاصمة في أمر الدنيا. . . » (١) .

وقد ذكر ابن حجر تواريخ تأليفه للعديد من كتبه سواء في مقدماتها أو في خواتيمها ، وأهمل ذلك في الكثير من الكتب الأخرى ، لذلك رأيت أن أضع قائمة لعناوين مؤلفاته التي عُرِفت تواريخها لتبيّن للقاريء مدى اهتمام ابن حجر بالتأليف ووفرتها في مختلف سنوات حياته .

عرض لتواريخ بعض مؤلفات ابن حجر

بلغت عدد الكتب التي ذكر المؤلف تواريخ تأليفها مضبوطاً واحداً وأربعين كتاباً وهي :

تاريخ التأليف	عنوان الكتاب	موضوعه
٩٣٠	شرح ألفية ابن مالك في النحو	النحو
٩٣٣	حاشية الإيضاح في المناسك	فقه
٩٣٣	الشرح الكبير لكتاب الإرشاد في فروع الشافعية	فقه
٩٣٤	اختصار كتاب الروض = النعيم	فقه
٩٣٤	شرح مختصر الروض - للمرة الأولى	فقه
٩٣٧	شرح مختصر الروض - للمرة الثانية	فقه
٩٤٠	مختصر الإيضاح - في المناسك	فقه
٩٤٢	الإعلام بقواطع الإسلام	عقيدة
٩٤٤	المنهاج القويم = شرح المقدمة الحضرمية	فقه

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٦ أ) .

تاريخ التأليف	عنوان الكتاب	موضوعه
٩٤٦	سوابغ المدد ، في العمل بمفهوم قول الواقف من مات من غير ولد	فقه
٢٨/ رمضان/ ٩٤٩	أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = شرح الشمائل للترمذي .	سيرة
٩٤٩	تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون	فقه
٩٥٠	إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء في الصدقة والضيافة	أخلاق
١٧/ صفر/ ٩٥٠	تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات	أخلاق
٩٥١	الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود	أدب
٩٥٢	الإتحاف ، ببيان أحكام إجارة الأوقاف	فقه
٩٥٢	إتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام	فقه
٩٥٣	مؤلف في الحيض (الثالث)	فقه
٩٥٣	الزواجر عن اقتراف الكبائر	عقيدة
٩٥٤	الانتباه ، لتحقيق عويص مسائل الإكراه	فقه
٩٥٤	فتح الإله ، في شرح المشكاة	حديث
٩٥٥	رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان	تراجم
٩٥٦	الإيضاح والبيان ، لما جاء في ليلة النصف من شعبان	حديث
٩٥٦	الجوهر المنظم	أخلاق
افتتاح عام ٩٥٧	إيضاح الأحكام لما يأخذه العمال والحكام	أخلاق

تاريخ التأليف	عنوان الكتاب	موضوعه
٢/ جماد أول/ ٩٥٧	تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال	أخلاق
٩٥٨	كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع	أخلاق
٩٥٨	رفع الشبه والرِّيَب ، عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب	فقه
٩٥٨	تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج	فقه
ربيع الثاني/ ٩٥٩	المناهل العذبة في إصلاح ما وهيَ من الكعبة	تاريخ
٩٦٢	قرة العين ، ببيان أن التبرّع لا يبطله الدين	فقه
٩٦٣	إتحاف إخوان الصفا ، بنبذ من أخبار الخلفاء	تاريخ
٩٦٤	كشف الغين ، عمّن ضل عن محاسن قرة العين	فقه
٩٦٤	النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم	سيرة
٢/ جماد أول/ ٩٦٦	المنح المكية في شرح الهمزية = أفضل القرى لقراء أم القرى	سيرة
مستهل رجب ٩٧٢	كشف الغين عن أحكام الطاعون وأنه لا يدخل البلدين	أخلاق
٩٧٢	حاشية فتح الجواد بشرح الإرشاد	فقه
رمضان ٩٧٢	معجم شيوخ ابن حجر = الإجازة	تراجم
ذي الحجة ٩٧٣	أدب المعلم والمتعلم	أخلاق
٩٧٤	مؤلف عن المخاصمة في أمور الدنيا	أخلاق

أما كتب ابن حجر التي لم يُعرف تاريخ تأليفها بصفة محددة بالسنة ، وإنما عُرف تاريخ تأليفها بصفة تقريبية ، حيث وجدنا في كلام ابن حجر ما يدلّ على أنه ألفها قبل كتب أخرى أو بعدها فعُرفَ أنّ كتاب كذا ألفه قبل سنة كذا أو بعد سنة كذا ، وهي ستة مؤلفات :

تاريخ التأليف	عنوان الكتاب	موضوعه
قبل سنة ٩٥٠ هـ	كتاب في حقية خلافة الصديق وإمامة ابن الخطاب	تاريخ
بعد سنة ٩٥٠ هـ	الصواعق المحرقة	تاريخ
بعد سنة ٩٥٣ هـ	آسنى المطالب ، في صلة الأقارب	أخلاق
قبل سنة ٩٥٦ هـ	فتح المبين ، في شرح الأربعين	حديث
قبل سنة ٩٦٢ هـ	تطهير الجنان واللسان ، عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان	تاريخ
بعد ٩٦٤	ثلاثة موالد نبوية	سيرة

ولم أجد تواريخ محدّدة ولا تقريبية لمؤلفاته الباقية .

* * *

محنته في مكة بسرقة بعض كتبه :

وأمام هذا النشاط العلمي البارز لابن حجر في مكة ، كان من الطبيعي أن يجد من الناس من يحسده على مكانته وشهرته وكثرة إنتاجه العلمي . ومن ذلك تعرّضه إلى سرقة بعض مؤلفاته في مكة منها :

- أنه ألف كتاباً في أحكام الحيض وسرقه حُسّاده ، روى لنا القصة ابن حجر نفسه فقال : « فألفت فيها (في أحكام الحيض) تأليفاً نفيساً فغلب الحسد على بعض من لا توفيق عنده فسرق ذلك التأليف قبل كتابة نسخة أخرى منه » [(١)] . وقع له ذلك قبل شوال سنة (٩٥٣ هـ/١٥٤٦م) .

- كما سُرق لابن حجر كتاب آخر ألفه في سنة (٩٥٥ هـ/١٥٤٨م) بمكة ووضعه في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان [(٢)] استجابة لطلب رجل من فضلاء القسطنطينية فأخذ منه نسخة وسافر بها ثم كتَبَهُ الناس بعده وتفرقوا به في البلاد . قال ابن حجر : « ولم يبق عندي إلا نسخة الأصل ، والله المستعان ، فاستعارها

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١/٩٨) .

(٢) ابن حجر : رسالة في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان ، ورقة (٢ ب) .

بعض الحنفية ليكتبها ويردّها ثم سافر بها ، غير ملتفت إلى عظيم وزر فقدها ، فتأثرتُ لذلك . . . » [(١)] ثم وضع ابن حجر مؤلفاً آخر في نفس الموضوع سماه الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان .

ولعل مثل هذه السرقات لكُتُبِه هي التي أشار إليها تلميذه عندما قال : «وكذلك أُوذِيَ بمكة كثيراً فصبر فكفاه الله شر المؤذين » [(٢)] .

* * *

زيارات ابن حجر إلى المدينة المنورة :

تكررت زيارات ابن حجر للحرم بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ولم يسجل لنا ابن حجر عن زياراته هذه إلا ما ذكره عرضاً في مؤلفاته أو ما سجّلَتْه كُتُب معاصريه .

وسنستعرض فيما يلي ما ذكر عن هذه الزيارات :

١ - كانت له زيارة سنة (٩٥٠ هـ/١٥٤٣م) ذكرها في كتابه الفتاوى الحديثية في إجابته لسؤال ورد عليه بقوله : « ولقد سألني بالمدينة الشريفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام سنة مجاورتي بها سنة خمسين وتسعمائة . . . » [(٣)] .

٢ - وله زيارة في سنة (٩٥٦ هـ/١٥٤٩م) ذكرها في مقدمة كتابه الجوهر المنظم ، وأنها السبب في تأليفه كتابه هذا ، بقوله : « فإنه لما مَنّ الله تعالى عليّ بالأخذ في أسباب الزيارة التي هي منتهى الآمال ، وإليها محطّ الرحال ، وعليها تعويل الكُمَّل من الرجال ، في يوم السبت ثامن عشر شوال سنة ست وخمسين وتسعمائة » [(٤)] .

ولا نتصور أن زيارات ابن حجر للمدينة المنورة تقف عند هذا العدد المحدود . فنكاد لا نشك في أنه زارها في حَجَّاته الأولى التي جاء إليها من مصر ، فإنه يغلب على الحاج أن يزور المدينة عند حجه . كما لا نستبعد أن يكون قد زار

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة (ص ٣) .
(٢) تلميذ ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٢) .
(٣) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٨١) .
(٤) ابن حجر : مقدمة الجوهر المنظم (ص ٢ - ٣) .

المدينة مرات أخرى خلال إقامته الطويلة بمكة، شأنه شأن غيره من أهل مكة الذين كانت تتعدد زياراتهم للحرم المدني ، ولكنها لا تُذكر في المصادر إلا عرضاً .

٣ - وله زيارة ذكرها النهروالي في كتابه التذكرة بأنها كانت سنة (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) وأنها جمعت بين الشريف أبي نمي شريف مكة والمؤلف للتذكرة وعدد من الفقهاء والعلماء ومن بينهم ابن حجر الهيتمي . فقد قال النهروالي : «وصل مولانا الشريف أبو نمي وولده أحمد وبقية أولاده ، حمى الله تعالى بهم البلاد ، وأمّن بوجودهم كافة العباد ، إلى المدينة الشريفة لقصد الزيارة، ودخل وقت المغرب ليلة الأحد سابع رمضان المبارك . . . وكان في صحبته في هذه الزيارة مولانا شيخ الإسلام وقاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا القاضي تاج الدين المالكي . . . وجماعة من أعيان الفقهاء وطلبة العلم منهم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر ، ومولانا قاضي المسلمين السيد حسين المالكي وغيرهما ، وبرز مولانا السيد الشريف من المدينة الشريفة قافلاً إلى مكة يوم الأربعاء ثاني شوال المبارك وصحبته قافلة كبيرة ورحلت معهم » (١) .

ولم تذكر لنا المصادر التي ترجمت لابن حجر رحلات قام بها إلى أية بلاد أخرى غير مكة المكرمة والمدينة المنورة .

ثقافة ابن حجر وتحصيله العلمي :

جمع ابن حجر ثقافة واسعة ، لأنه منذ نعومة أظفاره سعى إلى التحصيل العلمي وبذل في سبيل ذلك جهداً كبيراً. فقد كانت دراساته كثيرة متعددة واسعة، بحيث شملتْ جميع مجالات العلوم المتداولة والمعرفة في عهده ، شأنه في ذلك شأن كبار العلماء المعاصرين له ، الذين كانت دراساتهم شاملة لعلوم الدين واللغة .

فبعد أن بدأ دراساته الأولية في مسقط رأسه ثم في طنطا انتقل إلى الأزهر الشريف أول سنة (٩٢٤ هـ/١٥١٨م) (٢) . حيث شمّر عن ساعد الاجتهاد طالباً لمختلف العلوم ، وقد ذكر لنا أمره في عهد الطلب قائلاً : « أني كنتُ

---

(١) النهروالي : التذكرة ، لوحة (١١ - ١٢) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) .

بحمد الله ممّن وفق برهة من الزمان في أوائل العمر بإشارة شيوخى أرباب الأحوال وأعيان الأعيان لسماع الحديث من المسندين وقراءة ما تيسّر من كتب هذا الفن على المعتبرين ، وطلب الإجازة بأنواعها المقررة في هذا العلم الواسعة أرجاؤه ، الشاسعة أنحاؤه ، مع الدؤاب والملازمة في تحصيل العلوم الآلية ، والقوانين العقلية ، والعلوم الشرعية ، لا سيما علم الفقه وأصله تفريعاً وتأصيلاً ، واستنباطاً وإفادة وتحصيلاً ، إلى أن فتح الله الكريم من تلك الأبواب ما فتح ، ووهب ما وهب ومنح ، وتفضّل بما لم يكن في الحساب ، ومَنَّ بما لا ينتجه الاكتساب ، حتى أجاز لي أكابر أساتذتي بإقراء تلك العلوم وإفادتها ، وبالتصدر لتحرير المشكل منها بالتقرير والكتابة وإشادتها ، ثم بالإفتاء والتدريس ، على مذهب الإمام المطلبي الشافعى ابن إدريس ، رضي الله عنه [١] .

ولا شك أن الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن حجر كثيرون بحسب تعدّد علومه وامتداد فترة طلبه إلا أنه لم يسلك طريقة أبناء عصره ، فلم يضع لنا معجماً جامعاً للشيوخ ولا فهرساً محتوياً على المؤلفات التي درسها عليهم .

وأما معجمه الذي ألفه ، فلم يذكر فيه غير ثلاثة من الشيوخ وهذا ما جعلنا لا نعرف أسماء عامة شيوخه وما أخذه عنهم من الكتب فالتجأنا إلى تتبع المصادر والبحث عما ذُكر فيها من الشيوخ عرضاً ، فأحصينا منهم ثلاثين شيخاً ذكرناهم في موضعهم من هذا الكتاب .

وإذا عدنا إلى معجمه المذكور سابقاً وجدنا صورة واضحة تمثل اتساع ثقافته ، فإنّه خصّص هذا المعجم لثلاثة من الشيوخ أحدهم الجلال السيوطي الذي اعتبره شيخه بناء على الإجازة العامة التي أجاز بها السيوطي جميع أبناء عصره - رغم أن ابن حجر لم يقابله - فقد مات السيوطي بعد ولادة ابن حجر بثلاث سنين تقريباً . أما الشيخان الآخران وهما زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي فقد أخذ عنهما مباشرة وحضر مجالسهما ودروسهما ، لذلك يمكن أن يُعتبر ما أخذه عنهما صورة صادقة لسعة ثقافته .

وسنستعرض فيما يلي العلوم التي درسها ابن حجر على شيخه زكريا

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢١ أ - ب) .

الأنصاري وما درسه على شيخه هذا من تصانيف . ولقد قدّمنا شيخه زكريا لأن ابن حجر نفسه قدمه في معجمه بقوله : « وقدَّمْتُ شيخنا زكريا لأنه أجلّ من وقع عليه بَصري من العلماء العاملين والأئمة الوارثين وأعلى مَنْ عنه رويتُ ودريتُ من الفقهاء الحكماء المسندين ، فهو عمد العلماء الأعلام » (1) .

أما المؤلفات التي درسها عليه فهي :

١ - **في علم تفسير القرآن :**

درس ابن حجر على شيخه زكريا بتسلسل السند مؤلفات البيضاوي وتفسيره(2) وتفسير الرازي (3) وتفسير أبي الليث السمرقندي (4) وتفسير سنيد بن داود (5) .

٢ - **في علم الحديث :**

أخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث « الراحمون يرحمهم الرحمن»(6) . . . كما أخذ عنه المسلسل بالمصافحة (7) ، ومسند أبي حنيفة (8) ، وموطأ الإمام مالك (9) ، ومسند الشافعي (10) ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل(11) ، وصحيح البخاري (12) ، وصحيح مسلم (13) ، وسنن

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٢ أ) .

(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٧ ب) ، الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص٣٥) .

(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٤٠) .

(٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٠ - ٤١) .

(٥) الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٢) .

(٦) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٣ أ) .

(٧) ابن حجر : الإجازة (٢٧ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٨) .

(٨) ابن حجر : الإجازة (٥٧ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٤) .

(٩) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٦٠ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٦) .

(١٠) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٦٣ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٥) .

(١١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٦٦ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٦) .

(١٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٧١ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٥ - ٤٦) .

(١٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٧٧ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص٧٤-٧٥) .

أبي داود [١] ، والجامع الكبير للترمذي [٢] ، وسنن النسائي [٣] ، وسنن ابن ماجه [٤] ، ومؤلفات البغوي ومنها مصابيح السنة ، وشرح السنة [٥] .

أما عن المسلسلات في الحديث فقد درس ابن حجر على شيخه زكريا الأنصاري بالتسلسل الذي أورده الفاداني [٦] ، كما درس عليه كتاب الأبواب للنيسابوري [٧] ، وكتاب الإحياء للغزالي [٨] ، والأربعون لأبي نعيم [٩] ، واقتضاء العلم للبغدادي [١٠] .

وجزء من كتاب أخبار منصور بن عماد جمع أبي بكر الهمداني [١١] ، وجزء أيوب السختياني للبغدادي جمع القاضي إسماعيل بن إسحاق [١٢] ، وجزء من حديث أبي طاهر الحسن بن فيل [١٣] ، وأجزاء من منتقى حديث جعفر الثقفي [١٤] ، وكتاب زاد المعاد من هدْي خير العباد لابن القيم [١٥] ، وشرح معاني الآثار للطحاوي [١٦] ، وصحيح ابن خُزيمة [١٧] .

---

(١) ابن حجر : الإجازة (٧٩ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٩ - ٦٠) .
(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٨٠ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٨) .
(٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٨٤ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٢) .
(٤) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٨٦ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٣) .
(٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٠ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٠ - ١٠٢) .
(٦) الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٥) .
(٧) الفاداني : المرجع السابق (ص ٢٨) .
(٨) الفاداني : المرجع السابق (ص ٢٩) .
(٩) الفاداني : المرجع السابق (ص ٣٠) .
(١٠) الفاداني : المرجع السابق (ص ٣٢) .
(١١) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٠) .
(١٢) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٠) .
(١٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥١ - ٥٢) .
(١٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٢) .
(١٥) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٩) .
(١٦) الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٠) .
(١٧) الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٧) .

وكتاب العلم ليوسف بن يعقوب القاضي [1] ، والمحدث الفاصل للرامهرمزي[2] ، ومسند الدارمى [3] ، ومشارق الأنوار للصاغاني [4] ، ومشكاة المصابيح للتبريزي [5] .

٣ - في العقيدة :

ومن مصنفات العقيدة التي درسها ابن حجر على شيخه زكريا الأنصاري كتاب الإبانة للأشعري وسائر تصانيفه [6] ، ودلائل النبوة للبيهقي [7] ، وعقيدة الطحاوي [8] ، ومسألة الإيمان للأشعري [9] .

٤ - في الأصول :

درس ابن حجر على شيخه زكريا مؤلفات ابن الهمام [10] ، والرسالة للشافعي [11] ، ومنهاج الوصول للبيضاوي [12] ، والورقات للجُوَيْني [13] .

٥ -الفقه الشافعي :

درس ابن حجر من الفقه الشافعي على شيخه زكريا التَّفْقيه في شرح التنبيه للجمال الريّمي (وهو في ٢٤ مجلداً) [14] ، والتنبيه والمهذب واللَّمَع

---

(١) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨١) .
(٢) الفاداني : المرجع السابق (ص ٩١) .
(٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٧ - ٩٨) .
(٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٨) .
(٥) الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٩) .
(٦) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٢٧) .
(٧) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٦) .
(٨) الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٠) .
(٩) الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٣) .
(١٠) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١١٤ ب) .
(١١) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٨) .
(١٢) الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٣ - ١٠٤) .
(١٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٩) .
(١٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٣) .

للشيرازي [١] ، وحاشية الروضة والتدريب للبلقيني [٢] ، والروض للمقري[٣]، وشرح التنبيه والتعجيز في اختصار الوجيز للموصلي [٤] ، والعمدة في الأحكام للمقدسي [٥] ، والفتح العزيز ، لشرح الوجيز للرافعي [٦] ، والكفاية في شرح التنبيه لابن الرفعة [٧] وبهجة الحاوي = شرح القزويني لكتاب الحاوي [٨] .

٦ - في النحو :

درس ابن حجر على الشيخ زكريا الأجرومية [٩] وألفية ابن مالك وتصانيفه[١٠] ومنهج السالك ، في شرح ألفية ابن مالك لأبي حيان [١١] .

٧ - في البلاغة :

أخذ ابن حجر علي شيخه زكريا في البلاغة كتاب تلخيص المفتاح للقزويني[١٢] ، وشروح السعد للتفتازاني [١٣] ، وعروس الأفراح على تلخيص المفتاح للسبكي [١٤] .

٨ - في التاريخ :

درس ابن حجر تصانيف البغدادي [١٥] .

---

(١) الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٤ - ٤٥) .
(٢) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٣) .
(٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٨) .
(٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٧) .
(٥) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨١) .
(٦) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٤) .
(٧) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٩) .
(٨) الفاداني : المرجع السابق (ص ٣٧) .
(٩) الفاداني : المرجع السابق (ص ٢٨) .
(١٠) الفاداني : المرجع السابق (ص ٣٣) .
(١١) الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٤ - ١٠٥) .
(١٢) ابن حجر: الإجازة ، ورقة (٩٩ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٣) .
(١٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٨) .
(١٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٠) .
(١٥) الفاداني : المرجع السابق (ص ٣٢) .

٩ - في المناقب :

درس ابن حجر كتاب فضل أبي بكر الصديق للعشاري [١] .

أما الحصاد العلمي الذي حصل عليه ابن حجر من شيخه الثاني عبد الحق السنباطى فإنه لا يقلّ كثيراً عن استفادته من شيخه السابق . وذكر في المعجم عن تحصيله العلمي على يد شيخه هذا من العلوم ما يلي :

١ - علم التفسير :

درس عليه مؤلفات البيضاوي [٢] وكتاب التفسير لعبد بن حميد [٣] .

٢ - في علم الحديث :

درس على شيخه السنباطي الكتب الستة [٤] كما أخذ عنه المسلسل بالمصافحة[٥] ، والمسلسل بأخْذ السبحة [٦] ، ومسند أبي حنيفة [٧] ، وموطأ الإمام مالك [٨] ، ومسند الشافعي [٩] ، ومسند أحمد بن حنبل [١٠] ، وصحيح البخاري [١١] ، وصحيح مسلم [١٢] ، وسنن أبي داود [١٣] ، وجامع الترمذي [١٤] ، وسنن النسائي [١٥] ، وسنن ابن ماجه [١٦] ، ومعجم

---

(١) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٥) .
(٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٧ ب) .
(٣) الفاداني : أسانيد الفقيه ابن حجر (ص ٤١) .
(٤) ابن حجر : مقدمة الفتاوي الفقهية (١/ ٤) .
(٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٢٨ أ) .
(٦) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٣٧ ب) .
(٧) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٥٧ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٤) .
(٨) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٦١ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٦) .
(٩) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٦٣ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٥) .
(١٠) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٦٧ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٦) .
(١١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٧١ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٥ - ٤٧) .
(١٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٧٧ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٤ - ٧٥) .
(١٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٧٩ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٩ - ٦٠) .
(١٤) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٨٠ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٨) .
(١٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٨٤ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٢) .
(١٦) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٨٦ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٣ - ٦٤) .

الطبراني [١] ، وكتاب الشفاء للقاضي عياض [٢] .

كما درس عليه كتاب الأربعين للفراوي[٣] ، وجامع الأصول لابن الأثير [٤]، وجزءاً في فضل صوم عاشوراء للمنذري [٥] ، وصحيح ابن خزيمة [٦] ، وصحيح أبي عوانة [٧] ، وكتاب الصفة لأبي نعيم [٨] ، وعمدة القاري في شرح البخاري للعيني [٩] ، ومشكاة المصابيح للتبريزي [١٠] .

٣ - في علم أصول الفقه :

درس ابن حجر على شيخه عبد الحق السنباطي مؤلفات ابن الحاجب = المختصر في الأصول [١١] ، وشرح الإيجي على المختصر [١٢] ، وكتاب الروض للمقري[١٣] ، ومنهاج الوصول للبيضاوي [١٤] .

٤ - في الفقه الشافعي :

درس ابن حجر على شيخه السنباطي كتاب الاسعاد في شرح الارشاد للكمال ابن أبي شريف [١٥] ، والتفقيه ، في شرح التنبيه للريمي [١٦] ، وشرح التنبيه

---

(١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٥ أ) .

(٢) ابن حجر: الإجازة ، ورقة (٩٦ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٢ - ٧٣) .

(٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٣١) .

(٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٩) .

(٥) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٠) .

(٦) الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٧) .

(٧) الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٨) .

(٨) الفاداني : المرجع السابق (ص ٧٩) .

(٩) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٢) .

(١٠) الفاداني : المرجع السابق (ص ٩٩) .

(١١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٠٢ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٨) .

(١٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٠٣ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٧١) .

(١٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٥٨ - ٥٩) .

(١٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ١٠٣ - ١٠٤) .

(١٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١١٩ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٣٢) .

(١٦) الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٣) .

والتعجيز للموصلي [١] ، والعمدة في الأحكام للمقدسي [٢] .

٥ - في النحو والصرف :

درس ابن حجر على شيخه السنباطي كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب[٣]، والشافية في الصرف لابن الحاجب [٤] .

٦ - في البلاغة :

درس تلخيص المفتاح للقزويني [٥] ، ومؤلفات السعد التفتازاني [٦] ، ومؤلفات الجرجاني [٧] ، وشرح المفتاح للجرجاني [٨] .

٧ - في المنطق :

أخذ عن شيخه السنباطي كتاب شرح الشمسية للتحتاني [٩] .

وقد ذكر ابن حجر سبعة من شيوخه عَرَضاً دون ترجمة لهم في معجمه وهم: الناصر اللقاني [١٠] ، الزين الشنشوري [١١] ، الشمس السمنودي [١٢] ، الشمس بن أبي الحمائل [١٣] ، محمد الحطاب الكبير [١٤] ، الحسين بن علي رضي الدين [١٥] ، نسيم الدين الملقب بميرك شاه [١٦] .

---

(١) الفاداني: المرجع السابق (ص ٦٧) .
(٢) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨١) .
(٣) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٨) .
(٤) الفاداني : المرجع السابق (ص ٨٨) .
(٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٩ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٤٣ - ٤٤) .
(٦) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٠٩ أ) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٨ - ٦٩).
(٧) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١١٠ ب) .
(٨) الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٩) .
(٩) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٩ ب) ، الفاداني : المرجع السابق (ص ٦٨) .
(١٠) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٩) .
(١١) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٠٠ ب) .
(١٢) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٣٧ ب) .
(١٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٣٩ أ) .
(١٤) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٣٩ أ) .
(١٥) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٦ ب) .
(١٦) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (٩٦ ب) .

هذا ما ورد في معجم ابن حجر وذكره عن شيوخه ، إلا أنه أضاف من شيوخه في كتابه الفتاوى الحديثية فذكر بعضهم عرضاً فقال : « فلما قرأتُ العلوم الظاهرة وسني نحو أربع عشرة سنة فقرأت مختصر أبي شجاع على شيخنا أبي عبد الله ... محمد الجويني بالجامع الأزهر بمصر المحروسة »[(1)] .

كما ذكر أنه في سنّ نحو ثمانية عشر سنة درس على يد شيخه الشمس الدلجي كتاب شرح التلخيص للسعد التفتازاني[(2)] .

ولئن كنا لا نعرف جميع ما أخذه من الكتب عن كل شيخ من شيوخه الآخرين ، فإننا نكتفي بذكر أهم ما قاله عن ذلك تلميذه الجامع لفتاويه في مقدمتها بما نصه : « وأخذ أيضاً الشيخ عن الإمام الزيني عبد الحق السنباطي وسمع عليه وعلى الشيخ الإمام مجلي ومن في طبقتهما بعض كلّ من الكتب الستة في جمع كثيرين وأجازوا له بباقيها وبغيرها ، وعن الشمس المشهدي والشمس السمنودي وابن عز الدين الباسطي والأمين العمري وشيخ والده السابق الشمس بن أبي الحمائل وهؤلاء كلهم عمَّروا كثيراً وأدركوا ابن حجر العسقلاني وأهل عصره ... أجازه شيوخه الشهاب أحمد الرملي والشيخ ناصر الدين الطبلاوي وتاج العارفين الإمام البكري وغيرهم أواخر سنة تسع وعشرين (٩٢٩ هـ/ ١٥٢٢م) بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين من غير سؤال منه لذلك . وفي خلال تلك المدة قرأ النحو على الشمس البدري والشمس الحطابي والشمس اللقاني والشمس الضيروطي والشمس الطهواي وغيرهم ، والتصريف للعزي على الطبلاوي والجاربردي على الحطّابي ... والمعاني والبيان على الشمس المناوي والشمس الدلجي ... وعلم الأصلين عليه وعلى الشيخ ناصر الدين الطحّان والطبلاوي والبكري والشهاب بن عبد الحق والشمس العبادي والشهاب البرلسي وغيرهم . والمنطق على النور الطهواي والمحقق الشيخ عبيد الشنشوري والدلجي وغيرهم .

والفرائض والحساب على إمام وقته فيهما الشمس عبد القادر الفرضي ، وغيره كالشهاب الصالح البطوي ، وحضر الطب عند إمام وقته فيه الشهاب الصائغ

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٣٢٥) .
(٢) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٣٢٥ - ٣٢٦) .

الحنفي . . . ولازم إمام محققي زمنه الإمام ناصر الدين اللقاني في عدة علوم مدة مديدة . . . » [(١)] .

أما تلميذه السيفي الذي ترجم له في نفائس الدرر ، فقد أوجز في ذكر شيوخ ابن حجر ودراساته عليهم ولم يضف جديداً لما ذكره صاحب مقدمة الفتاوى [(٢)] .

* * *

(١) تلميذ ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٢ ب) .

مكانة ابن حجر في عصره

نستطيع أن نستوضح مكانته في عصره ، إذا استعرضناها في مختلف الطبقات التي يتكون منها المجتمع المكي :

- مكانته عند السلطة .
- مكانته بين العلماء .
- مكانته وعلاقته بالمجتمع المكي .

١ - مكانته ووضعه عند السلطة :

دخل ابن حجر مكة المكرمة مع رجلَيْن من كبار العلماء وأهل الدين المحترمين فيها ، وهما شيخاه زكريا الأنصاري وأبو الحسن البكري ، فعرفه المجتمع المكي منتسباً لهذين العالمين الجليلين ، ورأى منه العلم والجدّ والاجتهاد في الدروس والإفتاء والتأليف ، مع انصرافه عن الوظائف الشرعية والسياسية .

كل هذه الصفات والخصائص تفسح له المجال لينال مكانة طيبة في نفوس أصحاب السلطة في مكة ، فكان يجد منهم التقدير والاحترام . إذ كان يصاحب شريف مكة في بعض زياراته للمدينة المنورة ضمن العلماء المقربين لديه . فإنه صاحَبَه في زيارته سنة (٩٥٩ هـ/ ١٥٥٢م) قاضي القضاة ناظر المسجد الحرام تاج الدين المالكي ، ومترجَمُنا أحمد بن حجر المكي ، وقاضي المسلمين حسين المالكي وغيرهم [١] .

ومما يوضح مكانته لدى السلطة بمكة ما كان له مِن كلمة مسموعة حسمتْ الخلاف الذي وقع في قضية إعادة بناء سقف الكعبة وترميم بعض جدرانها . فقد انكسرت أخشاب من سقف الكعبة ، وصار الماء ينزل من موضع الكسر وقت المطر ، وعرض الشريف وكبير آل الشيبي مع بعض الفقهاء على السلطان سليمان القانوني الأمر ، فاستفتى المفتي أبا السعود أفندي فأفتى بتعميره .

---

(١) النهروالي : التذكرة ، لوحة (١١ - ١٢) .

وبناءً على ذلك وَجّهتْ الدولة العثمانية الأموال والمختصين في البناء إلى مكة. وانعقد مجلس بالحرم الشريف ضم الشريف أحمد بن أبي نمي، والقاضي محمد ابن محمود بن كمال، وابن حجر المكي، وعلي العسيلي، ويحيى بن فايز بن ظهيرة، والقاضي محمد نائب قاضي الحنفية، وشمس الدين الرومي، وقطب الدين النهروالي، وتاج الدين يعقوب المالكي، بحضور مصطفى المعمار، وأحمد الحمياتي المصري الشاهد. واتفقت الآراء على تجديد السقف. إلا أن بعض العامة من الغوغاء تعصَّبوا وأثاروا ضوضاء رافضين تجديد السقف، فأفتى ابن حجر بجواز التجديد والترميم في رسالة ألفها عنوانها: «المناهل العذبة، في إصلاح مَاوَهَى من الكعبة» وكانت فتواه هي القول الفصل في هذا المشكل حيث أسكتَتْ المغرضين. ووقع الشروع في البناء بحضور أمير مكة، وسمع الناس درسًا ألقاه الشيخ محمد بن أبي الحسن الصديقي البكري وانقشعت الأزمة[1].

وقد يلجأ إليه بعض رؤساء مكة، فيطلب منه ويؤكد عليه أن يؤلف كتاباً لبيان حكم الشرع في أحكام السماع والغناء والرقص وغير ذلك مما انتشر بين أهل البدع من الصوفية، ويردّ على الزيغ الذي ظهر في مكة المكرمة. فنرى ابن حجر يستجيب لطلب هذا الرئيس المكي ويؤلف كتابه «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» ويذكر القصة في مقدمته[2].

دخل ابن حجر مكة المكرمة في المراحل الأولى من بداية ظهور الأثر العثماني في الحجاز، فقد أصبح الحجاز تحت سلطة العثمانيين سنة (٩٢٢ هـ/١٥١٦م) وعرف ابن حجر مكة لأول مرة سنة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) في مرحلة التحول الطبيعي الذي يحدث عندما تَدُول الدولة الكبرى الحاكمة وتخلفها دولة كبرى أخرى. خاصة إذا اختلفت مناهج الحكم وأساليب التعامل الحضاري، بالإضافة إلى اختلاف المذهب الفقهي.

---

(١) وردت أخبار مشكلة تجديد سقف الكعبة في رسالة ابن حجر التي عنوانها «المناهل العذبة» مخطوط القاهرة رقم (١٨٩٢) تاريخ طلعت (يقع في ٢٧ ورقة)، وفي تذكرة النهروالي: اللوحتان (١٧ - ١٨)، وفي تاريخ القطبي: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٥٩ - ٦٣)، وفي كتاب السنجاري: منائح الكرم (٢/٤٥٦ - ٤٦١).

(٢) ابن حجر: كف الرعاع (ص ٢٦٨).

وعلى الرغم من أن ابن حجر كان فقيهاً شافعي المذهب ، والدولة العثمانية حنفية المذهب ، فإن شهرة الرجل وعلمه قد بلغا إلى أوساط الخلافة العثمانية بإسطنبول حتى أنه ألف كتاباً جمع فيه أربعين حديثاً في العدل وسمّاه « الأربعين العدلية » وأهداه للسلطان سليمان العثماني (١) .

وبلغت أخبار علمه وفضله إلى الأمير العثماني بايزيد ابن السلطان سليمان الذي كان مُرَشّحاً لولاية العهد ، فكان يحترم ابن حجر ويعتبره من خِيرة العلماء ويسأل عنه . ولقد تلقى منه الأمير رسالة شخصية مع إهدائه أحد كتبه التي أرسلها له مع الشيخ قطب الدين النهروالي حينما زار البلاد العثمانية وقابل الأمير بايزيد . وأورد النهروالي أخبارتلك الزيارة في تذكرته بقوله : « ووصلتُ إلى المحلّ الذي فيه السلطان (٢) بايزيد فأجلسوني في الدهليز وهو مفروش جميعه على كرسي وجاءوا بالسُّكَّر فشربتُه ، وكان معي أخي وجوهر صغير وأدخلونا على السلطان . . . فبقيتُ عنده وحْدَنا فسأل عن السيد الشريف وجميع أحواله وأوضاعه في صَيده وإقامته ، فأجبْتُ عن ذلك بتعظيم أمرهم وشرفهم ، ثم سأل عن مولانا الشيخ محمد البكري ، وعن مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر فعظَمْتُ أمرهما وذكرتُ فضلهما ، وكان الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر أوْدَعَ معي رسالة ذكر فيها فضل العدالة ومكتوباً وكانا معي فأخرجتُهما من كُمِّي وقمتُ ودفعتُهما إليه فأخذهما ووضعهما بين يديه . . . » (٣) .

وجاء إلى مكة القائد التركي سليمان باشا الخادم ، قائد الأسطول العثماني الذي أصبح بعد ذلك وزيرًا للدولة العثمانية ، وعقد ديواناً (مجلسًا) بالمسجد الحرام للنظر في شؤون الناس ، فرفع له ابن حجر شكوى من قاضي الحنفية التركي في شأن خَلْوة انتُزِعتْ من ابن حجر ظلماً ، فأمر الباشا بارجاعها إليه . وهي قصة أوردها معاصره جار الله بن فهد (٤) .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٥٧) .

(٢) استعمل النهروالي لفظ السلطان وإنما هو أمير لم يتول السلطنة ، فقد قتله أبوه السلطان سليمان قبل توليه سنة (٩٧٠ هـ/ ١٥٦٢م) . انظر مقدمة البرق اليماني (ص٢٥) .

(٣) النهروالي : التذكرة ، لوحة (١٤٣) ، وقد أورد النهروالي أيضاً أخبار مقابلته للأمير بايزيد موجزة في كتابه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص ٢٤٩) .

(٤) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٨٩ ب) .

ومن مظاهر مكانة ابن حجر لدى أهل السلطة أن الوزير الهندي آصف خان المقيم بمكة طلب منه أنْ يَقرأ كتاب الشفاء للقاضي عياض في حضرته وفي بيته . ذكر ذلك معاصره جار الله بن فهد فقال : « وفي ظهر يوم الجمعة ثاني عشر الشهر ، (شهر رمضان سنة ٩٤٣ هـ/١٥٣٦م) شرع الشيخ العلامة مفتي المسلمين شهاب الدين أحمد بن . . . [١] الهيتمي الشافعي الشهير بابن حجر نزيل مكة في قراءة كتاب الشفاء للقاضي عياض في حضرة وزير الهند الأعظم آصف خان ، عظّم الله له الشأن ، وذلك بمنزل سكنه بسؤاله له عقب سؤال صاحبنا العلامة الزاهد مفتي المالكية جمال الدين محمد الحطاب الطرابلسي المغربي نفع الله به . . . واتفق في آخر الشهر انقطاع الشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجر المصري الشافعي بالحمى الباطنية وتحريك دموية ، ترك لأجلها قراءة الشفاء في بيت الوزير بعد قراءته له لنحو ثلاثة أرباعه ، ثم إنه أرسل له بكسوة صوف وشاشَيْن وبيْرم ، وقطعة ذهب يُقال وزنها خمسة وعشرون مثقالاً ، ونصف من عود ، وصفريتين ماورد ، وأمر بختم الشفاء في منزله فقرأ ورقة من آخره وختَمَهُ » [٢] .

انتشر صيت ابن حجر بين أصحاب السلطة في الدول الإسلامية الأخرى ، حتى أنّ ملك الهند همايون بن بابور [٣] طلب من ابن حجر ، لما ظهرتْ في بلاده جماعة تنتقص من معاوية بن أبي سفيان ، أن يؤلف كتاباً يرد به على هذه البدعة فكان ذلك سبباً في تأليفه كتاب « تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان » .

قال ابن حجر في مقدمة هذا الكتاب : « دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند وأصلحهم وأشدهم تمسكاً بالسنة الغراء . . . وسبب طلبه ذلك أنه نبغ في بلاده قوم ينتقصون معاوية - رضي الله عنه - وينالون منه وينسبون إليه العظائم مما هو بريء منه . . . فأجبتُه إلى ذلك . . . » [٤] .

* * *

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٦٢ أ ، ١٦٣ ب) .
(٣) توفي سنة (٩٦٢ هـ/١٥٦١م) انظر ترجمته في النور السافر للعيدروسي (ص ٢٥٥)، وفي شذرات الذهب لابن العماد (٨/ ٣٣٣) .
(٤) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان (ص ٣ - ٤) .

مكانته بين العلماء :

كانت لابن حجر مكانة مرموقة بين علماء عصره - تتضح مِن تقديرهم واحترامهم له . فلقد قصدوه للإفتاء فيما استشكل عليهم من قضايا فقهية وأحكام دينية ، وأخذوا برأيه وأيّدوه .

ومن ذلك موقفهم في تأييده ونصره على عالم زبيد ابن زياد ، لما تفاقم الخلاف بينهما على قضية تبرُّع المدين ، فقال تلميذه السيفي : « لكن نصر شيخنا أئمة الأعلام من علماء اليمن والقاهرة والبلد الحرام ، وصرحوا بأن قوله هو الصواب الحق الواضح بلا ارتياب . . . » (١) .

ويمكن أن نتعرف على علاقته بعلماء عصره حسب أوطانهم فنقسمها إلى ما يلي :

(أ) علاقته بعلماء مكة .

(ب) علاقته بعلماء مصر .

(جـ) علاقته بعلماء اليمن .

(د) علاقته بعلماء القسطنطينية – وما وراء النهر .

(أ) علاقته بعلماء مكة :

يكفي أن نقرأ ما كَتب عنه معاصروه من المؤرخين المكيين مثل جار الله بن فهد ، وقطب الدين النهروالي ، والجزيري في مؤلفاتهم لنعرف مدى تقديرهم له . ومن الطبيعي أن تختلف درجات ارتباط الصداقة بين ابن حجر وبين مختلف العلماء المعاصرين له ، وإنما الذي نلاحظه أننا لا نجد نصا واحدًا ذكر اختلافاً أو عداوة بينه وبين أي عالم من علماء مكة . فالذي كان يغلب على صلاته بهم أنها كانت طيبة وحميمة . ولذلك أمثلة كثيرة نذكر منها :

- بلغ من تقدير ابن حجر لشيوخه وتقديرهم له ، أنّ شيخه الإمام أبا الحسن البكري أنابَهُ عنه في تتميم عقد زواجه في مكة . أورد ذلك جار الله بن فهد بقوله : « في أول ليلة منه (من شهر رجب سنة ٩٤٤ هـ/١٥٣٧) عقد شيخ

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) .

الشافعية وقدوة البرية العلامة الحجة تاج العارفين ، أبو الحسن محمد ابن الشيخ جلال الدين محمد البكري القاهري نزيل مكة الآن ، نفع الله به ، على ابنة الخواجا الأجل شهاب الدين أحمد بن محمد العنبري الدمشقي المكي في منزل أبيها . . . وباشره لعقده قاضي القضاة الشرفي أبو القاسم الأنصاري . . . ولم يحضر بنفسه بل وَكَّل في القبول عنه تلميذه الشيخ المدرس شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعي . . . » (١) .

- كانت علاقة ابن حجر بقطب الدين النهروالي طيبة ، حيث يذكر قطب الدين بأنه سئل عنه في مجلس الأمير بايزيد بن السلطان سليمان فذكر بما هو أهله من الإطراء ، ومما يدل على ما بينهما من ودّ ، فإن ابن حجر حمّل قطب الدين رسالة شخصية موجهة لهذا الأمير ، كما حمّله رسالة ألفها ابن حجر في العدل ليقدمها هدية له (٢) .

- كما أنه عندما أثيرت مشكلة إعادة بناء الكعبة واختلف الناس في ذلك وكادت أن تشتدّ الفتنة . أفتى ابن حجر ذلك وزار صاحبه القطب النهروالي يحرضه على التمسك بموقفه ويشدّ أزره في ذلك (٣) .

- كما ارتبط ابن حجر بعلاقة وطيدة مع معاصره وصديقه عالم مكة الشيخ عبد العزيز الزمزمي الذي يذكره بقوله : « صاحبنا الشيخ الإمام العلامة والحبر الهمام الحجة القدوة الفهامة عبد العزيز الزمزمي أدام الله به النفع العام للمسلمين ومتعهم بعلومه وفتاويه لا سيما أهل هذا البلد الأمين » (٤) .

- كما وضع الزمزمي قصيدة يمدح فيها صديقه ابن حجر لما نَصَره علماء مكة واليمن والقاهرة على عالم زبيد المعاند له ، وأوردها السيفي في نفائس الدرر ومطلعها :

جُوزيتَ عن مِلَّة المختار من مُضر   خير المجازاة في الأولى وفي الأُخَرِ (٥)

---

(١) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٧٥ ب -١٧٦ أ) .
(٢) النهروالي : التذكرة ، لوحة (١٤٣) .
(٣) النهروالي : إعلام الأعلام (ص ٦١) .
(٤) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ٢) .
(٥) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) .

- وكان الشيخ عبد القادر الفاكهي (ت ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١م) ملازماً ومصادقاً لابن حجر ومتتلمذاً عليه وله فيه مودة فمدحه ببيتين أوردهما السيفي في نفائس الدرر [١] . وألف كتاباً في مناقب صديقه ابن حجر عنوانه : « فضائل ابن حجر الهيتمي » [٢] .

وعن أحوال ابن حجر في مكة أيضاً ، يذكر لنا باعلوي في المشرع الروي أنه في سنة (٩٤٠ هـ/ ١٥٣٣م) كان لقاء ابن حجر بتلميذه شيخ بن عبد الله العيدروس الذي جاور بمكة ثلاث سنين من سنة (٩٤٠ هـ/ ١٥٣٣م) إلى سنة (٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م) وكان يزور المدينة المنورة « فطلب منه شيخه الشيخ ابن حجر أن يُبْلغ سلامه النبي ﷺ وأن يدعو له عند القبر الشريف بدعوات ؛ أن يعافِيَه الله من البواسير ، والقبول في كُتُبه » [٣] .

وكان لابن حجر تقدير واحترام لعلماء مكة ورجالها ، يظهر من مقدمة كتابه الإيضاح والبيان لما جاء في ليلة النصف من شعبان ، فقد قال : «فقد سألني... من حمَلَتْنِي مصادقتُه ومحالفته ، ولم تسَعْني مفارقته ومخالفته ، لما أنه جمع فَضيلتَيْ النسب والولاية ، وحِليتَيْ المعرفة والهداية ، وفرَّق بنور بصَر بصيرته بين الحق والباطل ، وزين المعارف والفضائل ، بما منحه الله به من العلوم والفواضل ، أن أضع تأليفاً لطيفاً ، وأنموذجاً موجزاً شريفاً في فضائل ليلة النصف من شعبان ... فأجبته إلى ذلك ملتمسًا منه دوام الدعاء لي ولذريتي ... » [٤] .

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) .

(٢) د . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ٢٤١) ، وكتاب الفاكهي لم نعثر على نسخة منه .

(٣) الشلي : المشرع الروي (٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤) .

(٤) ابن حجر : مقدمة كتابه الإيضاح والبيان لما جاء في ليلة النصف من شعبان . اطلعت على مصورة مخطوط الجامعة الإسلامية بالمدينة عن نسخة محفوظة بالمغرب ، ورقة (٣٦ب) لم تذكر عليه المكتبة ولا الرقم - وفي النص إشارة إلى أن الذي طلب منه تأليف هذا الكتاب هو من الأشراف العلماء من ذوي السلطة ، وقد ألف ابن حجر كتابه هذا بمكة سنة (٩٥٦ هـ/ ١٥٤٩م) . ولم يثبت عند علماء السلف ورود أحاديث صحيحة في الموضوع. انظر حديثنا عنه في (ص١٦٤ - ١٦٧) من هذا الكتاب .

(ب) علاقته بعلماء مصر :

لئن كان ابن حجر قد لقِيَ من علماء مصر في مدة شبابه ما أشار إليه مراراً من العَنَت والمعارضة والمقاومة ، فإنه بعد أن انتقل إلى مكة واشتهر أمره وانتشرت مؤلفاته وطبَّقتْ سُمعته الآفاق ، وجَد منهم التقدير والاحترام والاعتراف بالفضل والعلم .

ومن ذلك قدومهم إليه في مكة سنة (٩٥٨ هـ/١٥٥١م) ليفصل بينهم في قضية أُخُوة الزوجة المعروفة النسب وإرثها ، فألَّف في ذلك كتابه « رفع الشبه والريب عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب » وقال في مقدمته : «دعاني إلى تأليفه أنه كان بلغني اختلاف علماء مصر فيها اختلافاً كثيراً وتناقضهم في الإفتاء فيها تناقضاً عجيباً . . . إلى أن قدم بعضهم إلى مكة المشرفة أواخر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨ هـ/١٥٥١م) فأخبر بأن ما أُشِيعَ من اختلافهم ليس له أصل أصيل ، ولا عليه شيء من التعويل . . . فلما سمعتُ منه ذلك وكان مخالفاً لما انقدح عندي في تلك المسائل ، تعجبتُ من هذه الإطلاقات وقلتُ : لا بدّ وأن أنتدبَ لبيان ما في هذه المسألة من التفصيلات . . . بتأليف هذا الكتاب . . . » [1] .

كما روى لنا تلميذ ابن حجر وجامع فتاويه قصة في الموضوع قائلاً :

« سئل (ابن حجر) عن مسألة وقع فيها خلاف طويل بين علماء مصر ونقلت مع أجوبة العلماء فيها إليه ، نفع الله تعالى بعلومه ، بمكة المشرفة في عدة أعوام لطلب جوابه فيها وهو يمتنع من الكتابة فيها ، لأن بعض الأجوبة التي فيها لبعض شيوخه ، فخشي من تغييرخاطره إن وقع منه مخالفة لأحد منهم . ثم لما تأكد الطلب لجوابه استخار الله سبحانه وتعالى واستعان به في أن يلهمه موانح التوفيق، ويمنع عنه موانع التحقيق ، إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم » وأفرد جوابه عن المسألة بتأليف عنوانه « التحقيق لما يشمله لفظ العتيق » [2] .

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ١٣٢ - ١٤١) .

(٢) رسالة ورد نصها كاملاً في الجزء الثالث من الفتاوى الفقهية (ص ٣٠١ - ٣٢٦) .

(جـ) علاقته بعلماء اليمن :

كانت لابن حجر مكانة مرموقة وشهرة واسعة في بلاد اليمن . فله فيها تلاميذ كثيرون وأصدقاء من العلماء الفقهاء عديدون . حتى كان بعضهم يرسل له تأليفه ليطّلع عليه ويصحّحه ويضيف إليه إضافات مفيدة مثل ذلك الشيخ عبد الله ابن محمد بن حكم باقشير الذي بعث له رسالة في شوال سنة (٩٥٣ هـ/١٥٤٦م) ألفها في مسائل الحيض « لينظرها فيصلح فسادها إن كان ، ويتمم ناقصها ، ويحل مشكلها » [١] ويجيبه ابن حجر لطلبه ، فيضع تعليقات وتوضيحات وتنقيحات في رسالة طويلة ذكرها كاملة في فتاويه الفقهية [٢] .

كما راسله علماء اليمن فيما استشكل عليهم من المسائل ، مثل اختلافهم في حكم ما يأخذه العمّال والحكام ، فحدثنا ابن حجر عن مثال لذلك في مقدمة كتابه إيضاح الأحكام لما يأخذه العمال والحكام قائلاً : « إنه أرسل إليّ من اليمن افتتاح عام سبع وخمسين (وتسعمائة) (٩٥٧ هـ/ ١٥٥٠م) مسائل مشكلة تتعلّق بالهدية والرشوة فأجبت عنها » [٣] .

– كما ورد عليه سؤال من أحد علماء اليمن واسمه عبد الباسط بن إبراهيم بن عيسى بن أبي غراره الشافعي بما نصه :« إلى سيدنا ومولانا العلامة الحجة الفهامة عالم الحجاز أحمد بن حجر الشافعي رضي الله تعالى عنه » [٤] .

– وألف ابن حجر كتابه « تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات » .

وقال في مقدمته ذاكرًا سبب تأليفه : « أنه ورد عليه بمكة المشرفة من محروستَيْ صنعاء وزبيد ، أدام الله تعالى لعلمائها غاية التوفيق والتسديد ، كُتُب مصنَّفة وآراء مختلفة ، وطُلب مني التعريض عليها والتقرير لما فيها من حكم القات تحليلاً وتحريماً ، وتخصيصاً وتعميماً . . . » [٥] .

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١/ ٨٣) .
(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١/ ٩٧ – ١٢٢) .
(٣) ابن حجر : إيضاح الأحكام لما يأخذه العمال والحكام (ص ١٦) .
(٤) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٤/ ٣٢٦) .
(٥) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٤/ ٢٢٣) .

- كما احتَرم وقدّر علماءُ اليمن مترجَمَنا ابن حجر ، كذلك كان تقدير ابن حجر لهؤلاء العلماء ، ومن ذلك قوله : « فإنه قدم علينا سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١ هـ/١٥٥٣م) بمكة المشرفة زادها الله تشريفاً وتعظيماً ، السيد الجليل الشريف المعتقد المثيل محمد العيدروسي الحسني العلوي الحضرمي ثم العدني ، فتوجهنا للسلام عليه وطلب دعائه . . . أنا وصاحبنا الشيخ الإمام . . . عبد العزيز الزمزمي . . . فقرأ علينا سؤالاً وجواباً في تبرع المدين لصاحبنا الإمام العالم العامل والهمام الحجة القدوة الكامل وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد مفتي زبيد المحروسة بل واليمن بأسْرِه ، أدام الله علينا وعليه هواطل جوده وبره»[١] .

(د) علاقته بعلماء القسطنطينية وغيرهم :

اهتم ابن حجر بعلماء عصره من العثمانيين وقدَّرَهُم كما قدَّرُوه ، فكان لقاؤه بأحد علماء القسطنطينية الذي زار مكة وجالس ابن حجر وطلب منه الكتابة في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان فاستجاب لطلبه ، إلا أن كتابه هذا سُرِق منه ، فأعاد كتابته ذاكراً في المقدمة عالم القسطنطينية الذي طلبه منه . فجاءت المقدمتان كما يلي :

« إنه قد ورد علينا تمام خمسة وخمسين وتسعمائة (٩٥٥ هـ/١٥٤٨م) ببلد الله وحرمه ، ومحلّ تنزلات جوده وكرمه ، وملجأ أنبيائه ، ومعتكف أوليائه ، . . . الشيخ الصالح الإمام العارف الهمام إلياس بن علي القاطن بمدينة القسطنطينية التي هي الآن أجلّ بلاد الإسلام . . . والجهبذ الباحث عن العويصات لا سيما المتعلقة بعلوم الأخلاق والرياضيات . . . ثم لما ظفر مني بما آمله من إيضاح شيء من تلك المعارف ، وتحقيق مدلهمّ من تلك اللّطائف . . . سألني فيما كنتُ أُضْمِرُه قديماً منذ سنين لأفوز بمدد السلف الصالحين [٢] . . . فعملتُ إذ سألني هذا الرجل الصالح بما طابق ما أضمرتُه من ذلك السرّ اللائح . . . لعزمت على الشروع فيه محكماً جميع قوادمه وخوافيه . . . » [٣] .

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/٢) .

(٢) كذا بالأصل ، والمدد لا يُطلب إلا من الله تعالى .

(٣) ابن حجر : رسالة في مناقب الإمام أبي حنيفة ، ورقة (٢ أ - ب) .

ولما ضاع له كتابه الأول في مناقب أبي حنيفة ، أعاد تأليفه وذكر علاقته بعالم القسطنطينية هذا ، ولم يذكر اسمه في مقدمة كتابه الثاني (الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان) فقال في مقدمته : « فإنه ورد علينا منذ سنين بمكة المشرفة - زادها الله تشريفاً وتكريماً وجلالة ومهابة وتعظيماً - رجل من فضلاء القسطنطينية وصلحائهم لجمعه بين العلوم النقلية والعقلية ، والقوانين الطبية والرسمية ، وعلوم الأخلاق والمواهب ، والأحوال والمطالب ، التي فاز بها القوم السالمون . . . فساجَلَنا وساجَلْناه مساجَلَة الأحبَّة الذين هم على سرر متقابلون ، ومن بحار المعارف يغترفون ، إلى أن انْجَرَّ الكلام إلى الأئمة الجامعين بين العلوم الرسمية ، والمعارف الوهبية ، المتحفين بدوام الشهود ، وهوامع الكرم والجود ، فقال ذلك الفاضل العالم الكامل : أودُّ منكم مختصراً جامعاً ، ودستوراً لطيفاً مانعاً ، يشتمل على تلخيص ما أطال به الأئمة في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان . . . فبادرتُ إلى امتثال أمره المحتم ، وبذلت الجهد في تلخيص تلك المناقب . . . فجاء بحمد الله مختصراً لطيفاً وأنموذجاً شريفاً . فكَتَبَ منه نسخة وذهب به إلى بلده أعظم بلاد الإسلام ،ومحطّ رحال العلماء الأعلام ، ومنبع الأفاضل ، ومفزع الأماثل . . . » [1] .

كما كانت لابن حجر علاقات مع علماء بلاد ما وراء النهر ، فقد ذكر في مقدمة كتابه : « فتح الإله في شرح المشكاة » قوله : « فمن ثم ألحَّ عليَّ في موسم سنة أربع وخمسين وتسعمائة (٩٥٤ هـ/ ١٥٤٧م) بمكة المعظمة بعض أكابر فضلاء ما وراء النهر وصلحائهم وعين أعيان محققيهم وعلمائهم في أن أشرحه شرحاً وسيطاً، لا وجيزاً ولا بسيطاً ، ليعمّ الانتفاع به » [2] .

وليس معنى هذا العرض أن علاقات ابن حجر كانت مقصورة على علماء مكة ومصر واليمن وبلاد العثمانيين ، وإنما كان الاكتفاء بذلك ، لأن النصوص التي عثرنا عليها تذكر هؤلاء فقط . فمكة المكرمة قِبْلَة للعديد من العلماء مِن كل البلاد الإسلامية . ولا شك أن لابن حجر علاقات واسعة مع علماء بقية البلاد نظراً لشهرته فيها. فقد قال تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية: «فقصَدَهُ

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان (ص ٢ -٣) .
(٢) ابن حجر : مقدمة فتح الإله في شرح المشكاة .

الأئمة وغيرهم بالفتاوى من سائر الأقاليم المشهورة . . . كمصر والشام وحلب وبلاد الأكراد والعراقين والبصرة ونجد والإحساء والبحرين واليمن والسواحل وبرّ عجم وحضرموت والهند والسند ودلهي وأعمالها . . . » [1] .

وكما كانت لابن حجر علاقات مودة بعلماء عصره ، فقد كانت له بعض الخلافات مع بعضهم ، وبالأخص مع بعض علماء اليمن .

- فهذا عالم اليمن عبد الله بن عمر بن عبد الله بامخرمة اليمني الشافعي المتوفى سنة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤م) [2] يضع نقداً على كتاب ابن حجر (المنهاج القويم) . فقد ذكرت مصادر ترجمته أن لبامخرمة كتاب يُنَكِّتُ فيه على شرح المنهاج للهيتمي في مجلدين [3] .

- كما وقع لابن حجر خلاف كبير مع عالم اليمن مفتي زبيد عبد الرحمن بن عبد الكريم بن زياد الغيثي المتوفى سنة (٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧م) [4] ورغم إنكار ابن حجر لفتوى ابن زياد إلا أنّ ردهُ عليه كان يتَّسِم بالتقدير والاحترام فقد قال : «قدم علينا سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١ هـ/ ١٥٥٣م) بمكة المشرفة . . . محمد العيدروسى الحسني العلوي . . . فتوجَّهْنا للسلام عليه . . . فقرأ علينا سؤالاً وجواباً في تبرّع المدين لصاحبنا الإمام العالم العامل والهمام الحجة القدوة الكامل وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد مفتي زبيد المحروسة بل واليمن بأسره أدام الله علينا وعليه هواطل جوده وبره ، ثم سألنا : أأنتم موافقون لهذا الإفتاء ؟ فكل منا بادر إلى إنكاره واستبعاده أداءً للميثاق الذي أخذه الله تعالى . . . فبلغه ذلك فألَّف تأليفاً على وفق إفتائه لكن فيه زيادة قيد ، كما ستَعْلَمه ، وفيه أيضاً إشارة إلى أبلغ الرد على مَن خالفه بأنه جامد متعسف ، وبأن ما ذكره هو الصواب وما عداه هو الخطأ وبغير ذلك .

فلما رأينا ذلك التأليف ما ازددنا إلا انكاراً ، رجاء أن ننتظم في سلك الراجين

---

(١) تلميذ ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٢) .

(٢) انظر مصادر ترجمته في كحالة : معجم المؤلفين (٦/ ٩٥) .

(٣) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٧٨ - ٢٧٩) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٦٧) .

(٤) انظر مصادر ترجمته في كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ١٤٥ - ١٤٦) .

لله وقارا . . . هذه زلّةٌ من الشيخ مع بلوغه في الاجتهاد والولاية الغاية . . . فحينئذ سنَح لي أن أكتب في ذلك ما أعتقد أنه الصواب الواجب بيانه والحق الصراح . . . » [1] .

إلا أن مفتي زبيد أصرّ على إفتائه وعانَدَ ما اضطر ابن حجر لأن يؤلف كتاباً آخر يردّ به عليه ، وهنا نجد ردَّه يتّسم بنوع من الشدة ، فقد قال في مقدمة كتابه (كشف الغين ، عمن ضل عن محاسن قرة العين) : « دعاني إليه أني لما فرغتُ من كتابي قرة العين ببيان أن التبرُّع لا يُبطله الدين الذي ألّفته جواباً عن إفتاء وتأليف في بطلانه لمفتي زبيد ، القائل فيه غير واحد من علمائها أنه عَنيد ، وأيّ عنيد ، انتشر بمكة المشرفة فكتَبَهُ المصريون واليمانيون . فلما اطَّلع عليه صاحب الإفتاء والتأليف كَرّر غلطه المشتمل على كثير هَذَر وهذيان ، وسفاهة وطغيان ، وقبائح تُصَمّ عنها الآذان ، وفضائح لا يصدر مثلها إلا ممن مان وخان ، ووصمات يبقى عارها أبد الآبدين ، وصدمات ظن ألا يتيقّظ لها أحد من الفضلاء المحقّقين ، وغير ذلك مما سوّد الصحيفة ، وأوجب النار والكشيفة ، في عدة تصانيف ، في صورة تآليف ، يرسلها إلى مكة المرَّة بعد المرّة ، والكرّة بعد الكرّة ، حتى أوجب ذلك لبعض فضلاء المصريين أنه رفع الأمر لعلماء بلده فكلُّهم أطبقوا أنه خالف الصواب والمنقول ، وسلك مسالك العناد والتعسف غير المقبول ، ثم أرسل خطوطهم لمكة فأحْصَوْا بضعاً وسبعين نفْساً ووافقهم المكيون أيضاً . . . فليأخذ ما يأتيه من وضائح الرد ، وحقائق الحق والنقد ، لا لتنقيص ذاته بل لرد قوله وهنيهاته ، امتثالاً لما أخذه الله من الميثاق ، وتعويلاً على ما يسلمه تالد من خلو قلوبنا عن الحقد والحسد والنفاق ، وإنما اضطرنا إلى ذلك خوف اغترار العوام ، بما وقع فيه من السقطات والأوهام . . . » [2] .

ولقد أشار العيدروسي في النور السافر إلى هذا الخلاف الذي وقع بين ابن حجر وابن زياد في ترجمته لابن زياد فقال : « وحصل بينه وبين جماعة من أهل عصره مخالفات ومشاحات في مسائل ، ولشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي مفتي مكة وغيره ، وكل منهم ألّف وبَرْهَن على ما يقول » [3] .

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ٢ - ٣) .
(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ٢٦) .
(٣) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٠٨) .

وعن مؤلفات ابن زياد ذكر مترجموه : « ومن مؤلفاته . . . كتاب فتح المبين في أحكام تبرع المدين ، والمقالة الناصة على صحة ما في الفتح والذيل والخلاصة وهذه الثلاثة التآليف بسبب ما وقع بينه وبين ابن حجر لم يوافق ابن زياد ، بل صنف كتاباً آخر في عدم بطلان تبرع المدين ، فعند ذلك ردّ عليه وجيه الدين بكل من الثلاثة الكتب »[1] .

• مكانته وعلاقته بالمجتمع المكي :

تمتّع ابن حجر بمكانة كبيرة من محبّة وتقدير وثقة مَنَحها إياه المجتمع المكي بكافة طبقاته . فلقد اجتمعوا لحضور دروسه بالمسجد الحرام ، وكانوا يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم ، لذا جاءت كُتُب الفتاوى الفقهية والحديثية له مليئة بآلاف الفتاوى التي هي إجابات لأسئلة الناس ، وهذا الكمّ من فتاواه دليل على ثقة الناس في علمه ونزاهته وحسن نظره وأحكامه الفقهية في القضايا .

ولعل هذه المكانة العظيمة التي كان يتمتع بها ابن حجر بين أفراد مجتمعه ، هي التي سمحت له بأن ينقد ويعارض كل مظاهر الضلال والابتداع التي ظهرت في المجتمع المكي في عصره .

(أ) موقفه من البدع والمنكرات عامة :

لم يكن ابن حجر راضياً الرضا التام على مجتمعه ، فقد لاحظ فيه الكثير من البدع والأخطاء وحتى مظاهر الضلال . لذلك نراه في أحيان كثيرة خلال مؤلفاته يشكو مما ظهر فيه من البعد عن الخير والسنة فهو يصفهم في كتابه : « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » بقوله : « فما بالك بزماننا الذي لم يبق فيه من معالم الخيرات إلا القليل . . . »[2] .

ويقول في مقدمة كتابه (الزواجر عن اقتراف الكبائر): « إن أبناء الزمان وإخوان

---

(١) العيدروسي : النور السافر (ص ٣٠٩) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧٨) ، دائرة المعارف الإسلامية : المترجمة (ص ١٣٣) وقد أحالت دائرة المعارف الإسلامية على عدد من المراجع المكتوبة باللغة الألمانية .

(٢) ابن حجر : كف الرعاع - المطبوع بعد الزواجر - (ص ٢٩٢) .

اللهو والنسيان قد غلبت عليهم دواعي الفسوق ، والخلود إلى أرض الشهوات والعقوق . . . » [١] .

ولم يكن ابن حجر بذلك العالم السلبي الذي يقف موقف السكوت على ما انتشر في مجتمعه من الأخطاء والبدع ، فهو العالم الإيجابي الذي يعرف ما يتحمّله العالم المسلم من مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويدرك عظم مسؤولياته في ذلك .

وهذا ما دفع بابن حجر إلى أن يقف موقف الناهي عن المنكر المعارض للبدع المحارب لها بالنص الشرعي والحكم الفقهي . والمطالع لمؤلفات ابن حجر لا يستطيع أن يجمع كل كتبه ورسائله وفتاواه التي شهر فيها سيف الشرع ليجاهد في الله ويحارب البدع على مختلف أنواعها :

- فقد قاوم المخدرات التي ظهرت في المجتمع المكي في عصره وهي الكفتة والقات والأفيون والحشيشة وجوزة الطيب وحلّلَها بعض علماء عصره ، بل واستعملها بعضهم من الفقهاء والأئمة وأعدوا أنها لا تحدث ضرراً لمستعمليها . فانبري ابن حجر يؤلف كتاباً في الموضوع سماه « تحذير الثقات من أكل الكفتة والقات » وضّح فيه حكم الشرع في ذلك ، وأظهر أن كل مذاهب السنة أجمعت على تحريم كل ذلك [٢] .

- وانتشر شرب القهوة في المجتمع المكي ، واختلف الناس في حكمها الشرعي فأبان حكمها وأحوالها في نص هام أورده في كتابه الإجارة [٣] .

- ولاحظ ابن حجر ظهور الرشوة في مجتمعه ، فألف في ذلك كتاباً عنوانه «إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العمال والحكام » [٤] .

- وظهر بين القضاة من اتصف بسوء التصرف والجهل والظلم وغير ذلك، فألف

---

(١) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (ص ٤) .

(٢) انظر ما كتبه عن موضوع هذا الكتاب في الصفحتين (ص٢٥٣ ، ٢٥٤) من هذا المُؤَلَف .

(٣) ابن حجر : الإجازة ، ورقة (١٠٥ أ - ١٠٩ أ) (نسخة ألمانيا) .

(٤) انظر ما قدَّمْتُه في دراسة هذا الكتاب فى الصفحتين (ص٢٣٩ ، ٢٤٠) من هذا المؤلف .

في ذلك كتاباً سماه « جمر الغضا ، لمن تولى القضا » الذي قال عنه : « ولما كان أغلب قضاة زماننا بلغوا إلى ما لم يبلغه غيرهم ، صنفتُ كتاباً في قبائحهم وصدرته بأربعين حديثاً فيه مزيد الندم وتشديد الوعيد على أكثر القضاة. . . »[١].

- وتبلغه أخبار نهب الأعراب للحجيج في موسم (٩٥٨ هـ/١٥٥١م) فيذكرها وينقدها في فتاويه الفقهية وفي ذيل الصواعق المحرقة [٢] .

- وانتشرت الألعاب المحرمة في المجتمع ، مثل النرد والشطرنج والحمام وغيرها من الألعاب ، فنقدَهَا وبيَّن حكمه عليها في كتابه كف الرعاع [٣] .

- واشتدت الخلافات بين أتباع المذاهب الفقهية ، وشاع التفاضل بينهم ، فوقع من بعض الفقهاء وطلاب العلم والعامة من التجاوز وسباب بعض أئمة المذاهب الأخرى ، مما ينتج عنه انقسام أهل السنة وشتات أمرهم ، فإذا ابن حجر - وهو أكبر شيوخ الشافعية بمكة في عصره - يبيّن للناس عدم جواز التعرض للأئمة بالسب والتنقيص [٤] ، ويؤلف كتاباً في مناقب الأئمة الأربعة كما يؤلف كتباً في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان [٥] .

- وفي عصره ظهرت نزعة شعوبية تفضل الأعاجم والأتراك على الجنس العربي ، وفي ذلك ما فيه من مظاهر تفريق وحدة المسلمين وتشتيت قواهم . فإذا بابن حجر يؤلف كتابه : « مبلغ الأرب في فخر العرب » [٦] .

(ب) موقفه من بدع الصوفية والموالد :

وفي عصر ابن حجر ظهرت بدع كثيرة من المتصوفة ، ولم يكن من عادة

---

(١) ورد هذا النص في كتاب ابن حجر : الإعلام بقواطع الإسلام (ص ١٧) - ولم نعثر على كتابه جمر الغضا .

(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٢/ ١٣٢ - ١٣٣) ، ذيل الصواعق المحرقة (ص ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٣) ابن حجر : كف الرعاع (ص ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢ - ٣٣٤) .

(٤) ابن حجر : الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان (ص ٣ - ٤) .

(٥) انظر ما كتبت في الموضوع خلال المبحث الخاص بمؤلفات ابن حجر في التراجم في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٦) راجع ما جاء في دراسة هذا الكتاب (ص ٣٦٥ - ٣٧٠) من هذا المُؤَلَّف .

ابن حجر أن يسكت عند ظهور بدعة وانتشارها واشتهار أمرها ، ولم يكن ابن حجر صوفياً مغالياً حتى يقبل أعمالهم وينتصر لهم ، بل ذهب بكل قوة وشجاعة إلى انتقاد ما ظهر من بدع الضالين من الصوفية وبيان خطئهم ، وما وقعوا فيه من الضلال وهو كثير . فقد أنكر ابن حجر :

- اتخاذ القبور مساجد .
- إيقاد السرج على القبور .
- اتخاذ القبور أوثاناً .
- الطواف بالقبور .
- استلام القبور والصلاة عليها .

واعتبرها من الكبائر واستدل على ذلك بالأحاديث النبوية الصحيحة في كتابه : « الزواجر عن اقتراف الكبائر » وأورد حكمه في بناء المساجد على القبور بأنها من أعظم المحرمات ، وأنّ « من أسباب الشرك الصلاة عندها » . وقال : « تجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور . . . وتجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر ، ولا يصح وقفَه ونذره » [1] .

وتنتشر بدع أخرى بين الضالين من المتصوفة ، فتظهر في اجتماعاتهم مجالس من السماع وما يكون فيه من الغناء وضرب آلات الطرب والرقص ، وتنتشر بينهم أقوال القائلين بجوازها والداعين إليها فيتداولون كتاب « فرح الأسماع ، برخص السماع» من تأليف أبى المواهب التونسي [2] (من غلاة الصوفية) . ولم يترك ابن حجر هذه الفرصة تفُوته فألف كتابه « كف الرعاع ، عن محرمات اللهو والسماع » الذي وصف فيه هؤلاء المبتدعة بأنهم :

---

(١) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (١٤٨/١ - ١٤٩) ، وكذلك (ص ١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن برعدان التونسي المالكي القاهري (ت بعد سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) - انظر كحالة : معجم المؤلفين (١٤٢/٩) . وطبع كتابه بلكنهو بالهند سنة (١٣١٢هـ) .

« قوم زعموا التصوف والعرفان . . . لما غلب عليهم من الشهوات ومحبة البطالات والسعي في جلب فسقة العامة إلى مجالسهم » .

وقال عنهم : « وما درى الأشقياء أن أقدامهم زلت عن سنن المسالك . . » .

ووصف أعمالهم بقوله : « سقطاتهم الشنيعة وتقولاتهم الفظيعة » .

وقال عنهم : « إنهم سنوا سنناً سيئة مصحوبة بالإلحاد والعناد » [1] .

وذكر قصة سبب تأليفه لهذا الكتاب في مقدمته فقال : « فإنني أثناء شهر ربيع سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) دُعِيتُ إلى نُسَيْكة لبعض الأصدقاء فوقع السؤال عن فروع تتعلق بالسماع ، فأغلظتُ في الجواب عنها ، وفي الرد على مَن زَلّ فهمه أو قلمه ، فقيل لي عن كتاب لبعض المصريين بلداً التونسيين محتدًا ، المالكيين معتقداً ، المتصوفين ملتحداً أنه بالغ في حِلّ ذلك بتأليف كتاب سماه « فرح الأسماع ، برخص السماع » فبالغت في الرد عليه في ذلك المجلس . فبعد مدة أرسل لي بعض رؤساء مكة الكتاب وطلب مني كتابة عليه حتى يتبيّن ما فيه ويظهر زيغهُ الذي اشتمل عليه . . . » [2] .

ويذكر ابن حجر في كتابه هذا أنواع الغناء وأنواع الرقص وأنواع آلات الطرب ويبين حكمها الشرعي ويوضح خطأ المشاركين فيها والداعين إليها . ولا يكتفي بمحاربة هذه البدعة بقلمه وتأليفه ، وإنما يشدد في ذلك حتى يقوم الحاكم بعقابهم وتعزيرهم ، ويقوم هو بنفسه بتكسير آلاتهم بيده .

وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه (كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع) قائلاً : « لعلمي بأن أبناء الزمان ، الذين غلب عليهم الخسار والهوان ، عكفوا على كتابة ذلك الكتاب (كتاب فرح الأسماع لأبي المواهب التونسي) واتخذوا لسماع تلك المحرمات أعظم الأسباب . . . إصغاء لكل ناعق وناهق ، فتجاهروا بها بين الملإ فضلاً عن السر والخلاء في بلد الله وحرمه . . . ولم يخشوا يوم المعاد ولا عظّموا حرمة أفضل البلاد .

وزادوا في ذلك حتى كَسَرْتُ من آلاتهم بيدي عدة عديدة ، ولزمت ذلك معهم

---

(١) كل هذه النقول من كتاب كف الرعاع لابن حجر (ص ٢٦٧) .

(٢) ابن حجر : كف الرعاع (ص ٢٦٨) .

مدة مديدة ، ورفعت أقواماً منهم إلى حكام الشريعة تارة والسياسة أخرى بحسب جرأة الفاعلين . . . وشدّدت عليهم إلى أن عاقبوهم بما يناسب جرأتهم ، وأشهروا تعزيرهم في الأسواق. . .فخمدوا بحمد الله تعالى عن ذلك. . .»[1].

- وبالإضافة إلى انتشار مجالس السماع ، فقد انتشرت مجالس الموالد . ولم يكن ابن حجر موافقاً ولا راضياً عما كان يصدر عن الناس من قبائح اقْترنَتْ بعمل الموالد ، فوضع لذلك فصلاً خاصاً في أول كتابه « النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيد بني آدم » وهو الفصل الثاني من الكتاب وعنْونه بقوله : «الفصل الثاني : في قبائح صدرت من الناس مقترنة بعمل المولد لا سيما بمكة المشرفة » .

ومواطن الانتقاد هي :

- أهل مكة يبالغون في الاحتفال به [2] .

- ينتقد من يحتفل بالمولد في أي يوم كان [3] .

- اختلاط النساء بالرجال في المسجد الحرام .

- خروج الناس إلى زيارة محل المولد على أقبح هيئة وأشنع رؤية ويسمونها زفة المولد .

- زينة النساء بأحسن حليهن وحللهن وتطيبهن وخروجهن للزفة مختلطات بالرجال .

- وقوع المفاسد في ليلة المولد .

- خروج الناس وقت القمر واكتماله ومعهم السُرج والشموع .

- اصطفاف الفقهاء في الزفة صَفا من الرجال وَصَفا من الشموع ، وتبخترهم في مشيتهم والناس يتفرجون عليهم .

- تواتر أخبار عن فسوق يقع بين الرجال والنساء ، وإغرائهن الرجال عند تقبيل الحجر الأسود (مع عرض قصص واقعية من ذلك) .

---

(١) ابن حجر : كف الرعاع (ص ٢٦٨) .

(٢) ابن حجر : النعمة الكبرى على العالم ، ورقة (٢ ب ، ٣ أ) .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة (٤ ب) .

- إشراف النساء على الرجال ونظرهن إليهم مما يترتب عليه الشهوة [١] .

- الطرق التي كانت تُقرأ بها الموالد « على الكيفية التي ألفها الوعاظ في هذه الأزمنة ، وذلك منكر أي منكر ، لأن أكثره كذب وبهتان واختلاق . . . مما لا تحل روايته ولا سماعه ، بل يجب على العلماء وكل من علم ذلك وقدر عليه الإنكار عليهم وتركهم للباطل منه أو مفارقته المجلس والقيام عنه » [٢] .

(جـ) موقفه من ضلال الشيعة الروافض :

واجه المجتمع المكي في عصر ابن حجر ظهور جماعات من الشيعة والروافض فيه ، فقد كثر عددهم وأظهروا فساد عقائدهم وأغروا بعض الناس لاتباعهم .

ولم يكن من عادة فقهاء وعلماء المسلمين أن يسكتوا عن هذه الأخطار المحدقة بالمجتمع السني ، فانبرى فقيه مكة الشافعي وعالمها الشيخ ابن حجر إلى الذب عن السنة ومحاربة الضلال وذلك بما ينشره من علم في دروسه بالحرم الشريف وما يكتبه من مؤلفات ويصنفه من رسائل .

ولم يأل جهداً في ذلك ولم يترك فرصة في تآليفه يرد فيها ذكر الروافض إلا ذكر ضلالهم وكشف ترهاتهم وأبان وجه الحق في عقائدهم الفاسدة ورد عليهم الردود المفحمة المقنعة ، ليبين للناس كفرهم وجهلهم ولينبه الناس إلى فساد عقائدهم حتى لا ينساقوا في تيارهم ولا يقعون فيما يدعون إليه من أهواء .

وكان دافع ابن حجر إلى القيام ضد أهل الأهواء والبدع إيمانه القوي واتباعه لسنة محمد ﷺ وطاعة لدعوته وتحملاً لمسؤولية العالم المسلم . فقد ذكر في مقدمة كتابه (الصواعق المحرقة) : « اعلم أن الحامل الداعي لي على التأليف في ذلك (في الرد على الروافض) . . . ما أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع أنه ﷺ قال : « إذا ظهرت الفتن - أو قال : البدع - وسُبَّ أصحابي فليظهر العالم علمه ، فمن لا يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً » [٣] .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة (٥ أ - ٧ أ) وراجع ما ذُكر عن المولد في الفصل الخاص بمؤلفات ابن حجر في السيرة النبوية في (ص ٢٨٦ - ٣٠٠) من هذا المؤَلَف .
(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة (٧ أ) .
(٣) ابن حجر : الصواعق المحرقة في الرد على أهل الضلال والبدع والزندقة (ص١٠).

وقال : « وسنتلو عليك ما تعلم منه علماً قطعياً أن الرافضة والشيعة ونحوهما من أكابر أهل البدعة »[1] .

وجاءت ردود ابن حجر على الشيعة والرافضة ضمن مؤلفاته في كتب عديدة وضعها أساساً للرد على الروافض ، كما فضح أمرهم ورد عليهم ضمن كتب أخرى وُضعت لأغراض أخرى ، سواء كانت كتب فقه أو كتب حديث أو كتب تاريخ أو غيرها ، فيتناولهم فيها بالنقد والكشف لحقائقهم .

أما الكتب التي وضعها أساساً للرد عليهم فهي :

١ - كتاب الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة . فقد قال في مقدمته : « سئلتُ قديماً في إقرائى (كتاب في بيان حقية خلافة الصديق) في رمضان سنة (٩٥٠ هـ/١٥٤٣م) بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة ، أشرف بلاد الإسلام فأجبت إلى ذلك »[2] .

٢ - كتاب النفحات المكية الذي ذكره ونسبه إليه تلميذه السيفي حيث وصف موضوع الكتاب قائلاً : « في الرد على الرافضة والشيعة »[3] .

٣ - وألف كتاب حقيقة خلافة الصديق وإمارة عمر بن الخطاب ليرد به على إنكار الروافض ذلك[4] .

٤ - وألف كتاب « إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا » لنفس الغاية .

٥ - وصنف كتاب « تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان » لنفس الغرض .

كما تناول ابن حجر الرد على الشيعة الروافض في كتب أخرى من تأليفه وضعت في موضوعات أخرى منها :

٦ - كتابه « شرح الشمائل للترمذي »[5] .

٧ - كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر »[6] .

---

(١) ابن حجر : نفس المصدر (ص ١١) .
(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص ٩) .
(٣) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٥ ب) .
(٤) انظر ما كتبته عن هذا الكتاب في (ص ٣٠٩) من هذا المُؤَلَف .
(٥) ابن حجر : شرح الشمائل ، ورقة (١٢ أ - ب) .
(٦) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٢١) .

٨ – كتاب « إتحاف ذوي المروءة والأنافة لما جاء في الصدقة والضيافة » الذي ذكر فيه أن من بين أغنياء مكة في وقته وأكثرهم « من هو رافضي أو شيعي يبغض الإسلام وأهله » (١) .

٩ – في كتابه « إتحاف إخوان الصفا » الذي اختصر به كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ، حيث أخرج فيه من سَمَّوْا أنفسهم خلفاء وهم من الشيعة كالدولة العبيدية الفاطمية واعتبرهم غير شرعيين ولا تحقّ لهم تسمية الخلافة ، ووصف دولتهم بالدولة اليهودية المجوسية العلوية الباطنية لا الفاطمية . . . » (٢) .

– وغير ذلك من مؤلفاته وخاصة فتاويه الفقهية الكبرى وفتاويه الحديثية مما لا يدخل تحت حصر .

وكان ابن حجر من خلال كتاباته في الرد على الشيعة الروافض يسلك المناهج العلمية الدينية القويمة حيث كان :

– يرد على آرائهم بالحجج الناهضة .

– يكشف أخطاءهم وضلالهم للناس .

– يرد عليهم بما ورد في الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة .

– ينقد الأحاديث التي يعتمد عليها الشيعة ويكشف ما فيها من وضع وكذب واختلاق ، اعتماداً على قواعد علم الحديث والرجال والمصطلح الحديثي .

– يقدم الصحيح من الأخبار التاريخية .

– وخلال كل ذلك يصفهم بما هم أهله من أوصاف الضلال والكفر والفسوق والجهل والبطالة وغير ذلك . وإذا عرض أقوالهم التي تدل على عظيم ضلالهم يلعنهم ومثل ذلك قوله : « وزَعْم الرافضة – لعنهم الله – أن ذلك تقية . . » (٣) .

ولو جمعنا كل ما كتبه ابن حجر المكي في مواجهة الروافض من الشيعة وكشف عقائدهم الفاسدة ودحض أقوالهم المردودة ودعوة المسلمين إلى الحذر منهم ومن قبائحهم ، لوجدنا كل الذي ألفه ابن حجر في هذا الموضوع كثيراً لا يجمعه المجلد الضخم .

فجزى الله ابن حجر عن المسلمين خيراً وكتب ذلك له في حسناته .

* * *

(١) ابن حجر : إتحاف ذوي المروءة والأنافة (ص ١٦) .
(٢) ابن حجر : اتحاف إخوان الصفا ، ورقة (١ ب) .
(٣) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص ١٥) .

عقيدة ابن حجر

من خلال ما طالعته من ترجمات ابن حجر الهيتمي وما قاله عنه المترجمون له - وهم كُثْر - لم نجد واحداً من بين أولئك العلماء الذين ترجموه مَن وَصَفَه ببدعة ولا ذكره بسوء عقيدة ، ولا نسبه إلى بدعة أو ضلال .

فابن حجر فقيه شافعي محدّث ناقد عالم أفتى المسلمين في الحرم الأمين قرابة أربعين سنة ، ودرّس علوم الدين فيه للأعداد الوافرة من طلاب العلم والحجاج والمعتمرين والمجاورين .

وقد انتشر صيته في مختلف بلاد الإسلام شرقاً وغرباً ، حيث وردت عليه الأسئلة والاستفتاءات من مصر واليمن والهند والشام والعراق والبصرة ونجد وبلاد ما وراء النهر وغيرها .

هذا ما اشتهر عن ابن حجر وما عرفتُه عنه من خلال ما طالعتُه من تراجمه وكُتُبه ورسائله .

إلا أنني لاحظت في بعض ما كتبه عن نفسه وبعض ما وضعه من مؤلفات جوانب سلبية من عقيدته ومنهجه .

- ذكر ابن حجر اسمه ونسبته في كثير من كتبه ، ولم ينسب فيها نفسه إلى التصوف والأشعرية إلا أنه في معجمه المعروف بالإجازة الذي ألفه في آخر حياته سنة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤م) قال عن نفسه في آخر الخاتمة : « وكتبه فقير عفو ربه وكرمه . . . أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر السلمنتي أصلاً والهيتمي مولداً والأزهري مَرْبًى ومنشأ والصوفي إرشاداً والجنيدي اتباعاً وانقياداً والأشعري اعتقاداً والوائلي السعدي نسباً والشافعي مذهباً » .

فقد ذكر بأنه أشعري الاعتقاد . وهذا ما درج عليه وبينه في كثير من تآليفه في العقيدة وغيرها وكتاب الفتاوى الحديثية . وبما أنه أشعري الاعتقاد فلا مناص له من قيامه بمواجهة أهل العقيدة السلفية وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية . فقد ردّ كثيراً من أقوال ابن تيمية وآرائه العقدية والفقهية في متفرقات من كتاباته -

سامحه الله وغفر له – فقد أساء مناقشة ابن تيمية الذي اشتُهر علمه ودينه وصح نظره وفقهه بالدين والاعتقاد رحمه الله وجزاه خيراً .

وقد جمعت أوجه اختلافه من ابن تيمية في كتاب ألفه السيد نعمان الألوسي وجعل عنوانه « جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، أحمد بن تيمية وأحمد بن حجر الهيتمي » فأجاد الألوسي في نقده وتحليله وتبرئة شيخ الإسلام وإظهار أنوار علمه .

وبما أن مجال هذا الكتاب هو دراسة التاريخ الإسلامي دَرَسْتُ ترجمة ابن حجر المكي وجهوده في الكتابة التاريخية أما مسألة اعتقاده فإنها تحتاج إلى دراسة وافية يقوم بها باحث من أهل الاختصاص في العقيدة ، ليوضح حقيقة الأمر ويبين زلاته في ذلك .

وقال ابن حجر المكي في نهاية معجمه المعروف بالإجازة أيضاً أنه صُوفي ، وهو أمر يحتاج إلى مزيد دراسة من أهل الاختصاص ولم يحدد لأي نوع من أنواع الصوفية ينتسب .

فقد رأيناه يؤلف بعض المؤلفات على آراء بعض الصوفية ، فيضع كتاباً في فضائل ليلة النصف من شعبان ، وكتاباً في فضائل زيارة القبر النبوي بعنوان «الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم » .

ويستعمل أحياناً بعض ألفاظ الصوفية واستعمالاتهم كطلب المدد من المخلوق مثلما ورد في مقدمة رسالته في مناقب أبي حنيفة النعمان ، ورقة (٢ أ) .

ولكننا نجده يحرم اتخاذ القبور مساجد وإيقاد السرج عليها واتخاذها أوثاناً والطواف بها واستلامها ، كما نجده يحرم غناء الصوفية ورقصهم ويكسّر الكثير من آلاتهم بيده ويشكوهم إلى الحكام ليعاقبوهم ، ونجده أيضاً ينتقد مبالغة أهل مكة في الاحتفال بالموالد واختلاط الرجال بالنساء فيها وخروجهم لزيارة دار المولد في هيئة شنيعة وزينة النساء فيها واصطفاف الفقهاء في الزفة للمولد وما يُقرأ في تلك الموالد من الأخبار الكاذبة والخرافات .

ونجده ينتقد غلاة الصوفية ويصفهم بالأشقياء ، وأنهم سنوا سنة سيئة مصحوبة بالإلحاد والعناد ، وأن لهم سقطات شنيعة وتقولات فظيعة وأنهم يجلبون فسقة

العامة إلى مجالسهم وأنهم يصغون لكل ناعق وأنهم لم يخشوا يوم المعاد ولا عظّموا حرمة البلاد . وإني أعتقد أن دراسة جامعية جادة يمكن أن تبين كل الجوانب الإيجابية والسلبية في عقيدة الرجل .

صفات ابن حجر وأقوال العلماء فيه :

سنستعرض في هذا الفصل صفات ابن حجر كما أوردها مترجموه . قال عنه تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية : « سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة ، الحبر البحر الحجة الفهامة ، مفتي المسلمين ، صدر المدرسين ، بقية المجتهدين ، بركة بلاد الله الأمين ، أحمد شهاب الدين بن حجر الشافعي فسح الله للمسلمين في مدته ، ونفعنا الله بعلومه ، وأعاد علينا من بركته . أعظمْ به عالماً . . . فربّ قضايا لا يكشف إشكالها غير فتواه ، وأمور ينجلي الحق ببيانها وينتظر جدواه » (١) .

وذكر عنه تلميذه السيفي في ترجمته له في نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر قال : « كان إمام الزمان ، وواحد العصر عالم الأوان ، نادرة الدهر ، مجمع الكمالات الإنسانية ، ومطلع الطوالع العرفانية ، ومنبع العلوم الربانية ، وخزانة أسرار الآي القرآنية (٢) ، بحراً لا يجارى في حفظ علومها الشرعية ، وتحرير أصولها السمعية والعقلية ، حبراً لا يماري في تحقيق علومها الآلية ، آخذاً من كل فن بزمامه منبهاً لأهله على دقائق فيه ألبسته عليهم بمخترعه وإمامه ، قد بلغ في السيادة نهايات الآمال ، ورقى في أعلى درجات الكمال ، اعترف بسمو محله المعاند والمعادي ، ونادى بعلو مرتبته كل واد وناد ، حتى وصفه بحسن التآليف أطباق الآفاق ، ووضعها للطف الترصيف الحذاق على الأحداق ، يُقْصَدُ بالفتاوى الدينية من كل فج عميق، وتأتيه المشكلات مقفلة، فتعود بفتح مبين ووجه طليق،

---

(١) أحد تلاميذه : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/٢) .

(٢) في هذا الثناء وفي غيره مما نجده في النصوص الموالية إطراء وغلو لا ينبغي ، ولكن أهل ذلك العصر درجوا على وصف العلماء وغيرهم بمثل هذه الأوصاف ، وهذا من هنَات ذلك العصر .

تقسم العويصات ألا تتضح إلا لديْه ، وتأبى المخدرات أن تنجلي إلا عليه ، فأكرم به من عالم عمَّ نفعه ، وأصبح أشهر الناس ، مرتفع الذكر ، ابتكر أبكارًا لم يطمثهن إنس قبله ولا جان ، وأفكارًا حكت أفكار المتقدمين في صحة الإستنباط والبرهان . . . ما برح تجلى مناطق العلماء وجيادهم بمكلل الفرائد وعقود الفرائد ، ويملأ لهم من لألي علومه النفيسة الحقائق ، ومن بحار فضائله المزاود ، ويخرج للمستفيدين من زوايا المعاني خباياها النفائس ، ويقتنص لهم من كنائس المعالي كرائمها الأوانس .

إمام إذا عُـــدَّ الأكابـــر خِلتَـــهُ ... إذا حقـــق التحقيق واسطة العقـــد
يُشـــار إليه بالأصابـــع هيْبَـــة ... ويُذْكَر في أهل العلا أول العد » [1]

وذكر صفاته العيدروسي في النور السافر قائلاً : « كان بحرًا في علم الفقه وتحقيقه لا تكدّره الدلاء ، وإمام الحرمين كما أجمع على ذلك العارفون وانعقدت عليه خناصر الملا ، إمام اقتدت به الأئمة ، وهمام صار في إقليم الحجاز أُمَّة . . . كواكب سيارة في منهاج سماء الساري يهتدي بها المهتدون تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [2] واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشمس والبدر . مَن أقسمتْ المشكلات ألّا تتضح إلا لديْه ، وأكدت المعضلات آليتها ألّا تنْجَلى إلا عليه ، لا سيما وفي الحجاز عليها قد حُجِر . ولا عجَب فإنه المسمى بابن حجر » [3] .

وعن ابن حجر ومكانته قال الغزي : « وكان فقيه مكة وواعظها ومحدثها»[4] .

وعن صفاته قال الخفاجي في ترجمته : « علاَّمة الدهر ، خصوصًا الحجاز ، فإذا نُشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز ، فكم حجَّتْ وفودُ الفضلاء لكعبته ، وتوجّهت وجوه الطلب إلى قِبلته، إن حدَّث عن الفقه والحديث، لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث، فهو العلياء والسند، ومن تُفك سهام أفكاره

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (١ ب - ٢ أ) .
(٢) سورة النحل : الآية (١٦) .
(٣) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧ - ٢٨٨) .
(٤) الغزي : الكواكب السائرة (ص ١١٢) .

الزرد . . . ولُود الليالي عن مثله عقيم ، ودرياق نفثات طبعه السليم ، شفاء كل سقيم ، نُشِرت على الدنيا خِلَعُ الفرح ، وتزَيَّنَتْ ببديع صفاته المدح » [١] .

وقال عنه محمد الشوكاني : « وكان زاهداً متقللاً على طريقة السَّلَف ، آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، واستمر على ذلك حتى مات » [٢] .

وصفه عالم اليمن الشيخ عبد الله بن محمد بن حكم باقشير فقال عنه : «شيخنا الإمام الذي خضعت لرفيع منصبه منازل النيرين القمر والشمس ، والعالم الذي أعربَتْ بداهته عما استعجم على القُوتَيْن الفكر والحدس ، والفهامة الذي أزاحت سواطع فهمه غياهب الظلمتين الشك واللّبس ، والعلامة الذي كلف بالعلم حتى صار ملهج لسانه وروضة أجفانه ومتنزه جنانه ، أبا العباس أحمد شهاب الدين بن حجر الشافعي الأنصاري » [٣] .

وتأتيه الأسئلة من بعض العلماء لطلب الفتوى في مسائل استشكلت عليهم فيصفونه في مقدمات الأسئلة بأوصاف كثيرة تقديراً منهم لشخصه ، من ذلك قول أحدهم : « الحمد لله وحده ، أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمنّ ويتفضل علينا وعلى المسلمين بطول حياة سيدنا ومولانا وعمدتنا وبركتنا وشيخنا وأستاذنا ، شيخ مشايخ الإسلام ، عمدة الأنام ، من إليه المرجع وعليه المعول ، شهاب الدين أحمد بن حجر حفظه الله ، وأطال بقاءه لنا وللمسلمين ، وبعد : فتفضلوا بوضع جوابكم الشافي الوافي لا زلتم أهلاً وملاذاً لحل المشكلات ورفع المعضلات » [٤] .

كما وضع تلميذه المترجم له وجامع فتاواه الفقهية مقدمة لإحدى رسائل ابن حجر ذكر فيها شيخه بما نصه : « قال سيدنا ومولانا وشيخنا الإمام العالم العلامة، العمدة الحبر البحر الفهامة ، جامع أشتات الفضائل ، بقية الأماثل والأفاضل ، الحجة في زمانه ، والقدوة في عصره وأوانه ، مفتي الحجاز ، وشيخ الحرمين ، أدامه الله سبحانه وتعالى نفعاً للإسلام والمسلمين ، الشيخ

---

(١) الخفاجي : ريحانة الألباء (١/ ٤٣٥ - ٤٣٦) .
(٢) الشوكاني : البدر الطالع (١/ ١٠٩) .
(٣) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١/ ٨٣) .
(٤) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ٩٩) .

شهاب الدين أحمد بن حجر ، لا زالت كتب العلماء بتقريره في الدروس واضحة البيان، ومسائل الفقهاء بتأييده في الطروس ظاهرة واضحة التبيان ، حتى يخرق الله سبحانه وتعالى العادة بطول مدته في عافية ، وينفع الإسلام والمسلمين بعلومه الكمالية الكافية ، آمين » (١) .

ومن أقوال علماء عصره فيه تلك القصيدة التي كتبها عبد العزيز الزمزمي بعد الخلاف الذي وقع بين ابن حجر ومفتي اليمن ابن زياد ونَصَرَ بنَ حَجَرٍ علماءُ اليمن والقاهرة والبلد الحرام « ونظم حينئذ شيخنا الإمام عز الدين عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز الزمزمي قصيدة يمدحه بها وهي :

جوزيتَ عن ملَّة المختـار مِن مُضَـر	خير المجازاة في الأُولى وفي الأُخَـرِ
يا عالم العصر يا خير الزمـان ومن	بِهِ ازْدَهَى عصرنا هذا على العُصُـر
منك المعـارف فاضتْ عذبَةً ولكم	عذباً زلالاً مَعيناً فاض من حجر (٢)
شيَّدتَ أركـان دين الله أنت إذن	أولى بتجْديده من سائـر البَشَـر
حفظتَـه بشهـابٍ منـك متَّقدٍ	يرمي الشياطين دون الخطف بالشرر
في مصر في الشام في هندٍ وفي يَمَنٍ	سارت فتاويك سير الشمس والقمر
فمن يسـاويك في علـم وفي ورع	بمَن سِـواك غَبي قاصـرُ النظـر
لك التصانيف في الآفاق تَنْشُـرهَا	رواتُهـا وسواهـا غير منتشـر
على فوائدها الطـلاب قد عكفَت	لما حَلَتْ وحَوَتْ صفْواً بلا كـدر
جلّت لديهم فصارت عندمـا اتّفقُوا	بما أعـزّ من الأسمـاع والبصـر
منها استفدنا علوماً عنك قد صدَرَتْ	يا حُسْن موقعها في الوِرْد والصَّـدَر
وأنت مرجعنـا في كـل مشكلـة	عنها الجـواب إذا رُمْنَـاه لم نَخـر
قَرَّرْتَ في قـرة العين المنقـح ما	قَرَّتْ به العين من الفاظك الـدرر

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (١٧٩/٤) .

(٢) ورد العجز بالأصل : « عَذباً زلالاً فاض من حجر » وهو خطأ وقع إصلاحه من رسالة مناقب ابن حجر الهيتمي لمجهول . نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٧٤) ، الورقة (٢ب) .

كشفت عن أوجه الحق النقاب وقد سفرت في غرةً تزهو وفي طرر
لقد قَضت عُلَما مصر بصحَّته ووافقوك عليما فيه من غُرر
وقَرَّضوك بمدح طوَّقوك بما أبدَوْه من دُرر فيه ومن شَذَر
فكنْتَ أولهم قُتْياً وآخرهم ثَناً عليك بمنظوم ومُنتَشر
فجمَّل الله ذو الإجلال بَلْدتنا بنشْر علْمك في الآصال والبُكَر
ودمتَ في رفعة دهراً وفي دَعَةٍ وصحة مُنتهاها مُنتهى العُمُر

والشيخ عبد القادر بن أحمد الفاكهي مدح شيخنا أيضاً بقصيدة منها قوله :

لا زلت فينا شهاب الدين نجم هدى ترمي الشياطين عن فهم وعن فكر
قرت بك العين إذْ قررت بهجتنا في قرة العين ما يغني عن الخبر » (1)

* * *

(1) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ - ب) .

حياة ابن حجر العائلية

زوجاته :

لا نعرف عدد زوجات ابن حجر ، وإنما ذكرتْ المصادر له زوجتين هما :

زوجته الأولى : تزوجها بمصر سنة (٩٣٢ هـ/١٥٢٥م) وذكرتْها مصادر ترجمته على النحو التالي : « في سنة اثنين وثلاثين ألْزَمَه شيخه الشناوي بالتزوج فقال : لا أملك شيئاً ، فقال : هي بنت أُخْتي والمهر مِن عندي ، فزوّجه بها وهي بنت ابن عمه »[١] أي ابن عم شيخه الشناوي .

زوجته أم سلَمَة الطبرية التي تزوّجها بمكة ولم يعش معها طويلاً ، ولم يذكر زواجه بها غير مصدر واحد هو كتاب إنباء البرية للطبري ، فقال : « أم سلمة بنت عبد البر بن أبي السعادات بن المحبّ محمد بن الرضيّ محمد . . . الطبرية المكية ، أخت التي قبلها (زُبَيْدة) تزوجها الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ثم فارقها وماتت بعد أختها »[٢] أما أختها المشار إليها في النص فهي زبيدة بنت عبد البر الطبرية ، تُوفيتْ بعد الألف[٣] . وهذا يُثبتُ أن زوجة ابن حجر توفيت بعد الألف ، وربما يدل هذا على أنه عندما تزوجها كانت صغيرة السنّ ، لأنها عاشت بعده أكثر من ٣٦ سنة . أما والدها عبد البر بن محمد الطبري فلم نجد له ترجمة كافية ، وإنما ذكره عبد القادر الطبري في إنباء البرية ولم يحدّد ولادته ولا وفاته ، وإنّما اكتفى بذكر أنه إمام المقام الشافعي[٤] وذكره عرضاً جار الله بن فهد في نيل المنى[٥] .

---

(١) ابن حجر : مقدمة الفتاوى الفقهية (١/٤) ، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة (ص١٣٣) ، دائرة المعارف الإسلامية : الإنجليزية (ص ٧٧٩) .

(٢) عبد القادر الطبري : إنباء البرية ، ورقة (٦١ أ) .

(٣) عبد القادر الطبري : إنباء البرية ، ورقة (٦١ أ) .

(٤) المصدر السابق ، ورقة (٦ أ - ٧ أ) .

(٥) جار الله بن فهد : نيل المنى ، ورقة (١٩ ب) .

- وفي نفائس الدرر للسيفي ما ربما يدلّ على أنه تزوج أكثر من اثنتين فإنه قال: « ورأَتْه بعض زوجاته في مكان عالٍ وهو يدعوها فعجزتْ عن الوصول لديه»[1].

وفي قوله : « بعض زوجاته » إشارة إلى أنهن ربما كنّ أكثر من اثنتين .

أبناؤه :

لم نجد فيما قرأناه من مؤلفات ابن حجر ذكرًا لأسماء أبنائه وأحفاده ، وإنما عثرنا على ذكرهم مُجْمَلين حين يطلب من بعض العلماء والصالحين الدعاء لهم ، كما ورد في كتابه الإيضاح والبيان في فضل ليلة النصف من شعبان الذي ألفه استجابة لاقتراح بعض أصحابه من العلماء . وقد التمس ابن حجر من صديقه دوام الدعاء له ولذريته بجوامع الخيرات ، وذلك سنة (٩٥٦ هـ/١٥٤٩م) [2] .

أما مصادر ترجمة ابن حجر فلم تذكر عدد أبنائه وبناته، والذين عرفناهم هم: محمد ، وعبد الرحمن ، وصفية ، ولكننا لا نعرف اسم أم أي واحد منهم . ولا نعرف تواريخ ولاداتهم أو وفياتهم بشكل مضبوط، غير أننا عثرنا على ذكر ولديْنِ له وُلِدَا خلال سنة (٩٤٤ هـ/١٥٣٧م) ذكرهما معاصره جار الله بن فهد في كتاب نيل المنى حيث ذكر في أخبار يوم الجمعة آخر أيام شهرشعبان من نفس السنة عمل ابن حجر « وليمةً لعقيقة ولديْه المولودين في الجماديين من سنة تاريخه ودعا فيها الشيوخ وقضاة مكة وفضلاءها أكثر من مائة نفس فأكلوا من الوليمة بعد صلاة الجمعة » [3] .

وهذا النص لا يدلنا دلالة قطعية على أن المولودين هما محمد وعبد الرحمن المذكورين أعلاه ، كما أن في النص ما يدل على أنهما من أُمَّيْن مختلفتين إذ قال جار الله أنهما وُلِدَا في الجماديين أي أن أحدهما ولد في شهر جمادى الأولى والثاني في جمادى الثانية .

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٨ ب) .

(٢) ابن حجر : الإيضاح والبيان لما جاء في ليلة النصف من شعبان ، ورقة (١ أ) .

(٣) جار الله بن فهد : نيل المنى (١٧٧ أ) .

كما لا ندري هل هما ابناه محمد وعبد الرحمن أو غيرهما ، وذلك لأن جار الله ابن فهد لم يذكر اسمي الطفلين اللذيْن عُمِلَتْ لهما العقيقة المذكورة .

أما ابنه محمد فقد ذكره الخفاجي في ريحانة الألباء قائلاً إنّ لابن حجر ابناً اسمه محمد وكنيته أبو الخير يروي عنه بعض اليمنيين (١) .

وذكره المحبي في خلاصة الأثر في ترجمة أحمد بن محمد اليمني المعروف بصاحب الخال ، المولود سنة (٩٩٥ هـ/١٥٨٦م) والمتوفى سنة (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م) أنه أخذ عن جماعة من العلماء منهم أبو الخير محمد ابن شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي (٢) وهو ما نقله الكتاني في فهرس الفهارس ووصفه بناءً على ذلك بقوله : « فهو من أهل العلم » (٣) .

أما ابنه عبد الرحمن فلم تُفرده المصادر أيضاً بترجمة خاصة ، بل عرفناه من خلال ترجمات ابنه رضي الدين الذي سَيَرِد الكلام عنه بعد هذا . ويظهر أنه كان من أهل العلم حيث ذُكِر في ترجمات ابنه رضي الدين بأنه أخذ عنه (أي عبد الرحمن) العلم وهو أخذ عن والده شيخ الإسلام ابن حجر (٤) .

- أما ابنته صفية فقد اختص بذكرها عبد القادر الطبري في إنباء البرية (ورقة ٦٠ أ - ب) في ترجمة خديجة بنت محمد بن أبي اليمن الطبري قائلاً : إنها ابنة صفية بنت الشيخ ابن حجر » ، وصفية هذه هي زوجة محمد بن أبي اليمن الطبري الذي ذكره مرداد قائلاً عنه : إنه تزوج ابنة شيخه ابن حجر بخطبة شيخه له، ولازم صهره ابن حجر في دروسه (٥) .

ورغم أنّ ابن حجر اشتهر بكنية أبي العباس، فإن بعض النصوص ذكرت له كنية

---

(١) الخفاجي : ريحانة الألباء (١/ ٤٣٤) .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر (١/ ٣٢٥) .

(٣) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٤٠) .

(٤) انظر المحبي : خلاصة الأثر (٢/ ١٦٦ - ١٦٧) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٩٨) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٣٣٨) ، علي مبارك : الخطط التوفيقية (٥/ ٢٦) ، الدهلوي : الأزهار الطيبة النشر (ج ٢) ، ورقة (١ أ) ، كحالة : معجم المؤلفين (٤/ ١٦٦) .

(٥) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٤٥٤) .

أخرى هي « أبو عبد الله » وجدناها على مخطوطات ثلاثة من كتابه (أسنى المطالب في صلة الأقارب) كما وجدناها مذكورة في عنوان كتابه « شرح الهمزية » .

ولعل هذه الكنية تدل على أن لابن حجر ابناً آخر اسمه عبد الله ، وهو ما لم نستطع إثباته بصفة قطعية ، نظراً إلى أن كنية « أبا عبد الله » لم تَرِدْ داخل نص موثوق به ، وإنما وردت في عناوين مخطوطات ، يَرْقَى إليها الشك ، إذ لعلها تكون من أخطاء الناسخين [1] .

أحفادُه :

أما أحفاد ابن حجر الهيتمي فقد عرفنا منهم ستة أحفادٍ ، أربعة منهم من البنين واثنتان من البنات ، وهم :

أولاً – أحفاده أولاد البنين وهم :

١ – رضي الدين بن عبد الرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، ولد بمكة سنة (١٠١٠ هـ/ ١٦٠١م) . وتوفي بها سنة (١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م) ، كان عالماً فاضلاً درس على والده عبد الرحمن ، وعلى السيد عمر بن عبد الرحيم البصري ، وأحمد الحكمي ،وعبد الملك العصامي ، وعبد العزيز الزمزمي. وبرع في التفسير والحديث والفقه .

له مؤلفات منها ما يتعلق بمؤلفات جده ابن حجر مثل كتابه حاشية على التحفة الذي ردّ به على اعتراضات العلامة الشهاب أحمد بن قاسم العبادي على كتاب جده التحفة (تحفة المحتاج بشرح المنهاج) .

واختصر ثلاثة كتب من مؤلفات جده هي : أسنى المطالب في صلة الأقارب ، والفتح المبين في شرح الأربعين ، والقول المختصر في علامات المهدي المنتظر .

وأورد لنا عبد القادر الطبري في كُنَّاشَتِه [2] خبَرًا عن خطبة عقد رضي الدين ابن عبد الرحمن بن حجر فقال:«الولد الأَعَز رضي الدين ابن الشيخ الأوحد المفيد

---

(١) انظر أعلاه في الفصل الخاص بكنيته (ص٣٢) من هذا الكتاب .

(٢) الكُنَّاشَةُ : الأوراقُ تُجْعَلُ كالدَّفتر تُقَيَّدُ فيها الفوائد والشَّرائد .

العمدة القدوة المجيد صدر المدرسين مفيد الطالبين ، أحد الأعيان بهذا البلد الأمين، مولانا الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن ابن سيدنا ومولانا . . . شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الأنصاري ثم المكي » . والمخطوبة هي زبيدة بنت محمد الدالي ، والمهر قدره خمسون مثقالاً . كل سنة خمسة مثاقيل [١] .

توفي رضي الدين بن حجر في مكة سنة إحدى وأربعين وألف (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) ، ودفن بالمعلاة بقرب تربة جده ابن حجر [٢] .

٢ – عفيف الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن حجر :

عرفناه من خلال خطبة خطبها عبد القادر الطبري بمناسبة عقد زواج عفيف الدين هذا على زوجته سعادة بنت محمد جمال الدين الخفاجي .

وقد وصفه عبد القادر الطبري في هذه الخطبة بقوله : « الشاب النجيب ، اللوذعي الأديب ، سليل العلماء الأكابر ، المرجو له أن يأتي على طريقة سلفه الطاهر ، الولد الأعزّ عبد الله عفيف الدين ابن المفتقر إلى عفو الله ورضوانه . . . الشيخ الهمام . . . صدر المدرسين ، مفيد الطالبين ، خطيب المسلمين ، بمدينة سيد المرسلين ، الشيخ محمد جمال الدين ، حفيد مولانا شيخ الإسلام على الإطلاق ، شافعي زمانه بالاتفاق . . . أحمد بن حجر الهيتمي الأنصاري الشافعي . . . المخطوبة سعادة بنت محمد جمال الدين الخفاجي » وكان المهر ٣٥ مثقالاً من الذهب في آخر كل عام ٥ مثاقيل [٣] .

٣ – محمد بن أبي الخير .

ترجم له الخفاجي في الريحانة فقال عنه: « بليغ عذب البيان . . . رأيته وأنا بالحجاز ، وليس بينه وبين الكمال حجاز ، وأنشدني له شعراً » [٤] .

---

(١) عبد القادر الطبري : كناشة (مخطوط محمد سرور الصبان محفوظ بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى – وهو غير مرقم الورقات) .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر (٢/ ١٦٦ – ١٦٧) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٩٨) ، علي مبارك : الخطط التوفيقية (١٥/ ٢٦) ، عبد الستار الدهلوي : الأزهار الطيبة النشر ، ورقة (١ أ) ، كحالة : معجم المؤلفين (٤/ ١٦٦ – ١٦٧) .

(٣) عبد القادر الطبري : كنش قديم – يحتوي على مجموعة من خطب الإمام عبد القادر الطبري المكي . غير مرقم الورقات .

(٤) الخفاجي : ريحانة الألباء (١/ ٤٣٤) .

٤ - محب الدين حفيد شيخ الإسلام أحمد شهاب الدين بن حجر .

كذا وجدنا ذكره في كُنَّاشَة عبد القادر الطبري خلال خطبة عقده على سمية بنت الجمال محمد الجوهري [١] .

ثانياً - أحفاده من أولاد البنات :

أما أحفاده من أولاد البنات فقد عرفنا منهم :

١ - عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن علي الزمزمي الشافعي المكي . ولد بمكة ، واختلف في تاريخ ولادته ، فأوردها مرداد في ترجمته بتاريخين فقال: ولد سنة (٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧م) أو في التي قبلها ، ونقل مرداد عن ترجمة تلميذه العصامي له بأنه ولد سنة سبع وسبعين وتسعمائة (٩٧٧ هـ/ ١٥٦٩م) بعد وفاة جده لأمه العلامة ابن حجر بثلاث سنين . وأورد أنّ ذلك التاريخ هو ما أخبر به عبد العزيز الزمزمي عن نفسه [٢] . وأيّد الكتاني في فهرس الفهارس هذا التاريخ[٣] ، واختلف كحالة في ذلك فأورد تاريخ ولادة عبدالعزيز الزمزمي في سنة (٩٩٧ هـ/ ١٥٨٨م) [٤] .

درس عبد العزيز الزمزمي بمكة على والده في الفقه ، واجتمع بالشيخ الفقيه عبد الرحمن الشربيني وأخذ عنه وعن الشيخ الفقيه أبي المواهب أحمد الشناوي وغيرهم . تولى الإفتاء بمكة فكان عالمها ومفتيها ، فهو فقيه محدّث شاعر .

من مؤلفاته إجازة فتح الرجاء في نشر العلم والاهتداء كتبها هو للشيخ رضي الدين بن عبد الرحمن بن أحمد بن حجر وهي إجازة حافلة .

وله كتابات عن التحفة تأليف جده ابن حجر الهيتمي . وله ديوان خطب نفيس في الخطب الجمعية والاستسقاء والكسوف والخسوف في مجلد ضخم ،

---

(١) عبد القادر الطبري : كنش قديم يحتوي على مجموعة خطب - غير مرقم الورقات ، والملاحظ أن عبد القادر الطبري لم يذكر اسم والد هذا الحفيد في خطبته ، فلا ندري هل محب الدين هذا هو محمد السابق الذكر أو هو غيره .

(٢) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٢٥٩ - ٢٦٠) .

(٣) الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٩١٨ - ٩١٩) .

(٤) كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ٢٥٩) .

رتَّبه له الشيخ عبد الرحمن بن محمد البحري الحنفي القادري وسماه « المنح الحرمية بترتيب الخطب الزمزمية » .

وتوفي الشيخ عبد العزيز الزمزمي في جمادى الآخرة سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م) ودفن بمكة [١] .

٢ - ومن أحفاد ابن حجر أيضاً : خديجة بنت محمد الطبري (ت٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م) وهي ابنة بنته صفية التي تزوجت محمد الطبري وورد ذكرها في أنباء البرية ، حيث ترجم لها ضمن عائلة الطبريين فقال عبد القادر الطبري عنها : « خديجة بنت محمد بن أبي اليمن بن أبي السعادات بن المحب محمد . . . بن أبي بكر الحسينية الطبرية المكية ، ولدت ليلة الاثنين سادس عشر من رجب سنة خمس وسبعين وتسعمائة (٩٧٥ هـ/١٥٦٧م) وتوفيت يوم الاثنين تاسع عشر من رجب سنة تسع وتسعين وتسعمائة (٩٩٩ هـ/ ١٥٩٠م) ، وأمها صفية بنت الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي » [٢] .

* * *

(١) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٢٥٩ - ٢٦٠) ، الكتاني : فهرس الفهارس (ص ٩١٨ - ٩١٩) ، وورد ذكره بأنه حفيد ابن حجر في (ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٨٥٣) ، كحالة : معجم المؤلفين (٢٥٩/٥) .

(٢) عبد القادر الطبري : إنباء البرية ، ورقة (٦٠ أ - ب) .

وفاة ابن حجر

أجمعتْ أغلب مصادر ترجمة ابن حجر على أنّ وفاته كانت سنة (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) [١] وشذّتْ بعضها فذكرتها سنة (٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥م) [٢] .
لكن الأصح أنّ وفاته كانت سنة (٩٧٤ هـ) اعتماداً على قول تلميذه السيفي الذي ترجم له في نفائس الدرر وذكر تاريخ وفاته مفصلاً بقوله : « وكان ابتداء مرضه الذي انتقل فيه في شهر رجب ، فترك التدريس نيفاً وعشرين يوماً ، ووصى يوم السبت الحادي والعشرين من رجب المذكور وتوفي ضحوة الاثنين الثالث والعشرين من الشهر المذكور سنة أربع وسبعين وتسعمائة » [٣] .

وعن وفاته أيضاً قال العيدروسي في أخبار سنة أربع وسبعين بعد التسعمائة : «وفيها في رجب توفي الشيخ الإمام شيخ الإسلام خاتمة أهل الفتيا والتدريس ناشر علوم الإمام محمد بن إدريس الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري بمكة » [٤] .

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ) ، العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧) ، الغزي: الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ، الأسدي : طبقات الشافعية ، لوحة (١٥٧ أ) ، الشلي : السنا الباهر ، ورقة (٢٨٣ أ - ب) ، الطبري : محمد بن علي : إتحاف فضلاء الزمن (ص ٧٨) ، الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٥١٨ ب) ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٢) ، سركيس : معجم المطبوعات (ص ٨١ - ٨٢) ، الزركلي : الأعلام (١/ ٢٣٤) ، دائرة المعارف الإسلامية : المترجمة (ص١٣٤)، دائرة المعارف الإسلامية : باللغة الإنجليزية (ص ٧٧٩) .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٦٩ ، ٣٧١) ، الشوكاني : البدر الطالع (١/ ١٠٩)، جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٢) ، خليل الميس : مقدمة الخيرات الحسان (ص ٨) .

(٣) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ) وقد ورد التاريخ في النص : « أربع وتسعين » وهو خطأ من الناسخ دون شك .

(٤) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧) .

أما الغزي فقال : « وكانت وفاته بمكة سنة ثلاث [1] وسبعين وتسعمائة ، ومما اتفق أنه أُشيِع موته بدمشق في سنة إحدى وسبعين (٩٧١ هـ/١٥٦٣م) فصلي عليه بها غائبة وعلى محمد أفندي ابن المفتي أبي السعود المتوفى بحلب يوم الجمعة خامس عشر من شعبان منها ، ثم تبين بعد ذلك أن ابن حجر حي ، ثم ورد الخبر إلى دمشق بموته وموت السيد عبد الرحيم العباسي البيروتي في ثاني عشر من شوال سنة أربع وسبعين فصُلّي عليهما معاً غائبة في يوم الجمعة سادس (عشري)[2] شوال بالأموي رحمه الله تعالى » [3] . .

وقال عن وفاته الشلي : « وفي هذا العام (٩٧٤ هـ) توفي الشيخ الإمام العلامة الهمام الشيخ أحمد بن حجر . . . فقال الناس : مات في هذا العام سلطان الدنيا وسلطان الدين وسلطان الآخرة ، وقال بعضهم : إمام الطريقة وإمام الشريعة وإمام الحقيقة » [4] .

واختلف الميرغني عن المصادر السابقة في تعيين يوم وفاته فقال : « وكانت وفاته بمكة المشرفة يوم الاثنين رابع رجب الفرد سنة (٩٧٤ هـ) وصُلي عليه تحت باب الكعبة » [5] .

---

(١) كذا ورد التاريخ في المطبوع وهو خطأ صوابه (٩٧٤ هـ) لدلالة نهاية النص على ذلك، وفي هامش التحقيق لكتاب الكواكب السائرة نص آخر لترجمة ابن حجر يؤكد فيه الغزي أن تاريخ وفاة ابن حجر هو سنة (٩٧٤ هـ) .

(٢) كلمة سقطت من الأصل ، أضفناها ليصح الكلام .

(٣) الغزي : الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) .

(٤) الشلي : السنا الباهر ، ورقة (٢٨٣ أ - ب) . ويقصد الشلي هنا بقول الناس : مات سلطان الدنيا هو السلطان العثماني سليمان بن سليم الذي تولى السلطة سنة (٩٢٦هـ/١٥١٩م) واستمر فيها (٤٩) سنة إلى أن توفي غازياً في سنة (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م).
انظر : العيدروسي : النور السافر (ص ٢٩٢) ، الشلي : السنا الباهر ، ورقة (٢٨٢ أ) .
وسلطان الدين هو مترجمنا ابن حجر الهيتمي الفقيه العالم . أما سلطان الآخرة فهو عبد الله بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع باعلوي الشهير بمكة ، والذي ولد بتريم ودرس بها وبحضرموت على كبار علمائها ، ثم حج وزار ودرس على علماء الحرمين واستقر بمكة إلى أن توفي بها سنة (٩٧٤ هـ) .
انظر العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) ، الشلي : السنا الباهر ، ورقة (٢٨٠ ب- ٢٨١ ب) .

(٥) الميرغني : تنزيل الرحمات ، ورقة (٥١٨ ب) .

وعن مكان قبره ذكر تلميذه السيفي : « ودفن في المعلاة بالقرب من مصلب ابن الزبير رضي الله عنهما » [(١)] .

وزادت بعض المصادر في تحديد مكان دفنه فقالت : إنه دُفن بالمعلاة في تربة الطبريين [(٢)] .

وكان لوفاة ابن حجر أثر في نفوس الناس في مكة ، فقد وصف لنا ذلك تلميذه السيفي بقوله : « وحصل للناس من الأسف عليه ما لا يوصف حتى سُمِع بكاء النساء في البيوت من وراء الجدران ، وازدحم الناس على جنازته يتبركون[(٣)] بحملها حتى كاد بعضهم يطأ بعضاً . رُئِيَ في أثناء الطريق مِن نِعالهم التي تقطَّعَتْ حال الازدحام فتركوها شيءٌ كثير » [(٤)] .

وبعد وفاة ابن حجر رثاه صديقه « الشيخ عبد القادر الفاكهي بمرثيتين (كبرى وصغرى) ، فمن الكبرى قوله :

فَمَوْتٌ لــــه لا شــــك ثَلْمة ديننا	فآتى لنا خَطْبٌ وآتى لنا شعبُ (كذا)
وهَــدّم ركــن الصبــر منــا وليتنا	على جلــد التوفيق نَبْقَى ولا خطبُ
ونكّس أعلامــاً سمَتْ بعــد رفْعهــا	وصيَّرها مخفوضــة مــا لها نصب
وأوحش ربع العلــم مِن بعــد أُنْسِــه	فأهلوه من بعد استقامتهــم جــدبُ
وأمسى ضياء الصبــح كالليل بعــده	لأنّ شهــــاب العلــم غيَّبَه التــرب
وحــل بأهـــــل الله رُزْءُ مصابِــــه	فحلّ عقــود الصبــر منها له النَّحْت
وعمّ به شـــــرقَ الوجــود وغربــه	فطاشت له الأحلام وانكسر الصُلْب
وطاش به أحـــلام أعــلام قـــادة	فجاشاتها تشجو ولا نارهـــا تخبُو

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ) .

(٢) العيدروسي : النور السافر (ص ٢٨٧) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، الطبري محمد بن علي : إتحاف فضلاء الزمن (ص ٧٨) ، الميرغني: تنزيل الرحمات، ورقة (٥١٨ ب) .

(٣) كذا بالأصل . وهو من الاستعمالات الخاطئة في ذلك العصر .

(٤) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ) .

بِكُدّر بحر طالما طاب صفْوُه — وصفَّى جفوناً طار منها له هدب
وكم ميّت في الخلق ما مات بعده — جموع ولا انقضّت بموت له الشهب
فكيف وقد مات الشهاب وسيّدٌ — وبدرُ سماء الشرع والشمسُ والقطبُ
فيا لك شيخاً لا يضاهى مُصابه — وقد كان بحراً تستقي غيثه السُحب
به أفلتْ شمس العلوم بمكة — ويا عجباً شمس يحيط بها الترب
وقد جرّ ذيل العلم قبل مماته — على جبْهة العليا إذا يشرقُ السحب
ويا عجباً للقبر كيف يَحُوطُه — ومسكنه إنسان عيني والقلب
ويا عجباً للشهب كيف سُطوعها — وقد كان بدرًا والنجوم له سرب
ويا عجباً للطُهر كيف يُنيله — طهارة غسل والطهور به عذب
ويا عجباً للطيب وهو مطيَّب — بِطيبِ تصانيفٍ تسير بها النُّجْب
تصانيف علم زاد في الكم عدها — على السبع والسبعين حرَّرَها الحسب
وكيف وطلاب العلوم بها غدتْ — شغافى كعيسٍ ساقها الشوق والخصب
فمَن لدروس العلم بعد اندراسه — وتقرير أبحاث تضمَّنَها الكتب
ومَن لفتاوى في الأقاليم سَيْرُهَا — تُحَثُّ لها نُجْبٌ ويجلبها جُلب
ومَن لعباب الفقه بعد مغاضه — على درر في الشرح تسعى لها العُربُ
ومَن لحديث المصطفى بعد شرحه — أحاديثُ مشكاة لفانُوسِها تصبو
ويفقده المقري لإرشاد غَيِّه — ومنهاج محي الدين يوحشه الندب
ولو جاز أن يبقى كريمٌ مخلداً — لكان رسول الله والسادة الصحبُ
فيا معشر الإخوان عُصبة شيخنا — تأسَّوْا فإن البعد سهَّلَهُ القرب

ومن الصغرى قوله :

الله أكبر شنَّ الموت غارَتَهُ — وخط خُطى غالاته الذّبلِ
وسلّ صارمه الهنديُ من غمد — وجال فينا مجال الفارس البطلِ
وأرسل السهم في الأحشاء مُنْحدرا — إلى القلوب فأَدْناها إلى الأجَل
وصال بالناس في حصن الحياة على — فريد أهل التقى والعلم والعمل

فهـــدَّ ركنـــاً مَشيداً لا نظير لـــه | بأرض مكـــة في الفتوى بلا بـــدل
وصيَّر الناس فوضى لا شهـــاب لهم | هـــذا يقـــول مَـــن المفتي عليٌّ ولي
بموت ربّ الهدى والعلم أحمـد مَنْ | سارت فتاويه سير الشمس في الحمل
وظـل تصنيفـه في النفـع مثل ضِيا | شمس الظهيرة في داج مـن السبـل
يا نِعْم شرح عباب فـــاض كوثَـرهُ | للواردين كفيض البحـر لا الوشـل
ونِعْم شـــرح لمنهـــاج بـــه شغفت | نفس الأفاضل في حـل ومرتحل » (١)

وأورد السيفي ترجمته عن منامات رُئِيَتْ له بعد مماته دلّت على عظيم منزلة ابن حجر في مجتمعه فقال : « ورُئِيَ لشيخنا رحمه الله بعد موته منامات دلَّتْ على عظيم منزلته وعلو درجته ، منها ما أخبرني به بعض تلامذته قال : رأيتُه جالسًا في المسجد الحرام يدرس كعادته ونحن حوله ، فاستشعرتُ أنه قد مات فكيف يدّرس وهو ميت ؟ فرفع رأسه إليّ قائلاً : هذه عادتنا ما نَنْساكم .

وسمعتُ بعض جماعاته أيضاً يقول ما حاصله . رأيتُ الناس يهرعون إلى الواسعة - المكان المشهور بمكة - ويقولون الشيخ ابن حجر هناك ، فذهبتُ معهم فرأيت الشيخ في تلك الفسحة العظيمة وحوله خلق لا يُحصون وعليه من الهيبة والجلالة ما يبهر العقول ، فسألتُ عن سبب جلوسه فقيل إنه يدرس في الحديث .

ورآه بعض جماعاته أيضاً فسأله عن حاله فقال : نحن في عِلّيّين .

ورأى بعض الناس رجلاً ذا مهابة على فرس بيضاء واقفاً عند قبر شيخنا فقال له : من أنت ؟ قال : السلطان سليمان جئتُ لزيارة سلطان العلماء .

ورأته بعض زوجاته في مكان عال وهو يدعوها إليه فعجزت عن الوصول لديْه . . . » (٢) .

وبعد وفاة ابن حجر وضع بعض تلاميذه ومُحبّيه مؤلفات في ترجمته وذكر فضائله منهم :

١ - تلميذه السيفي في كتابه نفائس الدرر في ترجمة ابن حجر . والسيفي هو

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ - ب) .
(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٨ أ - ب) .

أبو بكر بن محمد بن عبد الله باعمرو وهو من تلاميذ ابن حجر ، كان حَيا سنة (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٧م) . ومن كتابه نسخة بمكتبة الجمعية الآسيوية بالهند مصوّرتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة دون رقم .

٢ - وألف عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي (ت ٩٨٩ هـ/ ١٥٨١م) كتابًا في ترجمة ابن حجر وفضائله عنوانه « فضائل ابن حجر الهيتمي » ولم نعثر على نسخة منه ، « ذكره الشوكاني في البدر الطالع (١/ ٣٦٠) ولعلّ الغزي نقل عن هذا الكتاب في الكواكب السائرة (٣/ ١١٤) عندما ترجم لابن حجر في ضبط نسبة الهيتمي التي عزاها إلى عبد القادر الفاكهي » [١] .

ومما يؤكد ذلك ما رواه السيفي في نفائس الدرر عن عبد القادر الفاكهي أنه مدح الشيخ ابن حجر ببيتين [٢] .

٣ - ووضع مؤلف مجهول مناقب لابن حجر اختصرها من كتاب السيفي (نفائس الدرر) واطلعتُ على نسختين من هذا التلخيص ، إحداهما في مكتبة الحرم المكي رقم (١٤) تراجم ، والثانية في دار الكتب المصرية برقم (٢٧٤) تاريخ تيمور . وهو تلخيص لم يُضف شيئاً جديداً عمّا وزد عند السيفي .

* * *

(١) د . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص ٢٤١) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) .

خط ابن حجر

على الرغم من كثرة اطلاعي على مخطوطات مؤلفات ابن حجر ومؤلفات أبناء عصره ، فإنني لم أعثر على خطه إلا في مخطوط واحد وهو كتاب « تذكرة قطب الدين النهروالي » . وهي نسخة بخط المؤلف تفضل عليّ بنسخة مصورة منها علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر شكر الله سعيه .

فقد ذكر قطب الدين النهروالي في تذكرته هذه قصة الخلاف حول إعادة بناء سقف الكعبة في ورقة (١٦ - ١٧) وذكر فيها موقف الشيخ ابن حجر من المسألة وتأليفه في ذلك .

ثم قدم النهروالي نسخة تذكرته إلى شيخه ابن حجر ، فكتب بخطه له نَصا بيّن فيه موقفه المشار إليه .

وقد أكد لنا قطب الدين صراحة أن هذا الخط هو خط ابن حجر بقوله : «وهذا خطه متع الله بحياته » وهو ما نجده واضحاً في الصورة التالية .

صريحاً وإشارة وصمم على جواز تغيير هذه الأخشاب
المكسورة وإزالة الخلل الواقع بالبيت وهذا خط [illegible]

الحمد لله

فائدة قال المحب الطبري
وناهيك به جلالة وإمامة في كتابه استقصاء
البيان في مسألة الشاذروان بعد ذكره
حديث عائشة رضي الله عنها في هدم الكعبة ما نصه
ومن خطه نقلت ومدلول هذا الحديث تصريحاً
وتلويحاً أنه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية
أو حاجية أو مستحسنة انتهى وبه تندفع
آراء اضطربت في ذلك لما أريد إصلاحها سنة تسع
وخمسين وتسعمائة ولم يتحصل أربابها على شيء والحمد لله وحده

السطران الأولان بخط قطب الدين النهروالي .

والنص الذي بعدهما بخط ابن حجر المكي وهو :

« الحمد لله . فائدة . قال المحب الطبري وناهيك به جلالة وإمامة في كتابه استقصاء البيان في مسألة الشاذروان بعد ذكره حديث عائشة رضي الله عنها في هدم الكعبة ما نصه ومن خطه نقلت ، ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً أنه يجوز التغيير في الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة . انتهى . وبه تندفع آراء اضطربت في ذلك لمّا أُريد إصلاحها سنة تسع وخمسين وتسعمائة ، ولم يتحصل أربابها على شيء . والحمد لله وحده .

الفصل الثاني
مؤلفات ابن حجر في غير التاريخ

- في الحديث
- في الفقه
- في العقيدة
- في الأخلاق
- في النحو
- في الأدب
- في الفلك

مؤلفات ابن حجر في الحديث

١ - فتح الإله ، في شرح المشكاة .

٢ - الفتاوى الحديثية .

٣ - فتح المبين ، لشرح الأربعين .

٤ - الإيضاح والبيان ، لما جاء في ليلة النصف من شعبان .

٥ - إلصاق عرر الهوى والهوس .. لم يفهم الاضطراب عن أنس .

٦ - الأربعون حديثاً في الجهاد .

٧ - الأربعون حديثاً في العدل .

٨ - زوائد على سنن ابن ماجه .

٩ - مؤلف في ختم البخاري .

١٠ - جمر الغضا ، لمن تولّى القضا .

١ - فتح الإله، في شرح المشكاة :

هو شرح لكتاب في علم الحديث عنوانه « مشكاة المصابيح » مؤلفه محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة (٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م) [١] فرغ من تأليفه سنة (٧٣٧ هـ/ ١٣٣٦م) وهو كتاب كمّل فيه كتاب مصابيح السنّة للبغوي، وذَيَّلَ أبوابه.

وطُبع كتاب « مشكاة المصابيح » مرتَّيْن بروسيا سنة (١٨٩٨م و ١٩٠٩م) . وطُبع بالهند ستّ طبعات أقْدمها سنة (١٢٧٠ هـ) ، وتُرجم إلى اللغة الإنجليزية، وطبع بالهند سنة (١٨٠٩م) [٢] .

أما شرحه الذي ألّفه ابن حجر ، فقد أحال عليه ابن حجر نفسه في كتابه الصواعق المحرقة في الرد على أهل الضلال والزندقة (ص ١١٥) [٣] ؛ كما أحال عليه في كتابه الجوهر المنظم (ص ٦٧) ؛ وفي كتابه الإفادة لما جاء في المرض والعيادة (ص ٢٦) [٤] . ونسبَهُ له تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) . وقال عنه : إنه لم يتمّ بل قارَب نصفها . ونسبه إليه أيضاً العيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) ، وفي إيضاح المكنون (١/ ٧٧) ، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٣) .

ووضح السيفي [٥] أن ابن حجر كان يدرّس كتاب المشكاة في رمضان بالمسجد الحرام بلا مطالعة ، وكان يحضر الدرس كثيرٌ من الخواص والعوام .

وقد ألّف ابن حجر كتابه هذا استجابة لطلب علماء ما وراء النهر له في سنة أربع وخمسين وتسعمائة (٩٥٤ هـ/١٥٤٧م) بوضع شرحٍ لكتاب « مشكاة الأنوار) للتبريزي يوضّحه ويبَسّطه فيه ، فأجاب لذلك وقدَّم دراسةً وافية تعرّض فيها لتصحيحات المتن والإسناد .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ١٦٩٩) ، الزركلي : الأعلام (٦/ ٢٣٤) ، كحالة: معجم المؤلفين (١٠/ ٢١١) .

(٢) سركيس : معجم المطبوعات (ص ٦٢٧ ، ٦٢٨) .

(٣) طبعة سنة (١٣٨٥ هـ) . (٤) طبعة بيروت .

(٥) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٧ أ) .

أوله : « الحمد لله الذي جعل قلوب أوليائه مشكاة لأنوار معرفته ، وشرح بأسرار السنة صدور أحبابه ففازوا بعظيم وراثته وصفاهم عن شوائب السوء لما أخلصوا . . . وإنّ مِنْ اجْمع ما أُلّف في تلك الفنون على الأبواب وأنفع ما يتخلله في ذلك أولوا الألباب كتاب مشكاة الأنوار للعلامة المحقّق ولي الله محمد ابن عبد الله التبريزي الشافعي ، رحمه الله وشكر سعْيَهُ ، لَجمْعه ما في مصابيح السُّنّة وزياداته وتهذيبه وتخريج أحاديثه مع فوائد وتتمّات . . . فمن ثَمَّ ألحَّ عليّ في موسم سنة أربع وخمسين وتسعمائة (٩٥٤ هـ/١٥٤٧م) بمكة المعظمة بعض أكابر فضلاء ما وراء النهر وصلحائهم ، وعين أعيان مُحَقّقيهم وعلمائهم في أنْ أشرحَهُ شرحاً وسيطاً ، لا وجيزاً ولا بسيطاً ، ليعمّ الانتفاع به ، وتواصل الخيرات في الداريْن بسببَه . . . إن الخوض فيه ليس بالهوينا لا سيما التعرض لتصحيحات المتن والإسناد ، إذ لم يعوّل أحد منهم (من الشارحين للمشكاة قبْلَه) على ذلك ، مع أنه الأحقّ بالعناية في جميع الأحوال والمسالك ، لتوقّف الاستدلال بالحديث على العلم بصحته وحُسْنه ، إلا في الفضائل فإنه يُكتفَى فيها بالضعيف غير الشديد الضعف بإجماع مَن يُعْتَدّ به في عِلْمه وَقَتِّه . وسمَّيْتُه « بفتح الإله ، في شرح المشكاة » . وأنا أسأل الله وأتوسّل إليه أنْ يُيَسَّر لي إكماله » .

آخره : « فإنّ خير هذه الأمة أكثرها نسباً - يعني النبي ﷺ- هذا آخر ما وصل إلينا في أصل المكتوب هذه النسخة مِن كلام العالم العلامة ، الحبْر البَحْر الفهَّامة، شيخ المحققين ، ومفيد الطالبين . . . ، الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي » .

اطلعتُ على نسخة من المخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣٥٤) حديث ، عدد أوراقها (٥٩٤) ورقة ، نسخت في شوال سنة (١٠٩١ هـ/ ١٦٨٠م) على يد محمد الجوجري .

٢ - الفتاوى الحديثية :

ذكره مرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٤) ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٣٣٩) ، وسركيس في معجم المطبوعات (ص ٨٣) ، ودائرة المعارف الإسلامية المترجمة (١/ ١٣٤) .

جمعها أحد تلاميذه وقال عنها في مقدمتها : « هذه فتاوى حديثية ، وهي ذيل للفتاوى الفقهية لشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي » .

وهي عبارة عن مجموعة فتاوى لأسئلة عُرِضت على ابن حجر فأجاب عليها ولم يجمَعْها هو ، إنّما جمعها له تلميذه هذا ولا نعرف اسمه ، وقد يكون هو الذي جمع له فتاويه الفقهية وترجَمَ له في مقدّمَتِها .

ولقد ذكر تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، أن لابن حجر فتاوى فقهية ولم يذكر له فتاوى حديثية .

وأحال ابن حجر في إجابته على سؤال ورد عليه في الفقه فقال : « وهو مسطر في الفتاوى فلينظره من أحبّ الوقوف عليه » . وهذا ما يجعلنا نرجح أنّ الفتاوى الفقهية جُمعت في عهده ، أما فتاويه الحديثية فيغلب على الظن أنها كُتبتْ في حياته ، وأنها جُمعتْ على هذا النمط من الترتيب بعد وفاته من قِبَل أحد تلاميذه ، وبدأها تلميذه بقوله : « أما بعد : فهذه خاتمة من المسائل المنثورة التي ليس لها تعلُّق بباب من الأبواب السابقة » وقوله : الأبواب السابقة يُشير إلى أنه وضعها في نهاية أبواب المسائل الفقهية (١) .

وفتاوى ابن حجر الحديثية منها ما كتَبها هو بنفسه إذ يقول فيها : « وسئلتُ . . فأجبتُ بقولي » ولكن أكثرها مِن تسجيل تلميذه وتدوينه لها في حياة شيْخه ، إذ يقول : « وسُئِل نفعنا الله به . . . فأجاب رضي الله عنه بقوله » ، أو « فأجابَ فسَح الله في مدَّته » .

أما عن منهج ابن حجر في فتاويه هذه ، فإنه اعتمد في إجاباته عمَّا يُعرض عليه من مسائل على الأحاديث الصحيحة مِن كُتُب الصحاح ، وعلى علماء الحديث الحُفَاظ أمثال الترمذي (٢) ، والقرطبي (٣) ، وابن عدي ، والبيهقي (٤) ، والطبراني (٥) وغيرهم كثير .

---

(١) طُبعت الفتاوى الكبرى الفقهية في ٤ أجزاء منفصلة . انظر الفتاوى الفقهية في الفصل الخاص بمؤلفات ابن حجر في الفقه .

(٢) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١) .

(٣) نفس المصدر (ص ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٥) .

(٤) نفس المصدر (ص ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ٣٥) .

(٥) نفس المصدر (ص ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ٣٧) .

وأحال ابن حجر على كتب حديثية كثيرة مثل فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني [١] ، والطبراني في الأوسط [٢] وغيرها - كما اعتمد على مصادر كثيرة من كتب السيرة والتاريخ والتراجم ، من بينها سيرة ابن إسحاق [٣] ، وتاريخ ابن عساكر [٤] ، وإنباء الغمر لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني [٥] ، ومصادر أخرى يطول الحديث عنها .

واختلفت موضوعات الفتاوى بحسب الأسئلة المعروضة عليه ، لذا لم تكن مُرتبة على فصول متشابهة أو نقاط متتابعة ، إنما كانت عبارة عن إجابات على أسئلة مطروحة في مختلف نواحي الحياة من دينية واجتماعية ، ووقع في إجاباتها الاستدلال بالأحاديث الشريفة .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب اشتهر بعنوان الفتاوى الحديثية ، فإنَّه يشتمل على عدد كبير من الفتاوى التي تناولتْ موضوعات غير موضوعات الحديث كالتفسير والقراءات [٦] ، وأصول الدين والعقيدة [٧] ، وأصول الفقه [٨] ، والنحو والبلاغة [٩] ، والأخلاق والسيرة [١٠] ، والشمائل [١١] وغيرها . ولكن تسمية الكتاب بالفتاوى الحديثية ، يعود إلى كونه عرض في غالبه الفتاوى المتعلقة بالحديث وأحكامه وتفسيره ومجالات الاستشهاد به .

طُبع الكتاب عدة مرات بمصر أولها سنة (١٣٠٧ هـ) وسنة (١٣٢٨ هـ) وسنة (١٣٢٩ هـ) . وله طبعة جديدة مصورة سنة (١٤٠٩ هـ/١٩٨٩م) مطبعة مصطفى الحلبي - مصر .

---

(١) نفس المصدر (ص ١٩) .
(٢) نفس المصدر (ص ٣٧ ، ٥٧) .
(٣) نفس المصدر (ص ٥٥) .
(٤) نفس المصدر (ص ٢١ ، ٧١) .
(٥) نفس المصدر (ص ٢١) .
(٦) ابن حجر : الفتاوى الحديثية (ص ٢٢٤) وما بعدها .
(٧) نفس المصدر (ص ١٩٧) .
(٨) نفس المصدر (ص ٢٢٢) .
(٩) نفس المصدر (ص ١٩٢ - ١٩٧) .
(١٠) نفس المصدر السابق (ص ٥٥ ، ١٣١ ، ١٧٧ ، ٢٧٢) .
(١١) نفس المصدر (ص ٤ ، ١٥ ، ٢٢١ ، ٢٧٩) .

٣ - فتح المبين لشرح الأربعين :

هو شرح للأربعين النووية المشهورة ، والتي جمعها الإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م) وهي أربعون حديثاً مشتملة على أصول الشريعة وفروعها وأحكامها ، حتّى قال عنها العلماء بأن مدار الإسلام عليها ، والتزم فيها الإمام النووي بأن تكون صحيحة ، فمعظمها من صحيح البخاري ومسلم . ولقد اعتنى العلماء بعده بحفظها وشرْحِها . وممن شرحها الإمام ابن حجر الهيتمي [١] .

ونسب هذا الشرح لابن حجر كلٌ من : تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) ، وحفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس ، ورقة (٢٨ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٣٣٩) ، وسركيس في معجم المطبوعات (ص٨٣) ، والزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) .

سلك ابن حجر مسلك الكثير من العلماء الذين شرحوا الأربعين للإمام النووي ، فوضع عليها شرحاً يُبيّن أحكامها ويُعَرّف برواتها ويوضح غريبها . وشرع في مؤلفّه هذا وسماه « الفتح المبين ، بشرح الأربعين » سار فيه على المنهج التالي :

- يورد الحديث كاملاً ثم يشرع في تفصيل كل ما يتعلّق به .
- يُخَرّج الحديث من مختلف الكتب الصحيحة ويُبيّن درجته من الصحة .
- يُتَرجم للصحابي الذي روى الحديث ترجمةً مفصَّلة في كثير من الأحيان .
- يشرح ألفاظ الحديث ويضبطها ويبيّن معانيها وإعرابها .
- يوضح آراء العلماء وأقوالهم في شرح الحديث .
- يُبين ما يُستنبط من الحديث من أحكام عقدية وفقهية .
- يجعل تخريج الحديث هو آخر مرحلة في شرحه ، وفيه يذكر ترجمة لمن أخرجه كالبخاري ومسلم والنيسابوري وغيرهم .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٥٩ ، ٦٠) .

- يُشير في تخريج الحديث إلى الكتاب والباب الذي ورد فيه .

وافتتح ابن حجر شرحه بقوله : « الحمد لله الذي وفق طائفة من علماء كل عصر للقيام بأعباء الأحاديث والسُّنَن ، وميّزهم على مَن سواهم بسلوكهم أوضح المحجة وأقوم السَّنَن . . . أما بعد ، فإنّ الأربعين التي خَرَّجها الشيخ الإمام ، والصدّيق الهمام . . . محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي. . . لما كانت أحاديثها من جوامع كَلِمه ﷺ المشتملة على أبلغ المعاني وأحكم المباني حتى وصف أكثرها بأنّ عليه مدار الإسلام وابْتِنَاء أكثر الأحكام ، كانت حقيقة بأن يُعْتَنَى بها حفظاً وتعليماً ، وتَفَهُّماً وتَفْهيماً ، فلذا عَنَّ لي أنْ أكتب عليها شرحاً يُعَرِّف رواتها ويُبين أحكامها ويوضّح غريبها ويُعْرب مُشْكلها ويشير إلى بعض ما يُستنبط منها مِن الأصول والفروع والآداب مع إيثار الإيجاز ومُجَانَبَةِ الإطناب .

والله أسأل أن ينفع به ، وأن يبلغني كل مأْمُول بسببه ، إنه بكل خير كفيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وسمّيْتُه « الفتح المبين بشرح الأربعين » .

وقد وضع حسن المدابغي حاشية على شرح ابن حجر ، وطبع الكتاب سنة (١٣٠٧ هـ) ، واطلعتُ على طبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وليس عليها تاريخ الطبع ، وبأسفله حاشية المدابغي المذكورة أعلاه .

٤ - الإيضاح والبيان لما جاء في ليلة النصف من شعبان :

نلاحظ أولاً أن موضوع هذه الرسالة الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، وهو من الموضوعات التي اختلف العلماء في حكمها وجوازها ، فقد اعتمد القائلون بجواز هذا الاحتفال على الآية الكريمة ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ (١) وعلى أحاديث نسبت لرسول ﷺ .

والذي عليه أغلب علماء السلف ، أن هذه الآية ليست خاصة ولا دالة على ليلة النصف من شعبان ، فليس فيها تصريح بذلك ، أما الأحاديث فقد أثبتوا أنها غير صحيحة ولا معتمدة ، ولم يثبت نص دال على أن النبي ﷺ ولا السلف الصالح من الصحابة والتابعين احتفلوا بها ، وعلى هذا الأساس أصدرت اللجنة

---

(١) سورة الدخان : الآية (٤) .

الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فتوى قررت فيها أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان من البدع وبينت رأي الشرع فيها [١] - وتأليف ابن حجر الهيتمي في موضوعها يعد من المآخذ عليه .

وبما أن المؤلف تناول في رسالته هذه كثيراً من الأحاديث التي اعتمدها وناقشها تحدثنا عنها ضمن مؤلفاته الحديثية .

أحال ابن حجر نفسه على رسالته في كتابه « كفّ الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » (ص ٢٩٣) [٢] . ونسبه له تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥أ) ، واللكنوي في الفوائد البهيّة (ص ٢٤١) .

وذكر ابن حجر في سبب تأليفه لهذا الكتاب ، أنّ أحدَ أصدقائه من العلماء طلَب منه وضع تأليفٍ في بيان فضل ليلة النصف من شعبان وآراء العلماء فيها ، فأجابه إلى طلَبِه ووضع هذا التأليف الذي لم يستغرق منه سوى يوماً واحداً ، فقد بدأه في الثاني عشر من شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) وفرغ من تصنيفه عصر الجمعة المبارك ثالث عشر شعبان من نفس السنة . ورتَّبه على مقدمة وبابين وخاتمة : اشتملت المقدمة : على تفسير قوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [٣] وناقش اختلاف المفسرين في معناها والمقصود منها .

والباب الأول : في فضائل ليلة النصف من شعبان ، وأخْرج الأحاديث الواردة في ذلك وناقش مدى صحتها . وجعل لنهاية هذا الباب خاتمة أورد فيها أعظم الذنوب عند الله كالشرك وقتل النفس والزنا وعقوق الوالدين وغيرها .

والباب الثاني : في كلام الناس واختلافهم في إحياء ليلة النصف من شعبان وأورد آراء الفقهاء في ذلك .

---

(١) الدويش : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/ ٤٣ - ٥٢) ، الفتوى رقم (٢٢٢٢) .

(٢) المطبوع في ذيل الزواجر عن اقتراف الكبائر .

(٣) سورة الدخان : الآية (٤) .

أما الخاتمة : فناقش فيها أحاديث موضوعة وردتْ في صلوات في أوقات معيَّنة وبطريقة معيّنة . ووضح بُطلان ذلك .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، الحمد لله الذي امْتَنَّ على هذه الأمة المرحومة بفضائل لم يُؤتِها لغيرهم وقرَّبَهُم من حضرته ، وأعلمهم بأوْقات تنزيلات عظائم رحمته . . .

وبعد ، فقد سألني ثاني عشر شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) مَن حملتْني مصادقَتُه ومُحالفته ، ولم تسَعْني مُفارَقته ومخالفَتُه ، لِما أنّه جمع فضيلتَيْ النسب والولاية ، وحِلْيَتَيْ المعرفة والهداية ، وفَرَّق بنور بصَر بصيرته بين الحق والباطل ، وزيّن المعارف والفضائل بما منحه الله به من العلوم والفواضل ، أن أضع تأليفاً لطيفاً وأُنموذجاً موجزاً شريفاً في فضائل ليلة النصف من شعبان ، وما للعلماء فيها من الحجة والبرهان ، والإيضاح والبيان، فأجبته إلى ذلك ملتمساً منه دوام الدعاء لي ولذريتي بجوامع الخَيْرات وكذا مِن كل من انتفع بكتابي هذا وما فيه من الفضائل والميزات . . . وها أنا أشرع في المقصود بعون الملك المعبود ، فأقول :

اعلم وفَّقَني الله وإياك لمرضاته ، ويَسَّر لنا أجمعين الرقيّ إلى معالم معارفه وطاعاته ، أنّ هذه الليلة - أعني ليلة نصف شعبان - جاء فيها أحاديث شريفة ، وآثار عن السلف مُنيفة ، فيها آية جليلة أعْربتْ عن علو قدرها وأنافة فضلها . فلذلك رتَّبْتُ الكلام فيها على مقدمة وبابين وخاتمة » .

آخره : « قال مؤلفه رحمه الله تعالى رحمة واسعة : كان الفراغ مِن تصنيفه عصر الجمعة المبارك ثالث عشر من شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م)، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » .

اطلعتُ على نسخة مصورة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٤٥٤٥) وهي نسخة في الخزانة العامة بالرباط رقم (٣/ ١٨٨٣د) تَقَع في ٢٨ ورقة .

٥ - إلصاق عُرر الهوى والهوس ، المضللة بمن غوى عن عُرر الهدى حتى لم يفهم الاضطراب عن أنس ، في حديث البسملة :

ذكره السيفي في نفائس الدرر (٣ أ) ، وذكر ابن حجر في سبب تأليفه لهذا

الكتاب أن أحداً قال عنه إنه ذكر في درسه بالمسجد الحرام أنّ أنَس بن مالك حصل له في آخر عُمُره خرف أوْجب الإعراض عن روايته ، وهذا كَذب محْض، وإنما الذي ذكره هو ما صرح به الأئمة أنّ حديث البسملة عن أنس وقع فيه اضطراب عنه أوجب الحرص في الأخذ منه .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم : ربّ أعِنْ أحمدك اللهم أن حفظتَ هذه الشريعة الغرّاء ، الواضحة البيضاء ، بأفراد كل عصر استخلفتهم عن أفضل خلقك ، القائمين بأحكامك وحقّك ، ليفرغوا أواسع جهدهم في حماية سنته عن تحريف الجاهلين . . . » .

آخره : « خاتمة : حاصل نص هذه المسألة الذي وقع هذا التأليف بسببه ، أنّ أنَساً هل خَرَف أوْ لا ؟ وعلى الأول : كيف حدّث الناس عنه إلى موته ؟ . . . ويُستفاد أنّ الذي سبَق في الروايات أنه رضي الله عنه حصل بعضِ خَرَف لقوله : « لا أحفظ في هذا شيئاً » ، « إنّك لتسألني عن شيء ما أحفظه وما سألني عنه أحد قبلك كَبُرْتُ ونسيتُ » ، وغير ذلك من الروايات التي سبَقَتْ ، مع أنه هو الراوي بخلاف جميع ما أنكره كما مرّ ذلك كله مبسوطاً . وهذا هو عين الخَرَف المعبّر عنه بالنسيان تارة والذهول أُخرى . وإنما روى الناس عنه إلى قريب موته لأنَّه الأصحّ كما مرّ عنه أئمة الحديث والفقه والأصول وغيرهم أنّ نحو النسيان والذهول لا يؤثّر في الرواية عمّن حصل له إلا إذا أكْثَر بحيث تزيد أكثر أوقاته على أوقات حُضُوره ، وحينئذ ظَهَر أنّ الرواية عن أنس صحيحة . وأن ماوقع له لم يؤثر في مرويه بوجه ، لأنه كان شيئاً قليلاً جدا فلهذا لم ينظر إليه العلماء الآخذون عنه . . . وأنّ رسول الله ﷺ توفّي وهو عنه راضٍ ، بل خصَّه بخصوصيات لم يتحفْ بها أحدًا غيره ، كما هو مذكور في تراجم الصحابة رضوان الله عليهم .

والحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله حمدًا يوافي نعمه . . . » .

اطلعت منه على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم حديث تيمور (٤٤٥) عدد صفحاتها (١٦٧) صفحة تم نسخها سنة (١٠٧٩ هـ) .

٦ - **الأربعون حديثاً في الجهاد :**

نسبَها إليه تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٣٣٩) .

٧ - **الأربعون حديثاً في العدل :**

نَسَبها له تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) وذكر أنه لقَّبها «الفضائل الكاملة ، لذوي الولايات العادلة »، وذكرها أيضاً حاجي خليفة في كشف الظنون (١/ ٥٧) وسمّاها الأربعين العدلية ووضح أن ابن حجر جمَع فيها بأسانيده ما يتعلَّق بالعدل والعادل وأهداها إلى السلطان سليمان خان ، كما أسندها إليه الكتاني في فهرس الفَهارس (ص ٣٣٩) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) .

٨ - **زوائد على سنن ابن ماجه :**

نسبَه إليه البغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) .

٩ - **مؤلف في خَتْم البخاري :**

نسبَه له تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) وقال : « لكنَّه مفقود » .

١٠ - **جمْر الغضا ، لمن تولى القضا :**

ذكره ابن حجر نفسُه في كتابه الإعلام بقواطع الإسلام (ص ١٧) (١) ، وفي كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٨٧) (٢) . كما نسبه إلى ابن حجر السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص٣٣٩).

ولم نعثر على نسخة من هذا الكتاب، وإنما أورد المؤلف نَصَّين يدلُّنا فيهما على محتواه وموضوعه، حيث قال في كتابه الإعلام بقواطع الإسلام (ص١٧): «ولَمَّا أن كان غالب قضاة زمننا بلغوا إلى ما لم يبلُغْه غيرهم، صنَّفتُ كتاباً في قبائحهم وصدّرتُه بأربعين حديثاً فيه مزيد الذم وتشديد الوعيد على أكثر القضاة . وسَمَّيتُه:

---

(١) ابن حجر : الأعلام ، طبعة بيروت سنة (١٤٠٧ هـ) .

(٢) ابن حجر : الزواجر ، طبعة القاهرة سنة (١٣٩٨ هـ) .

« جمْر الغضا ، لمن تولّى القضا » . وأما في كتابه الزواجر فقد قال : « وقد أفْرَدْتُ قضاة السوء بتأليف مستقل سمَيْتُه « جمْر الغضَا ، لمن تولّى القضا » وذكرتُ فيه مِن أحوالهم الفظيعة الشنيعة ما تمجُّه الأسماع وتستنْكِرُه الطباع لما أن الجراءة على فعلِه توجِب القطْع واليقين ، بأنهم ليْسوا مِن المتقين ، بل ولا من المسلمين » .

والنصّان يدلان على أن الكتاب احتوى في أوله على أربعين حديثاً فيها ، التشديد على الظلم الصادر من القضاة وسوء سلوكهم ، كما أنه أورد فيه أحوالا شنيعةً مِن أعمال القضاة وفَساد تَصرُّفِهم وخروجهم عن جادة الحق .

* * *

مؤلفات ابن حجر في الفقه

١ - الفتاوى الفقهية الكبرى .
٢ - حاشية الإيضاح في المناسك .
٣ - مختصر الإيضاح في المناسك .
٤ - الشرح الكبير لكتاب الإرشاد في فروع الشافعية .
٥ - شرح الإرشاد = الإمداد .
٦ - شرح الإرشاد = فتح الجواد .
٧ - حاشية فتح الجواد بشرح الإرشاد .
٨ - حاشية ثانية على شرحه الصغير للإرشاد .
٩ - اختصار كتاب الإرشاد .
١٠ - المنهج القويم = شرح على المقدمة الحضرمية .
١١ - الإيعاب ، في شرح العباب .
١٢ - حاشية العباب = كشف النقاب .
١٣ - شرح العباب .
١٤ - تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج .
١٥ - حاشية على شرحه للمنهاج = طرفة الفقير .
١٦ - مؤلَّفٌ في خَتْم المنهاج .
١٧ - اختصار كتاب الروض = النعيم .
١٨ - شرح مختصر الروض = بشرى الكريم .
١٩ - اختصار خادم الزركشي = تحرير الخادم .
٢٠ - التعرف ، في الأصلين والتصوف .
٢١ - شرح مختصر أبي الحسن البكري في الفقه .
٢٢ - قرة العين ، ببيان أن التبرع لا يُبْطله الدين .
٢٣ - كشف الغَيْن ، عمّن ضلّ عن محاسن قرة العين .
٢٤ - رفع الشُبه والرِّيَب ، عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النَّسَب .

٢٥ - بُطلان الدور في المسألة السريجية .
٢٦ - الانتباه ، لتحقيق عويص مسائل الإكراه .
٢٧ - تلخيص الإحراء ، في حكم تعليق الطلاق بالإبراء .
٢٨ - إصابة الأغراض ، في سقوط الخيار بالإعراض .
٢٩ - تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون .
٣٠ - شنّ الغارة ، على مَن أظْهَر معرة تقوُّله في الحنّاء وعواره .
٣١ - سَوَابغُ المدد ، في العمل بمفهوم قول الواقف : من مات من غير ولد .
٣٢ - الإتحاف ، ببيان أحكام إجارة الأوقاف .
٣٣ - الحق الواضح المقرر ، في حكم الوصية بالنصيب المقدر .
٣٤ - التحقيق ، لما يشمله الرقيق .
٣٥ - مؤلف في الحيض (الأول) .
٣٦ - مؤلف في الحيض (الثاني) .
٣٧ - مؤلف في الحيض (الثالث) .
٣٨ - إتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام .
٣٩ - مؤلَّف في الانتصار .
٤٠ - مؤلف في الخل .
٤١ - الإفصاح ، عن أحاديث النكاح .
٤٢ - الفقه الجليّ ، في الرد على الخليّ .
٤٣ - القول العليّ ، في خفض المعتلي .
٤٤ - مؤلَّفٌ في دوريات الوصية .
٤٥ - ذيل على مؤلفه في دوريات الوصية .
٤٦ - مؤلَّف في أحكام الإمامة .
٤٧ - مؤلف في شروط الوضوء .
٤٨ - أسئلة وأجوبة فيما يتعلّق بالميت .
٤٩ - مؤلَّف في أحكام الحمّام .
٥٠ - مناسك الحج .
٥١ - كشف الغين ، عن أحكام الطاعون وأنه لا يدخل البلدين .

١ - الفتاوى الكبرى الفقهية :

ذكرها وأحال عليها ابن حجر في كتابه الفتح المبين بشرح الأربعين (ص١٠٩)، فأورد عبارة « كما بينتُه في الفتاوى » . وذكرها أيضاً في نفس الكتاب الفتاوى الفقهية في مواضع عدة منها (٤/ ١٦٦) و (٤/ ١٧٦) بقوله : «ثم رأيتُني ذكرتُ في الفتاوى » . وأحال عليها في فتاويه الحديثية (ص ٨١) فقال: «وهو مسطر في الفتاوى فلينظره من أحب الوقوف عليه » .

وأحال عليها في حاشية الإيضاح في المناسك (ص٨) فقال : « وقد ذكرتُ عبارات أولئك وغيرها في الفتاوى فانظر ذلك فإنه مهم . . » . وكذلك في كتابه الصواعق المحرقة (ص ١٥٩) فقال : « كما بيّنتُه بما فيه في إفتاء طويل مسطر في الفتاوى » .

ونسبها له : تلميذه الذي ترجمه في مقدمة الفتاوى الكبرى الفقهية (١/ ٥) ، والسيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٦ أ) قال عنها : « فتاويه في مجلدات خمسة أضخمها جلداً الجامع المشتمل على علوم عديدة ونفائس فريدة » . وذكرها أيضاً مرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٤) ، وسركيس في معجم المطبوعات (ص ٨٤) ، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٣) ، وفي دائرة المعارف الإسلامية المترجمة (١/ ١٣٤) .

وهو كتاب عظيم الشأن في المسائل الفقهية ، جَمَعَهُ له أحد تلاميذه في حياته وجعل له مقدمة بيَّن فيها فضل هذه الفتاوى وأهميتها بقوله : « فَرُبَّ قضايا لا يكْشف إشكالها غير فتواه ، وأمور ينحل الحق ببيانها وينتظر جدواه ، فإنه لا سيمَا حين اتّخذ مكة وطناً ، وآثرها سكناً ، انتشر صيته في الآفاق ، فقصده الأئمة وغيرهم بالفتاوى من سائر الأقاليم المشهورة ، لما اشتهر من حديث فَضْله عندهم مِن كل طريق صحيحة مأثورة ، كمصر والشام وحَلب وبلاد الأكراد والعراقين والبصرة ونجد والحساء والبحرين واليمن والسواحل وبَرّ عجم وحضرموت والهند والسند ودلّي (يقصد الهند) وأعمالها وغير ذلك لا سيما القادمين إلى الحج من البلاد الشاسعة المهجورة .

فحين إذ رأيتُ ذلك وما يقع في خلال تلك الفتاوى من المهمّات التي لا توجد في غيرها . . . أردتُ جمع المهم فبادرتُ إلى تتبُّعها وبذلتُ فيه الجهد الجهيد ، وتفرَّغْتُ لجمعها الأزمنة الطويلة . . . فدوَّنْتُها في هذا الديوان ، ليعمّ النفع بها في سائر البلدان . . . » .

إذن لم يكن ابن حجر الهيتمي هو الذي جمع فتاويه الكبرى الفقهية ، وإنما جمعها أحد تلاميذه المحبّين له والملازمين لدروسه والعارفين بشخصيته وخصائصه ورحلاته وتآليفه وعلاقاته بأهل عصره .

ولعل الشيخ ابن حجر هو الذي كَلَّف تلميذه بهذا الشأن ورتّب له أبواب الكتاب . وقد بقي هذا الطالب الذي جمع الفتاوى غير معروف الاسم لدينا ، فلم يذكر اسمه في مقدمة الكتاب ولا في خاتمته ، ولم يذكره أحدٌ من المترجمين لابن حجر الهيتمي . والأمر الذي لا شكّ فيه أنَّ هذه الفتاوى جُمعتْ في حياة المؤلف. ذلك أن جامعها يقول في المقدمة : « وقَبْل الخَوْض في المقصود أُقَدّم شيئاً من ترجمة شيخنا ، فَسَحَ الله في مدته ونفع بعلومه » ثم إنه في نهاية الترجمة التي وضعها لشيخه لم يذكر وفاته ولا تاريخها .

وبما أن ابن حجر من الفقهاء الشافعية ، فإن فتواه جميعها كانت على مذهبه ، وهو المذهب الشافعي ، وكثيرًا ما يلجأ المفتي إلى تعضيد رأيه بأقوال كبار فقهاء المذهب وآرائهم ، لذلك نراه يعتمد أمهات كتب الفقه الشافعي ، مثل تآليف النووي والسبكي والزركشي والأسنوي والجوهري والبلقيني وابن قاضي عجلون وغيرهم من أعلام هذا المذهب .

كما رتّب كتاب الفتاوى على الأبواب الفقهية دون أن يلتزم بنظام دقيق ، فقد يتناول مسائل من البيوع داخل أبواب الأنكحة والعكس ، وقد يعقد باباً لمسائل فقهية معينة في الجزء الأول من الكتاب ويعود لنفس مواضع هذه المسائل في أجزاء أخرى منه . ويُمكننا هنا الإشارة إلى منهجية ابن حجر في البحث الفقهي من خلال كتابه الفتاوى الفقهية فنقول :

- إنه لا يقدم إفتاء في مسألة إلا بعد دراسة وتفكير وقراءة لأمهات الكتب المؤلفة في هذه المسألة ، فنراه يقول في بعض فتاويه : « قد تعقَّبْتُ وتصفَّحْتُ في هذه المسألة أياماً حتى رأيتُ في نص الشافعي - رضي الله عنه - وفي كلام

الأصحاب أنه ... » [1] أو يقول : « والذي ظهر لي فيه بعد التمهُّل أيّاماً ومزيد الكشف لبعض الكتب المتداولة، فإن جُلّها معدوم مِن قُطر الحجاز » [2].

- وهو يلتزم الدقة والأمانة العلمية وكثرة الاطلاع فيقول : « حتى لقد طالعتُ من تصانيف أئمتنا المعتبرة ما يزيد على سبعين مؤلَّفاً منها ما طالعتُه كلّه ككتاب الأشْبَاه والنظائر ، ومنها ما طالعتُ أكثره ككُتُب الفتاوى ، ومنها ما طالعتُ مواضع عديدة منه » [3] .

- ويقدم الأدلة العقلية والنقلية لتكون أساساً لما يصل إليه من أحكام فقهية فيقول : « مما قررته ووضحته وبينته وبرهنت عليه بالأدلة العقلية والنقلية ... » [4] .

- وعند اختلاف العلماء حول حكم ما يدرس أحكامَهم جميعها ويستنتج ما يراه صواباً فيقول : « فحينئذ بادَرْتُ إلى بيان ما في كل من تلك الاحتمالات ، ثم إلى ترجيح أظهرها نقلاً ، وأدقها مدركاً وعقلاً ، وما عليه منها التعويل وما هو الأَوْفَقُ بما حققوه من التفريع والتأصيل ... » [5] .

- وفي إفتائه وجوابه على المسائل التي تَرِد عليه ، يُحيل إلى أقوال كبار شيوخ الشافعية ، ليعضّد بها رأيه فيقول : « ما قاله السبكي وابنه الشيخ تاج الدين والأذرعي والزركشي وغيرهم مِن فحول المتأخرين » [6] . وفي إحالة أخرى يقول : « وهو ما أفتى به الشيخ المحقق الشمس الجوجري شارح الإرشاد » [7] .

ويقول أيضاً : « ما قال به جَمْعٌ متأخرون كالأسنوي والأذرعي والزركشي» [8] .

- ويعتمد على أمهات كُتُب الفقه الشافعي في أحكام فتاواه منها مثلاً : حواشي الروضة لجلال الدين البلقيني ، والكمال المرداد وشرحه على الإرشاد ، والأذرعي في المتوسط ، والزركشي في الخادم ، والفارقي في فوائد المهذب ، والرافعي في الشرح الكبير، والنَّووي في مناسكه، وفتاوى ابن الصلاح، وفتاوى البغوي، وفتاوى البلقيني، والسبكي في فتاويه، وأبو زرعة في فتاويه، وغيرهم.

(1) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٤/ ٢٠١) .
(2) المرجع السابق (٢/ ٢٤٢) .
(3) المرجع السابق (٤/ ٣٢٧) .
(4) المرجع السابق (٤/ ٢٢٨) .
(5) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ١٣٣) .
(6) المرجع السابق (٢/ ٧٨) .
(7) المرجع السابق (٢/ ٧٩) .
(8) المرجع السابق (٢/ ٢٣٢) .

- ويُحيل كثيراً إلى مؤلفاته العديدة المتعلقة بالقضية المطروحة .

واشتمل كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر الهيتمي على عدد هام من تآليفه ، وقد أحصيتُها فبلغت أربعة عشر مؤلفاً ، أذكرها في مواطنها من هذا المؤلَّف إن شاء الله .

وطُبِع كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية بالقاهرة ، المطبعة الميمنية بإدارة أحمد البابي الحلبي سنة (١٣٠٨ هـ) في ٤ مجلدات . وأعيد طبعه مصوراً بدار الكتب العلمية بيروت سنة (١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م) ، وبهامشه فتاوى شمس الدين الرملي .

ولقد اختصر كتاب الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر هذا أحمد بن عبد الرحمن بن سراج الحضرمي (ت ١٠١٨ هـ/ ١٦٠٩م) اختصرهُ في مجلد واحد . ذكر ذلك كل من الشلّي في عقد الجواهر والدرر (ص ٨٤) ، وأمين الميرغني في تنزيل الرحمات ، في أخبار سنة (١٠١٨ هـ) من الجزء غير المرقم الورقات ، والمحبي في خلاصة الأثر (١/ ٢٣٣) .

٢ - حاشية الإيضاح في المناسك للإمام النووي = منح الفتاح بكشف حقائق الإيضاح :

الإيضاح في المناسك هو مؤلَّف مشهور للإمام محيى الدين يحيى النووى (ت٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م) لخَصَ فيه كتاب ابن الصلاح الشهرزوري في المناسك وزاد عليه » [١] .

ووضع ابن حجر حاشية على الإيضاح في المناسك هذا [٢]. وأشار إليه عندما أحال عليه في كلٍ من كتابه الفتاوى الفقهية في عدة مواضع منها (١/ ١٢٤) فقال : « كما بيَّنتُه في حاشية مناسك النووي » (١/ ٢٣١ ، ٢/ ٩٢ ، ٩٩ ، ١١٢ ، ١٢٨ ، ٤/ ٢٥٤) ، وأحال عليه أيضاً في كتابه الفتاوى الحديثية (ص ٥٠) ، وكتابه الفتح المبين بشرح الأربعين (ص ٥٤) ، وذكره ابن حجر في مقدمة مختصر الإيضاح (ص ٢) ، وكذلك في كتابه الجوهر المنظم (ص ٣ ، ٣٢ ، ٦٤) .

ونسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) وقال : « له حاشية الإيضاح

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٢١٠ ، ١٨٣٣) .
(٢) طبعة سنة (١٣٣١ هـ) - المطبعة الخيرية .

المسماة منح الفتاح بكشف حقائق الإيضاح » ونسبَه له أيضاً ، مرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، وسركيس في معجم المطبوعات (ص ٨٢) .

وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم ، ورقة (١٢ أ ، ٢٣ أ ، ب) كما اعتمده علي بن عبد القادر الطبري في كتابه الأرج المسكي في التاريخ المكي (ص ٢٦) [1] .

تناول ابن حجر في حاشيته هذه جميع ما يتعلق بمناسك الحج من قضايا وناقش كل قضية وما يقع فيها من خلاف بين العلماء ، كقضية مرتبة الحج بين العبادات وأنه تكفير للذنوب ، واستعرض آراء العلماء في الأحاديث الواردة فيه . وكقضية أحكام الصلاة في السفر والقصر والجمع والنية بهما واختلاف العلماء في أحكام ذلك . وأحكام الطواف وطريقته والمبيت بمنى .

واعتمد ابن حجر على كبار العلماء في دراسته هذه منهم :

الحسن البصري ، والمحبّ الطبري ، والعز بن جماعة ، والغزالي ، والشافعي ، والزركشي ، والأزرقي ، والأذرعي ، والتقي الفاسي . وغيرهم كثير .

أوله : « الحمد لله الذي عظّم شعائر بيته الحرام ، بما أوْجَبه على الكافة من إحياء معالمه بالزيارة إليها في كل عام ، وجعلَه محلّ تنزلات رحماته ، . . . وبعد ، فهذا ما اشتدّتْ إليه حاجة المتفهمين لإيضاح الشيخ الإمام والصديق الهمام محيى السنة والدين . . . (النووي) . . . من تسويد تعليق لطيف يتمّم مفاده ، ويبين مراده ويحقق أكثر مسائله ، ويحرر بعض دلائله ، ويزيّف ما أورد عليها مما لا يُستحْسَن ويجيب عنه كالإمام الرافعي - رضي الله عنهما وجزاهما عن أهل المذهب خيراً - حيث أمكن ، فقصدتُ إلى ذلك . . . ومقتصرًا على أحسن ما يُشار إليه ، ومفاد ما يحتاج للتّنبيه عليه . . . » .

آخره : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً . . . » .

ألّف ابن حجر كتابه هذا قبل سنة (٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦م) في مدة إقامته بمصر وقبل قدومه على مكة . وقد دلنا على ذلك ما ذكره المؤلف بنفسه في مقدمة كتابه

---

(١) تحقيق محمد الطاسان .

مختصر الإيضاح حيث ذكر أنه ألّف المختصر سنة (٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦م) عند شروعه في أسباب الحج ، وذكر أنه ضمّ إلى المختصر كثيراً من حاشيته على الإيضاح . وقد ورد في نهاية طبعة حاشية الإيضاح ما نصه : « (قال مؤلفه) فرغ من تحريره غروب شمس ثامن ذي الحجة سنة ٩٧٩ هـ/ ١٥٧١م) .

والظاهر أن هذا خطأ لا شك فيه ، فإن هذا التاريخ المذكور هو بعد وفاة ابن حجر التي كانت سنة (٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م) بالإضافة إلى ما ذكرناه أعلاه من ثبوت تأليفه للحاشية قبل سنة (٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦م) . والراجح أن نص التاريخ كتبه الناسخ لا المؤلف .

اطلعتُ على نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم (٩١٣) فقه شافعي ، عدد أوراقها (٣٠٠) ورقة ، نُسختْ سنة (١١١٢ هـ/ ١٧٠٠م) بخط رديء .

وطبع الكتاب عدّة طبعات بعنوان حاشية العلامة ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج للإمام النووي ، وفيه متن الإيضاح للإمام النووي . وفي ذلك خطأ واضح ، لأن هذا الكتاب هو حاشية على الإيضاح في المناسك وليس حاشية على شرح الإيضاح كما جاء في عنوان الكتاب المطبوع .

له طبعات متعددة منها طبعة مطابع الإسلام - عابدين (١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م) نشر المكتبة السلفية بالمدينة .

وطبعة أخرى مصحّحة ومنقحة بمراجعة الأستاذ محمود غانم غيث .

والطبعة الثالثة لم يذكر فيها تاريخ الطبع ولا مكَانَه .

والطبعة الرابعة سنة (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م) نشر محمد صالح البار - المكتبة السلفية بمكة المكرمة .

٣ - مختصر الإيضاح :

اختصر فيه ابن حجر كتاب الإيضاح في المناسك للإمام النووي ، ويبدو من مقدمة الكتاب ونهايته أنه بدأ بتأليفه سنة (٩٣٣ هـ/ ١٥٢٦م) وأنهاه سنة (٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م) [1] .

ذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) وقال عنه : « لكن الموجود منه

---

(١) ذكر الونائي في كتاب عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار (ص ٢) . أن عبد الرؤوف الزمزمي تلميذ ابن حجر شرح هذا المختصر .

غير تام ، فُقد أعواماً ثم وُجد في تركة بعض الأكابر » . وذكره العيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي أَحْيَا معالم بيته الحرام، بما أوجبه من زيارتها على الكافة في كل عام ، وجعله محلاً لتنزلات الرحمة وملجأ للخلوص من ربق الآثام . . . وبعد ، فهذا كتاب اختصرتُ فيه الإيضاح لقطب دائرة العلم والولاية شيخ الإسلام والمسلمين محيي الدين يحيى النووي . . وضممتُ إلى ذلك كثيراً من حاشيتي التي كتبتُها على إيضاحه ومن روضته ومجموعه وغيرها مما يتحقق به لمن أمعن النظر في ذلك غاية رشده وفلاحه ، وقصدتُ إلى ذلك عند شروعي في أسباب الحج سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) .

آخره : « هذا آخر ما أردناه ، وتمام ما قصدناه ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً . . . قال مؤلفه - رحمة الله عليه - : وافق الفراغ من تأليفه يوم الاثنين ثالث عشر شوال سنة أربعين وتسعمائة (٩٤٠ هـ/١٥٣٣م) » .

من هذه الخاتمة نَسْتَبين أنّ الكتاب كامل ، وأن ما ذكره السيفي من كونه غير تام ربما يعود إلى أنه لم يطلع على نسخة تامة منه .

طُبع مختصر الإيضاح بهامش كتاب عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار ، للشيخ علي الحسني الونائي الشافعي . طبعة قديمة لم يذكر عليها تاريخ الطبع ، اطلعتُ عليها بدار الكتب المصرية .

وقد اطلعت على مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (١٥٩٦ فقه شافعي) عنوانها : « شرح مختصر الإيضاح » نُسبتْ في فهرسة المكتبة إلى النووي ، في حين أنّ العنوان القديم على النسخة ينسبُها إلى الشيخ ابن حجر الهيتمي .

وبالاطلاع على مقدمتها وجدتُ ما نصه :

« وبعد ، فهذا توضيح وتتميم لمختصر إيضاح الإمام . . . النووي . . . الذي ألفه شيخنا . . . أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي تغمده الله برحمته » ولم يُذْكر اسم مؤلفه في أول الكتاب ولا في نهايته . وبالاطلاع على نص المقدمة تأكّد لديّ أنّ الكتاب من تأليف أحد تلاميذه ولعله عبد الرؤوف الزمزمي الذي ذكره الونائي في مقدمة كتابه عمدة الأبرار (ص ٢) .

* * *

كتاب الإرشاد في فروع الشافعية

مؤلفه إسماعيل بن أبي بكر الشهير بابن المقري اليمني (ت٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م)[١] اختصر فيه كتاب الحاوي الصغير للقزويني وشرحه [٢] .

اهتم فقهاء الشافعية بهذا الكتاب فألفوا عليه شروحاً كثيرةً ، منها : شرحان لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) . وشرح شمس الدين الجوجري (ت٨٨٩ هـ/ ١٤٨٤م) وآخر للكمال ابن أبي شريف المقدسي (ت٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) وغيرهم .

وممن اهتمّ بكتاب الإرشاد ابن حجر المكي حيث وضع له ستة تآليف ثلاث منها شروح واثنان حواشي وتأليف في مختصره .

فقد شرحه شرحاً كبيراً وآخر أصغر منه سماه الإمداد . ثم اختصر الشرح في شرح آخر سماه فتح الجواد ، ووضع لشرحَيْه الإمداد وفتح الجواد حاشيتين كما وضع اختصاراً لكتاب الإرشاد .

ونلاحظ أن ابن حجر أحال على شرحه الصغير للإرشاد ، في الفتاوى الفقهية (٤/ ٤٣ ، ١٧٠) .

ولا يُدرَى ما يقصد المؤلف بشرحه الصغير للإرشاد فإن الإمداد هو أصغر من الشرح الكبير وكتابه فتح الجواد هو اختصار لشرحه لكتاب الإرشاد .

كما نلاحظ أن ابن حجر كثيراً ما يحيل على شرحه للإرشاد دون تعيينه بعنوان أو بصفة ، فلا يذكر إنْ كان يحيل على الشرح الكبير أو الصغير. من أمثله ذلك:

في الفتاوى الفقهية : (١/ ٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٧ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ٢ ، ٢/ ٣٢ ، ٦٤ ، ١٧٤ ، ٢٥٤ ، ٢٧٤ ، ٣/ ٣٤ ، ٣٣٢ ، ٤/ ٧٩ ، ١١٩ ، ١٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٩١) .

في الفتاوى الحديثية : (ص ٦٢ ، ٢٠١) .

في الفتح المبين بشرح الأربعين (ص ١١٤ ، ٢٤٦) .

في حاشيته على الإيضاح في المناسك (ص ٤ ، ٢٨٤) .

---

(١) كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٢٦٢ - ٢٦٣) .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٦٩) .

في الصواعق المحرقة في الرد على أهل الضلال والزندقة (ص ١٤٧) .
في كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع (ص ٢٩٦ ، ٢٩٨) .
في الإجازة ، ورقة (١١٧ أ) .
وتآليف ابن حجر حول كتاب الإرشاد هي :

٤ - الشرح الكبير للإرشاد :

ذكره ابن حجر وعَيَّنَهُ « بالشرح الكبير » وأحال عليه في الفتاوى الفقهية (٢/ ٨٦ ، ٣/ ٣٥) .

كما ذكره تلميذاه ، وَاضِعُ مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) ، والسيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) .

وكذلك الغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ، ولم نعثر على نسخة مخطوطة منه .

وأشار تلميذه السيفي بأنَّ شرحه على الإرشاد هذا كان من أول المؤلفات التي كتبها ابن حجر ، وأنه كتبه أثناء حجته الأولى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة (٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م) ، وأتمّه بعد عودته الثالثة إلى مكة واستيطانه بها [١] .

٥ - الإمداد وهو شرح للإرشاد :

ذكره تلميذه الذي ترجم له في مقدمة الفتاوى الكبرى (١/ ٤) ، كما ذكره السيفي في نفائس الدرر (٣ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، والخفاجي في ريحانة الألبا (١/ ٤٣٥) ، والشوكاني في البدر الطالع (١/ ١٠٩)، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، والزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . ربّ يسِّرْ وأعِنْ يا كريم .

الحمد لله الذي خصّ مَنْ لجأ إليه بمزايا إمداده ، وحقّق لمن خضع بين يديه غاية إرشاده .

---

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) .

أما بعد ، فكتاب الإرشاد قد حفَّه الله بغاية القبول ، وأتحف مؤلّفه الإمام المدقق شرف الدين إسماعيل بن المقريء بتحقيق المأمول . . (وذكر أنه شرع في شرحه لكتاب الإرشاد ، لما قدم عليه بأم القرى مَن طلب منه ذلك فشرحه وضمّ إليه من مؤلفات شيخ الإسلام زكريا ما ينشرح له الصدر) . . . وتقرّ به العين مع فوائد هي لُبَاب آراء المتقدمين ، وفرائد نتائج أفكار المتأخرين ، وأبحاث يسمح بها الفكر الفاتر ، ويعقب ما وقع لهؤلاء الأئمة وغيرهم مما لا يُدركُه القاصر ، لا سيما إنْ خالف ما عليه إماما المذهب ومجوزاه ومنقّحاه ومهذّباه ، أعني الإمام أبا القاسم عبد الكريم الرافعي والإمام أبا زكريا يحيى بن شرف النواوي ، قدس الله روحهما .

هذا وحيث أطلقْتُ الشارح فمرادي الجَوْجَوي الذي هو أشهرَ مخبآت هذا الكتاب . . . » .

(كما احتوى الكتاب على شرح لأيام التشريق في سورة الحج وهي العشر الأول من الحجة ، والأيام المعدودات في سورة البقرة هي أيام التشريق وهي الثلاثة أيام بعد يوم النحر ، وعن الأضحية . والإجازة في الحج من بيوت أهل مكة ، والتمتع بالعمرة للحج ، وأحكام المعتمر) .

اطّلعتُ على نسخة منه في دار الكتب المصرية برقم (١٤٧٤) فقه شافعي ، وهو من جزءين . يقع الجزء الأول في (٥٣٠) ورقة ، نسخ سنة (١٢٨١ م) اسم الناسخ محمد حسن سليمان .

٦ - فتح الجواد ، بشرح الإرشاد :

وهو اختصار لكتاب الإمداد المذكور سابقاً - ذكره السيفي في نفائس الدرر (٣أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، والشوكاني في البدر الطالع (١٠٩/١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، والبغدادي في إيضاح المكنون (١٦١/٢) ، وسركيس في معجم المطبوعات (ص ٨٤) .

وصفهُ تلميذه السيفي فقال عنه :« بديع الوضع ، عظيم النفع ، لا سيما بأرض اليمن ، قلَّ أنْ يُرى طالباً ليس عنده نسخة منه ، ولقد أجاد بعض تلامذة شيخنا حيث قال رحمه الله :

أيا قارئ الإرشاد إنْ رُمتَ حَلَّــه   وفهْمَ معانيهِ وفحوى رُمـــوزِهِ
فبادرْ إلى فَتْح الجوادِ الذي اعتنى   بكَشْفِ خبايــاه وفَتْـــح كُنُـوزِهِ

أوله : « الحمد لله على ما منح مِن إنعامه ، وفتَح من إلهامه ، ووفّق للتفقه في أحكامه، مع مِنَّتِه على مَن شاء من عباده بالإرشاد إلى معالم الحق وأحكامه، . .

وبعد ، فقد يسّر الله لي سبحانه ، وله الفضل والمنة ، بشرحٍ على الإرشاد حوى ما في شرحَيْه جواهر النفائس ونفائس الجواهر ، وقررتُ عبارته مع عبارة أصله بما تقرّ بِهِ العيون وترتاح إليه الخواطر ، لكنه صعْب الارتقاء على غالب أبناء الزمان ، . . . فلذلك ألَحَّ عليّ مَن لا تَسَعُني مخالفته في الأكابر في اختصاره بأوجز عبارة ، وأدنى إشارة ، مع طيّ ذكر اختلافات المتقدّمين والمتأخرين ، وإيراد ما هو معتمد بحسب ما يظهر من كلامهم ولو مِنْ غيْر تَبْيين، فامتثلتُ إشارته رجاء أنْ يعمّ بهذا المختصر الانتفاع للخاصة والعامة ، وأن يكون ذخيرة لي إذا جاءت الطامّة ، مع أنني زدتُ فيه على أصله فوائد فرائد ، ونُكتاً هي لنحو التحقيق قلائد . . . » .

منه ثلاث نسخ بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى بالأرقام (٢٩٧٦، ١٦٥٢، ١٢٨).

طُبع بعنوان فتح الجواد بشرح الإرشاد لشيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي على متن الإرشاد للإمام شرف الدين إسماعيل الشهير بابن المقري اليمني الشافعي (ت ٨٣٧ هـ/١٤٣٣م) طبع بمصر في جزءين سنة (١٣٠٥ هـ/١٨٨٧م) . وطبعهُ مصطفى البابي الحلبي بمصر - الطبعة الثانية (١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م) .

٧ - حاشية فتح الجواد بشرح الإرشاد :

ذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب - ٤ أ) .

وذكر أنّ ابن حجر كتبَ أكثر هذه الحاشية في مجلس درسه بالمسجد الحرام .

أوله : « الحمد لله على نعَمٍ لا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ سيِّدَنَا محمداً عبده ورسوله . . .

وبعد ، فقد تفضّل الكريم ، على عبده الضعيف بل العديم ، بشرح صغير بعد الشرح الكبير على الإرشاد ، فجاء بحمد الله مستوفياً للغرض ، مستوعباً لما

استقرَّ أو عرض ، مع مزيد اختصاره ، واتساع مضماره ، فلذا تزاحمتْ الطلبة على كتابته ونقْله إلى البلدان الشاسعة وقراءته بحيث أُخْبِرتُ منذ سنين ، أنه اجتمع في محروسة زبيد من نُسَخِه فوق الخمسين ، هذا ، وهو في هذه المدة يزداد الإصلاح فيه كلما قرئ عَلَيّ ويكثر من أهل النسخ الشكاية مِن ذلك عليّ ، ثم قُرئ عليّ المتن أواسط سنة اثنتين وسبعين بعد التسعمائة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤م) مع التزام الطلبة مطالعته ، فرأيتُ فيه مواضع صعْبة الفهم على أكثرهم مع تعذّر إيضاحها لانتشارها بين أظهرهم ، فرأيتُ أنْ أضع عليه تعليقاً لطيفاً يُقرّب ما استعْصى ، ويوضّح ما استخفى ، ويفصّل ما أهمله من مستحسن رموزه ، ويبرز ما أخفاه من ذخائر كنوزه ، مستعيناً فيه وفي غيره بمَنْ لا يخيب من اعتمد عليه ، ولا يُرَدّ من توجه إليه ، سبحانه لا إله إلا هو عليه توكلتُ. . .» .

آخره : « وأجبتُ عنه في الأصل بما يستلزم جميع ما قالاه مع تقليل العبارة جدا ، ويظهر لك ذلك بتأمل هذه العبارات فعليك به . والله أعلم بالصواب » .

طُبع بذيل فتح الجواد بشرح الإرشاد ، جاء في العنوان (وبذيل الصحائف حاشية فتح الجواد بشرح الإرشاد للعلامة ابن حجر المذكور ومعها تعليقات من شرح الإمداد وغيره) في جزءين مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية (١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م) .

٨ - حاشية أخرى على شرحه الصغير للإرشاد :

نسبها له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) لم نطلع على نسخة منها .

٩ - اختصار لكتاب الإرشاد :

ذكره له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) وقال عنه : « لم يتمَّ بل وصل فيه إلى الاجتهاد » . لم نعثر على نسخة منه .

١٠ - المنهاج القويم ، شرح شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي على المقدمة الحضرمية = المنهج القويم ، في مسائل التعليم :

المقدمة الحضرمية في فقه السادة الشافعية .

كتاب في الفقه الشافعي تأليف عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي ، السعدي ، المذحجي المتوفى (٩١٨ هـ/ ١٥١٢م) [١] . شرحه ابن حجر وجعل عنوانه المنهاج القويم .

طبع عدة طبعات ، منها : مطبعة وادي النيل (١٢٩٧ هـ) - المطبعة الميمنية (١٣٠٥ هـ ، ١٣٠٨ هـ) [٢] .

نسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) وبين أهميته بقوله : « قَلَّ أن ترى طالباً ليس عنده منه نسخة » ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، وسركيس في معجم المطبوعات (ص ٨٣) ، والزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) ، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) .

وقد اشتمل على شرح الأحكام الفقهية فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات .

أوله : « الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نِعَمه ويكافيء مزيده . . . وبعد ، فقد سألني بعض الصلحاء أن أضع شرحاً لطيفاً على مقدمة الإمام المحقق الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بافضل الحضرمي ، نفعنا الله بعلومه وبركته ، فأجبتُهُ إلى ذلك ملتمساً منه ومن غيره أن يمدّني بدعواته الصالحة وسائلاً من فضل مولانا أنْ يعمّ النفع به . . . » .

آخره : « هذا آخر ما أردتُ تسويده على هذا المختصر - ورأيتُ في بعض نسخه أنّ مؤلفه وصل فيه إلى قريب مِن نصف الكتاب وإنما لم أكتب عليه لأنّه لم يصح عندي أنّ المصنف بَيَّض إلى ذلك المحل ، وإنما الذي في نُسَخ الكتاب المعتمدة الوصول فيه إلى هذا المحلّ على أنه بلغني أنّ له مختصرات متعددة فَلَعَلَّهُ قصد تكميل بعضها فلم يتمَّ له . وأسأل الله تعالى من فضله أن يُيَسّر لي إتمام ذلك متناً ، تكميلاً لما وُجِد ، وشرحاً للجميع ، إنه جواد كريم رؤوف رحيم . .

وكان الفراغ منه بعد الظهر خامس عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وتسعمائة (٩٤٤ هـ/ ١٥٣٧م) بمنزلي بمكة المشرفة في المحل المسمى بالحريرة القريب من سوق الليل . . . » .

---

(١) كحالة : معجم المؤلفين (٦/ ٦٨) .
(٢) سركيس : معجم المطبوعات (ص ٥٢٠) .

وقد ذكر الشلي في السنا الباهر نسخة سشتربيتي ، ورقة (٦٤ أ) في ترجمته لعفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل السعدي المذحجي (ت٩١٨هـ/ ١٥١٢م) وعرضه لمؤلفاته فقال : إنَّ له مؤلفات كثيرة منها : المختصر في الفقه الشهير بأنَّ كل من قرأ فيه فتح الله عليه ، وشرحه العلامة أحمد بن محمد بن حجر . ولم يكتب إلا رُبع العبادات . ووجد في بعض النسخ أنه بلغ فيه إلى باب الإجارة .

والملاحظ أن النسخة المطبوعة كانت معتمدة على نسخة كاملة تناولت جميع أبواب العبادات وفي نهايتها خاتمة المؤلف ، كما ذكرتُ أعلاه .

وقد وضع محمد بن سليمان الكردي (ت ١١٩٤ هـ/ ١٧٨٠م) على هذا الشرح حاشية عنوانها الحواشي المدنية على شرح ابن حجر الهيتمي على مختصر بافضل الحضرمي . وطبع بمصر ، مصطفى الحلبي (١٣٤٠ هـ/ ١٩٢١م) (جزآن في مجلد واحد) .

من شرح ابن حجر على المقدمة الحضرمية ، نسخة مخطوطة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم (٤٩٧١) ونسخة برقم (١٨٤٨) نسخت سنة (١٢٦٩م) بيد عوض بن سالم بانعيمون . عدد ورقاتها (٢٠٠) ورقة .

وطبع الكتاب عدة طبعات وبهامشه المقدمة الحضرمية المذكورة - ط محمد مصطفى (١٣٠١ هـ) - الخيرية (١٣٠٣ هـ) - بولاق (١٣٠٩ هـ) . واطّلعتُ على طبعة مصطفى البابي الحلبي بتصحيح أحمد سعد علي من علماء الأزهر سنة (١٣٥٨ هـ) - بدار الكتب المصرية . يقع في (١٥٢) صفحة .

١١ - الإيعاب ، في شرح العباب :

هو شرح لكتاب العباب ، المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب [١] . تأليف القاضي أحمد بن عمر بن عبد الرحمن المعروف بابن المذحجي المزجد السيفي المرادي اليمني (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣م) [٢] .

وقد وضع ابن حجر هذا الشرح الهام وأحال عليه في العديد من مؤلفاته وفي

---

(١) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٩١) .

(٢) كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٣٤) .

عدة مواضع من القضايا الفقهية . منها في كتابه الفتاوى الفقهية (١/ ٩ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٧٥ ، ٢١١) ، (٢/ ٢٧ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٣٨) ، (٤/ ٣٨ ، ١٨٥ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٣٢٥) ، وغيرها .

وأشار إليه في كتابه الفتح المبين بشرح الأربعين (ص ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٠ ، ٢٨٣) وغيرها ، وفي كتابه الصواعق المحرقة (ص ١٢٨ ، ١٤٧) [١] ، وفي كتابه الفتاوى الحديثية (ص ٤٧ ، ٦٢ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٥٦ ، ٢٣٣ ، ٢٤٦) ، وفي كتابه حاشية الإيضاح في المناسك (ص ٢٧٥) وغيرها .

ونسبَهُ له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) وغيرهم من المترجمين له ، كما نسبه له حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس بقوله : قال الجد يرحمه الله في ، ورقة (١٧ أ ، ٢٨ أ ، ٢٩ ب) .

يقول ابن حجر الهيتمي في مقدمته : « وبعد ، فهذا ما اشتدتْ إليه حاجة المتفهمين بل والمدرسين والمفتين لما أنهم قد عكفوا في هذا الزمان على عُباب شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن ابن القاضي يوسف . . . المدحجي المزجد الزبيدي (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣م) » .

وبعد أن ذكر خصائص وأوصاف هذا الشرح قال : « فَحُقّ له أن يُسمَّى الإيعاب في شرح العُباب . . . على أنه لم يُسبق بشرح يستضاء بنوره ، وينْفَتح به عند انغلاق اللّفظ أو المعنى باب تقريره . . . كيف وقد عزّ بإقليم الحجاز وجود جمع أصوله . . . » .

منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (١٧٦٢) فقه شافعي ، تقع في (٣١٢) ورقة ، ذكر المفهرس أنها نسخت سنة (١٠١٦ هـ) وعندما اطلعتُ عليها لم أجد ما يدل على ذلك ، إذ أن هذا الجزء ينتهي بمسائل من العبادات متعلقة بالصلاة . وهو ما يدل على أن للكتاب بقية أجزاء أخرى .

---

(١) طبعة سنة (١٣٨٥ هـ) .

١٢- حاشية العباب المسماة كشف النقاب :

أحال عليها ابن حجر في كتابه الفتاوى الفقهية (٢/ ٩٣) بقوله : « وأجبْتُ في حاشية العباب عن ذلك » كما أحال عليه في كتابه الإنافة لما جاء في الصدقة والضيافة (ص ١٥٥) ، ونسبها له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، وذكر السيفي عن هذه الحاشية بأن « الموجود منها غير تام».

١٣ - شرح العباب :

هو شرح ثانٍ لابن حجر على العباب للمذحجي ، نسبَهُ له تلميذه واضعُ مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) ، والسيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) ، والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ، والشوكاني في البدر الطالع (١/ ١٠٩) ، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) . وقال عنه تلميذه في مقدمة الفتاوى الفقهية : « ثم شرَحَ العباب وإلى الآن لم يكمل ، لكن نسأل الله إكماله ، فإنه جمع المذهب جمعاً لم يُسْبَق إليه مع غاية من التحرير والتدقيق والتنقيح مستوعباً لما في كتب المذهب مع بيان الراجح والجواب عن المشكل ، ممّا تَقَرّ بِهِ العيون ». ولعله يكون أكمله بعد ذلك .

١٤ - تحفة المحتاج بشرح المنهاج :

هو شرح على منهاج الطالبين في مختصر المحرّر في فروع الشافعية للإمام محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي [١] .

أحال ابن حجر على شرحه هذا في الفتاوى الفقهية (١/ ١٧٢ ، ٢/ ١٣١ ، ٣/ ٢٨٩ ، ٤/ ٢٦٤) وغيرها . وأحال عليه أيضاً في كتابه كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع المطبوع بذيل كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٦٨، ٢٨٠) ، كما أحال عليه ابن حجر في كتابه در الغمامة في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة (ص ٣) .

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ١٧٨٣) .

ونسبه له تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الكبرى الفقهية (١/ ٤) ، والسيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) ، وحفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم ، ورقة (١١ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص٢٩١)، والخفاجي في ريحانة الألبا (١/ ٤٣٥) ، والشوكاني في البدر الطالع (١/ ١٠٩)، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، وجرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٣) ، وغيرهم من المترجمين . وصفه السيفي بقوله : « تحفة المحتاج المشتمل على ما في أكْثَر شروح المنهاج ، مع أبحاث للمؤلف لم يُسبَق إليها وتوجيهات لعبارات المتن يَتَعيَّن الوقوف عليها . وقد حصل لشيخنا سقى الله عهده البشارة بقبوله وذلك أنه - رحمه الله - أرسل منه نسخة إلى تريم بلدة إلى حضرموت ، ففي ليلة اليوم الذي وصلهم الشرح فيه رأى جماعة منهم كالسيد العارف محمد بن حسن باعلوي الحسيني أن شيخنا دخل بلدهم ، وأنّ الناس يهرعون إليه وهو يُدرّس في جامعهم وهم فرحون بذلك، ثم أصبح الشرح المذكور عندهم ، فكتبُوا للمؤلف بذلك . فَسُرَّ ووقف تلك النسخة عليهم » .

أول الكتاب : « الحمد لله الذي جعل لكل أمة شرعة ومنهاجاً ، وخصّ هذه الأمة بأوضحها أحكاماً وحججاً ، وهداهم إلى ما آثرهم به على مَن سواهم من تمهيد الأصول والفروع وتحرير المتون والشروح لتُستَنتَج منها العويصات استنتاجاً . . .

وبعد ، فإنه طالما يخطر لي أن أتبرك بخدمة شيء من كُتب الفقه للقطب الرباني والعالم الصمداني ولي الله بلا نزاع، ومحرر المذهب بلا دفاع[١]، أبي زكريا يحيى النواوي ، إلى أن عزمتُ ثاني عشر محرم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) على خدمة منهاجه الواضح ظاهره ، الكثيرة كنوزه وذخائره، ملخصاً معتمداً شروحه المتداولة . . . وسميته (تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج) . . . » .

منه نسختان بالمكتبة المركزية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، إحداهما برقم (٤٧٨١) وهي قديمة نسخت سنة (١٠٨٥ هـ/ ١٦٧٤م) ، والثانية برقم (٤٧٠١) وهي قديمة أيضاً لكنها غير مؤرخة .

---

(١) هذه الأوصاف من المبالغات في المدح التي أصيب بها أهل ذلك العصر .

طُبع الكتاب طبعات عديدة وقديمة وأغلبها مع الحواشي التي وُضِعتْ على الكتاب من تأليف عبد الحميد الشرواني وأحمد بن قاسم العبادي وعمر البصري المكي . وذلك بمصر سنة (١٢٨٢ هـ) ، وسنة (١٢٩٠ هـ ، ١٣٠٥ هـ ، ١٣١٥ هـ) ، وهي التي طبعت عليها المصورة حديثاً - في ١٠ أجزاء بعناية دار الفكر للطباعة والنشر ، ولم يذكر تاريخ الطبعة المصورة ولا مكان صدورها .

ولقد استغرق تأليف ابن حجر لكتابه هذا قرابة سبعة أشهر . نستنتج ذلك من حديثه عنه في كتابه (كف الرعاع) حيث ذكر ابن حجر فيه أنه طُلب منه في ربيع سنة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) تأليف كتاب في السماع ، إلا أنه كان منشغلاً بكتابه شرح المنهاج . وقد وضّح ابن حجر في مقدمة كتابه شرح المنهاج أنه بدأ تأليف شرحه المنهاج في (١٢) محرم سنة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) ثم ذكر في مقدمة كتابه كف الرعاع عنه قوله : « فإنني أثناء شهر ربيع سنة ثمان وخمسين وتسعمائة دُعيتُ إلى نُسَيْكة لبعض الأصدقاء فوقع السؤال عن فروع تتعلق بالسماع ... فتمادى بي الاشتغال في هذه السنة بشرح المنهاج عن أكثر المهمات لظني أنه الأهم وأن كل شافعي إليه محتاج ، إلى ثالث يوم من شهر رجب »[1] .

وذكر الحضراوي في كتابه تاج التواريخ أن شرح ابن حجر على المنهاج كان يُدرَّس بمكة المكرمة »[2] .

ولقد اهتم العلماء بعد ابن حجر بكتابه تحفة المحتاج بشرح المنهاج هذا فألف أحمد بن قاسم العبادي حواشي شرح المنهاج لابن حجر في أربعة مجلدات[3] .

كما اهتم أحفاد ابن حجر أيضاً بكتاب جدّهم هذا فوضع حفيده عبد العزيز ابن محمد الزمزمي كتابات عن التحفة لجده ابن حجر ، ووضع رضي الدين بن عبد الرحمن بن حجر حاشية على التحفة لجدّه ، ردّ بها اعتراضات الشهاب أحمد بن قاسم العبادي[4] .

---

(١) ابن حجر : كف الرعاع ، (ص ٢٦٨) .
(٢) الحضراوي : تاج التواريخ (٤) ، ورقة (١٠٥ أ) .
(٣) الأسدي : طبقات الشافعية ، لوحة (١٥٨ أ) .
(٤) المصدر نفسه .

وللشيخ عبد الله بن عمر بن عبد الله بن أحمد مخرمة اليمني الشافعي المتوفي سنة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤م) كتاب يُنكّتُ فيه على شرح المنهاج للهيتمي في مجلدين[١] ، وللعلامة صالح بافضل (ت ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٤م) حاشية على شرح المنهاج لابن حجر تبلغ أربعة مجلدات[٢] .

١٥ - حاشية شرحه على المنهاج المسماة طرْفَة الفقير ، بتحفة القدير :

نسبَها له السيّفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب - ٤ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) - وأجمعَتْ المصادر على أنّ هذه الحاشية التي وضعها ابن حجر لم تتمَّ ، ووضح ذلك تلميذه السيفي بقوله : «لكنها لم تتمّ بل كتبَ من الأول إلى سُنَن الوضوء والثاني إلى الخِيار والثالث إلى الوصية والرابع إلى الدّيات ، يساير به إقراء المتن . بل كان لا يكتب فيها إلا في الدرس في المسجد الحرام ، إذا سُئِل واستشكل عليه أجاب في الحاشية على البديهة من غير مراجعة ، وفي ذلك دليل على استعداده وكثرة محفوظاته » .

ورغم أننا لم نعثر على نسخة من هذه الحاشية ، إلا أنّ الأرجح أنّ تاريخ تأليفها كان بمكة المكرمة في فترة وجوده للتدريس بالمسجد الحرام .

١٦ - مؤلف في ختم المنهاج :

اختصّ السيفي بذكره في نفائس الدرر ، ورقة (٦ أ) وذكر أنه لم يُتِمَّه .

١٧ - اختصار كتاب الروض = النعيم :

كتاب الروض هو كتاب في الفقه الشافعي يسمى مختصر الروضة في الفروع للنووي ، تأليف شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المعروف بابن المقري اليمني الشافعي (ت ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٣م)[٣] اختصره ابن حجر . نسب هذا الاختصار

---

(١) الأسدي : طبقات الشافعية ، لوحة (١٥٦ أ) ، ابن العماد : شذرات الذهب : (٨/ ٢٦٧) .

(٢) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص ٢١٢ - ٢١٣) .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٩١٩) ، لترجمة ابن المقري انظر ابن العماد : شذرات الذهب (٧/ ٢٢٠ ، ٢٢٢) ، كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٢٦٢) .

لابن حجر تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) ، والسيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، ذكرت المصادر أن ابن حجر وضع اختصاره لمتن الروض هذا بعد عودته إلى مصر من أداء فريضة حج سنة (٩٣٣ هـ/١٥٢٦م) . وحدّد السيفي في ورقة (٣ب) عنوان مختصر الرَّوْض بقوله: « المسمى بالنعيم » وأشار العيدروسي إلى أن ابن حجر اختصر الروض ولم يتمَّه ، ولم نطلع على نسخة من هذا الاختصار .

١٨ - شرح مختصر الروض = بشرى الكريم (ألفه مرتين) :

وضع ابن حجر شرحاً هاماً على مختصر الروض ، فقال عنه تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) بأنه كان « شرحاً مستوعبًا لما في شرح الروض والجواهر وكثير من شروح المنهاج » ، وقال عنه تلميذه السيفي ، ورقة (٣ أ) : « وشرحه شرحًا استوفى ما في الجواهر والأسنى » . وبيّن أهميته ابن حجر نفسه في إحالاته عليه في الفتاوى الفقهية ، فقال عنه في (١/ ١٠) : «. . .في كتابي شرح مختصر الروض فاطلبُهُ فإنّه مهمّ » ، وأحال عليه في عدة مواضع من هذه الفتاوى منها (١/٢٧ ، ٧٣ ، ١٦١ ، ١٧٧ ، ١٩٨) وغيرها . كما أحال عليه في كتابه آداب المعلم والمتعلم ، ورقة (٢٣ أ) (نسخة برنستن) .

ونسبه له بالإضافة إلى تلميذيْه السابقين كلٌ من : ابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) .

ألّف ابن حجر شرحه هذا مرتين . فقد ألّفه في المرة الأولى بعد رجوعه من الحج سنة (٩٣٤ هـ/١٥٢٧م) ثم ضاع في ظروف غريبة ، فأعاد تأليفه مرة ثانية. وقد ذكره تلميذاه ،واضع مقدمة الفتاوى الفقهية ، والسيفي مؤلف نفائس الدرر ، قصة ضياع التأليف الأول في روايتيْن متشابهتيْن رغم وجود بعض الاختلاف في ظروف الضياع .

فقال الأول (١/ ٤) : « ولما رجع من مكة اختصر متن الروض وشرحه ، ثم حجّ بعياله هو وشيخه المذكور (يقصد شيخه البكري) آخر سنة سبع وثلاثين (٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠م) ومعه شرح المختصر المذكور فجاور سنة ثمان وألحق في هذا الشرح من كُتب اليمن وغيرهم شيئاً كثيراً . فرآه بعض علماء الأعاجم فأعطى

مبلغاً كثيراً لكتابته إذا وصلوا مصر . فلما وصلوها أريدَ استنساخه له فحاسده بعض حاسديه فترصد له إلى أنْ أخْرِج الكتاب ليكشف منه ثم اشتغل ثم التفتَ إليه فلم يره ، فكأنما وقع في بئر أو أحرق لوقته ، فلم يظهر له خبَر حتى أصابه بسبب ذلك علة خطيرة لا زالت تُلازِمُه إلى أن تكاد تزهق نفسه وهكذا ، ثم تعافى منها ولله الحمد . ثم صبر واحتسب فعوّضه الله خيراً من ذلك » .

وقال الثاني في (ورقة ٣ أ) : « ثم عاد إلى مصر واختصر الروض ، ثم حج سنة سبع وجاور سنة ثمان وألحق في هذا الشرح كثيراً من العباب والتجريد . فشُغِف به بعض علماء بني الصديق ابن أخي الجلال الدواني ، ثم سافر شيخنا إلى مصر فأرسل البعض دراهم لتحصيل الشرح المذكور بمصر ، فلمَّا وصلوا سمع بعض الحسّاد بذلك فاغتنم فرصة وسرقَهُ وأتْلَفَه ولم يُعلم لذلك كيفية . وسمعتُ شيخنا رحمه الله وهو يعفو عن فاعل ذلك ويقول :حَلَّلَهُ الله وَعَفَا عنه » - وبعد سرقته هذه أعاد ابن حجر كتابته ولكنه لم يُتمّه ، وهو ما ذكره السيفي قائلاً : « ثم شرع في تجديد المتن يُسايره بالشرح حتى وصل صلاة المسافر وتركه»[1] .

وبما أن الكتاب لم يكتمل تأليفه ، فإنه لم يظهر ولم ينتشر بين الناس ، وهو ما أثْبته السيفي قائلاً : « وأما تجديده . . . فلم يظهر » [2] ، ولعله كان لوقْع هذه السرقة في نفس ابن حجر من الأثر السَّيِّئ ما جعله يُقرر العودة إلى مكة والاستيطان بها - ولم نعثر على نسخة من المخطوط ولم نجد له ذكراً في فهارس المخطوطات الكثيرة التي اطلعنا عليها .

١٩ - اختصار خادم الزركشي وعنوانه تحرير الخادم :

هو كتاب في الفقه الشافعي ، عنوانه خادم الرافعي والروضة في الفروع[3] . تأليف بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[4] .

(١) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) .
(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) .
(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٦٩٨) .
(٤) انظر ترجمته : كحالة : معجم المؤلفين (٩/ ١٢١ ، ١٠/ ٢٠٥) .

انفرد بذكر هذا الاختصار السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٦ أ) . وقال عنه: إن ابن حجر شرع في تأليفه لهذا الكتاب وكتب فيه نحو ورقة وتركه .

٢٠- التعرف في الأصلين والتصوف :

نسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ ب) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) .

وهو كتاب صغير في أصول الفقه يقع في (١٩) ورقة أَلَّفَه استجابة لطلب شخصٍ يُقدّره ويحترمه لم يذكر اسمه ، وتضمن الكتاب مقدمات وسبعة أبواب. اشتملت المقدمات على شرح لمعنى أصول الفقه ، ثم شرح لمصطلحات الأحكام الفقهية مثل معنى الواجب والفرض واللازم والحتم والمكتوب والسنة والمستحب والمكروه وغيرها ، ودلائل كلٍ منها واستعمالاتها .

أوله : « الحمد لله الذي هدانا للاعتقاد والعمل بأصول وفروع دينه القويم ، وأرسل إلينا نبيّه الكريم ، الرؤوف الرحيم ، بشريعة غراء واضحة بيضاء ، لم يتطرق إليها نسخٌ ولا تحريف . . .

وبعد : فهذه نبذة في الأصلين والتصوّف ، أبْدَعها حسن الجمع والتصرف ، حملتني عليها مع قصور نظري ، وكلال فكري ، إلزام من تتحتم طاعته ، وتتعيّن إجابته ، . . . » .

اطلعت على نسخة منه مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٥٩٧) معارف عام نسخت سنة (١٣٢٨ هـ/ ١٩١٠م) بقلم محمد محفوظ الترمسي . ولقد وضع محمّد علي بن محمد علان الصديقي المكي (ت ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م) شرحاً على كتاب التعرف في الأصلين والتصوف لابن حجر سماه التّلطّف في الوصول إلى التعرف وقال في مقدمته ما نصه : « . . . لما كان كتاب التعرف في الأصلين والتصوف تأليف العلامة المحقق ، الفهامة المدقّق ، شيخ الإسلام أبي العباس أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي الشافعي يجري من كتب فنونه مجرى العيْن من الإنسان والإنسان من العين ، قد أجاد في وضعه مؤلّفه كلّ الإجادة ، وأفاد كلّ الإفادة ، وكشف عن مخبيات عرائس الأفكار الحجاب والعين ، حتى أنه في الحقيقة خلاصة كل بسيط ، ومستصفى كل وجيز في الفن ووسيط ، ولم يكن له

تعليق ، يكون لقارئه ومقرئه كالصاحب والرفيق ، وخطر بالبال شرحه ، وسُئِل مني رفع الحجاب عنه وفتحه ... وسمَّيْتُه التلطف في الوصول إلى التعرّف... »[1] - منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (١٤٤) أصول فقه يقع في (١٨٦) ورقة .

٢١ - شرح مختصر في الفقه للشيخ أبي الحسن البكري :

نسبَهُ له كلٍ من السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ ب) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، وخليل الميس في مقدمة الخيرات الحسان لابن حجر (ص ٧) .

أما المختصر في الفقه هذا الذي شرحه ابن حجر، فهو منسوب لشيخه أبي الحسن البكري الذي له عدد من الكتب الفقهية منها شرح المنهاج للنووي ، وشرح العباب للمزجد .

ولم نجد ذكرًا من بين مؤلفات أبي الحسن البكري لمختصر في الفقه الشافعي، ولا نعرف عنوانه ، إنما ذكرت مصادر ترجمة ابن حجر أنه وضع شرحاً لمختصر أبي الحسن البكري في الفقه [2] - ولم نعثر على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب .

٢٢ - قرة العين ، بيان أنّ التبرع لا يُبْطله الدين :

ورد نص هذا الكتاب ضمن الفتاوى الفقهية لابن حجر ، لأنه جواب لسؤال فقهي ورد عليه (٣/ ٢ - ٢٦) وذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (ص ١٣٢٤) .

ورد في مقدمته أنه قدم إلى مكة سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م) السيد الشريف محمد العيدروسي الحسيني العلوي الحضرمي، فذهب للقائه هو وصاحبه الشيخ الإمام عبد العزيز الزمزمي ، فعرض عليهما

---

(١) ابن علان : التلطف في الوصول إلى التعرف ، ورقة (١ ب ، ٢ أ) .

(٢) انظر ترجمة أبي الحسن البكري ضمن شيوخ ابن حجر في أول الكتاب .

سؤالاً وجواباً في تبرع المدين ، لعالم اليمن ومفتيها وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد مفتي زبيد وسألَهما إن كانا موافقيْن لهذا الإفتاء ، فبادرا إلى إنكاره واستبعاده.

فلما بلغ ذلك ابن زياد اليمني ألّفَ تأليفاً وفق إفتائه ، وذكر أنّ مَن خالَفَهُ جامد متعسف ، وأنّ ما ذكره هو الصواب ، لذلك شرع ابن حجر في تأليف هذه الرسالة ليعرض فيها أقوال العلماء ويبيّن لابن زياد الحجة على بطلان ما ذهب إليه .

أوله : « الحمد لله الذي غرقت في بحْر سَرْمَدِيّته عقول الحكماء ، وتَرَقّتْ في نعوت صَمَدِيته علوم العلماء . . . » .

وذكر في نهاية رسالته أنه فرغ منها « وقت صلاة الجمعة خامس عشر جمادى الآخرة سنة اثنين وستين وتسعمائة (٩٦٢ هـ/ ١٥٥٤م) » .

وقد اطلعتُ على نسخة مخطوطة من هذه الرسالة محفوظة بدار الكتب المصرية مجاميع (٩/١٤٢ - في آخرها - كتبت بخط الياس بن رسول بأمر سليمان بيك وكيل بابان .

وطُبع الكتاب ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية لابن حجر (٣/ ٢-٢٦)[(١)] .

٢٣ - كشف الغين ، عمن ضل عن محاسن قرة العين :

ورد نص هذا الكتاب ضمن الفتاوى الفقهية لابن حجر (٣/ ٢٦ - ٢٨) ، وذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) وقال عنه إنه : « ألّفه لما تفاقم الأمر بينه وبين الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم بن زياد في المسألة المؤلف لأجلها قرة العين لشيخنا وبغية المسترشدين لابن زياد المذكور . لكن نصر شيخنا أئمة الأعلام من علماء اليمن والقاهرة والبلد الحرام ، وصرحوا بأن قوله هو الصواب، الحق الواضح بلا ارتياب » .

---

(١) لاحظتُ اختلافاً في تاريخ التأليف بين المخطوط والمطبوع ، ففي آخر المخطوط ذكر قول المؤلف : « فرغت منه وقت صلاة الجمعة خامس عشرين » . . . بينما ورد في المطبوع بأنه خامس عشر .

وقد انفرد السيفي بذكره ، حيث لم أعثر على ذكره في الكتب التي تَرجمتْ لابن حجر وذكرت مؤلفاته ، رغم وجوده ضمن كتاب الفتاوى الفقهية بعنوان «كتاب الذيل المسمى بكشف الغين . . . » ، ولقد ألفه ابن حجر ذيلاً على كتابه الأول قرة العين الذي رد فيه على رأي مفتي زبيد في قضية تبرع المدين ، ولما وصله إصرار هذا العالم على رأيه مما ينم على « تعسفه وعناده » [1] . ونظراً لأهمية هذه القضية بسبب تعلقها بحكم فقهي مؤثر على معاملات الناس ، خشي ابن حجر مِن تأثّر العوام بهذه الأوهام خاصة بعد أن وصلته آراء علماء المصريين التي زادت على السبعين ، وكلها تؤيّد أقوال علماء مكة في بطلان رأي مفتي زبيد، رأى ابن حجر أن يضع مؤلفه هذا يفنّد فيه آراء هذا المفتي . وأحصى مسائلها في اثنين وعشرين نقطة ، ووضع جواباً دقيقاً على كل نقطة أبان فيها زيف رأيه وعناده .

جاء في أوله : « أما بعد حمد الله على آلائه ، والصلاة والسلام على واسطة عقد أوليائه ، وأصحابه وتابعيهم حماة دين الله من سفاسف كل جاهل عنيد وغوائل إغوائه . فهذا كتاب لقَّبْتُه كشْف الغَيْن عمن ضل عن محاسن قرة العين، دعاني إليه أني لما فرغت من كتابي قرة العين ببيان أن التبرع لا يبطله الدين ، الذي ألفته جواباً عن إفتاء وتأليف في بطلانه لمفتي زبيد القائل فيه غير واحد من علمائها أنه عنيد وأي عنيد ، انتشر بمكة المشرفة فكتَبَهُ المصريون واليمانيون ، فلما اطلع عليه صاحب الإفتاء والتأليف كرَّر غلَطَهُ المشتمل على كثير هَذر وهذيان . . . في عِدّة تصانيف في صورة تآليف ، يرسلها إلى مكة المرّة بعد المرة . . . فشرعتُ في بيان ما فيها ، مما لا يُدْرِك القاصر زيف ما في مطاويها ، مستعيناً بالله من الخطأ والخلل . . . » .

آخره : « قال مؤلفه : أنهيتُه نصف ليلة الأربعاء سابع محرم الحرام سنة أربعة وستين وتسعمائة (٩٦٤ هـ/١٥٥٦م) » .

اطلعتُ على نسخة مخطوطة منه بدار الكتب المصرية برقم (٢٣٢٤٥ ب) تقع في (١٦) ورقة ، خَطُّها قديم وواضح - وقد طُبِع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٢٦ - ٣٨) .

---

(١) وهو ما ذكره ابن حجر في مقدمة هذا الكتاب . انظر أسفله .

٢٤ - رفع الشبَه والرِّيب ، عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب :

أورد ابن حجر نص هذا الكتاب ضمن فتاويه الفقهية (٣/ ١٣٢ - ١٤١) ولم يذكره مِن بين مترجميه غير السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) وقال بأن لابن حجر مؤلفاً في الإقرار بكونِ زوجتِه هي أخته ؟! .

وضع ابن حجر مؤلفه هذا لما وصله اختلاف العلماء في قضية الإقرار بأخوة الزوجة ، بأن يقول رجل عن زوجته بأنها أخته ، وما وقع في ذلك مِن خلاف بين العلماء ، فقرَّر كتابة تفصيل عنها ليبيّن الحكم في ذلك بعد الدراسة والتدقيق والتحليل .

أولهُ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رافع غياهب العَويصات ، وغرائب المشكلات ، بواضح الدلائل . . . وبعد فهذا كتاب لقَّبْتُه رفْع الشُّبَه والرِّيَب عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب ، دعاني إلى تأليفه أنه كان بلغني اختلاف علماء مصر فيها اختلافاً كثيراً وتناقضهم في الإفتاء فيها تناقضاً عجيباً شهيراً ، لكن على طريق الإجمال لا التفصيل ، فإنا لم نسمع ذلك إلا مِن غير ذوي التحصيل ، إلى أن قدِم بعضُهم إلى مكة المشرفة أواخر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) فأخبر بأن ما أشيع من اختلافهم ليس له أصل أصيل . . . وإنما اتفقوا كلهم على جانب واحد هو حرمتها عليه ظاهراً لا باطناً . وبذلك أفتى سبعة وعشرون شافعياً وشذّ بعضهم فأفتى بالحِل ظاهراً وباطناً ، وبعْضُهم أفتى بالحرمة ظاهراً وباطناً .

فلما سمعتُ منه ذلك وكان مخالفاً لما انقدح عندي في تلك المسائل ، تعجبتُ من هذه الإطلاقات ، وقلتُ لا بدّ وأن أنتدب لبيان ما في هذه المسألة من التفصيلات ، فحينئذ بادرتُ إلى بيان ما في كلٍّ من تلك الاحتمالات ، ثم إلى ترجيح أظْهرها نقلاً ، وأدقّها مُدْرَكاً وعقْلاً ، وما عليه منها التعويل ، وما هو الأوْفَق بما حقَّقُوه من التفريع والتأصيل ، بتأليف هذا الكتاب ورفع ذلك الارتياب ورتّبْتُه على ثلاث مقدمات وثلاثة أبواب راجياً من الله الكريم الوهّاب الإعانة والتوفيق . . . » .

آخره : « قال مؤلفه عفا الله عنه : نجزَ في دون يومين سلخ ذي القعدة الحرام

سنة ثمان وخمسين وتسعمائة » (٩٥٨ هـ/ ١٥٥١م) - طُبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ١٣٢ - ١٤١) .

٢٥ - بطلان الدور في المسألة السريجية = الأدلة المرضية ، على بطلان الدور في المسألة السريجية :

ذكره وأحال عليه ابن حجر في كتابه الفتاوى الفقهية (٤/ ١٥٨ - ١٥٩) ، وبيّن سبب تأليفه وأهميته وما اشتمل عليه قائلاً : « أما المسألة السريجية ، فقد بلغني فيها عن أهل بُجَيْلة وغيرهم قبائح عظيمة الفحش ، تدل على استهتارهم بالدين ، وانحرافهم عن سَنَن الصالحين ، فلذلك صنَّفْتُ في بطلانها وفسق مَن يعمل بها، مصنفاً حافلاً يتعيَّن عليكم مراجعته وزَجْر أهل بِلادِكم به عما هم عليه من القبائح» ، كما ذكره في نفس الفتاوى (٤/ ٣١٦) وقال عنه : « مما بينته في كتابي الأدلة المرضية على بطلان الدور في المسألة السريجية » . وذكر السيفي هذا الكتاب في نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) ، ولم أعثر عليه منفرداً في مخطوطة ، وإنما ورد نصه كاملاً ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ١٧٩ - ١٩٧) .

ألف ابن حجر كتابه هذا جواباً عن سؤال يتعلق بالمسألة السريجية في الدور في الطلاق ، فأجاب بهذا التأليف الذي وضّح فيه اختلاف العلماء في بطلان هذه المسألة أو صحتها ، وأهمية توضيح بُطْلانها لئلا يقع فيها العامة من الناس ويتجرأ أحد على الحلْفِ بالطلاق كاذباً .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال سيدنا ومولانا وشيخنا الإمام . . . شهاب الدين أحمد بن حجر . . . بعدما سُئل عن مسألة السريجية المشهورة في الدور في الطلاق فأجاب جواباً شافياً ، كان لكل من أراد الوقوف عليها كافياً : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . . .

أما بعد ، فإن مسألة الدور هذه قد كثر فيها اختلاف العلماء قديماً وحديثاً ، وأفردها جماعة بالتصنيف منهم أبو سعيد المتولي والغزالي وأبو بكر الشاشي وألكيا الهرَّاسي وصاحب الذخائر وغيرهم . . . (وهي) الحلف بالطلاق وتكراره في ألسنتهم حتى صار لهم عادة وصار جراءة لهم على الكذب والباطل. فإنّ من سمعهم يحلفون بالطلاق يظنّ صدقهم لظنّه أنّه لا يتجرأ أحد على الحلف

به كاذباً » - ثم وضح ابن حجر : « أنّ اختلاف العلماء كان على صحة الدور أو بطلانه وناقش هذا الخلاف وهل الطلاق يقع على النساء أم لا » .

آخره : « وعلى كل أحد ممن له قدرة وشوكة أنْ يمنَع الأزواج الذين حنَثُوا في أيمانهم عن نسائهم حتى يتحلّلْن لهم تحليلاً شرعياً سواء كانوا أَلْقَوْا عليهن إطلاق الدور أم لا لما تقرر لك المرة بعد المرة أنه لا يجوز تقليد القائلين به ، وأن التقليد في ذلك إثمْ وفسوق ، وأنه لو حكم بذلك قاضٍ نُقِضَ حكمه ورُدَّ عليه قوله ، وأن القول ببطلان الدور هو الصواب الذي يجب على كل أحد الرجوع إليه - والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

طُبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ١٧٩ - ١٩٧) ولم يعنون له ، إنما جاء ذكره مباشرة بعد نهاية كتاب الانتباه ، لتحقيق مسائل الإكراه .

٢٦ - الانتباه ، لتحقيق عَويص مسائل الإكراه :

ورد نص هذا الكتاب في الفتاوى الفقهية (٤/ ١٧١ - ١٧٩) . وانفرد بذكره السيفي من بين المترجمين لابن حجر ، وذلك في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) . قال إن له مؤلفاً في مسائل الإكراه الحِسّي والشرعي في الطلاق . دون أن يذكر عنوانه وإنما عرفناه من مقدمة الكتاب الذي طبع ضمن الفتاوى الكبرى .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمد الله على إنعامه ، وأشكره على إلهامه ، وأُصلّي وأسلّم على سيدنا محمد وآله وأصحابه في بدء الأمر وختامه ، صلاة وسلاماً دائمين بدوام أفضاله في دار نعيمه وإكرامه . وبعد ، فهذا كتاب لقَّبْتُه بالانتباه لتحقيق عويص مسائل الإكراه ، حملني عليه أنّي أفتيتُ في مسألة بما هو الحق إن شاء الله تعالى ، فتوهَّم خلاف المراد حتى وقع بعض الانتقاد . ثم بعد إمعان النظر في أطراف تلك المسائل وتخريجها على القواعد والدلائل ، ظهر أن فيها مشكلات لم يُنَبَّهوا عليها ، ومعضلات لم يوجهوا نظرهم إليها ، فقصدتُ إلى بيان ما فيها من نَقْد ورَدٍّ وأشكال وجواب لينْجلي بذلك إن شاء الله تعالى وجه الصواب بأخْصَرِ عبارة ، وأوجز إشارة ، في ورقات يسيرة ، وإن كانت مباحثها في نفسها عسيرة ، والله سبحانه أعلم وأسأل الله في الإعانة على تحرير ذلك ، ويسهل الوعر من تلك المسالك ، فإنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم .

ورَتَّبْتُه على مقدمة ومباحث وتتمَّة المقدمة في بيان أنّ الإكراه على الطلاق واليمين وعلى تنجيز الطلاق وعلى فعل أو ترك المعلَّق عليه فيهما ينقسم إلى إكراه بحق وإلى إكراه بباطل . . . » .

آخره : « هذا آخر ما قصدتُه ، وتمام ما حَرَّرْتُه ، مما آمل أن أكون فيه على صراط مستقيم . . . يقول مؤلِّفُه - عفا الله سبحانه وتعالى عنه - : فرغْتُ مِن تسويده عشية العشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وتسعمائة (٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) » .

طُبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ١٧١ - ١٧٩) .

٢٧ - تلخيص الإحراء ، في حكم تعليق الطلاق بالإبراء = مختصر المحرر من الآراء في حكم الطلاق بالإبراء :

ذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) .

هو تلخيص لكتاب المحرر في تعيين الطلاق لنور الدين علي السمهودي (ت٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) [١] .

أوله : « الحمد لله الواحد الأحد ، المنزه عن الشريك والزوجة والولد ، الجامع بين عباده والمفرق بينهم بقضاء وقدر لا ينفذ ، فلا يجتمع اثنان ولا يتفرقان إلا بسابقة علمه من الأزل . . .

أما بعد ، فإنني نظرتُ في المحرر من الإحراء كتاب سيدنا [٢] الشريف السمهودي المديني رحمه الله تعالى وأجزل جزاه فوجدتُه كتاباً مُفيداً جامعاً لمقاصد تعليق الطلاق بالإبراء ، لكن وجدتُ فيه طولاً ونظراً دقيقاً يقْصُر عنه أو يتْعَب فيه كثيرون مِن الطلبة مثلي ، فاخترتُ أنْ أجمع مقاصده في تلخيص لطيف يُجْمَع فيه المعتمد ، ولا يعرج على ما نقله من المُنْتَقَد ، وإن لم يكن عليه اعتمد ، وحذفتُ تكرير ما فيه من الفتاوى اكتفاءً بما جَزَم به في المسائل . فإن كان في بعض

---

(١) ذكره البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٤٤٢) ، وفي هدية العارفين (١/ ٧٤٠) .

(٢) وهذا من مبالغات ذلك العصر .

الفتاوى مخالفة للمرجع في المسألة لم أعرج عليها ، وإن كان فيها فرع معتمد قد ذكر فيها ذكرته في فرع مستقل في تلك المسألة ، وجعلتُ هذا التعليق على قسمين، القسم الأول في ابتداء الزوج وفيه خمس مسائل ، والثاني في ابتداء الزوجة وفيه مسألتان وسميتُه « تلخيص الإحراء في حكم تعليق الطلاق بالإبراء. . . » .

آخره : « وهذا آخر ما سهل الله به من جمع هذا المختصر ، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ونفعنا به والمسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

اطلعت على نسخة منه محفوظة بدار الكتب برقم (٣٨١٤٨ ب) نسخت سنة (١٣١١ هـ) على يد منصور رمضان الفيومي ، ومنه نسخة أخرى بالمغرب ، خزانة تطوان رقم (٣٢) ، ونسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم (٤/ ١٨٨٣/ د) .

٢٨ - إصابة الأغراض ، في سقوط الخيار بالإعراض :

أورد ابن حجر نصّ هذا الكتاب ضمن فتاويه الفقهية (٢/ ٢٤٢ - ٢٤٩) ، ونسبَهُ له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) .

وسبب تأليفه كما ذكر ابن حجر بأنه ورد عليه سؤال متعلّق بمسألة من مسائل البيوع ، فأجاب عنه بجواب مختصر ، ثم بلَغَه أنّ أحد المُفْتِين أفتى فيه بخلاف ذلك ، مما جعله يؤلف فيه هذا الكتاب .

أوله : « الحمد لله الذي أيقظ للقيام بأعباء المعضلات أقواماً مَنَّ عليهم بتوفيقه الباهر سلطانه ، وهداهم عند تزاحم الآراء في عويصات المسائل إلى سلوك جادّة الصواب . . . وبعد ، فقد وقع في غضون ما استُفْتيتُ عنه سؤال ظننتُ جوابه سهْلاً ، وإني للكلام فيه باديء الرأي أكون أهلاً ، حتى أحدقْتُ النظر فيه فوجدتُه صعب المرْتقَى ، عالي الذرى ، فلذلك أعْملْتُ الفكر فيه جتى مَنَّ الله عليّ بإصابة الغرض فيه . . . فلأجل ذلك أَفْردتُه بالتأليف ، وزيادة الإيضاح وحسن التصنيف . . . وسميته إصابة الأغراض في سقوط الخيار بالإعراض . . .

أما السؤال فحاصِلُه إنسان اشترى من آخر أرضاً مشتملة على نخل ثم تقايلا ،

ثم ادعى البائع بطلان الإقالة وحكم له الحاكم الشرعي بذلك بشرطه ؛ ثم بعد ذلك ظهر أنَّ مِن الأرض المذكورة مغرس نخلة من النخل المذكور مملوكاً لغير البائع حين البيع ، فهلْ يتخير المشتري حينئذ ؟ وإذا قُلتم نعم فهل يمنع خياره بملك البائع المغرس المذكور وإعطائها له أو إعطاء مستحقها إياها للمشتري أولاً ؟ .

وأما الكلام عليه ففي مقامين : الأول في إثبات الخيار ، والثاني في سقوطه » .

آخره : « هذا آخر ما يسر الله به في هذه المسألة ، ولعل الله يفتح فيها بما يزيدها إيضاحاً وبياناً ، جعلنا الله ممن لجأ في مهماته إليه .

طُبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٢/ ٢٤٢ - ٢٤٩) ، ولم أعثر عليه في مخطوطة منفردة .

٢٩ - تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون = المسْتَعذَب في حكم بيع الماء أو ساعة [١] من قراره وتحقيق الحكم بالموجب :

ورد نصّ هذا الكتاب ضمن الفتاوى الفقهية (٢/ ١٦٦ - ٢٢١) وسَبَقَتْه عدة أسئلة تتعلق ببيع ماء أو عينٍ بمكة .

وانفرد بذكره تلميذه السيفي في ترجمته له في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) دون أن تذكره الكتب التي ترجمت لابن حجر .

وذكر ابن حجر في سبب تأليفه لهذا الكتاب أنه ورد عليه سؤال فأجاب فيه بجواب مفصّل ، ثم وردَ عليه سؤال ثان طُلب فيه منه الاختصار ، فأجاب بجواب مختصر ، ثم بلَغَه أنَّ بعض المُفْتِينَ أفتَوْا فيه بخلاف ما أفتاه هو ، فأراد توضيح الأمر بهذا المؤلف وبيان مَدَى جهلهم وضلالهم وخطأ ما أفْتَوْا به .

أوله : « أحمدك اللهم أنْ أبقيتَ في هذا العالم طائفة ظاهرين على الحق لا يضرُّهم مَنْ خَذَلَهم إلى أنْ يأتي أَمْر الله . . .

أما بعد ، فإن العلم - بحمد الله - لم تزلْ أنْديتُه غَاصَّة بأهلها . . . هذا والداعي لي الآن ثالث رجب ، أسأل الله نيل الأَرَب ، إلى تأليف هذا الكتاب

---

(١) وردت الكلمة في كتاب السيفي = سامه .

المحتوي على غاية من التحقيق وفصل الخطاب ، الموسوم بـ « تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون » أنَّه رُفِع إليّ في أثناء شهر جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وتسعمائة (٩٤٩ هـ/١٥٤٢م) سؤال في بيع ساعتَيْن مِن قرار عَيْن كذا فأجبت عنه بجواب طويل ، مشتمل على تفصيل في ذلك ، ثَم رُفِع إليّ السؤال ثانياً بأخْصَر مِن الأول وطلب مني اختصار الجواب فاختصرتُه . ثم بَلغَنِي أنَّ جمعاً خَالفُوني في ذلك . . . ورتبته على مقدمة وخاتمة وسبعة أبواب :

أما المقدمة ففي ذكر السؤال والجواب بنوعيهما .

وأما الأبواب فأربعة في ذكر أحوال المسائل الأربعة التي فصَّلْتُها في كل مِن الجوابَيْن ، والخامس في الكلام على ما وقع في الروضة من التناقض في بيع الماء والقرار وبيان الجمع بيْن عباراتها ورَدّ ما وقع في ذلك للمتكلمين عليها ، والسادس في بيان حكم عيون مكة بخصوصها ، وهل هي مملوكة منبعاً ومجرى ؟ وهل يصح بيعها أولا ؟ . والسابع في الفرق بين الحكم بالصحة والحكم بالموجب ، وفي بيان ما ينقض فيه قضاء القاضي وما لا ينقض .

وأما الخاتمة ففي ذكر ما اطّلعتُ عليه من أجوبة المخالفين والكلام عليها وبيان ما اشتملتْ عليه مما يصمّ عنه الآذان ، وتتنزَّهُ عن تصوره الأذهان . والمسؤول من كرم الله وفضله أن يهديني إلى سواء السبيل . . . » .

آخره : « ووافق الفراغ من تصنيفه خامس شعبان من شهور سنة تسع وأربعين وتسعمائة [1] (٩٤٩ هـ/١٥٤٢م) أحسن الله خاتمتها في عافية من كل فتنة أو محنة ، إنه على ذلك وغيره قدير ، وبالإجابة جدير ، فهو حسبنا ونعم الوكيل».

طُبِع ضمن كتاب الفتاوى الفقهية الكبرى (٢/ ١٦٦ - ٢٢١) .

٣٠ - شن الغارة على مَن أظهر معرّة تقوله في الحناء وعواره :

رغم أننا لم نعثر على هذا الكتاب ولم تذكره الكتب التي ترجمتْ لابن حجر عدا السيفي ، إلا أنّ المؤلف ذكره في كتابه الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ٢٥٨) وأشار إلى سبَب تأليفه له عند إجابته على سؤال ورد عليه عن حكم خضب

---

(١) ورد التاريخ في الأصل (وسبعمائة) وهو خطأ مطبعي واضح .

اليدين والرجلين بالحنّاء للرجال ، وأنَّ هناك من العلماء مَن صنّف في تحريمها ، وبعضهم صنّف في إباحتها ، فأجاب : « بقوله : قد وصل إلينا بمكة المشرفة هذا المؤلف الثاني (يقصد الذي في إباحتها) فرأيتُه مشتملاً على عجائب الغلط وغرائب الشَّطط . . . فلذلك شمَّرْتُ له ساعد الهتك ، وأهويْتُه مكاناً سحيقاً من أودية الهلاك والشكّ ، وألَّفْتُ في رد جميع مخترعاته الفاسدة وبضاعته الكاسدة تأليفاً شريفاً في فنه حافلاً ، وكتاباً منيفاً رافلاً ، مؤيَّداً بالدلائل القواطع والبراهين السواطع . . . واسمه إذ هو شنّ الغَارة على مَن أظهر معَرَّة تقوّله في الحنّاء وعواره . وحاصل بعضه بالمتعلق بالسؤال والمزيل للإشكال أنَّ تحريم الحناء على الرجال بلا ضرورة دلَّت عليها الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ، وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه » .

وفي موضع آخر من كتاب الفتاوى الفقهية لابن حجر (١/ ٢٧٢ - ٢٧٣) أحال على كتابه هذا عند فتواه بجَوَازِ لبس الحلقة الفضّة للرجال ، لأنّها تسمى خاتماً، ويجوز لبس الخاتم للرجال سواء كان بفَصٍ أو بدونه ، وأنها ليس فيها تشبُّهٌ بالنساء . ثم قال في إحالته على كتابه هذا : « حرَّرْتُ هذا المبحث أعني التشبُّه بهن وما ضابطه في كتابي المسمى شَنّ الغارة على مَن أظهر معَرَّة تَقَوُّلِه في الحنا [1] وعواره . تقبَّلَهُ الله بمنِّه وكرمه آمين » .

كما أحال عليه ابن حجر في كتابه در الغمامة في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة (ص ٩) [2] عند حديثه عن تشابه اللباس بين الرجال والنساء ، ونوع اللباس الذي يدخل في التحريم ، ثم قال : « وقد بيَّنْتُ ما في ذلك في كتابي شنّ الغارة على مَنْ أظْهر معَرَّة تَقَوُّله في الحناء وعواره ، فاطلبه فإنَّه مهمّ .

وأحال عليه أيضاً في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٥٦) [3] .

ونسبه له تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) وقال عنه إنه « ألَّفَهُ لَمَّا ورد عليه ثلاث مؤلفات من اليمن في إباحته للرجال مطلقاً وواحد في تحريمه» وأورده باسم شنّ الغارة عن مَن أهدى تقوُّله في الحناء وعواره .

---

(١) ورد في النص الحنا وهو لا شك خطأ مطبعي حيث أن موضوع الكتاب يتعلق بالخضاب بالحناء .

(٢) مخطوط ، نسخة الطائف . (٣) طبعة القاهرة سنة (١٣٩٨ هـ) .

وأحال عليه اللكنوي في كتابه الفوائد البهية (ص ٢٤٠) عند ذكره (فائدة) وهي عن السَّلَف وهم أهل القرون الثلاثة الأول الذين شَهِد لهم رسول الله ﷺ بأنهم خير القرون ثم قال : « كذا قال ابن حجر المكي الهيتمي الشافعي في رسالته شنّ الغارة على من أهدى تقوّله في الحناء وعواره » [١] .

٣١ - سوابغ المدد في العمل بمفهوم قول الواقف مَن مات مِن غير ولد = سوابغ المدد في واقف ليس له ولد :

ورد نصّ هذا الكتاب ضمن الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر في باب الوقف (٣/ ١٩٤ - ٢٢١) .

ونسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) ؛ وقد انفرد بذكره حيث لم أعثر على مَن أورده في الكتب التي ترجمت لابن حجر وذكَرتْ مؤلفاته .

وذكر السيفي أنّ لابن حجر كتاباً آخر اسمه العمل بالمفهوم في الوقف ، ولكننا نرجح أنه هو نفس الكتاب .

ذكر ابن حجر عن سبب تأليفه له ، بأنه ورد عليه سؤال فأجاب عنه بفتوى مختصرة ، ثم بلغه أنَّ أحد المفتين - ولم يذكر اسمه - أفتى فيها بخلاف ذلك فشرع في تصنيف كتابه هذا في توضيح الأحكام الفقهية في الوقف .

أوله : « أحمد الله على توفيقه وإنعامه ، وأشكره على مزايا فضله وإلهامه . . وبعد ، فإني سُئلتُ عن مسألة في الوقف في شهر ذي القعدة سنة ست وأربعين وتسعمائة (٩٤٦ هـ/ ١٥٣٩م) فأجبتُ فيها بالمنقول ثم رأيتُ كثيرين من المتأخرين اختلفوا فيها لعدم اطّلاعهم على ذلك المنقول الذي أجبتُ به ، فأحبَبْت أن أفردها بتأليف لطيف ، وأنموذج شريف ، ليكشف الغطاء عن الحق في ذلك ويصير سبباً للإحاطة بأكثر ما يقع في كُتب الأوقاف من عويصات المسائل الوعرة المسالك وليكون ذلك وسيلة إن شاء الله تعالى إلى فيض الفضل الجزيل . . . وسمَّيتُه :

---

(١) والملاحظ أن السيفي واللكنوي وقعا في خطأ أيضاً ، حيث وردت كلمة « الحنا » في عنوان الكتاب . والصواب هو « الحناء » . والملاحظ أن مخطوطة نفائس السيفي حديثة نسبياً ، حيث كتبت سنة (١٢٣٢ هـ) .

سوابغ المدد ، في العمل بمفهوم قول الواقف من مات مِن غير ولد ، ورتّبتُه على بابين وخاتمة . . . » .

آخره : « وهذا آخر ما تيسّر لي في هذه المسألة وتوابعها مع تضعضع الحال وقصر الباع عند الوقوع في المهامه والمضائق ، وسوء الاقتراف من النقائص والبوائق . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

طُبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ١٩٤ - ٢٢١) .

٣٢ - الإتحاف ، ببيان أحكام إجارة الأوقاف :

أورد نصّه ابن حجر ضمن فتاويه الفقهية (٣/ ٣٢٦ - ٣٤٩) ونسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) ولم أعثر على ذكره في الكتب التي ترجمت له ، وذكر السيفي أن له مؤلفاً في الأوقاف ولم يذكر عنوانه .

وبما أن أحكام الأوقاف متعددة ومتنوعة حسب قضاياها ، لذا احتاج الناس لمزيد من الاستفهام فيها ، فوردت على ابن حجر الكثير من الأسئلة حول الأوقاف مما جعله يؤلف فيها أكثر من كتاب .

فلقد ألّف كتابه (سوابغ المدد في العلم بمفهوم قول الواقف مَن مات مِن غير ولد) الذي ألفه سنة ست وأربعين وتسعمائة (٩٤٦ هـ/ ١٥٣٩م) . وهو يؤلف كتابه هذا في الأوقاف سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) لما كثرتْ عليه الأسئلة، وتعددت إجاباته عليها، ووجد مَن يُخالفُه فيها، فاهتمّ بالموضوع اهتمامًا بالغاً وقرأ ما يزيد على السبعين مؤلفاً ليضع مؤلفه هذا بعد دراسة دقيقة وعميقة .

أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أتحفنا باتباع الحق حيثما كان، ولم نرقب في ذلك من سواه حسب الإمكان . . .

أما بعد ، فإنه رُفِع إليّ سؤال أوائل سنة اثنين وخمسين وتسعمائة (٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م) في إجارة وقف فكتبتُ عليه ، ثم بلغني أني خُولفتُ فيه ، ثم رُفِع إليّ سؤال بصورة أخرى فَكَتَبْتُ عليه ، ثم سؤال بصورة أخرى فكتبتُ عليه حتى أضجرتني هذه الواقعة ، ولم أكتب فيها إلا بعد مزيد استخارة وتثبُّت وتفحُّصٍ حتى لقد اطّلعتُ من تصانيف أئمتنا المعتبرة على ما يزيد على سبعين مؤلفاً منها ما طالعتُه كله ككتاب (الأشباه والنظائر) ، ومنها ما طالعتُ أكثره ككتُب الفتاوى ، ومنها ما طالعت مواضع عديدة منه .

فلما كثرتْ منّي الكتابات في ذلك ، أردتُ أنْ أجمعها مع الزيادة عليها في هذا التأليف ، وسمّيْتُه « الإتحاف ببيان أحكام إجارة الأوقاف » أسأل الله أن يجعله وسيلة لي يوم الدين ؛ ورتّبتُه على مقدمة وبابين وخاتمة . . . » .

آخره . . . « والله سبحانه أعلم بالصواب وأسأله التوفيق لما يرضيه عني ، وأن يجيرني من كل فتْنة ومحنة ، بمنه وكَرمه . . . والحمد لله رب العالمين » .

مطبوع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٣٢٦ - ٣٤٩) .

٣٣ - الحق الواضح المقرر ، في حكم الوصية بالنصيب المقدر :

ورد نصّ هذا المؤلَّف ضمن كتاب ابن حجر الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ٥٠-٦٨) ، ونسبه إليه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) ، وذَكَره بعنوان «مؤلف في الوصية » .

وضع ابن حجر مؤلفه هذا رَدا على سؤال طويل وقع فيه خلاف كبير بين فقهاء حضرموت ، حول الوصية ومتعلقاتها والميراث وأحكامه ، وورد نص السؤال طويلاً في الفتاوى (٤/ ٤٤ - ٥٠) ، جاء في نصه : « سئل - رضي الله عنه - بما صورته : مسألة مهمة وقع فيها خلاف طويل بين فقهاء حضرموت ولم يتحَرَّوْا منها على شيء ، بل كل منهم يُخَطِّئُ صاحبه ، فالمسؤول مزيد تحريرها وتوضيحها» فحسم ابن حجر الجدل الطويل بينهم بمؤلفه هذا ، وناقش رأي كلٍّ منهم وردّ عليه ، فجاء ردّه « في تأليف حافل ملقّباً له بالحق الواضح المقرّر ، في حكم الوصية بالنصيب المقدر » .

وقسم كتابه هذا إلى مباحث أربعة، وخمسة أجوبة على ما ورد في ذلك السؤال الطويل من استفهامات -طبع الكتاب ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ٥٠-٦٨) .

٣٤ - التحقيق ، لما يشمله لفظ العتيق :

ذكره وأحال عليه ابن حجر في كتابه الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٢٧٦) فقال : « كما بسَطْتُه في كتابي المسمى بالتحقيق فيما يشمله لفظ العتيق » وأورد نصه كاملاً في موضع آخر من نفس كتاب الفتاوى الفقهية (٣/ ٣٠١ - ٣٢٦) . ورغم عثورنا على هذا الكتاب مطبوعاً ضمن كتاب الفتاوى وإحالة ابن حجر عليه وتسميته بهذا الاسم ، إلا أنّ المصَادر التي ترجمت لابن حجر ومن أهمها كتاب تلميذه السيفي لم تُشر إلى هذا الكتاب ولم تنسبه له .

ألّفه ابن حجر بعد خلاف وقع بين علماء مصر حول قضايا الوقف والعتقاء فأرسلوا لابن حجر بمكة ليُفْتيَهم فيها ، كما ورد ذلك في أول نص السؤال «وسئل عن مسألة وقع فيها خلاف طويل بين علماء مصر ونُقلتْ مع أجوبة العلماء فيها إليه ، نفع الله تعالى بعلومه بمكة المشرفة في عدة أعوام لطلب جوابه فيها وهو يمتنع من الكتابة فيها ، لأن بعض الأجوبة التي فيها لبعض شيوخه ، فخشي من تغيّر خاطره إن وقع منه مخالفة لأحد منهم .

ثم لما تأكد الطلب لجوابه استخارَ الله سبحانه وتعالى واستعان به في أن يلهمه موانح التوفيق . . . وأفرد ذلك بهذا التأليف (وسماه التحقيق، لما يشمله لفظ العتيق) سائلاً من الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم » .

ولم يذكر في أوله أو آخره سنة كتابته له وإنما أنهاه بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله الكريم ﷺ - وطُبع الكتاب ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/٣٠١ - ٣٢٦) .

٣٥ - ٣٦ - ٣٧ : ثلاثة مؤلفات في الحيض :

يتعين علينا في البداية الإشارة إلى أن ابن حجر وضع ثلاثة مؤلفات في الحيض.

المؤلف الأول : سرقه بعض حُسَّاده ، أخبرنا هو عن ذلك في كتابه الفتاوى الكبرى الفقهية (١/٩٨) فقال : « ولقد وقعتْ بين فضلاء اليمن مباحث في بعض عويصاته (موضوع الحيض وأحكامه) حتى حجّ بعضهم ممتحناً أو سائلاً عنها . فألّفتُ فيها تأليفاً نفيساً ، فغلَبَ الحسَد على بعض من لا توفيق عنده فسَرقَ ذلك التأليف قبل كتابة نسخة أخرى منه » .

والمؤلف الثاني : هو « شرح المهذّب » الذي لم نعثر عليه ولم تذكره المصادر التي ترجمت له ولم تَنْسِبه له ، وإنما أخبرنا به ابن حجر نفسه في كتابه هذا في الحيض الذي أورد نصه ضمن الفتاوى الفقهية (١/٩٨) فقال « ولقد كنتُ جمعتُ في الحيض في شرح المهذب مجلداً كبيراً مشتملاً على نفائس ، ثم رأيتُ الآن اختصاره والإتيان بمقاصده ، ومقصودي بما نبهت عليه أن لا يضجر مطالعه بإطالته . فإني أحرص إن شاء الله تعالى على أن لا أُطيله إلا بمهمات وقواعد وفوائد مطلوبات . . . » .

أما المؤلف الثالث : فقد نسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) ، وورد

نصه ضمن الفتاوى الفقهية الكبرى (١/ ٩٧ - ١٢٢) وهو عبارة عن مؤلَّف جمع فيه مسائل متفرقة ومتفرعة من أبواب الحيض ، وضعه جواباً عن سؤال ورد عليه من اليمن ، طلب منه الكتابة على تأليف في الموضوع للشيخ عبد الله بن محمد باقشير الحضرمي ، وأن يضع عليه تتميماً يُكْمِل ناقصه ويحل مشاكله .

وقد أورد السائل كامل نص كتاب الشيخ باقشير الذي نقل في الفتاوى الكبرى الفقهية (١/ ٨٢ - ٩٧) ، فاستجاب الشيخ ابن حجر لذلك الطلب ، وألّف كتابه هذا الذي قال في أوله :

« أما بعد ، فإنه ورد عليَّ آواخر شهر شوال سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة (٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦م) بمكة المشرفة كتاب في أحكام الحيض والنفاس والاستحاضة لخَّصه مؤلفه الإمام العلامة الورع الصالح عبد الله بن محمد بن أبي قشير الحضرمي - نفع الله بعلومه - من شرح المهذّب وغيره مع ضم إشكالات إليه لنفسه وغيره ، ثم أرسله إليّ طالباً مني النظر فيه بتتميم ناقصه ، وحلّ مشكله ، وإصلاح ما ينبغي إصلاحه . فأجبتُه إلى ذلك بالكلام على مشكلات مسائله وبيان ما فيها من تقرير وجه الصواب بدلائله راجياً دعاءه الصالح ونفع المسلمين . . » .

طُبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (١/ ٩٧ - ١٢٢) .

٣٨ - إتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام = إتحاف الأنام ، بخصوصيات الصيام = فضائل الصيام :

أحال ابن حجر على كتابه هذا في مؤلفه الفتاوى الفقهية (٢/ ٨١) وفي كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٩٦) (١) . ونسبه له البغدادي في هدية العارفين (ص ١٤٦) وفي إيضاح المكنون (١/ ١٥) - وهو كتاب في الفقه إلا أنه اعتمد فيه كثيراً على الأحاديث المتعلقة بالصيام وأحكامه، مع الاهتمام بفضائل الصيام وفضل شهر رمضان وليلة القدر، وزكاة الفطر. أَلَّفَهُ في مستهلّ رمضان سنة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) .

أوله : « الحمد لله الذي جعل الصوم حصناً حصيناً لأوليائه ، وتولّى جزاءهم وأضافه إليه دون غيره إعلاماً للكافة بباهر فضله وعظيم جزائه .

---

(١) طبعة القاهرة .

أما بعد : فقد سنح لي في مستهل شهر رمضان المعظم سنة اثنتيْن وخمسين وتسعمائة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) أنْ أؤلف كتاباً في الصوم - إن شاء الله تعالى - نافعاً ، وأجمع مجموعاً لغرر فضائله وأحكامه جامعاً ، ليكون وسيلة لي إلى النجاة من سوء ما اقترفتُ ، وقبيح ما قدَّمتُ وما أخّرتُ ، إنه بكل خير كفيل ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، وهو يشتمل على أبواب . . . » - وباستعراض أبوابه بإيجاز وجدنا أنها اشتملت على ما يلي :

الباب الأول : في فضائل الصوم ، وفيه فصلان . . . الأول في فضائل مطلق الصوم ، وأورد فيه (٧٩) حديثاً - والفصل الثاني في فضائل شهر رمضان وأورد في ذلك (٦٦) حديثاً .

الباب الثاني : في أحكام الصيام وما يتعلق بهذه الأحكام ، وفيه عدَّة فصول اشتملتْ على أحكام الصيام وما يتعلق بثبوته ودخوله وإن كان ناقصاً ، ورؤية هلاله ، والأذكار التي تُقال عند رؤية الهلال ، ووقت النية ، وما يُفْسِد الصوم ، وغير ذلك .

وجاء في ختام هذا الفصل الكلام على خصوصيات العشرة الوُسْطَى من رمضان ، والعشرة الأخير ، وليلة القدر في عدة فصول تناول فيها الاعتكاف وأحاديثه وبيان فضائله ، وليلة القدر والأحاديث الواردة في فضلها وثبوتها .

الباب الثالث : اشتمل على الكلام عن رخص الفطر والقضاء والفِدْية ، وفي ذلك عدة فصول تتعلق بأحكامها .

الباب الرابع : في حكم صوم غير رمضان ، وفيه عدة فصول اشتملت على توضيح الأيام التي يحرم الصوم فيها والأحاديث الدّالة عليها ، والأيام التي يُكره الصوم فيها ، والأيام التي يُحب أو يتأكد صومها ، ثم خاتمة الكتاب أورد فيها أحاديث تتعلق بزكاة الفطر وبالعيدين - أما عن منهج ابن حجر في كتابه هذا فيمكن توضيحه فيما يلي :

- اعتمد ابن حجر على كبار المحدثين في الأخذ بآرائهم أمثال الدارقطني والبيهقي والبغوي وابن الرفعة والنووي وغيرهم . وقدَّم دراسة لاختلاف آرائهم وتخريجاتهم للأحاديث المختلفة .

- أورد الكثير من الأحاديث المعتمدة الموثقة الإخراج .

- اعتمد على أقوال الفقهاء مثل الأذرعي والسبكي والزركشي وغيرهم .

- ختم مؤلفه بقوله : « وهذا تمام ما أردتُه ، وختام ما سَرْدتُه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . . .

يقول مؤلفه رحمه الله : فرغْتُ من تسويده بين الظهر والعصر ، سلخ رمضان سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة (٩٥٢ هـ/ ١٥٤٥م) تقبله الله بمنه وكرمه وفضله ورحمته . . . » - ومن الكتاب عدة نُسَخٍ ، أهمها :

- نسخة الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة رقم (٢٠١٤) تاريخ طلعت ، تقع في (١٨٢) ورقة ، تاريخ نسخها (١٣٠٥ هـ/ ١٨٨٧م) .

- نسخة الأزهرية مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٣٧/ ٧١٨٧) .

- نسخة مكتبة الحرم المكي برقم (٣٧٨١/ ٣٣١) فقه .

وطُبع الكتاب بمصر بتحقيق وتقديم الشيخين محمود النواوي ومحمد الديوي من علماء الأزهر . نشر مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) . وقد اعتمد المحققان على ثلاث مخطوطات محفوظة بدار الكتب المصرية ، نُسِختْ جميعها في القرن الحادي عشر الهجري .

٣٩ - مؤلف في الانتصار :

انفرد بذكره تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ ، ٥ ب) ، وقال عن سبب تأليفه : بأنه وضعه « لإفتاء له خُولفَ فيه سماه كَفّ بلعفيف ، عن الخطأ والخطل والتحريف » .

ولم تَقَعْ فى يدنا نسخة واحده منه إلا أن عنوانه وما قاله عنه السيفي ، يدل على أنه تناول قضية فقهية كان أفتى فيها فوقعتْ مخالفته من شخص اسمه بلعفيف.

٤٠ - مؤلّف في الخلّ :

انفرد بذكره تلميذه السيفي في ورقة (٥ أ) وقال في سبب تأليفه أنه « أفتى

بعض أهل اليمن بنجاسة خلّ الخمر » فكان رد ابن حجر لهذا المؤلّف له في حكم الخلّ .

٤١ - الإفصاح في أحاديث النكاح :

نسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٣ أ) ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٣٣٩) وأورده بعنوان (الإيضاح عن أحاديث النكاح) .

٤٢ - الفقه الجلي ، في الردّ على الخليّ :

انفرد بنسبته إلى ابن حجر ، البغدادي في هدية العارفين (١٤٦/١) ، ولم تذكره مصادر ترجمته الأخرى ، ولعله يكون كتاباً ردّ به على بعض الفقهاء في مسألة من المسائل خاصة . ولم نعرف لابن حجر ردودًا تتسم بشيء من الشدة إلا ما كان متعلقاً بالفقه ، فإن لفظ الخلي يدُلّ على أنه يَنْسبُ الفقيه الذي يرد عليه «بالخلي » أي الخلي من المعرفة . نقول ذلك تخميناً ، والله أعلم .

٤٣ - القول الحلي ، في خفْض المعتَلي :

نسبه له البغدادي في هدية العارفين (١٤٦/١) ولم نجد في مصادر ترجمة ابن حجر مَن يذكر هذا المؤلف له عدا البغدادي . ولم نعثر على نسخة منه ، ولعله يكون مؤلفاً في الفقه ، تناول فيه مسألة اعتلاء المصلين خلاوي مدرسة قايتباي التي تناولها بعض فقهاء مكة في ذلك العصر ، ومسألة اعتلاء المصلي الكعبة في صلاته . والله أعلم .

٤٤ - مؤلف في دوريات الوصية :

نسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ ب) .

٤٥ - ذيل على مؤلفه في دوريات الوصية :

هو ذيل للكتاب السابق الذكر، نسبه له السيفي في نفائس الدرر، ورقة.(٤ب) .

٤٦ - مؤلف في أحكام الإمامة :

انفرد بذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) .

٤٧ - مؤلف في شروط الوضوء :

اختص بذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) .

٤٨ - **أسئلة وأجوبة فيما يتعلّق بالميت :**

وجدنا منه نسخة مصوّرة بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم (٣٠٩٣) ، ولكنها غير واضحة البداية والنهاية .

٤٩ - **مؤلف في أحكام الحمّام :**

اختص بذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) .

٥٠ - **مناسك الحج :**

نسبه له سركيس في معجم المطبوعات (ص ٨٤) وقال : إنه طبع بالمطبعة الميمنية سنة (١٣٢٣ هـ) في (٢٤٠) صفحة ، وأضاف قائلاً : « وبلغني أنه طبع أيضاً بمكة وبمصر مراراً » . ولم نعثر على نسخة منه .

٥١ - **كشف الغين عن أحكام الطاعون وأنه لا يدخل البلدين :**

أشار إليه ابن حجر نفسه في فتاويه الفقهية عند إجابته عن مسائل وردت عليه في الطاعون ، وأورد تلخيصاً للكتاب في الجزء الرابع (ص ٢٠ - ٢٩) .

وذكره السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) موضحاً أسباب تأليفه فقال : إنه « ألفه مستهل رجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة (٩٧٢ هـ/ ١٥٦٤م) لما سُئل أيدخل مكة ؟ ، وسبب ذلك أنه جاءت سفينة من قريب مصر فيها جماعة مطعونون فلما وصلت جدة طعن كثير من المقيمين بها ثم وصل إليها مكي لأخذ تركة أخيه الميت في السفينة بالطاعون فطعن ومات ، فذهب أخوه لأخذ تركة أخويه ، فطعن ومات أيضاً » .

أما محتوى الكتاب الذي يظهر لنا من خلال التلخيص فهو :

أولاً : الكلام على حقيقة الطاعون .

ثانياً : الكلام على كونه شهادة .

ثالثاً : الكلام على الخروج من محل الطاعون والدخول إليه .

رابعاً : أنه هل يدخل مكة والمدينة .

خامساً : هل يُشرع الدعاء برفعه .

وبعد ذلك مجموعة مسائل عنْونها بالتتمات . ولم نعثر على نسخة كاملة منه .

* * *

مؤلفاته في العقيدة

١ – الإعلام ، بقواطع الإسلام .

٢ – الزواجر ، عن اقتراف الكبائر .

٣ – منظومة في أصول الدين .

٤ – شرح منظومته في أصول الدين .

٥ – الدرر الزاهرة ، في كشف بيان الآخرة .

٦ – شرح على كتاب عين العلم .

٧ – شرح عقيدة ابن عراق .

٨ – النفحات المكية .

٩ – تنبيه الأخيار ، على معضلات وقعت في كتابَيْ الوظائف وأذكار الأذكار .

١٠ – القول المختصر ، في علامات المهدي المنتظر .

١ – الإعلام بقواطع الإسلام :

أحال عليه ابن حجر في كتابه الفتاوى الحديثية (ص ٢٠١) ، كما أحال عليه في كتابه الفتح المبين بشرح الأربعين ووضح أهميته في (ص ٦٩) منه بقوله : «فالذي ينفي الاستسلام سائر الأقوال والأفعال المكفرة والتي أَلّفْتُ فيها كتاباً حافلاً لا يُستغنى عنه سمّيتُهُ الإعلام بما يقطع الإسلام ، وبيَّنْتُ فيه أكثر الأحكام على المذاهب الأربعة ، فعليك بتحصيله إنْ أردتَ الاعتناء بأَمْر دينك » .

وأحال عليه في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٣١) فقال عنه : « وهو كتاب حافل لا يَستغني طالب علم عنه » .

كما أحال عليه وقدّم وصفاً له في كتابه ذيل الصواعق المحرقة (ص ٢٦٢ – ٢٦٣) فقال عنه : « وقد ذكرتُ في كتابي الملقب بالإعلام في قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرتُ إليه (وهو اختلاف الحكم على مَن سَبَّ الصحابة بالتكفير والقتل) . . . فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور ، فإنه لم يصنَّفْ في بابه مثله، بل لم أظْفر بأحد من أئمتنا أَلَّف كتاباً في المكفرات وحدها ولا استَوْعَبَ حُكْمها على المذاهب الأربعة ، مع الكلام على كل مسائله بما ينشرح له الصدر، وتقرُّ به العين ، فاستوفيت كل ذلك في ذلك المؤلف العديم النظير عند مَن سلِم من داء الحسد والسخيمة . . . نفعني الله به وبغيره » .

ونسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٤ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ، وحاجي خليفة في كشف الظنون (ص ١٢٨) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، وسركيس في معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص ٨٢) ، واللكنوي في الفوائد البهية (ص ٢٤١) ، وخليل الميس في مقدمة الخيرات الحسان (ص ٧) ، ودائرة المعارف الإسلامية المترجمة (١/ ١٣٤) .

ألّف ابن حجر كتابه هذا بعد أن أفتى في سؤال ورد عليه أثناء إقامته بمكة سنة (٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م) عن قضية فقهية تتعلق بصداق امرأة غير بالغة يقبضه الوصي

عنها وهل لرجل ولو كان حاكماً أن يقول لغيره : يا كلب يا عديم الدين . فأجاب ابن حجر بفتواه التي لم تكن على هوى من صدر منه ذلك ، وقال : ربما يكون قوله يا عديم الدين كفرًا فيعزّر التعزير الشديد . لذلك اعترض عليه جماعة وشنّعوا به عند العوام ، وقالوا : إنّ إفتاءه هذا فيه كفر ، لأن من كفّر مسلماً فقد كَفَر ، فألّف ابن حجر كتابه هذا في تحرير الألفاظ المكفرة . وفنَّد فيه آراءهم ورد عليها .

أوله : « نحمدك اللهم أن أطلعتَ لعلم الفتوى في سماء التحقيق شموسًا وبدورًا : وجعلتَ علماء الشريعة الغراء أرفع الناس في الدارين مكانة وحبورًا وسرورًا ، واخترتهم لحفْظ فرائض الإسلام وسُنَنه . . .

أما بعد : فهذا تأليف جامع ، ومجموع إن شاء الله نافع ، دعاني إليه وقوع غلط فاحش في مسألة أفْتَيْتُ بها فأحبَبْتُ بيانها مع ما يتعلق بها ، لأنّ الحاجة ماسة إلى جميع ذلك . . . هذا ، وقد لوَّحْتُ لك بالقضية الحاملة على هذا التأليف ، وبيانها : أنني لما كنت بمكة في مجاورتي الثالثة سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة (٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م) رُفعتْ إليّ فتوى صورتُها : ما قولكم فيمن تزوَّج غير بالغة ثم أشهد عليها أنه أقْبَضها حال صداَقها ، فهل يصح هذا الإشهاد ؟ وهل للوصي مطالبته بالمهر والدعوى به عليه ؟ وهل له ولو حاكماً أن يقول له : يا كلب يا عديم الدين أم لا ؟ فماذا يلزمه في ذلك ؟ فأجبت بما صورته : إن بلغتْ مصلحة لدينها ومالها صحّ قبضها والإشهاد عليها ، ولم يكن للوصيّ مطالبته ولا الدعوى عليه .

وقوله له ما ذُكِر محرّم التحريم الشديد ، بل ربما يكون قوله : « يا عديم الدين » كفرًا فيعزّر التعزير الشديد اللائق به . . .

ثم دفعتُها إلى صاحبها فوقعت في أيدي جماعة أصدقاء للصادر منه ذلك فصدُوا التقرّب إليه بالكذب على الله . . فاعترضوا ما كتبتُه وشنَّعوا به عند العوام وموَّهُوا عليهم حتى قال بعض مُجازفيهم لعوامِّه هذا الإفتاء به كفر ، وعلَّلَه بأنه يقتضي أنّ قائل هذا اللفظ يُكفّر مطلقاً ، وليس كذلك ، ومَنْ كفر مسلماً فقد كَفَر . . .

لكن أحببت في هذا التأليف تحرير الألفاظ المكفّرة التي ذكرها أصحابُنا

وغيرهم، فإن هذا بابٌ منتشر جدا وقد اضطربتْ فيه أفكار الأئمة وعباراتهم وزلّتْ فيه أقدام كثيرين ، ولخطَر أمْرِه وحكمه كان حقيقاً بالإفراد بالتأليف ، ولم أرَ أحدًا عرَّج على ذلك ، فقصدتُ تسهيل جمْعه وبيان ما وقع للناس فيه بحسب ما اطّلعتُ عليه وضمَمْتُ إلى ذلك فوائد عثر عليها فكري الفاتر واستنتجها نظري القاصر . أسأل الله أن يجعلني ممّن هداه . . . » .

اطلعتُ على مصورة مخطوطة منه بمركز البحث العلمي التابع لجامعة أمُ القرى برقم (٢٣٦) مجاميع ، نسخت سنة (١٢٣٣ هـ) على يد مصطفى المراديني . ومنه نسخة بالمكتبة المولوية بحلب رقم (٣) تقع في (٦٩) ورقة .

وطُبع الكتاب سنة (١٣٢٥ هـ) وسنة (١٣٩٨ هـ) آخر كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر مطبعة مصطفى البابى الحلبي الطبعة الثالثة . وطبع سنة (١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م) طبعة جديدة غير محققة بدار الكتب العلمية-بيروت- لبنان.

٢ - الزواجر عن اقتراف الكبائر :

أحال عليه ابن حجر نفسُه وذكره في فتاويه الفقهية (٤/ ٣٥٩) ، وفي كتابه كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع (ص ٢٦٥ ، ٣١١ ، ٣١٣ - ٣١٤ ، ٣١٧) ، وفي كتابه أسنى المطالب في صلة الأقارب (ص ١٢٦) .

ونسَب هذا الكتابَ لابن حجر مُعْظم المترجمين له ، منهم تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ أ) وقال عنه : « بلغت الكبائر فيه أربعمائة ونيفاً وستين كبيرة » ونَسَبَه له العيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) وسماه : « الزواجر في الكبائر والصغائر » . وذكره الخفاجي في ريحانة الألِبّا (١/ ٤٣٥) ، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) .

بدأ ابن حجر في تأليف كتابه هذا سنة (٩٥٣ هـ/ ١٥٤٦ م) ليبيّن فيه الكبائر وأنواعها وأحكامها - واحتوى الكتاب على مقدمة : عَرّف فيها الكبيرة وأورد فيها الكثير من الأحاديث المتعلّقة بالوعد والوعيد . ثم عرض مجموعة من الكبائر التي عَرَّفَها وبيّن حكمها الشرعي ، وعرض أقوال كبار العلماء فيها مع الاحتجاج

بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة ، وقسَّم الكبائر إلى نوعيْن رتَّبها في بابَيْن، فجعل الباب الأول في الكبائر الباطنة ، والثاني في الظاهرة ، وبلغ عدد الكبائر التي أوردها (٤٦٧) كبيرة ، ثم وضع خاتمة اشتملت على أمور أربعة :

الأول : في فضائل التوبة وما يتعلق بها .

الثاني : في وصف يوم الحشر والحساب والشفاعة .

الثالث : في ذكر النار وما يتعلق بها .

الرابع : في الجنة ونعيمها .

طبع الكتاب طبعاتٍ عديدة . فطُبع بمصر سنة (١٣٩٨ هـ/١٩٧٨م) بمطبعة مصطفى البابي الحلبي - في جزءين بمجلد واحد ، ويليه كف الرعاع ، والإعلام بقواطع الإسلام ، وطُبع بدار الكتب العلمية بلبنان (١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م) في جزءين .

وكان مِن اهتمام العلماء بمؤلفات ابن حجر أنْ وجَدْنا أحدهم يختصر كتابَهُ هذا، فقد اختصر كتاب الزواجر عبد الله بن عمر بن عبد الله باجمال (ت١٠١٨هـ/١٦٠٩ م) [1] .

٣ - منظومة في أصول الدين :

نَسَبَها له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ ب) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) ، ولم نعثر على نسخة منها .

٤ - شرح منظومته التي في أصول الدين :

نَسَبَهُ له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ ب) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) - وقال السيفي عن هذا الشرح بأنه لم يجاوز فيه الخطبة، ولم نطَّلع على نسخة من الكتاب .

---

(١) راجع الشلي : عقد الجواهر والدرر (ص ٨٥) ، أمين الميرغني : تنزيل الرحمات ، في أخبار سنة (١٠١٨ هـ) من الجزء غير المرقم الورقات .

٥ - **الدرر الزاهرة ، في كشف بيان الآخرة :**

انفرد بنسبته إليه الزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) ، وقال بأنه مخطوط ، وهو رسالة ضمن مجموعة ، لم نطلع على نسخة منه .

٦ - **شرح ابن حجر على عين العلم الذي هو مختصر لكتاب الإحياء للغزالي :**

وضع ابن حجر شرحه هذا على اختصار كتاب الإحياء للغزالي الذي وضعه أحد علماء الهند وجعل عنوانه عين العلم [١] .

نسَب هذا الكتاب لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٦ أ) ، والعيدروسي في النور السافر (ص ٢٩١) ، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص ١٢٣) .

٧ - **شرح عقيدة لابن عراق :**

نسبه له السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٦ أ) وقال عنه إنه لم يتمه .

كما عثرنا على ذكر هذا الشرح ونسبته لابن حجر في نهاية نص عقيدة محمد ابن علي ابن عراق التي وجدناها ضمن مجموع قديم محفوظ بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد رقم (٤٧٤٥) تقع في ورقة واحدة ، ولم نعثر على نص الشرح الذي وضعَهُ عليها ابن حجر .

أما موضوع عقيدة ابن عراق فهو عرضٌ موجزٌ لما يجب على المؤمن السنّي أنْ يعتقده .

٨ - **النفحات المكية :**

انفرد بِنسْبَة هذا الكتاب إلى ابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ ب) وقال عنه : « لكنه لم يتمّه » كما حدثنا عن محتوى هذا الكتاب وقال : « قال في خطبته ، ورتّبْتُهُ على مقدمة في قسميْن وخاتمة : المقدمة في بيان فوائد تعرف بها القواعد ، والقسم الأول في الميزان ، والثاني في الكلام . والخاتمة : في الردّ على الرافضة والشيعة » .

وهكذا نرى أنّ ابن حجر يهتمّ دائماً بإيضاح آراء الشيعة ويردّ عليهم وينتقدهم في أكثر مؤلفاته ، وذلك لما كان من تَفَاقُم أمرهم في مكة في تلك الفترة .

ولم نجد من الكتاب نسخة نطلع عليها .

---

(١) انظر حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٢٤ ، ١١٨٢) .

٩ - تنبيه الأخيار على معضلات وقعت في كتابيْ الوظائف وأذكار الأذكار للسيوطي :

كتاب أذكار الأذكار للشيخ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وضعه تلخيصاً على كتاب حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار للإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م) [١] ثم وضع ابن حجر كتابه هذا على تلخيص السيوطي .

نسب هذا الكتاب لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٥ ب)، كما نسبه له البغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) . ولم أعثر على نسخة منه .

١٠ - القول المختصر ، في علامات المهدي المنتظر :

أحال عليه ابن حجر نفسه في كتابه الفتاوى الحديثية (ص ٤٣) ، كما أحال عليه كذلك في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٠٤) وسماه « الدرر ، في علامات المهدي المنتظر » .

ونسب هذا الكتاب لابن حجر : تلميذه السيفي في نفائس الدرر ، ورقة (٦أ) وقال : « له مؤلف في خروج المهدي » ، والكتاني في فهرس الفهارس (ص٣٣٩) ، والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) ، وفي إيضاح المكنون (٢/ ٢٥٣) كما نسبه له جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٣) .

أوله : « فهذا كتاب لقَّبْته « القول المختصر ، في علامات المهدي المنتظر » أذكر فيه ما اطلعتُ عليه من علاماته وفضائله وخصوصياته محذوفة الأسانيد والرواة ، خالية عن موضوعات الجهلة والطغاة ، وما رأيته في بعض كتب الأئمة المؤلفة فيه من غير ذكر مُخرِجه أذكره بصيغة قيل إشارة إلى انحطاطه عن الاعتبار لكنه قليل.

دعاني إلى تأليفه ادّعاءُ جماعة في زماننا وقَبْله أنهم المهديون ، وما درَوْا أنهم الضّالون المُضِلون ، وكيف لا وصرائح السنة الغراء قاضية بتكذيبهم وتسفيههم

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص ٦٨٩) . انظر ترجمة الإمام السيوطي ، الغزي: الكواكب السائرة (١/ ٢٢٦ - ٢٣١) ، ابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٥١ - ٥٥) ، كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ١٢٨ - ١٢٩) .

وتعذيبهم ، كما سأُمْلي عليك في هذا الكتاب ، سائلاً من فيض فضل ربنا إصابة الثواب . . . ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة »[1] .

آخره : « هذا آخر ما قصدته على غاية من الاستعجال ، فإنه في نحو اليوم ، وعلى غايته من الاختصار ، فإن المهدي فيه تآليف وكذا الدجال وكذا بقية الآيات، ولكن أقْصرتها على ما لا بد من الإحاطة . والحمد لله أولاً وآخراً وظاهرًا وباطنا. . . »[2] .

منه نسخة بدار الكتب المصرية ضمن مجموع رقم (١٤٢/ ١٠) تقع في (١٦) ورقة ، كُتبتْ سنة (١٢٤٤ هـ) .

* * *

---

(١) ابن حجر : القول المختصر ، ورقة (١ ب - ٢ أ) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق ، ورقة (١٦ أ) .

مؤلفاته في الأخلاق

١ – تطهير العيْبة ، من دَنَس الغَيبة .

٢ – الإفادة بما جاء في المرض والعيادة .

٣ – مؤلَّف عن المخاصمة في أمر الدنيا .

٤ – سعادة الدارين ، في صلح الأخوين .

٥ – ٦ – مؤلفان في الاستغفار من السوء .

٧ – إتحاف ذوي المروءة والأنافة بما جاء في الصدقة والضيافة .

٨ – الجوهر المنظم .

٩ – تحفة الزوار .

١٠ – أدب المعلم والمتعلّم .

١١ – تحرير المقال ، في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال .

١٢ – إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العمّال والحكام .

١٣ – أسنى المطالب ، في صلة الأقارب .

١٤ – كفّ الرعاع ، عن محرمات اللهو والسماع .

١٥ – تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات .

١٦ – نصيحة الملوك .

١٧ – در الغمامة ، في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة .

١٨ – تنبيه الغبي، إلى السلسبيل الروي، في وجوب محبة أهل البيت النبوي .

١ - تطهير العَيبة من دنس الغَيْبة :

نسبهُ له السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ أ) ؛ والبغدادي في إيضاح المكنون (١/ ٢٩٤) .

ألّف ابن حجر كتابه هذا استجابة لطلب بعض الأئمة الذين يقدرهم ويحترمهم - ولم يذكر لنا اسمه - في وضع مؤلف في الغيبة ، فكان هذا الكتاب الذي اعتبرناه من مؤلفاته في الأخلاق ، لأنّه اهتمّ بجانب خطير يمسّ أخلاق المجتمع الإسلامي ألا وهو الغِيْبة وما لها من آثار سيئة على المجتمعات الإسلامية ، لذا كان تحريم الإسلام لها . واستعرض المؤلف آراء العلماء فيها وتحذيرهم منها ، معتمدًا في استشهاداته على مرويات كبار المحدثين أمثال أبي داود والترمذي وابن ماجه . ووثق أحاديثه التي رواها بالإسناد .

أوله : « أما بعد حمد الله تعالى على إنعامه ، وصلواته وسلامه على خير خلقه محمد وآله وأصحابه الحافظين لذمامه . فهذا كتاب لقَّبْتُه (تطهير العَيْبة ، من دنس الغَيْبَة) سألني في تأليفه بعض العارفين الأئمة الوارثين أعاد الله عليَّ من بركاته وأمدني بصالح دعواته [(١)] ، فامتثلتُ إشارته وقفوت آثاره ولم أتجاوز فيه مراده . فإن الكلام على الغيبة يحتمل ضعف هذا التأليف وزيادة ، ورتَّبْتُه على مقدمة وثلاثة أبواب .

المقدمة : في بيان الخلق السيئ الذي ينشأ عنه الغيبة وغيرها من المعاصي القولية والفعلية . . .

الباب الأول : وفيه مقصدان : عام في حفظ اللسان عن الفحش والغيبة والكذب وغيرهما ، وخاص في الغيبة وفيه فصلان . الأول في النهي عنها وبيان عظم شؤمها ، والثاني في الترخيص فيها . . .

الباب الثاني : في كلام الفقهاء على الغيْبة المأخوذة من الأحاديث السابقة وغيرها وفيه فصلان . . .

---

(١) وهذا من مبالغات ذلك العصر .

الباب الثالث : في بيان حكم الغيبة والنميمة والفرق بينهما . . .

خاتمة : « في بيان العلاج الذي يمتنع به اللسان من الغيبة وغيرها . . . » .

آخره : « . . . إذا علمتَ تلك الأسباب وعلاجها واستعملتَ هذا الدواء الذي وصفتُه لك ، سَلِمْتَ إن شاء الله تعالى من ضرر الغيبة ، وكُنْتَ ممن اشتغل بعيوبه عن عيوب الناس فصَان لسانَهُ عن أن ينْطق إلا بخير ، فحينئذ تفوز بخيريْ الدنيا والآخرة .

وفقنا الله تعالى لسلوك هذا الطريق الأقوم ، وختم لنا بالحسنى وأجارنا من كل فتنة ومحنة إلى أن نلقاه وهو عنا راضٍ من غير سابِقة عذابٍ ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدِّيقين ، والشهداء والصالحين ، وحَسُن أولئك رفيقاً » .

اطلعت على نسخة مخطوطة منه بدار الكتب المصرية رقم مجاميع (٣/١٤٢) تقع في (٩ ورقات) بخط جميل .

٢ - الإفادة ، لما جاء في المرض والعيادة :

انفرد السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ أ) بنسبة هذا الكتاب لابن حجر ولم تذكره التراجم الأخرى .

اهتم ابن حجر بعلاقات المجتمع الإسلامي فيما بين أفراده ، فأراد تأليف هذا الكتاب لِمَا رآه من تقصير الناس في عيادة المريض التي هي واجب ديني .

فهكذا نرى الفقيه يعايش أحوال مجتمعه فيلمس الناقص فيه ويؤلف ، ليحث الناس على الترابط ويُرغّب في عيادة المريض بإيراد الأحاديث الحاثة على ذلك وآراء الفقهاء في آداب الزيارة وما يجب على المريض من التحلي بالصبر والدعاء والتقرُّب إلى الله سبحانه وتعالى .

أوله : « الحمد لله الذي جعل الأمراض مكفرات لهذه الأمة عظائم الذنوب ، وحثهم على الصبر عليها لينالوا رضاه وما أعدَّه لهم من الفضائل التي لا يُحيط بها إلا عَلام الغيوب ، وأكَّد الأوامر وأجزل الثواب في عيادتهم وصلتهم لتتآلف الأرواح ، وتجتمع القلوب . . .

وبعد ، فهذا مختصر لطيف ، وأنموذج شريف ، في فضائل عيادة المرضى والمريض ، وآدابها وأحكامها ، دعاني إليه تقصير كثير فيها ، أو في بعض توابعها، فقصدتُ تلخيص المهمّ من ذلك ، . . . وسمّيْتُهُ : الإفادة ، لما جاء في المرض والعيادة ، ورتّبْتُهُ على مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة » .

اشتملت المقدمة : على فضائل العيادة والحثّ عليها والأحاديث الواردة في ذلك ، وواجب الجار في تعهد جاره المريض وإلا وقع في إثْمٍ عظيم .

والفصل الأول : في أحكام العيادة وتشمل أولاً أحكامها الفقهية وآراء الفقهاء فيها ، وثانياً آدابها الاجتماعية وأوقاتها وغيرها .

الفصل الثاني : في آداب المريض وما عليه رعياته في مرضه من صبر وتوبَةٍ وصدقة وذكر وغير ذلك .

الفصل الثالث : في أذكار العيادة والدعاء للمريض .

الخاتمة : في أمور متفرقة منها حكم رقية المريض والتهنئة بالعافية والوعظ بعد الشفاء .

آخره : « ويُسّنّ وعظ المريض بعد عافيته وتذكيره الوفاء بما عاهَدَ الله تعالى عليه مِن خير ، كتَوْبةٍ ، وصَدَقَةٍ ، لتأكد الوفاء بالعهد . . . وصلى الله تعالى وسلم وبارك أفضل صلاة ، وأفضل سلام ، وأفضل بركة على أفضل الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد معلوماتك أبداً يا أرحم الراحمين » .

ولم يذكر ابن حجر تاريخ تأليفه لهذا الكتاب .

طُبع الكتاب حديثاً طبعة أولى ، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا سنة (١٤١١هـ-١٩٩٠م) - مع تحقيقه بمعرفة الدار - معتمدة على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٣٦٧٨) تصوف ، نُسخت سنة (١٢٠٧هـ) ولم يذكر فيها اسم الناسخ .

والطبعة الثانية ، طبعة مكتبة الهداية ، بيروت - لبنان بتحقيق د. عبد الله نذير أحمد سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) معتمداً على نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٣٦٧١) ، نُسخت سنة (١٢٠٧هـ) .

٣ – مؤلف عن المخاصمة في أمر الدنيا :

انفرد بنسبته إليه تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٦ أ) وقال عنه بأن : «حاصله أن شخصاً نهى عن المخاصمة في أمر الدنيا فقال ابن حجر : إنّ النبي ﷺ خاصَمَ فيها وأمره الله بذلك بقوله : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (١) فأحب رحمه الله تعالى ورضي عنه ظهور الجواب ضِمن تألِيف ، انتصارًا للجناب الشريف » . وأضاف السيفي بأن ابن حجر ألَّفه قبل وفاته بأربعة أيام . ولم نعثر على نسخة منه .

٤ – سعادة الدارين ، في صلح الأخوين :

اختص السيفي بنسبته له في نفائس الدرر (ورقة ٣ أ) .

ولم نعثر على نسخة منه .

٥ – ٦ – مؤلفان في الاستغفار من السوء :

انفرد بنسبتهما له السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٦ أ) وقال عنهما : « أَلَّفَهُما ردا على مَن أنكر قول شيخه أبي الحسن البكري في حِزْبه « أستغفر الله مما سوى الله » لكن أسْبَقهما تأليفاً ضاع بمصر » . ولم نعثر عليهما .

٧ – إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء في الصدقة والضيافة :

= حقائق الأنافة في الصدقة والإضافة .

= إرشاد ذوي الغنى والأنافة إلى ما جاء في الصدقة والضيافة :

أحال عليه ابن حجر في فتاويه الفقهية (٣/ ١٥) وذكره بالعنوان الأول ، وأحال عليه في كتابه فتح المبين لشرح الأربعين (ص١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨٧) ، وذكره بالعنوان الثاني للكتاب .

أما العنوان الثالث فقد أورده تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٣ أ) .

وفي مقدمة الكتاب التي وضعها ابن حجر ووضّح فيها سبب تأليفه للكتاب لم يعنون له بعنوان كما في سائر مؤلفاته . ورغم أن هذا الكتاب قد حُقق بمصر إلا

---

(١) سورة القصص : الآية (٧٧) .

أن المحقّق لم يُشِر إلى عنوان المخطوط الذي اعتمد عليه إنما ذكَر رقمه بدار الكتب المصرية وأعطاه عنوان « الأنافة في الصدقة والضيافة ، إكرام الضيف وفضل الصدقات » .

أما عن محتوى الكتاب : فقد وضّحه ابن حجر بقوله : « فإنه لما حصل في بلاد بجيلة [(١)] وغيرها من أطراف اليمن والحجاز قَحْط عام متتابع سِنين متعدّدة ، إلى أن أجْلَى كثيرين من بلادهم إلى مكة المشرفة ، هذه السنة ، سنة خمسين وتسعمائة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) أكثر كثيرون ممن عندهم تقوى وديانة السُّؤال عن الصدقة ودلائلها المرغبات ، والمحذّرات ، وأحكامها من الوجوب والندب ، والإباحة والكراهة ، وخلاف الأولى والخدمة ، فأجبتُهم إلى ذلك ، وأكثرتُ فيه من الأدلّة المرغّبة في الصَّدقة . . . » [(٢)] .

ورتب ابن حجر كتابه على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

المقدمة : في أمور تتعلق بالصدقة .

الباب الأول : في فضائل الزكاة والضيافة .

الباب الثاني : في فضائل السخاء والصدقة .

الباب الثالث : في آداب الصدقة وأحكامها .

الباب الرابع : في صدقة التطوّع والفرض .

وخاتمة : في فضل الفقراء والفقر .

ولقد اشتملتْ جميع أبواب الكتاب على الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال علماء المذاهب في فضل الصدقات .

منه نسخة مخطوطة بالمكتبة السعيدية بحيدر آباد بالهند رقم (٢٤٧) ، تقع في

---

(١) بجيلة : قرية في وادي ليه شرقي الطائف . وقد تُستعمل للدلالة على منطقة واسعة شرق وجنوب الطائف . راجع غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، ذكرت في هذا الكتاب مراراً ، انظر فهارسه .

(٢) من النص المطبوع (ص١٥) .

(٤٢ ورقة) . وطُبع الكتاب بمصر في مكتبة القرآن بتحقيق مجدي السيد إبراهيم، طبعة بولاق سنة (١٩٨٧م) .

٨ – الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم [١] :

أحال عليه ابن حجر في كتابه شرح الهمزية (ص٢٤٥) .

نسبَهُ له تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ؛ وحاجي خليفة في كشف الظنون (ص٦٢٠) ؛ والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) ؛ وسركيس في معجم المطبوعات (ص٨٢) ؛ والزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) ؛ واللكنوي في الفوائد البهية (ص٢٤١) .

طُبِع الكتاب ثلاث طبعات :

١ – طبعة بولاق سنة (١٢٧٩هـ) مطبعة عبد الرحمن رشيدي في (٩٢ صفحة).

٢ – المطبعة الميمنية سنة (١٣٠٩هـ) تقع في (١٠٤ صفحات) .

٣ – المطبعة الخيرية سنة (١٣٣١هـ) تقع في (٨٣ صفحة) .

وعرَفْنا منه ثلاث مخطوطات :

١ – نسخة الهند – في المكتبة الآصفية بحيدر آباد رقم (١٣٠ حديث) – تقع في (١٢٢ ورقة) – خطها نسخي جميل – كُتبت في حياة المؤلف مِن أحد تلاميذه لم يذكر اسمهُ – سنة (٩٦٩هـ/ ١٥٦١م) وقد قُوبِلتْ هذه النسخة مع أصل المؤلف سنة (١٢٧٧هـ) .

٢ – صورة نسخة ثانية برقم (٥٤٨) مجاميع بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، وهي نسخة مغربية نسخت سنة (١٢٤٢هـ) على يد الناسخ عمار بن عمر بوعشير العيادي . عدد ورقاتها (٦١ ورقة) .

٣ – نسخة الهند – خدابخش بَتْنا برقم (١٢٩٩) – H L .

---

(١) لا يخفى أن الزيارة وشد الرحال تكون للحرم حسب الحديث !!* ،، .

نُسختْ في (٢٦ جمادي الثانية سنة ١٢٣٨هـ) - الناسخ محمد بن إبراهيم بن عمر بامعلم .

تاريخ تأليفه :

بدأ ابن حجر تأليفه في وادي مَرّ الظهران يوم الأحد تاسع عشر شوال سنة ست وخمسين وتسعمائة (٩٥٦هـ/١٥٤٩م) في بداية زيارته للمدينة المنورة - وفرغ من تأليفه عند « رجوعه من الزيارة قرب وادي مَر الذي كان ابتداؤه فيه ، يوم الأربعاء المبارك حادي عشر ذي القعدة الحرام سنة ست وخمسين وتسعمائة»[1] .

محتوى الكتاب :

قال ابن حجر عن محتوى كتابه : « رتّبْتُه على مقدمة وثمانية فصول وخاتمة». ثم جاء محتوى الكتاب كما يلي [2] :

(ص٣-٦) **المقدمة** : في آداب السفر - والاستخارة له ، ومن ثم أداء ما عليه من حقوق وديون وودائع ، وأن يتحرّى النفقة من حلال وغير ذلك من أحكام الزيارة وآدابها وأدْعيتها .

(ص٦-١٨) **الفصل الأول** : في مشروعية زيارة المسجد النبوي الشريف بالاستدلال بالآيات والسنة وإجماع الأمة والقياس .

(ص١٨-٢٨) **الفصل الثاني** : في فضائل الزيارة وفوائدها .

(ص٢٨-٣١) **الفصل الثالث** : في التحذير من ترك زيارته ﷺ مع استطاعتها .

(ص٣١-٣٣) **الفصل الرابع** : في بيان الأفضل للحاج هل هو تقديم الزيارة أو الحج .

(ص٣٣-٣٨) **الفصل الخامس** : فيما يتأكّد على الزائر في طريقة فعله .

---

(١) ابن حجر : الجوهر المنظم (ورقة ١١٢ أ) (نسخة الهند - حيدر آباد) .

(٢) اعتماداً على النسخة المطبوعة بالمطبعة الخيرية سنة (١٣٣١هـ) .

(ص٣٨-٤٣) **الفصل السادس** : فيما يُسَنّ له فعله من حين دخوله المدينة الشريفة إلى حين دخوله المسجد النبوي .

(ص٤٣) **الفصل السابع** : فيما ينبغي للزائر فعله من حين دخوله المسجد النبوي إلى خروجه منه طالباً بلاده .

الخاتمة : في آداب الزيارة .

٩ - تحفة الزوار :

اختصّ بذكره ونسبته إلى ابن حجر : البغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦)، وفي إيضاح المكنون (١/ ٢٤٩) وذكر أوله وهو : « الحمد لله الذي طيَّبَ طَيْبة . . . إلخ » . ولم أعثر على نسخةٍ منه .

١٠ - أدب المعلم والمتعلم :

هو التأليف الثاني لابن حجر في هذا الموضوع ، فقد ألف قبل ذلك بأربعة عشر سنة كتابه الأول ، وهو تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال ، ألفه ثاني جمادى الأولى سنة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) ثم كان تأليفه الثاني هذا بعنوان مختلف في مستهل ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) أي قبل وفاته بعام واحد .

ورغم أن مصادر ترجمة ابن حجر لم تذكر له سوى مؤلفه الأول ، إلا أننا وجدنا تلميذه السيفي عندما نسب له مؤلفه الأول تحرير المقال ذكر له « مؤلفاً كالذيل عليه أوسع منه » [1] مما نبهَنَا لوجود مؤلف ثان لابن حجر في الموضوع . وبعد بحث طويل وجدتُ منه هذه النسخة الوحيدة التي عرفناها .

نسخة المخطوط :

حفظت المخطوطة ضمن المجموع (٤٢٢٤) (قسم يهودا) - من مجموعة جاريت **Garrett** للمخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة ، جامعة برنستن - وهو المخطوط الأول من المجموع عدد ورقاته (٢٤ ورقة) .

---

(١) السيفي : نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) .

لم يذكر الناسخ اسمه ولا تاريخ نسخها ، ولكن يغلب على الظن أنها كتبت خلال نهاية القرن الثاني عشر الهجري ، كما ينص الناسخ على أنه نسخها من مسودة المؤلف .

أسباب التأليف :

ذكر ابن حجر في مقدمة كتابه أنه ألف قبل ذلك كتاباً في مسائل تتعلق بالقرآن الكريم ودراسته مشيراً إلى كتاب تحرير المقال ، وذكر في سبب تأليفه ما لم يورده في مقدمة الكتاب نفسه ، ثم ذكر أسباب تأليفه لكتابه الثاني هذا بأنه وجد كتاباً لأحد علماء المغاربة ممن استوطن مكة ومات بها ، ورأى أنه كتاب جامع لكثير من المسائل في مجال التعليم وآدابه فأخذ حاصل ما فيه ونقحه وزاد عليه وعن ذلك قال : « ثم رأيت الآن مستهل ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة كتاباً لبعض المغاربة . . . الذين استوطنوا مكة إلى أن توفُّوا بها كتاباً جامعاً لأمهات المسائل في ذلك على قواعدهم . يقول . . . : إنه ضم إليه الأحكام التي تناسبه من المذاهب الثلاثة لمزيد الاحتياج إلى ذلك ولأنه صنيعه يدل على أنه مطلع ، فأخذتُ حاصل ما فيه ، ثم إن كان لأئمتنا نقلٍ فيه ذكرته وإلا خرّجته على قواعدهم ، ثم جعلت الكل منه تأليفاً واحداً . كل ذلك نصحٌ - كما مر - للمسترشدين ، لعل أن أُمنح بسبب ذلك درجات المخلصين »[1] .

محتوى الكتاب : وضع ابن حجر كتابه هذا في مقدمة وستة عشر فصلاً إلا أنه لم يرقمها فجاءت كما يلي :

ورقة (١ ب - ٢ أ) - المقدمة .

(٢ أ) - فصل : في فضل القرآن وتعلمه وتعليمه وتوابع لذلك .

(٣ أ) - فصل : ذكروا لحامل القرآن آداباً كثيرة .

(٣ ب) - فصل : اختلف السلف في قدر المقروء منه في كل يوم وليلة .

(٤ ب) - فصل : ليحذر كل الحذر من التهاون في القيام به (نسيانه) .

(٤ ب) - فصل : من آداب القراءة المتأكدة .

---

(١) ابن حجر : أدب المعلم والمتعلم (ورقة ٢ أ) .

(٥ أ) - فصل : في آداب معلم القرآن .

(٧ أ) - فصل : في الترتيل .

(٩ أ) - تنبيه .

(١٠ أ) - فصل : اختلف السلف والخلف في حكم الإجارة وأخذ الأجرة على تعليم القرآن .

(١٤ ب) - فصل : التسوية بين ابن الفقير وابن الغني .

(١٥ ب) - فصل : يلزم المعلم أن يحبس حاله بامتثال الأوامر واجتناب النواهي .

(١٦ ب) - فصل : الضرب أسفل القدمين .

(١٧ أ) - تنبيه .

(١٧ ب) - فصل : ابن الحاج : ينبغي له أن يعلمهم الخط والاستخراج .

(١٨ أ) - فصل : له تعليمهم أ ب ت ث ج .. إلى آخره .

(١٩ ب) - فصل : ابن الحاج : لا يعوّدهم القراءة في جماعة .

(٢٠ أ) - فصل : من حسن النظر التفريق بين الذكور والإناث .

(٢٢ أ) - فصل : ليحذر كل الحذر مما يفعله بعض المؤدبين من خلط أغديتهم بعضها ببعض .

١١ - تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال :

نسبه له السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) وأضاف بأن لابن حجر مؤلفاً آخر كالذيل عليه أوسع منه . كما نسبه إليه البغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦)؛ وفي إيضاح المكنون (١/ ٢٣٤) ؛ والزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) ؛ وكحالة في معجم المؤلفين (٢/ ١٥٢) .

سبب تأليف الكتاب وتاريخه :

ذكر ابن حجر في مقدمة كتابه أنه ألّفه جواباً عن مجموعة أسئلة وردت عليه من أحد المؤدبين الصالحين في ثاني جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة

(٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) ، ودون أن يذكر اسم السائل . فقال في ذلك : « ورد عليّ من بعض صلحاء مؤدبي الأطفال ثاني جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، أسئلة معجمة ، وتدقيقات الأجوبة عنها متحتمة ، فلما أردت الجواب عنها طال الكلام ، وانتشر ، واحتاج إلى مقدمات وأقيسة ، أنتجها ...ـح البرهان ، ودقيق النظر ، فلما تمت مصونة عن سفساف المكثرين ، مصحوبة بتحة..ات طبق تحقيقات المتقدمين والمتأخرين ، دعاني ذلك إلى جعلها تاليفاً لطيفاً ، وأنموذجاً شريفاً ، تعتز به عيون المتقين ، وتفزعُ إليه عند تحيّر الأفهام أفئدة المؤمنين ، فاستخرتُ الله سبحانه وتعالى ، الذي ما خاب من استخاره ، وضممتُ إليها تتمات تؤمّن مَن لجأ إليها عثاره ، وأسميتها « تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » (١) .

وبعد قرابة ستة عشر عاماً من تأليف كتابه هذا ألف ابن حجر كتاباً ثانياً في نفس الموضوع ، وذلك سنة (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) وأشار في مقدمته إلى كتابه الأول هذا وعرض سبب تأليفه مفصَّلاً ، ذاكراً اسم السائل وهو الإمام عبد الله اليافعي من بني الحكمي أحد سادة اليمن ، الذي اشتهر بالعلم والفضل وحرر كتاب الروضة ثم قدم مكة فعرض عليه قاضي القضاة أن يلي قضاء الحجاز فامتنع ثم كرر العرض فاستجاب وتولى قضاء مكة وقُراها واليمامة فانشغل عن التأليف بإصلاح ما كان من التزوير والرشا الباطلة ، فجاء إلى موليه وسأله أن يعيّنه معلماً في كُتّاب الأيتام ، وإلا يعزل نفسه . فلما رأى تصميمه عزله وولاه وظيفة التعليم. ثم ظهرت له أسئلة كثيرة لا يعرف إجاباتها فكتب بها إلى ابن حجر الذي اهتم بالإجابة عن أسئلته التي جمعها في هذا المؤلف .

وعن ذلك قال ابن حجر في مقدمة كتابه الثاني : « وبعد . فإن مما سودته ، وعند الله ادّخرته ، كتاباً فيه مسائل نفيسة جدا تتعلق بالقرآن العظيم ، أكثرها لم أجد فيه نقلاً ، ولكن فُتح عليّ في كثير منها كرماً من المولى وفضلاً . . . دعاني إليه وحملني عليه رجاء إمداد السائل فيه وهو رجل من أجلاء بيوت السادة من أهل اليمن ، أعني به من بني الحكمي . . . الإمام عبد الله اليافعي . . . وذلك

---

(١) ابن حجر : تحرير المقال (ص١) .

أنه كلما قصد مكة ليحصل فيها العلوم . . . لأن قاضي القضاة لما بلغه من صلاحه ما يبهره دعاه وعرض عليه أن يوليه فامتنع ، ثم حرص عليه فامتنع . . . ثم جلس جلسة أخرى . . . فأجاب فولاه قضاء الحجاز بإصلاحهم (كذا) وهي قرى مكة واليمامة ، وظهر به خير كثير ، لم يؤلف لكثرة ما كان قبله من التزوير والرشا الباطلة السحت ، ثم حاسب نفسه فرأى أنه لا خلاص له فجاء إلى مُوَلّيه وسأله أن يقيم معلّمًا في كُتاب الأيتام الذي عمره السلطان ، فقال له : أترضى بهذه الوظيفة الدَّنية ، أي عابه ، بأنك كنت قاضياً تصير مؤدباً للأيتام ؟ فقال : نعم أرضى بذلك لا بالقضاء لما شاهدت فيه من الفتن التي لا سلامة فيها. فأبى أن يعزله فأراد أن يعزل نفسه فقيل له : يغضب عليك فيقطع مدده عنك، فقال : ما عليَّ . ثم لما رأى تصميمه عزله وولاه وظيفة التعليم فمكث فيها مدة وظهر له أسئلة كثيرة فسوَّد منها نيفاً وأربعين سؤالاً مشتملة على أسئلة كثيرة لا نقل فيها ورفعها إليَّ فتعبتُ في الكشف على مظانها إلى أن يسَّر الوهاب فيها لما وهب . ثم رفع أسئلة أخرى وهكذا فاقتضى النظر أن نجعل الكلام على ذلك تأليفاً جامعاً ودستوراً مانعاً برقمها في مؤلف مشتمل ضممت إليها فيه ما له تعلُّقٌ بها من المسائل المتعلقة بآداب القرآن وتعليمه بذلك مما يضطر إلى عمله»[1] .

محتوى الكتاب :

قال ابن حجر في مقدمته إنه رتبه على سبعة مقاصد وخاتمة ، فجاءت كما يلي:

المقصد الأول : في الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن .

المقصد الثاني : في بعض الأحاديث الواردة في فضائل معلمي القرآن وتعليمه.

المقصد الثالث : في الأحاديث الدالة على جوار أخذ الأُجرة على تعليم القرآن والرقية به ونحوهما .

المقصد الرابع : الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن .

المقصد الخامس : في بيان اختلاف العلماء في الأخذ بالأحاديث السابقة .

---

(١) ابن حجر : أدب المعلم والمتعلم (ورقة ١ ب - ٢ أ) .

المقصد السادس : في تجويز المعلم نظر المُرْد الذين يعلمهم ، وفي بيان حل نظر المعلم إلى الأمرد المتعلّم من غير شهوة ولا خوف فتنة .

المقصد السابع : في الأسئلة والأجوبة التي هي السبب في هذا التأليف .

خاتمة : في أحاديث حاثة ومؤكدة للفقهاء والمعلمين على الرحمة بالمتعلمين والمبالغة في إسداء الإحسان إليهم ، والقيام بمصالحهم ما أمكن .

مخطوطة الكتاب ومطبوعاته :

من كتاب تحرير المقال نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (٩٧٩) تصوف، نسخت سنة (١١٥٤هـ) - ناسخها محمد حسن تركي .

وقد طبع محققاً بالقاهرة سنة (١٤٠٦هـ) تحقيق عبد المعز عبد الحميد الجزار ، يقع في (١٣١ صفحة) - بتحقيق علمي مفيد - .

وطبع طبعة ثانية محققة في دار ابن كثير بدمشق بإشراف محمود الأرناؤوط - لم نطلع عليها - .

١٢ - إيضاح الأحكام لما يأخذه العمال والحكام :

ذكره ابن حجر وأحال عليه في فتاويه الفقهية (٤/ ٣٢٤) وقال عنه :«ولا يجوز للقاضي قبول ما نذر له أو لولده الصغير . . . وقد استوفيته أتم استيفاء وبسطته أحسن بسط ، وضبطه أكمل ضبط ، في كتابي الذي ألفته في ذلك لما جاءني أسئلة كثيرة من اليمن وسّميته « إيضاح الأحكام لما يأخذه العمال والحكام » .

وانفرد بنسبته له تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٦ أ) وقال عنه : «إنه ألفه افتتاح عام سبع وخمسين وتسعمائة (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) لما أرسل إليه مسائل مشكلة من اليمن أحب الجواب عنها ضمن تأليف » .

وهذا ما ذكره المؤلف نفسه في مقدمة كتابه موضحاً منهجه فيه فقال : « أنه أرسل إليَّ من اليمن ، افتتاح عام سبع وخمسين (٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) مسائل مشكلة تتعلق بالهدية والرشوة ، فأجبت عنها بجواب مختصر ، ثم كشفتُ عدة كتب لاستقصاء الكلام على بعضها ، فكان فيها كتاب : « فَصْلُ المقال في هدايا العمال » لشيخ الإسلام المجتهد التقي السبكي ، فرأيته أطال وأسهب في التأصيل والتفريع حتى كاد أن يتعذر به الانتفاع على أكثر الطلبة ، بل على الجميع ، مع

عدم تعرضه للترجيح في كثير من المسائل ، بل وميله إلى أقوال ضعيفة ، فأحببت تلخيصه وإيضاحه وتمحيصه - مع الزيادات الكبيرة عليه ، لمسيس حاجة الناس إليه، والإشارة إلى ما فيه من مردود ومقبول ، ومبحوث ومنقول وسميته ورتبته على : مقدمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة » [1] .

أورد المقدمة : في بيان السؤال والجواب المختصر ، وجعلها في المسائل المتعلقة بالرشوة والهدايا التي تقدم للقضاة وأصحاب السلطة والحكم وآراء العلماء فيها على مختلف المذاهب السنية .

وجعل الفصل الأول : في الأحاديث الواردة في الرشوة وهدايا العمال . وقد اهتم بإخراج الأحاديث الصحيحة وإثباتها .

ثم الفصل الثاني : في الرشوة وفيه طرفان : الأول في اشتقاقها وحدها ، والثاني في حكمها .

الفصل الثالث : في حكم الهدية .

والخاتمة : في آراء المذاهب الأربعة الحنفية والمالكية والحنابلة والشافعية في الرشوة والهدية .

- من الكتاب نسخة بالجامع الكبير بصنعاء برقم (١٩) .

- ومنه نسخة تحت الطبع والتحقيق بمصر وهي التي اعتمدناها وتقع في (١٢٦ صفحة) . معتمداً فيها على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم الميكروفيلم (٤٣٣٣٦) .

١٣ - أسنى المطالب في صلة الأقارب :

أحال عليه ابن حجر في كتابه شرح الهمزية للبوصيرى (ص٢٧٣) [2] .

انفرد بنسبته لابن حجر البغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) وفي إيضاح المكنون (١/ ٨١ و ٢/ ٤٩٦) .

---

(١) نسخة الكتاب المطبوع بمصر (ص١٦) .

(٢) ابن حجر : شرح الهمزية طبعة بولاق سنة (١٢٩٢هـ) .

مخطوط :

عرفنا منه ثلاث نسخ :

الأولى : نسخة دار الكتب المصرية برقم (٨٨) أخلاق تيمور ، نسخ سنة (١٠٩٩هـ) وناسخه أحمد بن عامر الكنيسي الشافعي، عدد ورقاته (٣٣٩ ورقة).

الثانية : نسخة بمكتبة خدابحش بتنا برقم (١٣٩٨) H - L .

نسخت سنة (١١٢٨هـ) عليها تملكان أحدهما باسم عبد الله بن يحيى العراقي بتاريخ (١١٧٩هـ) والآخر باسم أحمد الشيبي بتاريخ (١١٨٩هـ) . وهي نسخة تقع في (٢١٨) ورقة .

الثالثة : نسخة محفوظة بالمكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند رقم (٩٤٠) (عام ١٣٢٤٢) نسخت سنة (١١٨١هـ) لم يذكر ناسخها تقع في (١٩٦ ورقة).

سبب تأليف الكتاب :

ذكره المؤلف في مقدمته قائلاً : « الحمد لله الذي عمر دوائر كبريائه بعظائم قدرته . . . وبعد . فهذا كتاب عميم إن شاء الله تعالى نفعه ، عجيب وضعه ، باهر جمعه ، عالية ذروته ، غالية قيمته ، عزيز نظيره ، غزير إكسيره ، دعاني إليه أمُر إمر ، ووزر كله وزر ، وحالُ بين أخوين حائل ، وجور مائل ، وقطع رحم من غير تأويل ، وكثرة قال وقيل ، وذلك أنّ أخوين من وجوه أهل مكة وسلالة أكابرها ، وشي بينهما واشون ، ووسوس إليهما من الجنة والناس موسوسون ، فتكدرتْ مشاربُهما الصافية ، وتقهقرت مطالبُهما العالية ، وأخلَدا إلى سماع ما لا ينبغي الإصغاء إليه ، تنزّلا إلى ما كان غنيّين عن التنزّل عليه ، فإذا كاد الأمر بينهما أنْ يتفاقم ، والقطيعة لرحمهما أن تتعظام ، نُبّهتُ إلى السعي في التآم هذا الخرق الذي اتسع على الراقع ، وسد هذا الثلم الذي كاد أن لا ينفع فيه شافع ، فبذلتُ في ذلك جهدي ، وكررتُ استعمال المصلحات لتُجدي ، مخلصاً إن شاء الله تعالى في ذلك النية ، ومظهرا من الزيغ عن الحق في شيء منه الطوية ، غير معول فيه إلا على من القلوب بيده يُقلبها كيف شاء بقاهر قدرته ، ويُلهمها ما أراد مما يقتضيه باهر حكمته .

فلم يزدد الأمر بينهما إلا غلظة وشدة ، ولم أَر من كلٍّ منهما إلا إباءً وحِدّة ،

فتكدرتُ لذلك وقلتُ : لعلي لست من أهل هذه المسالك . فقد قال بعض العارفين : كنت إذا سعيتُ في إصلاح لم يتم عددتُ ذلك من عدم إخلاصي وصدق نيتي ، لأن الله تعالى يقول في الحكمين : ﴿ **إِن يُرِيدَآ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآ** ﴾ (١) .

وحينئذ توسلتُ إلى خالق القوى والقُدَر ، ومانح النفع والضرَّ ، أن يسهل هذا الأمر الصعب ، وأن يضيّق هذا الخرق الرحب . ولم أزل على ذلك إلى أن غشيني النوم ليلة الأمس ، فتعطَّلَتْ مني الحواس الخمس ، فرأيتُ قائلاً لي بإعجال وسرعة ، وإيقاظ ومنعة : ألّفْ في هذه المسألة كتاباً .

فسررتُ لذلك كثيرا ، وأيقنتُ بأنه لا بد أن يلتئم خرق ما بينهما ، وكان ربك على ذلك قديراً ، ورجوتُ أن السعي في ذلك يُدينني في خير كثير ، ونفع غزير، كيف لا وبه إصلاح الدارين ، واجتماع الشملين ، وزوال الفرقة والبين ، والقيام بما يجب للرحم والقرابة من الحقوق ، والسلامة من القطيعة والعقوق ، ومن شماتة الأعداء والحاسدين ، والأسافل والمارقين ، فإنهم جُبلوا على محبة الفتن بين الأكابر ، وإظهار القبائح في صور المآثر والمفاخر ، والسعي في إفساد ما بين الأقارب والأصدقاء من صفاء الود والمحبة ، وقديم الإلف والوصلة والرغبة .

وحين إذ تأملتُ ذلك ، شرعتُ في هذا التأليف البديع ، الداعي إليه ذلك السر المنيع ، مستعيناً بأكرم الأكرمين ، ومغيث المضطرين ، في إكماله وتيسيره ، وتهذيبه وتحريره ، فلم يتمّ فراغه إلا وقد التأم ما بينهما من الخرق الواسع ، وعادا إلى ما طُلب منهما من الوصل الجامع ، وقد بذلتُ فيه جهدي وأفرغت فيه وسعي إلى أن صار حقيقاً بأن يسمى « أسنى المطالب ، في صلة الأقارب » . . . ورتبتُه على أربع مقدمات وخمسة أبواب وخاتمة » (٢) .

كما أشار ابن حجر خلال أبواب كتابه إلى سبب تأليفه في تنبيه ذكره فقال : «قد سبق أنَّ سبب تأليف هذا الكتاب ما وقع من تقاطع شديد بين أخوين شقيقين

---

(١) سورة النساء : الآية (٣٥) .

(٢) ابن حجر : أسنى المطالب (ورقة ١ ب - ٢ ب) (نسخة الهند - الآصفية) .

أحدهما أكبر من الآخر ، ووقع مني تأكيد شديد لأصغرهما أن يسامح ما أمكنَهُ إن فرض أن له حقاً ولأكبرهما نحو ذلك لكنه أدْوَن من الأول . وإنما فعلتُ ذلك لقوله ﷺ (حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده) » [١] .

كما قال عن سببَ تأليف كتابه هذا ما نصه : « فلأجل ذلك أطلْتُ النَّفَس في هذا التأليف لعل الله تعالى أن ينفع به وأن يوصل لكثير من الأرحام والأقارب الخيرات بسببه آمين » [٢] .

ومما سبق يتضح لنا أن ابن حجر ألّف كتابه هذا لغرض الإصلاح في خلاف وقع بين أخوين من أكابر أهل مكة . ولم يذكر ابن حجر اسمهما ولا نعرف هل هما من الأشراف الذين كانت لهم السلطة في مكة آنذاك . أو هما من العوائل المكية الكبيرة لكن المؤكد أنهما من أكابر أهل مكة ممن قد يترتب على خلافهما تأثير سيئ على المجتمع في مكة مما أوجب على ابن حجر وهو عالم مكة وفقيهها أن يتدخل ويسعى إلى الإصلاح بينهما بكل الطرق ، فبدأ بالحوار والنقاش وكرر تلك المحاولات إلا أنه فشل وشغل هذا الأمر فكره إلى أن اهتدى إلى معالجته بالكتابة فيه فألف كتابه هذا .

ولقد ألف ابن حجر كتابه هذا وذكر الأسباب التي دفعته للتأليف وأشار إلى الخلاف الذي قام بين الأخوين الشقيقين ولكنه لم يذكر اسمهما ولم يبين نسبهما ولم يوضح مكانتهما في المجتمع المكي .

وقد ظهر أن اهتمام الإمام ابن حجر بهذا الخلاف الذي حدث بين الأخوين الشقيقين كان بسبب خوفه من آثار هذا الخلاف على المجتمع المكي ، مما جعلني أرجح أن يكون خلافاً قام بين شريفين من أشراف مكة ، فذهبت أبحث في مصادر تاريخ مكة التي سجلت الحوادث السياسية والاجتماعية في تلك المرحلة ، فطالعت أهمها باحثة عن خلاف كبير بين شريفين أخوين . فاطلعت على :

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٥٩ أ) - وقد خرج الحديث علي المتقي الهندي في كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (١٦) : رقم الحديث (٤٥٤٧٣) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٦١ ب) .

تواريخ مكة التي ألفها معاصراه عبد القادر الجزيري (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) في كتابه الدرر الفرائد المنظمة في أخبار مكة ومواسم الحج ؛ والقطب النهروالي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) في كتابه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ؛ ومؤلفات أهم المؤرخين المكيين الذين جاءوا بعدهما وأهمهم :

علي بن عبد القادر الطبري (ت١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م) في كتابه الأرج المسكي في التاريخ المكي ؛ وعبد الملك العصامي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) في كتابه سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ؛ وعلى بن تاج الدين السنجاري (ت١١٢٥هـ/ ١٧١٣م) في كتابه منائح الكرم في أخبار البيت وولاة الحرم ؛ ومحمد بن علي الطبري (ت١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) في كتابه إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن .

ولم أجد في كل هذه المصادر شيئاً يتعلق بموضوع خلاف أخوين من الأشراف يتناسب وتاريخ تأليف الكتاب . لذلك أرجح أن لا يكون الخلاف الحادث بين الأخوين متعلقاً بخلاف بين أصحاب السلطة بمكة من الأشراف من بني الحسن وإنما يغلب على الظن أنه حدث بين أخوين من كبار عوائل مكة ممن لهم الأثر على المجتمع المكي .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يذكر المؤلف تاريخاً لتأليفه هذا الكتاب ، وبعد تتبع نصوص الكتاب وأبوابه ، وجدتُ أنه أحال فيه على كتابين من تأليفه وهما : كتاب الصواعق المحرقة [1] ، الذي ألفه سنة ـ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) وكتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر [2] الذي ألفه سنة (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) وذلك يدلنا على أنه ألف كتابه أسنى المطالب فيما بين سنتي (٩٥٣هـ/ ١٥٤٣م) وسنة (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) تاريخ وفاته.

محتوى الكتاب :

ذكر ابن حجر في مقدمته أنه وضع كتابه أسنى المطالب على أربع مقدمات وخمسة أبواب وخاتمة . وبالاطلاع على محتوى الكتاب تبين أنه يشتمل على :

---

(١) وذلك في (ورقة ١٨٢ أ) . (٢) وذلك في (ورقة ٣٤ أ) .

ورقة (٢ ب) – **المقدمة الأولى** : صلاح الحال بصلاح القلب .

(٤ أ) – **المقدمة الثانية** : في رياضة النفس وتهذيب الخلق .

(٦ أ) – **المقدمة الثالثة** : في ترك الخصومة .

(٦ ب) – **المقدمة الرابعة** : في عدم الإصغاء إلى الكلام في الأصدقاء .

(١٦ أ) – **الباب الأول** : في ذكر الأسباب الحاملة على الشحناء الموجبة لقطيعة الرحم .

(٤١ أ) – **الباب الثاني** : في جملة من الآيات الناصة على قطيعة الرحم .

(٤٧ أ) – **الباب الثالث** : في بيان حقيقة قطع الرحم وأنه كبيرة .

(٤٩ أ) – **الباب الرابع** : في ذكر شيء من الآيات والأحاديث التي فيها الحث الأكيد والتأكيد الشديد على صلة الرحم .

(١١٢ أ) – **باب** : في فضل المشي بين الناس بالإصلاح .

(١٢٢ ب) – **باب** : في بر الوالدين وعقوقهما .

(١٢٢ ب) – **الباب الخامس** : في ذكر وقائع جرت بين الإخوة والأقارب .

تشتمل على :

(١٢٢ ب) – موسى وأخوه (موجزة) .

(١٢٤ أ) – ابنا آدم .

(١٢٥ ب) – قصة يوسف .

(١٣٤ أ) – قصة موسى وهارون (مطولة) .

أنواع الإيذاء :

(١٣٧ ب) – قصة الإفك .

(١٤٥ أ) – الوقائع بين الرسول ﷺ وقريش (مرتبة حسب السنوات) .

(١٥٤ ب) – الهجرة إلى المدينة المنورة .

أنواع نصر الله :

(١٥٧ أ) - **النوع الأول** : غزوة عبد الله بن جحش .

(١٥٧ ب) - **النوع الثاني** : غزوة بدر .

(١٦١ أ) - **النوع الثالث** : غزوة بني قينقاع .

(١٦١ أ) - **النوع الرابع** : قتل كعب بن الأشرف .

(١٦١ ب) - **النوع الخامس** : أخذ عير قريش .

(١٦١ ب) - **النوع السادس** : غزوة أحد .

(١٦٤ أ) - **النوع السابع** : غزوة حمراء الأسد .

(١٦٤ ب) - **النوع الثامن** : مقتل سفيان بن خالد الهذلي .

(١٦٤ ب) - **النوع التاسع** : غزوة بدر الصغرى .

(١٦٤ ب) - **النوع العاشر** : غزوة بني المصطلق .

(١٦٤ ب) - **النوع الحادي عشر** : غزوة الخندق .

(١٦٦ ب) - **النوع الثاني عشر** : أخذ عير قريش .

(١٦٦ ب) - **النوع الثالث عشر** : قتل أبي رافع اليهودي .

(١٦٧ أ) - **النوع الرابع عشر** : سرية عمرو بن أمية الضمري .

(١٦٧ أ) - **النوع الخامس عشر** : عمرة الحديبية .

(١٦٩ ب)- **النوع السادس عشر** : غزوة خيبر .

(١٧٠ ب) - **النوع السابع عشر** : عمرة القضية والقضا .

(١٧١ ب) - **النوع الثامن عشر** : فتح مكة والطائف وبقية الغزوات .

(١٧٨ أ) - ذكر وقائع الصحابة ووقائع من بعدهم التي فيها صلة الرحم أو قطيعته ، وذلك في الدولتين الأموية والعباسية والدولة الطولونية حتى وصل إلى سنة (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م) .

(١٩٤ أ) - **الخاتمة** : وهي تشتمل على أحد عشر موعظة متعلقة بموضوع الكتاب .

وبعد الاطلاع على محتوى الكتاب نستطيع أن نقول، إنه اشتمل على شقين اثنين:

أولهما : وهو المقدمات الأربع والأبواب الأربعة الأولى وضعها للموعظة والنصيحة والحث على حسن الخلق في التعامل بين الناس ، والدعوة إلى صلة الرحم والزجر عن قطعها ، مع مناقشته وبيان الأسباب الداعية إلى ذلك من السماع للواشين وسوء الخلق والبخل والغضب والحقد وغير ذلك ، مع استعراض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت في قطيعة الرحم ، موضحاً أنها من الكبائر ، ثم عالج هذا المرض الاجتماعي بإيراد الآيات والأحاديث الشريفة التي تؤكد وجوب صلة الرحم وطرق التحلّي بذلك من سخاء النفس وبذل المال والكرم والتواضع والصبر وحسن الخلق ، مع بيان فضل السعي بين الناس بالإصلاح والحسنى مستعرضاً كل الآيات الداعية إلى ذلك ، والكثير من الأحاديث النبوية التي ترغب وتحثّ على صلة الرحم مع أقوال الصلحاء والحكماء من أهل العلم والدين ، مضيفاً إليها العديد من القصص المتفرقة التي اختارها من السيرة العطرة والروايات التاريخية المروية عن الأنبياء والصديقين والعلماء والصالحين .

وقد يستشهد ابن حجر ببعض الحوادث التي وقعت في عهده من خلاف بين أشقاء على تركة والدهم المتوفى ، وتدخل ابن حجر للصلح بينهم وتوزيع تركتهم، وتعليقه على ذلك الخلاف بأنه لا يجب أن يحدث بين الأخوة [(١)] .

كل تلك القواعد الأخلاقية تناولها ابن حجر في النصف الأول من كتابه .

أما الشق الثاني : فهو يشتمل الفصل الخامس من الكتاب ، فقد سار فيه ابن حجر على منهج المؤرخ حيث استعرض فيه الأحداث التاريخية التي تخدم الغرض من كتابه ،فاشتمل هذا الفصل على اختيارات تاريخية واستعرض فيها قصصاً تاريخية من حياة الأنبياء ومن السيرة النبوية ابتدأها بقوله : « ومنها وقائع نبينا ﷺ مع قريش فإن أحداً لم يبالغ في قطيعة الرحم كما بالغت قريش في قطيعة رحمه ﷺ» [(٢)] .

وبعد أن استعرضها وضح أن نتيجة صبره ﷺ عليها أن عوضه الله بالنصر ، ثم

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٦١ ب) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٤٥ أ) .

قال : « فرغنا من ذكر خلاصة أنواع الإيذاء التي وصلت إليه ﷺ من قريش وغيرهم فلنذكر خلاصة الأنواع التي ظفر الله تعالى بها نبيه ﷺ » (١) .

ثم استعرض وقائع نصر الله تعالى لنبيه محمد ﷺ وأشار إلى أن ذلك موعظة للإنسان تحثّه على تحمل الأذى والصبر على الأقارب ، وإن الله سيعوضه بالخير في الدنيا والآخرة .

ثم أكمل ابن حجر هذا العرض التاريخي بأخبار من تواريخ الدول الإسلامية في عهد الصحابة فقال : « فلنذكر وقائع الصحابة رضي الله تعالى عنهم ووقائع من بعدهم التي فيها صلة الرحم أو قطيعته ليكون هذا الكتاب مجموعًا جامعًا وذخيرة نافعاً مستوفياً لجميع المقاصد مستوعباً لأمهات الفوائد مشتملاً على نفائس تتعلق بما هو المقصود من تأليفه » (٢) .

ثم أورد ابن حجر الروايات التاريخية التي تخدم غرضه من عهد الدولة الأموية والعباسية إلى عام (٣٥٩هـ/ ٩٦٩م) .

فقد عرض ابن حجر هذه النصوص التاريخية بما يخدم فكرته فيقوى بها حجته في مناقشة المتخاصمين ويقنع بها كل عنيد متشبث برأيه ، لذا نجده لا يهتم بذكر مصادره في هذه الروايات والأخبار التاريخية .

بينما نجده يوثق رواياته الحديثية فيخرّج الأحاديث ويذكر مصادره فيها وغالباً ما نجد اعتماده على الأحاديث الصحيحة، وقد يورد في بعض الأحيان أحاديث فيها ضعف.

- وكثيراً ما يورد قصصاً للموعظة والعبرة دون توثيقها ، كما يجدر بنا أن نوضح أن هذه النصوص التي اختارها ابن حجر ليست دائماً طويلة ولا شاملة للموضوع وإنما كثيراً ما كان يكتفى بالنص الذي يفي بالغرض المقصود .

كما اهتم ابن حجر في كتابه بمخاطبة المتخاصمين من حين لآخر ، وتقديم النصيحة لهما بتوضيح العبرة من الحادثة التاريخية ومن أمثلة ذلك قوله : « كن متلبساً بإخوة الحق لجميع إخوانك وأقاربك وأصدقائك ، وما عليك منهم إن كانوا

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (١٥٧ أ) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٧٨ أ - ب) .

كذلك أو لا ، فإن الإنسان ليس عليه إلا خويصة نفسه ، وليس له أن يفعل ما يفعله غيره ، أو يقول ما فعل هذا غيري فكيف أفعله ، ولا يقول ذلك ويحتج به إلا من غلب عليه هواه حتى أبعده من الهدى والكمال وإلى القبيح والنقص أرداه، وأضلّه شيطانه وأغواه » (١) .

ومنها قوله : « فتأمل هذا الباب الواسع الذي لا يُدرك منتهاه ، وتأسَّ بما يتلى عليك فيه من أحوال نبيك محمد ﷺ الذي أُمرت باتباعه والتأسي به فقال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢) لمن كان مع أقاربه وأرحامه وأنهم ما زالوا يقطعونه وهو يصلهم حتى رجع كثير منهم إليه وصار من أعزّ الناس عليه ، وحتى ظفر بمن لم يرجع منهم فورث ديارهم وأموالهم ونصره الله عليهم النصر البالغ أعلى غايات الظفر والاستيلاء . واعلم أنك إذا تأسيت بنبيك من وصْلتك لرحمك وإن بالغوا في قطيعتك لا بُدّ أن يظفرك الله تعالى بهم»(٣) .

ومنها أيضاً قوله : « هذا ما سيق إليه القلم من ذكر مشاهير السير والغزوات على غاية من الاختصار والإحاطة بما فيها من الغرائب والأخبار التي فيها لمتأملها غاية الهداية والتوفيق لمن تأسى بأحوال نبيه ﷺ على غاية من الإيمان والتصديق ، فكن ممن تأسى به لا سيما في صلة الأرحام البالغ نفع جدواها مبلغاً باهراً والدائم توسلها بالعرش في صلة من وصلها وقطع من قطعها . . . واستعن بالله تعالى على ذلك فإنه أفضل من انتحله المتحلون ، وأبلغ ما اعتده المجاهدون حقق الله تعالى لنا وإياك من فضله المأمول وأدام عليه توفيقه ورضاه المحقق لكل مرغوب ومسئول » (٤) .

١٤ – كف الرعاع ، عن محرمات اللهو والسماع :

أحال عليه ابن حجر نفسه في فتاويه الفقهية (٤/ ٣٦١) .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٣٧ أ) .

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٢١) .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق (١٤٥ أ) .

(٤) المصدر السابق (١٧٨ أ) .

ونسبه له معظم المترجمين لابن حجر منهم :

تلميذه السيفي في نفائس الدرر ورقة (٤ ب - ٥ أ) ؛ العيدروسي في النور السافر (ص٢٩١) ؛ حاجي خليفة في كشف الظنون (ص١٥٠٢) ؛ ابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ، وغيرهم .

ألف ابن حجر كتابه هذا سنة (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) عندما عُرض عليه كتاب عنوانه « فرح الأسماع برخص السماع » [1] لمؤلف لم يذكر اسمه ، وإنما قال عنه: « كتاب لبعض المصريين بلداً التونسيين محتداً المالكيين معتقداً المتصوفين ملتحداً » [2] . ومؤلف كتاب « فرح الأسماع » هو محمد بن أحمد بن محمد ابن داود بن برعدان التونسي المالكي الشاذلي القاهري الملقب بأبي المواهب - توفي بعد سنة (٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م) [3] . ولقد أرسل بعض رؤساء مكة هذا الكتاب إلى ابن حجر وطلب منه أن يكتب عليه ويبين ما فيه من زيغ فشرع في وضع كتابه هذا ليبين الحلال والحرام في مسألة السماع .

ولقد سبق أن تعرض ابن حجر لقضية السماع والأغاني وضرب آلات الغناء وغيرها في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٠٢-٢١١) ولم يُحِل فيه على تأليفه هذا الذي خصه بالسماع وذلك لأنه ألف كتاب الزواجر سنة (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) في حين أنه ألف كتابه هذا في سنة (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) .

وقد احتوى كتاب كف الرعاع لابن حجر على مقدمة وبابين .

المقدمة : في ذم المزامير مستشهداً في ذلك بثلاثة وعشرين حديثاً .

الباب الأول : وضح فيه أنواع الغناء وأحكامه وأحكام سماعه وذكر فيه آلات الضرب مما ليس فيه أوتار كالدف والكوبة [4] والمزامير وغيرها كما تعرض للآلات الوترية كالمعازف .

الباب الثاني : بين فيه أنواع اللهو واللعب مثل النرد والشطرنج وغيرها من الألعاب الشائعة في عصره كالجري والمصارعة وغير ذلك .

---

(١) طبع هذا الكتاب بالهند سنة (١٣١٢هـ) ومعه رسائل أخرى في الموضوع .

(٢) ابن حجر : كف الرعاع المطبوع بذيل الزواجر عن اقتراف الكبائر (ص٢٦٨) .

(٣) كحالة : معجم المؤلفين : (٩/ ١٤٢) .

(٤) الكوبة هي طبل صغير - انظر ابن حجر : كف الرعاع بذيل الزواجر (ص٣٠٢) .

ونلاحظ أن قضية السماع وهي سماع الأغاني والموسيقى ، سواء في المجالس الدينية أو في مجالس اللهو ، من المسائل التي ألف فيها الكثير من علماء المسلمين من عصور سابقة كان من أشهرهم :

عبد الملك بن حبيب المالكي (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) (١) ؛ وتأليف لأبي بكر الآجري المكي (ت٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) (٢) بعنوان « تحريم النرد والشطرنج والملاهي»؛ وتأليف لأبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) (٣) ؛ وألف المحب الطبري المكي (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) كتاب في الغناء وتحريمه (٤) ؛ كما ألف في ذلك الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) فقد اختصر كتاب « الإمتاع » للأدفوي وسماه «الرخصة في الغناء بشرطه » (٥) وغيرهم (٦) .

ويبدو أن التأليف في هذا الموضوع كثُر في عصر ابن حجر ، ومما اشتهر من المؤلفات :

- كتاب « فرح الأسماع برخص السماع » لأبي المواهب التونسي الذي وضع ابن حجر كتابه هذا في الرد عليه .

- كتاب « تشنيف الأسماع بحكم الحركة في الذكر والسماع » لعبد السلام بن وجيه اليماني المعروف بابن زياد (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) (٧) .

وقد اعتمد ابن حجر في كتابه على مجموعة من المؤلفات في الموضوع منها :

- مصنف في السماع لأبي القاسم القشيرى (ت٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) (٨) .

---

(١) كحالة : الأعلام (٦/ ١٨١) ؛ خليفة : كشف الظنون (ص١٠٠١) .

(٢) د/ محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص٢٩-٣٠) .

(٣) كحالة : الأعلام (١٠/ ١٠٩) ؛ خليفة : كشف الظنون (ص١٠٠١) .

(٤) د/ محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص٥٣ ، ٥٨) .

(٥) بشار عواد : الذهبي ومنهجه (ص١٥٤) .

(٦) جمع حاجي خليفة عدداً من المؤلفين في الموضوع فذكرهم دون ترتيب ودون ذكر لمؤلفاتهم ، وذلك في كتابه كشف الظنون : (ص١٠٠١) .

(٧) البغدادي : هدية العارفين : (١/ ٥٧١) .

(٨) ابن حجر : كف الرعاع بذيل الزواجر (ص٢٧٤) - انظر : ترجمته ، البغدادي : هدية العارفين : (١/ ٦٠٧-٦٠٨) ؛ كحالة : معجم المؤلفين : (٦/ ٦) .

- وكتاب في السماع لمحمد بن طاهر المقدسي [١] .
- وكتاب الإمتاع في أحكام السماع لجعفر الإدفوي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)[٢].
- وكتاب في تحريم اليراع لأبي القاسم الدولقي [٣] .

ويظهر من مقدمة ومضمون كتاب «كف الرعاع» لابن حجر أنه وصف أبا المواهب التونسي بأوصاف الزيغ والخطأ والجهل [٤] لأن صاحب كتاب فرح الأسماع توسع في الفتوى فأفتى بما لا يجوز الإفتاء به ، لذلك نجد ابن حجر يجيبه بكلام فيه كثير من الشدة والتجهيل .

وكذلك فعل مع محمد بن طاهر المقدسي ووصفه بقوله : « وهو كذاب مبتدع إباحي كما يأتي » [٥] وقوله : « أنه كذاب خبيث لا يعتمد عليه ولا ينظر إليه»[٦] وقال عنه أيضاً : « وأنه من خراف ابن طاهر وغيره » [٧] .

وقوله : « وأما ما حكاه ابن طاهر من إجماع أهل المدينة فهو من كذبه وخرافاته ، فإنه كما مر رجل كذاب يروي الأحاديث الموضوعة » [٨] .

طبع كتاب « كف الرعاع » لابن حجر بمصر مطبعة مصطفى البابي سنة (١٣٩٨هـ) في ذيل كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر ، الجزء الثاني بداية من (ص٢٦٥ إلى ص٣٣٥) وهي الطبعة التي اعتمدتها في هذا البحث .

كما طبع الكتاب ثلاث طبعات قديمة في السنوات (١٢٨٤ ، ١٣١٠ ، ١٣٣١هـ) [٩] .

---

(١) ابن حجر : كف الرعاع (ص٢٧٩) .
(٢) ابن حجر: كف الرعاع (ص٣٠٧). انظر: ترجمته، كحالة: معجم المؤلفين (١٣٦/٣).
(٣) ابن حجر : كف الرعاع (ص٣٠٠) .
(٤) ابن حجر : مقدمة كف الرعاع (ص٢٦٨ ، ٢٨٢ ، ٣٠٩ ، ٣١١) .
(٥) ابن حجر : كف الرعاع (ص٢٧٩) .
(٦) ابن حجر : المصدر السابق (ص٢٨٦) .
(٧) ابن حجر : المصدر السابق (ص٣٠١) .
(٨) ابن حجر : المصدر السابق (ص٣٠٧) .
(٩) سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة (ص٨٣) .

١٥ - تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات :

أحال عليه ابن حجر في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢١٢) عند عرضه « الكبيرة السبعون بعد المائة : أكل المسكر الطاهر كالحشيشة والأفيون والشيكران وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب » فأحال على كتابه هذا وقال : « وقد ألفت كتاباً سميته « تحذير الثقات عن استعمال الكفتة والقات » لما اختلف أهل اليمن فيه وأرسلوا إليّ ثلاثة مصنفات اثنان في تحريمه وواحد في حله وطلبوا مني إبانة الحق فيهما ، فألفت ذلك الكتاب في التحذير عنهما وإن لم أجزم بحرمتهما ، واستطردت فيه إلى ذكر بقية المسكرات والمخدرات الجامدة ، وبسطت في ذلك بعض البسط » . وهذا عرض موجز من المؤلف يُغني عن تتبع محتوى الكتاب والأحكام الفقهية الموجودة فيه .

نسب هذا الكتاب لابن حجر كل من السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٤ أ) ؛ والعيدروسي في النور السافر (ص٢٩١) ؛ وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ؛ والبغدادي في إيضاح المكنون (١/ ٢٣٠) ؛ واللكنوي في الفوائد البهية (ص٢٤١) ؛ والزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) .

قال ابن حجر في مقدمة كتابه : « أما بعد فهذا تأليف شريف . . . وسببه أنه ورد على مكة المشرفة في موسم سنة تسع وأربعين وتسعمائة (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) من محروستي صنعاء وزبيد ، أدام الله تعالى لعلمائهما غايات التوفيق والتسديد، كتب مصنفة وآراءٌ مختلفة وطُلب مني التعريض عليها والتقرير لما فيها من حكم القات تحليلاً وتحريماً . . » [١] .

ثم عرض ابن حجر في محتوى كتابه آراء فقهاء مكة وأحكامهم على القات وأشار إلى وجود القات في مكة واستعمال الناس له واختلاف أقوالهم فيه هل هو مخدر مسكر أم منشط يُعين على العبادة كما زعم بعض مستعمليه .

واستدل ابن حجر في تحريم القات على أقوال كبار علماء مكة منهم الفقيه

---

(١) ابن حجر : تحذير الثقات . المخطوط (ورقة ١ أ) .

أبو بكر بن إبراهيم المقري الحرازي الشافعي ، والفقيه حمزة الناشري . وابن القسطلاني في كتابه تكريم المعيشة [1] .

كما استدل على تحريم القات بأقوال علماء المذاهب الأربعة ، وتطرق لأحكام الحشيش وجوزة الطيب والأفيون وغيرها .

وفي ختام كتابه - مما ورد لنا في نسخة المخطوط ولم يرد في نسخة المطبوع - ضمن فتاواه أن ابن حجر فرغ من تأليف كتابه هذا في « سابع عشر صفر الخير سنة خمسين وتسعمائة » .

- من هذه الرسالة نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢١٦١٤ ب) تقع في (٩ ورقات) وهي نسخة قديمة الخط اطلعتُ عليها . نسخت بيد علي بن محمد باسلم ، ولم يذكر تاريخ نسخها - وطبعت ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ٢٢٣-٢٣٤) .

١٦ - نصيحة الملوك :

نسبه لابن حجر بعض المترجمين له وهم : العيدروسي في النور السافر (ص٢٩١) ؛ وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ؛ مرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص١٢٣) ؛ الزركلي في الأعلام (١/ ٢٣٤) ؛ اللكنوي في الفوائد البهية (ص٢٤١) .

ولم نعثر على نسخة من الكتاب إلا أن عنوانه يوضح لنا أن ابن حجر ألفه في قواعد السياسة الشرعية التي يجب أن يسير عليها الملوك وكبار رجال الدولة والمسئولون فيها وما يلزم ذلك من أحكام فقهية .

١٧ - در الغمامة في ذر الطيلسان والعذبة والعمامة :

أحال عليه ابن حجر في كتابه تطهير الجنان واللسان (ص١٨) عند حديث عن التجمل واللبس فقال : « وفي هذا أحاديث كثيرة استوعبتها مع بيان مراتبها ومعانيها في كتابي در الغمامة في العذبة والطيلسان والعمامة » . وأحال عليه

---

(١) انظر ترجمة القسطلاني التوزري المكي (ت٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) في كتاب د/ الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص٥١-٥٢) .

(ص٤٧) مع إضافة في عنوانه فقال : در الغمامة في فعل العذبة والطيلسان والعمامة » .

ونسبه له السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ أ.) ؛ والبغدادي في هدية العارفين (١٤٦/١) ؛ وفي إيضاح المكنون (٤٤٦/١) .

وقد يكون هذا الكتاب هو الذي ذكره الكتاني في فهرس الفهارس (ص٣٣٩) بعنوان « جزء في العمامة النبوية » وذلك لأن مقدمة الكتاب اشتملت على وصف العمامة النبوية وكذلك في فصوله الأربعة .

ورغم أن ابن حجر أورد في فتاويه الفقهية إجابات عن أسئلة وردت عليه في الطيلسان (٢٦١/١) إلا أنه أحال إلى مؤلف السيوطي فيها ، كما ورد عليه سؤال (٢٦٧/١) عن عمامة النبي ﷺ وأجاب إجابة طويلة إلى (ص٢٧١) إلا أنه لم يُحِلْ على كتابه هذا ، كذلك في كتابه الفتاوى الحديثية (ص٤) عند إجابته عن طول عمامة النبي ﷺ وعرضها لم يُحِلْ على كتابه مما يوضح أن هذه الفتاوى له كانت قبل تأليفه كتابه هذا في الطيلسان والعذبة والعمامة .

أما عن محتوى هذا الكتاب : فقد وضعه ابن حجر في بيان اللباس السني وخاصة ما يتعلق بالعمامة وعذَبتها والطيلسان معتمداً على ما ورد في كتب الحديث والشمائل من أوصاف لباس رسول الله ﷺ ووضعه على أربعة فصول وهي :

الفصل الأول : في ندب تحسين الهيئة والتجمل في البدن واللباس من غير قصد تكبر ولا خيلاء .

الفصل الثاني : في العمامة .

الفصل الثالث : في العذبة .

الفصل الرابع : في الطيلسان .

وخاتمة .

- من الكتاب نسخة قديمة نسخها أحد تلاميذ المؤلف في حياته سنة (٩٦٩هـ/ ١٥٦١م) محفوظة بمكتبة جامعة برنستن مجموعة **Garrett** برقم (١٣٧١) .

ومنه نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة ابن عباس بالطائف برقم (٢١٣) (٤) تقع في (١٨ ورقة) .

ونسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى مخطوط رقم (٢٩٥٨) وهي نسخة حديثة واضحة الخط تقع في (١٨ ورقة) نسخت سنة (١٣٢٤هـ) تقريباً .

وطبع الكتاب بمصر سنة (١٣٢٦هـ) وله طبعة ثانية بمصر قديمة بمطبعة السعادة على نفقة علي بن أحمد النهاري الكتبي بمكة المشرفة بدون تاريخ طبع .

ونجد لعلماء عديدين من عصر ابن حجر اهتماماً بوصف اللباس على الطريقة السنية وبيان أحكامه ، فوضعوا في ذلك مؤلفات في العمامة والطيلسان من هذه المؤلفات :

الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان للسيوطي منه نسخة بليدن رقم (٤٧٤) مجاميع تقع في (١٤ ورقة) .

ورسالة في فضيلة العمامة لمحمد بن يحيى البخاري (ت٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م) نسخة برنستن (٥٩٣٠) مجاميع في (٤ ورقات) .

ورسالة بعنوان المقالة العذبة في العمامة والعذبة لعلي القاري المكي (ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) منه نسخة بالمكتبة الأحمدية بحلب رقم (٣٠٩) مجموع تقع في (١٠ ورقات) .

١٨ - تنبيه الغبي ، إلى السلسبيل الروي ، في وجوب تحية أهل البيت النبوي :

لم تذكره كتب المصادر المترجمة لابن حجر .

منه نسخة بمجموعة **Garrett** بمكتبة جامعة برنستن برقم (٢٠٧٨) (٣)[1]. لم أتمكّن من الاطلاع عليها .

* * *

---

(١) د/ الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص٢٢٢) .

مؤلفاته في النحو

١ - شرح ألفية ابن مالك .

٢ - منظومة الجرومية .

١ - شرح ألفية ابن مالك :

هو شرح لكتاب الألفية في النحو لابن مالك النحوي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)[١] ، وقد وضع العلماء على هذا الكتاب شروحاً كثيرةً .

نسبَه لابن حجر تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية (١/ ٤) ؛ والسيفي في نفائس الدرر (ورقة ٦ أ) ؛ والعيدروسي في النور السافر (ص٢٩١) ؛ وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٣٧١) ؛ ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص١٢٣)؛ واللكنوي في الفوائد البهية (ص٢٤١) . وذكر تلميذه المترجم له في مقدمة الفتاوى الفقهية ، أن ابن حجر وضع شرحه هذا على ألفية ابن مالك سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) وقال عنه : « وفي حال قراءته النحو شَرح ألفية ابن مالك شرحاً مزجاً متوسطاً حاوياً لأكثر شروحها والتوضيح وحواشيه وفرغ منه سنة ثلاثين » . وأما السيفي فذكر أن لابن حجر شرحاً على ألفية ابن مالك لكن الموجود منه غير تام . . .

وابن العماد ومرداد ذكرا أن ابن حجر شرح قطعة صالحة من ألفية ابن مالك . ولم نعثر على نسخة من المؤلَّف .

٢ - منظومة الجرومية :

انفرد السيفي بنسبتها لابن حجر مِن بين من ترجم له وذكر مؤلفاته . وقال عنها السيفي : إن لابن حجر منظومَتان « منظومة في أصول الدين ومنظومة الجرومية ، لكنها لم تتمّ ولم أرَ لشيخنا نظماً سواهما إلا تقريظاً لبعض تلامذته على نظم نقاية السيوطي وإلا ثلاثة أبيات في معنى حديث (الراحمون يرحمهم الرحمن) [٢] **الأول :**

ارحـمْ هُديتَ جـميع الخلق إنَّك ما ... رحَـــمْتَ يرحمك الرحمن فاغتنما

والآخران :

ارحـــمْ عبـــاد الله يرحـــمْك الذي ... عمّ جميع الخلائق جوده ونواله [٣]

فالراحـــمون لهـــــم نَصيبٌ وافِرٌ ... مِنْ رحمة الرحمن جلّ جـلاله [٤]

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص١٥١) .
(٢) أبو داود : السنن : (٤/ ٢٨٥) رقم (٤٩٤١) .
(٣) كذا بالأصل ، ولعل الصواب « عمّ الخلائق جوده ونواله » .
(٤) السيفي : نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) .

مؤلفاته في الأدب
والخطب وشروح القصائد المدحية

١ - الدر المنضود ، في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ﷺ .

٢ - النخب الجليلة ، في الخطب الجزيلة .

٣ - الدر المنظوم ، في تسلية المهموم .

٤ - شرح قصيدة البردة .

٥ - شرح العوارف .

٦ - ظرف الفوائد ، وطرف الفرائد .

٧ - كنه المراد ، في بيان بانت سعاد .

١ - الدر المنضود، في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود، ﷺ :

ألّف ابن حجر كتابه هذا في بيان فضل الصلاة على الرسول الكريم ﷺ ووضّح الشيخ الأستاذ/ حسنين مخلوف منهجية ابن حجر في كتابه هذا في مقدمة تحقيقه له بقوله عنه : « وقد استقصى البحث في موضوعه واستوعبه أتمّ استيعاب. وكان كسائر أئمة الحديث وحفّاظه مُعْتَنِيًا بالنص على درجة الحديث من حيث الصحة والحسن والضعف، وبالنص على وضعه إذا كان موضوعاً.

وقد اعتمد كثيرًا على ما ذكره الإمام شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المؤرخ المحدث . . . (ت٩٠٢هـ/١٤٩٧م) في كتابه « القول البديع، في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع » . وزاد على ما جاء فيه تحقيقاً وإيضاحاً وبياناً، فأحسن وأجاد »[١] .

وذكر ابن حجر أنه بدأ تأليف كتابه هذا في أواخر صفر سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (٩٥١هـ/١٥٤٤م)، وفرغ منه ثامن ربيع الأول من نفس السنة، وأحال ابن حجر على كتابه هذا في كتابه ذيل الصواعق المحرقة (ص٢٣٤)، كما أحال عليه في كتابه الجوهر المنظم (ص٥٤)، ونسبَهُ له السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) ؛ والغزي في الكواكب السائرة (٣/ ١١٢) ؛ والبغدادي في إيضاح المكنون (١/ ٤٥٠) .

أوله : « الحمد لله الذي اختص نبينا محمداً ﷺ بما امتاز به على سائر الأنبياء والمرسلين، والملائكةِ المقرّبين . وأوجب على الكافة توقيره وتعظيمه . . .

أما بعد : فإن خدمة الجَنَاب المحمّدي من آكد الواجبات، وأهم المطلوبات، وأشرف الوسائل، وأفضل الشمائل، فلذلك أردتُ أنْ أنتظم في سلك من فاز بهذا الفخر الأعظم، وسلَك سَنَن هذا الصراط الأقْوَم، بجمع كتاب في فضائل الصلاة والسلام عليه، . . . فقصدتُ إلى ذلك على غاية من الإيجاز، حتى أنها بالنسبة إلى غيرها تكاد أن تُعدّ من الألغاز، لما رأيتُ هِمَمَ أبناء الزمان آلت إلى الدعة والرفاهية، ومالت عن المعاني الباقية إلى الأعراض الفانية، فلا ترى منهم مشتغلاً ببعض كُتُب هذا المقْصد الأسنى إلا الشاذ النادر الذي خلَّصه الله من

(١) حسنين مخلوف : مقدمة الدر المنضود لابن حجر (ص٧) .

الحظوظ والعنَا ، لاشتمالها على بعض البسط وزيادة التأصيل والتفريع ، ككتاب الحافظ السخاوي المسمى « بالقول البديع » . هذا مع أنه أحْسَنها جمعاً، وأحْكَمها وضْعاً ، وأحقّها بالتقديم . . . فمن ثَم أَدْرَجْتُ مقاصده في كتابي هذا مع زيادات عليه . . . وتحقيق لما أهملَهُ ، وتقييد لما أَرسلَهُ ، وإيضاح لما أَغْفلَهُ ، بتحرير بديع ، وأسلوب منيع . . . وسمَّيْتُهُ : (الدرّ المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود) وقد رتبتُه على مقدمة ، وفصول ، وخاتمة » [1] .

اشتملت المقدمة على : الكلام على قوله تعالى :

﴿ إنَّ اللهَ وَملائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِي يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيماً ﴾ [2] .

وشرح ما اشتملت عليه هذه الآية من فوائد وفَصَّل بالذكر سبعة منها :

الفصل الأول : في الأمر بالصلاة على النبي ﷺ في أي وقت كان .

الفصل الثاني : في كيفية الصلاة عليه ﷺ على اختلاف أنواعها .

الفصل الثالث : في مسائل وفوائد تتعلق بما مضى في الفصلين الأولين .

الفصل الرابع : في فوائد الصلاة على رسول الله ﷺ وهي كثيرة .

الفصل الخامس : في ذكر عقوبات وقبائح مَن لم يُصَلِّ على النبي ﷺ .

الفصل السادس : في ذكر أمور مخصوصة تُشْرَع الصلاة على النبي ﷺ فيها .

والخاتمة : في حكم الأخذ والعمل بالحديث الضعيف .

آخره : « هذا آخر ما أردتُ ، وتمام ما قصدْتُ . والمولى سبحانه هو المحقق للمأمول . فله الحمد أوّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً . . .

يقول مؤلفه عفا الله تعالى عنه : ابتدأتُ في هذا الكتاب في أواخر صفر الخير سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (٩٥١هـ/١٥٤٤م) ، وفرغتُ منه ثامن ربيع الأول من السنة المذكورة ، ختمها الله تعالى بخير . . . » .

من المخطوط نسخة بتونس في مكتبة حسن حسني عبد الوهاب برقم (١٨١٢٤) يقع في (٧٠ ورقة) . واطلعتُ على طبعة للكتاب بتحقيق الشيخ الأستاذ حسنين محمد مخلوف طبع سنة (١٣٨٠هـ) اعتمد فيه على مخطوطة

(١) ابن حجر : الدر المنضود (ص٩-١٠) . (٢) سورة الأحزاب : الآية (٥٦) .

مكية قَدَّمها له الشيخ سراج كعكي من أعيان مكة ، فرغ ناسخها من كتابتها سنة (١٠٨٩) . وقابلها المحقق بمخطوطتين محفوظتين بالمكتبة الأزهرية .

٢ – النخب الجليلة ، في الخطب الجزيلة :

نسبَه له البغدادي في هدية العارفين : (١٤٦/١) ؛ وسركيس في معجم المطبوعات (ص٨٤) .

يتضمن كتاب ابن حجر هذا على نصوص خُطَب يوم الجمعة ، فأورد أربع خُطب لكل شهر مبتدئاً بالخطبة الأولى لشهر محرم إلى نهاية شهور السنة الهجرية ، ولم تتجاوز كل خطبة الصفحة والنصف من المطبوع . اشتملتْ على العديد من المواعظ والأدعية وحثّ الناس على فعل الطاعات وترك المعاصي . كما اشتمل على خطبتيْ العيدين : الفطر والنحر .

أوله : « الحمد لله الذي صرف الخطباء في تعظيم حمْده ، وشرَّفَ الأدباء بتعظيم مجده ، وأرشد الإنسان لطُرُق البيان تسهيلاً لقصده ، وأوجد الإحسان في النطق باللسان تفضيلاً لعبْده ، أحمده حمداً لا انتهاء لعَدِّه ، وأشكره شكراً يزيد في فيض إحسانه ومدّه . . .

أمّا بعد ، فالخطب البليغة تُذَكّر الناسي ، وتُلين القاسي ، وتأخذ بالقلوب ، وتجذب الشارد إلى التوبة من الذنوب ، فشرعت في إنشاء خطب سهلة المساق ، عَذبة المذاق ، تُقَرّب القاصي ، وتهذب العاصي ، وتمتزج بالأفهام ، كامتزاج الرَّوْض والغمام ، وجمعتُها في كتاب رَتّبْتُه على شهور السّنَة راجياً حسن الثواب بهذه الحسنة ، وسمَّيْتُها بالنُّخَب الجليلة ، في الخُطَب الجزيلة ، ولا أدَّعِي لحاق ابن نُبَاتَة في هذا الشأن ، ولاَ مجاراته في هذا الميدان ، فإن لخُطَبِه مزِيّة لا يحصيها الأدب . . . » .

طُبع الكتاب عدة طبعات أولها الطبعة الحسينية سنة (١٢٩٠هـ) ، ومنها الطبعة الميمنية سنة (١٣١٠هـ) وطبعة سنة (١٣٢٤هـ) .

٣ – الدر المنظوم ، في تسلية المهموم :

نسبَهُ له حاجي خليفة في كشف الظنون (ص٧٣٥) ؛ والبغدادي في هدية العارفين (١٤٦/١) ؛ وفي إيضاح المكنون (١/ ٤٥٠) ؛ وذكر عنه حاجي خليفة بأنه مختصَرٌ مرتّب على ثمانية أبواب ، وأورد حاجي خليفة والبغدادي أول هذا الكتاب هو : « الحمد لله المتفرد بالكبرياء » . ولم نَطّلعْ على نسخة منه .

٤ - شرح قصيدة البردة :

انفرد بنسبته له سركيس في معجم المطبوعات (ص٨٣) وقال إنه طُبع بمصر سنة (١٣٠٧هـ) ويقع في (١٦٨ صفحة) وله طبعة أخرى بالمطبعة الميمنية سنة (١٣٢٢هـ) ، إلا أنَّنا لم نتمكن من الاطلاع عليه .

٥ - شرح العوارف :

انفرد بنسبته لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٦ أ) .

ولم نعثر على نسخة منه حتى نتعرف على موضوعه ، ولعله في الأدب .

٦ - ظرف الفوائد ، وطرف الفرائد :

انفرد بنسبته لابن حجر تلميذه السيفي (ورقة ٥ ب) وقال عنه : « المشتمل على نفائس دل عليها اسمه جعله له كالتذكرة » . ولم نعثر على نسخة منه .

٧ - كنه المراد ، في بيان بانت سعاد :

لم ينسب هذا الكتاب لابن حجر أحد من المترجمين له ، إلا أنّنا عثرنا على نسخة منه محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم (٦٦) مجاميع تقع في (٢٨ ورقة) ، نسخت بخط مغربي سنة (١٠٣١هـ) وقُوبلت على نسخة أخرى بصالحية دمشق سنة (١١٢١هـ) .

أوله : « الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب ، على ناظمها أبْرك كعب ، وأنطقه بذكر سعاد ، تفاؤلاً ففاز من الإسعاد ، بما سهّل عليه طُرق الرشاد . . .

اقتضتْ إشارة بعض إخواني في الله . . . لا تَسَع مخالفته أن اقتضب عليها شرحاً يجمع إلى حلّ ألفاظها وبيان معانيها . . . وسمَّيته كنْه المراد ، في بيان بانت سعاد » .

ورتّب ابن حجر كتابه هذا على ثلاثة مقاصد وشرح للقصيدة .

فكان المقصد الأول : في ترجمة ناظمها .

والمقصد الثاني : في سبب نظمه لها .

والمقصد الثالث : في بيان ترتيبها بين مثيلاتها من القصائد .

ثم شرح كل بيت من أبياتها على حدة ، وجعل لكل بيت عنواناً بذكر عدده فيقول مثلاً : « البيت الأول » « البيت العَاشر » إلى آخره .

* * *

مؤلف في الفلك

مختصر الهيئة السَنية ، في الهيئة السُنية :

انفرد السيفي بذكره في نفائس الدرر (ورقة ٦ أ) ولم نعثر على نسخة من هذا الكتاب .

اختصر ابن حجر كتاباً ألَّفه جلال الدين السيوطي عنوانه : « الهيئة السَنية في الهيئة السُنية » [١] الذي وضعه في علم الفلك . اعتمد فيه على الآيات والأحاديث النبوية التي ذكرتْ النجوم والأفلاك ، وقد ذكر السيوطي في مقدمة هذا الكتاب موضوعه قائلاً : « وبعد . هذا كتاب في علم الهيئة اقتبستُه من الآثار ، وتَتَبَّعْتُه من الأخبار » .

من كتاب السيوطي نُسخ متعددة في المكتبات منها :

نسخة بمكتبة برلين رقم (٥٦٩٧) . كُتبتْ سنة (٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) . اطلعتُ على مقدمتها التي وردتْ في فهرس مكتبة المخطوطات العربية ببرلين تأليف **الورد ALWARD** .

* * *

---

(١) ذكره حاجي خليفة : كشف الظنون : (ص٢٠٤٧) .

الفصل الثالث

تآليفه في السيرة النبوية

١ - المنح المكية في شرح الهمزية .

٢ - شرح شمائل الترمذي = أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل .

٣ - مؤلف في الإسراء (لم نعثر عليه) .

٤ - ٥ - ٦ - ثلاثة موالد نبوية صغيرة .

٧ - النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم = (وهو مولد كبير).

١ - المنَح المكّية في شرح الهمزية =
أفضل القرى لقراء أم القرى

ورد عنوان الكتاب بهاتين التسميتين في مقدمة ابن حجر لكتابه حيث قال : «وسميته بالمنح المكية ، في شرح الهمزية ، ثم بلغني أن الناظم سماها أم القرى تشبيهاً لها بمكة بجامع أنها احتوت بطريق التصريح أو الإيماء على ما في أكثر المدائح النبوية ، وحينئذ سميتها أفضل القِرى ، لقراء أم القرى » [(١)] .

نَسَب هذا الكتاب لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥ ب)؛ وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم (ورقة ١٢٨أ ، ١٣٠ أ) بقوله : « قال الجد ابن حجر رحمه الله تعالى في شرح الهمزية ما نصه » .

ونسبه لابن حجر أيضاً العيدروسي في (النور السافر ٢٩١) ؛ الغزي في (الكواكب السائرة ٣ : ١١٢) ؛ حاجي خليفة في (كشف الظنون ص ١٣٤٩)؛ ابن العماد في (شذرات الذهب ٨ : ٣٧١) ؛ محمد الشوكاني في (البدر الطالع ١ : ١٠٩) مرداد في (المختصر من نشر النور والزهر ص ١٢٣) ؛ اللكنوي في (الفوائد البهية ص ٢٤١) - وغيرهم كثير من أصحاب المراجع الحديثة .

نسخ الكتاب : اطّلعت على نسخة مطبوعة منه وهي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢هـ وبهامشها حاشية محمد الحفني على شرح ابن حجر هذا .

- وطبع طبعة ثانية بالمطبعة الخيرية سنة (١٣٠٧ هـ) [(٢)] .

كما اطلعتُ على نسختين مخطوطتين منه :

إحداهما : من مكتبة أحمد جبران عوض جبران باليمن وهي نسخة عليها

(١) ابن حجر : المنح المكية (ص ٦) . (٢) سركيس : معجم المطبوعات (ص ٨٤) .

تملكات كثيرة من أهل اليمن ، كُتبتْ سنة (١٢٧٢ هـ) نسَخها دحمان بن أحمد ابن دحمان بن عبدون بالفقيه صعدي . عدد ورقاتها (٢٩٨) ورقة كُتبتْ بخط نسخي واضح .

والثانية : من المكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم (٢٥٦٥) ، وهي نسخة قديمة- عدد ورقاتها (٢٤٠) ورقة .

ومن المخطوط نسخ أخرى :

- نسختان بمكتبة مكة المكرمة رقم (٥٣ و ٦٢) تاريخ .
- نسخة بخزانة القرويين بالمغرب برقم (١١٠٨) .
- نسختان في مكتبة برلين برقم (٧٨٣٠ ، ٧٨٣١) .
- نسخة في مكتبة باريس برقم (٥٢٨٦) تقع في (١٤٩) ورقة كُتبتْ خلال القرن الثالث عشر الهجري .

تاريخ تأليف الكتاب :

ورد في نهاية الكتاب قول الناسخ : « قال المؤلف رحمه الله ورضي عنه : وقع الفراغ من تأليفه ليلة الجمعة لليلة خلتْ من جمادى الأولى أحد شهور سنة ست وستين وتسعمائة » (٩٦٦ هـ / ١٥٥٨م) .

الهمزية وشرحها :

هي قصيدة في المدح النبوي ألّفها شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م) الذي اشتهر بقصائد بارعة في الموضوع منها قصيدة البردة وهي ميمية [١] ، وقصيدة الهمزية هذه التي تشتمل على (٤٥٦) بيتاً. وقد انتقد بعض علماء أهل السنة عدداً من أبياتها لما فيها من مبالغة ومجازات تميل إلى آراء بعض المبتدعين . ورغم ذلك فقد اشتهرت القصيدة بين الناس فوضعوا لها شروحاً كثيرة من أشهرها :

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص١٣٣١) .

- شرح ألّفه محمد بن عبد المنعم الجوجري (ت٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) [١] وهو شرح اطلع عليه ابن حجر وذكره في مقدمة شرحه [٢] .

- شرح وضعه أحمد بن يوسف بن الأقيطع المالكي البرلسي (ت٩٠١هـ/ ١٤٩٥م) عنوانه النخبة السنية في شرح القصيدة الهمزية [٣] .

- شرح ابن حجر المكي الذي ندرسه هنا ألفه سنة (٩٦٦هـ/ ١٥٦١م) .

- شرح وضعه أحمد بن أحمد السنباطي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) [٤] .

- شرح محمد بن أبي الوفاء المعروفي الشافعي الحموي عنوانه : نهاية الأمنية في شرح الهمزية (فرغ من تأليفه سنة ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) [٥] .

- شرح محمد بن عبد الله الغزي المعروف بالتمرتاشي (ت١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م) [٦] .

- شرح عبد الوهاب الفاسي الوزير الغساني الأندلسي (ت١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م) [٧] .

- شرح قطب الدين مصطفى البكري الحنفي (ت١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م) [٨] .

- شرح عثمان بن عبد الله الكليس العرياني (ت١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م) عنوانه زبدة القرى في شرح أم القرى [٩] .

- كما وضع لها الشيخ محمد الحفنى (ت١١٨١هـ/ ١٧٦٧م) حاشية على شرح ابن حجر عنوانها أنفس نفائس الدرر [١٠] طُبعت على هامش المنح المكية في الطبعة التي اعتمدناها وهي طبعة بولاق سنة (١٢٩٢هـ) .

---

(١) حاجى خليفة : كشف الظنون (ص١٣٤٩) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٠/ ٢٦٠).
(٢) ابن حجر: المنح المكية (ص٦) وقال ابن حجر عنه : « ولا أعلم شارحاً لها غيره رحمه الله».
(٣) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٢٣٣) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٢١٢) .
(٤) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٢٣٣) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١/ ١٤٩–١٥٠) .
(٥) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٢٣٣) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٢/ ٩٤) .
(٦) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٢٣٣) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٠/ ١٩٦) .
(٧) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٢٣٣) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١/ ٣٠٧) .
(٨) البغدادي : إيضاح المكنون (٢/ ٢٣٣) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٢/ ٢٧١) .
(٩) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص١٣٤٩) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (٦/ ٢٦٠) .
(١٠) البغدادي : إيضاح المكنون (١/ ١٣٥) .

منهج ابن حجر ومصادره :

اهتم ابن حجر في شرحه للقصيدة الهمزية بجانبين من الشرح ، الجانب التاريخي والجانب اللغوي .

الجانب التاريخي :

الذي يغلب على شرح ابن حجر على القصيدة الهمزية ذكر الأخبار النبوية أو الإشارة إليها ، لذلك نرى ابن حجر يتعرض للأخبار الواردة في السيرة النبوية مفصلاً فيها ما أجمله الشاعر مُطيلاً في أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله (١) . ذاكراً أخبار السيرة النبوية في العهدين المكي والمدني متحدثاً عن معجزاته صلى الله عليه وسلم كالإسراء (٢) وغيرها من المعجزات (٣) .

وقد يتعرض أحياناً لأخبار التاريخ القديم كقصة ابنيْ آدم قابيل وهابيل (٤) ، وقصة يوسف عليه السلام (٥) والحديث عن قيصر الروم (٦) وقصة أبرهة والكعبة(٧) . كما قد يتعرّض لأخبار الدولة الإسلامية بعد عصر النبوة (٨) .

وفي كل هذه الأخبار التاريخية سواء ما كان منها متعلقاً بالسيرة النبوية أو بغيرها ، فإننا نلاحظ أن ابن حجر في شرحه اعتمد منهج التلخيص للأخبار بعد تجميعها واختيار الحوادث الهامة منها ، ليقيم منها رواية تاريخية متكاملة في إيجاز واضح ، دون أن يذكر مصادره التي أخذ عنها في الكثير الغالب من الأحيان .

فكثيراً ما يورد في أول الرواية التاريخية قوله : أخرج أهل السير (٩) أو قوله : « نقل بعض أهل السير » (١٠) أو قوله : « قال الأئمة » (١١) ، أو قوله :

---

(١) ابن حجر : المنح المكية (ص٤٧) – وكذلك (ص١٣١-١٥٧) .
(٢) المصدر السابق (ص٩٦-١٠٣) .
(٣) المصدر السابق (ص٧١) .
(٤) المصدر السابق (ص٢٠٨) .
(٥) المصدر السابق (ص٢٠٩-٢١١) .
(٦) المصدر السابق (ص٤٦) .
(٧) المصدر السابق (ص٨١) .
(٨) المصدر السابق (ص١١٥-١١٧) ، و (ص٢٦٨-٢٧٣) ، و(ص٢٩١) .
(٩) ابن حجر : المنح المكية (ص١٠٥) .
(١٠) المصدر السابق (ص٢٩٤) .
(١١) المصدر السابق (ص٢٥٣) .

«وملخص قصتها » [١] ، أو قوله : « وحاصلها » [٢] وأحياناً يعرض الرواية التاريخية بإيجاز ثم ينبّه القاريء إلى أن القصة مذكورة مبسوطة في كتب السيرة فيقول : « وبَسْط ذلك في كتب السيرة » [٣] .

وكثيراً ما يعمد ابن حجر إلى إكمال الروايات التاريخية التي يعرضها في الشرح ، وذلك بأن يعقد فصولاً مكمّلة لتلك الروايات يعنونها بعنوان : تنبيه أو تتمة أو فائدة ، تكون لها علاقة بالحادثة المروية في شرحه .

أما مصادره الأساسية فإنه يذكرها أحياناً عَرَضاً دون تحديد ، ومن هذه المصادر كُتب حديثية وأغلبها كتب الحديث الصحيحة المشهورة ، بالإضافة إلى بعض الكتب الحديثية الأخرى أهمها :

كتاب فتح الباري في شرح البخارى [٤] ، وشرح ابن بطّال الأندلسي للبخاري[٥] ، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري [٦] وتاريخ البخاري [٧] وكتاب الموضوعات لابن الجوزي [٨] .

كما اعتمد بعض كتب التفاسير مثل تفسير الزمخشري وتفسير البيضاوي [٩] وتفسير الفخر الرازي [١٠] .

أما كتب السيرة التي ذكرها عرضاً في شرحه فهي :

- سيرة ابن هشام [١١] .
- الروض الأنف للسهيلي [١٢] .
- سيرة ابن سيد الناس [١٣] .

---

(١) المصدر السابق (ص١٨١) .
(٢) المصدر السابق (ص٧٦) .
(٣) المصدر السابق (ص٣٢٢-٣٢٣) .
(٤) المصدر السابق ، ورد اعتماده عليه في كثير من شرحه .
(٥) المصدر السابق (ص١٨٦) .
(٦) المصدر السابق (ص٨٦) .
(٧) المصدر السابق (ص١٥٩) .
(٨) ابن حجر ، المنح المكية (ص٨٧) .
(٩) المصدر السابق (ص١٢٩) .
(١٠) المصدر السابق (ص١٥٩) .
(١١) المصدر السابق (ص١٧٨) .
(١٢) المصدر السابق (ص٦٣ ، ٦٤ ، ٢٢٦) .
(١٣) المصدر السابق (ص١٧٨) .

- سيرة ابن كثير (١) .
- الشفاء للقاضي عياض (٢) .

وكتب التاريخ ذكر منها :

- تاريخ ابن جرير الطبري (٣) .
- تاريخ دمشق لابن عساكر (٤) .
- كتابه مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطي (٥) .

وضمن عمله التاريخى في شرح القصيدة الهمزية ، اهتم ابن حجر بتراجم الأعلام المذكورين فيها ، فبعد أن ترجم للبوصيري الشاعر صاحب المتن ترجمة وافية في مقدمة الشرح (٦) . ترجم للعديد من الأشخاص الذين يتعرض لهم في الشرح بأن يذكر اسم المترجم كاملاً مع سلسلة نسبه ، وقد تطول الترجمة أو تقصر بحسب أهمية الشخص، أو ما تقتضيه هذه الترجمة من العناية والتوضيح.

فقد ترجم لوالدة الرسول ﷺ السيدة آمنة بنت وهب (٧) والسيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين ترجمة مستفيضة (٨) ، كما ترجم لبقية أمهات المؤمنين (٩) . وترجم للصحابة المبشرين بالجنة (١٠) . وتراجم أخرى كثيرة .

وإذا عُرِضتْ في النص أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية نراه يضبطها ثم يبين محلها وبعض صفاتها وما فيها من العيون والآبار وغيرها ، ومثال ذلك ما أورده عن منازل الحج بين مصر ومكة المكرمة ثم المدينة المنورة » (١١) .

الجانب اللغوى :

يهتم ابن حجر في شرحه هذا بالجانب اللغوي والنحوي والبلاغي ، فلا يترك

---

(١) المصدر السابق (ص٦٦ ، ١٢٣) .
(٢) المصدر السابق (ص٥٩ ، ٨٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤) .
(٣) المصدر السابق (ص١٢٤ ، ١٧٣) .
(٤) المصدر السابق (ص٦٤ ، ٢١٢) .
(٥) ابن حجر ، المنح المكية (ص٢٧١) .
(٦) المصدر السابق (ص٤) .
(٧) المصدر السابق (ص٤٠) .
(٨) المصدر السابق (ص٦٤-٦٥) .
(٩) المصدر السابق (ص٣٢٠-٣٢٢) .
(١٠) المصدر السابق (ص ٣٠٧-٣١٧) .
(١١) المصدر السابق (ص٢٤٦-٢٤٩) .

كلمة تحتاج إلى شرح معناها إلا ويفسرها معتمداً على أشهر كتب اللغة كالقاموس المحيط [١] والصحاح للجوهري [٢] . كما نجده في أحيان كثيرة يتناول الكلمات والجمل بالإعراب كلما وجد لذلك حاجة مبيناً اختلاف أوجه الإعراب بناء على اختلاف آراء النحاة .

وقد يعتمد على بعض المصادر النحوية ، مثل كتاب جمع الجوامع في النحو للإمام السيوطي [٣] .

أما ما يرد في القصيدة من الأنواع البلاغية ، كالبديع والمحسنات اللفظية فإنه يوضّحها مشيراً إلى قواعدها وأسمائها المصطلح عليها مشيراً أحياناً إلى أمهات كتب البلاغة مثل كتاب مفتاح العلوم للسكاكي [٤] .

* * *

---

(١) ابن حجر ، المنح المكية (ص٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥) وغيرها .

(٢) المصدر السابق (ص٢٤٣) وغيرها .

(٣) المصدر السابق (ص٧٤) ، وانظر : عن كتاب جمع الجوامع حاجي خليفة : كشف الظنون (ص٥٩٨) .

(٤) المصدر السابق (ص٢٣٠) .

٢ – أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل = شرح الشمايل للترمذي

ذكره ابن حجر وأحال عليه في كتابه الفتاوى الفقهية (١ : ٢٦٤، ٤ : ١١٦) ؛ كما ذكره وأحال عليه في كتابه الفتح المبين بشرح الأربعين (ص١٢٠) ؛ وذكره أيضاً في كتابه الخيرات الحسان (ص٢١) ؛ وفي كتابه الصواعق المحرقة (ص١٧٧)[1] ، وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس (ورقة ٣٠ ب).

ونسبه إليه بعض المترجمين له وهم :

تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٣ أ) ؛ وحاجي خليفة في كشف الظنون (ص١٠٥٩-١٠٦٠) ؛ والكتاني في فهرس الفهارس (ص٣٣٩) ؛ والبغدادي في هدية العارفين (١ : ١٤٦) ؛ والزركلي في الأعلام (١ : ٢٣٤) .

وذكره السيفي بعنوان حاشية على الشمائل وذلك عند حديثه عن مؤلف في الإسراء لابن حجر فقال عنه : « مؤلف في الإسراء كالذيل على حاشيته على شمائل الترمذي »[2] والواقع أن عنوان الكتاب هو شرح وليس حاشية ، فكل النصوص التي ذكر فيها ابن حجر كتابه سماه بشرح الشمائل لا حاشية على الشمائل .

قد جمع الترمذي من الأحاديث والآثار الصحيحة كل ما تعلق بأوصاف رسول الله ﷺ الخلقية والخُلُقِيَّة جسماً وسلوكاً ، مما يعتبر وصفاً دقيقاً لما كان عليه الرسول الكريم ﷺ . وقد خَصَّص أبوابه للأوصاف النبوية متناولاً :

خَلْق رسول الله ﷺ من وصف للونه وقامته وجمال وجهه وعينيه وشعره وشيبه وخاتم النبوة بين كتفيه .

وأوصاف هيئته في مشيته وترجله وجلسته واتكائه وخضابه وكُحْلِه وتعطُّره

---

(١) طبعة (١٣٨٥هـ) .
(٢) السيفي : نفائس الدرر ، ورقة (٥أ) .

وخاتمه ولباسه وعمامته وإزاره وتقنّعه وخُفِّه ونعله ، وكلامه وضحكه ومزاحه ونومه وفراشه وحجامته ، كما وصف سلاحه من سيف ودرع ومِغْفَرِه [١] .

وما تعلق بطعامه وشرابه وعيشه وأكله وخبزه وإدامه وفاكهته وقدحه ووضوئه عند الطعام وبعده .

وما تعلق بخُلُقه كتواضعه وحيائه ، وبعبادته كصلاته وصيامه وقراءته وبُكائه .

خاتماً كتابه بذكر الأحاديث الواردة في أسماء رسول الله ﷺ وفي سنة وفاته وميراثه ورؤيته في النوم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . كل ذلك في (٥٦) باباً .

وكتاب شرح الشمائل لابن حجر هذا ما زال مخطوطاً لم يُطبع ، وإنما عرفت منه نسخاً كثيرة مخطوطة منتشرة في بلاد عديدة منها :

- أربع نسخ بالمكتبة الظاهرية بدمشق [٢] .
- نسخة بمكتبة ما نشستر إنجلترا رقم (١٣٢) .
- نسختان بدار الكتب الناصرية بتمكروت بالمغرب رقم (٧٢٦) ، ورقم (٩٠٧).
- نسخة بالخزانة العامة بالرباط رقم (٨٩٨ جـ) .
- نسخة مكتبة السعيدية بحيدر آباد بالهند رقم (٥١٧) .
- نسخة مكتبة برلين بألمانيا برقم (٩٦٣٦) [٣] .

وقد اطلعت على ثلاث نسخ أخرى غير المذكورة أعلاه :

١ - نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٩٨٠) تاريخ طلعت ، كُتِبتْ سنة (١١٢٣هـ) نسخها السيد عبد الكريم ابن السيد محمد ، عدد ورقاتها (٢٧٩) ورقة عليها تملكات منها تملّك باسم محمد الطاهر الكيالي الشهير بالطيار بتاريخ (١٢٢٨هـ) .

٢ - نسخة مكتبة مكة رقم (٣٣) تاريخ . لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ - عدد أوراقها (٣٧١) .

---

(١) المغْفَرُ : زَرَدٌ ينسج من الدُّروع على قدر الرأس ، يُلْبَسُ تحت القَلَنْسُوَة جمع مَغَافِرْ.
(٢) خالد الريان : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢:٦٣ ، ٦١٣) .
(٣) د . الهيلة : التاريخ والمؤرخون بمكة (ص٢٢٠) .

٣ - نسخة مكتبة الأحقاف باليمن - رقم (٤١٣) مجموعة حسين بن سهل - كتبها حاج مصطفى بن ملا خالد بن ملا علي بن ملا مصطفى - كتبت سنة (١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م) عدد أوراقها (١٨٨) عليها تملّك باسم الشريف حسين بن عبد الرحمن بن سهل .

وفي عصر المؤلف اهتم العلماء بشرح شمائل الرسول ﷺ للترمذي ، لذلك وجدنا معاصرين له ألّفوا في الموضوع منهم :

- الشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) له شرح على الشمائل النبوية للترمذي عنوانه « أقرب الوسائل في شرح الشمائل » . ذكره السخاوي في الضوء اللامع (٨: ١٦) ؛ والكتاني في فهرس الفهارس (٢: ٣٣٦)، وذكر أنه كتب منه مجلداً ، أي لم يكمله ، وهو مفقود [١] .

- شيخ ابن حجر عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) صنف كتاباً سمّاه « زهر الخمائل على الشمائل » [٢] .

- الشيخ عصام الدين الإسفراييني (ت٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م) [٣] .

- الشيخ مصلح الدين اللاري (ت٩٧٩هـ/ ١٥٤٢م) له شرح بالعربية وآخر بالفارسية ، ألّفه سنة (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) في نفس سنة تأليف ابن حجر لكتابه هذا [٤] .

ألّف ابن حجر كتابه هذا بمكة المكرمة في شهر رمضان سنة (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) فقال عن ذلك في مقدمته « فهذه عجالة علّقْتُها على مشكل شمائل الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى . . . الترمذي . . . لَمَّا قُرِئَ عليّ في رمضان من سنة تسع وأربعين وتسعمائة (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) بالمسجد الحرام المكي ، وسمّيْتُها أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل » وكان ابتداؤه فيه اليوم الثالث من رمضان وفراغه من تأليفه في (٢٨رمضان) من نفس السنة [٥] . .

---

(١) انظر الشقاري : السخاوي مؤرخاً (ص١٧٩) .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص١٠٦٠) .

(٣) حاجي خليفة : المرجع السابق (ص١٠٦٠) .

(٤) حاجي خليفة : المرجع السابق (ص١٠٦٠) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٢/ ٢٩٣).

(٥) ورد ذلك التاريخ في ختام المخطوط لابن حجر نسخة اليمن .

أما عن محتوى الكتاب ومنهج ابن حجر فيه فيتضح لنا بصورة عامة من الدراسة التالية :

١ – سار ابن حجر في شرحه لكتاب الشمائل للترمذي على نفس تقسيم أبواب الترمذي فتضمن الكتاب (٥٦) بابا متتابعة بصفة منتظمة على نفس التَّسلْسل.

٢ – لم يكْتَفِ ابن حجر بشرح نص الكتاب كما أورده مؤلفه ، وإنما قام بإضافات كثيرة علمية تاريخية من السيرة النبوية من بينها :

(أ) إضافته في أول الكتاب عند إيراده لباب ما جاء في خَلْق رسول الله ﷺ حين اعتبر أن الترمذي أغفل شيئاً هاماً مما يندرج تحت هذا العنوان قائلاً : «واعلم أن الكلام على خَلْقه ﷺ يستدعي الكلام على ابتداء وجوده فاحتيج إلىٰ ذكره وإن أغفله المصنف وملخّصه . . . » [١] . ثم استدل بالأحاديث الواردة في بداية خلق النبي ﷺ من بينها قوله ﷺ : «كنت نَبِيا وآدم بين الماء والطين » [٢] وأحاديث أخرى في ذلك .

ثم انتقل إلى إيراد تلخيص موجزٍ لتاريخ ولادة رسول الله ﷺ وعلاماته ووفاة والده ووالدته وجده وخروجه مع عمه للتجارة ثم تجارته مع خديجة – رضي الله عنها – وزواجه بها ، محدداً ذلك بالسنوات وبالأيام أحياناً [٣] .

(ب) ومن إضافات ابن حجر على نص المتن أن الترمذي قد يذكر عبارة «وفي الحديث قصة » ولا يوردها فنجد ابن حجر يوردها وقد يعرض بعدها ما يتعلق بهذه القصة من المعاني . من ذلك عند إيراد الترمذي في باب ما جاء في إدام رسول الله ﷺ في منزلنا فذبحنا له شاة فقال : « كأنهم علموا أنَّا نُحبّ اللّحم » ثم قال : وفي الحديث قصة [٤] ولم يوردها . فأوردها ابن حجر (ورقة ٩٠أ) فإذا في القصة معجزة لرسول الله ﷺ حدثت في غزوة الخندق في وليمة لجابر .

---

(١) ابن حجر : شرح الشمائل ورقة (٢أ) والنسخة التي تتبعتها في دراستي هي نسخة القاهرة.
(٢) الألباني : سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣١٦/١) .
(٣) ابن حجر : شرح الشمائل (٢أ-٤ب) .
(٤) الترمذي : الشمائل المحمدية (ص١٤٩) .

بعد ذلك نجد ابن حجر يقدم عرضاً لأهم المعجزات بادئاً بقوله : « واعلم أن معظم معجزاته ﷺ وأشهرها وأهمها القرآن » ، واستغرق عرضه للمعجزات إلى ورقة (٩٧ب) (٨ ورقات) .

(جـ) في باب وفاة رسول الله ﷺ نجد الترمذي [١] يقدم (١٤) حديثاً يذكرها مباشرة . أما شارحه ابن حجر فيقدم لهذا الباب بمقدمة طويلة تضمنت أقوال الرسول ﷺ في الموت تقع في (٣ ورقات من ورقة ٢٥٢ أ إلى ورقة ٢٥٤ب) حيث بدأ بنص الترمذي .

٣ - وقد يشرح ابن حجر نص المتن شرحاً تاريخياً وافياً وطويلاً . فمثال ذلك عندما يورد الترمذي نص الحديث : « بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين فتوفاه الله تعالى على رأس ستين سنة » [٢] دون أن يشرحه ، يتولى ابن حجر التوسع في بيان معانيه ذاكراً - بإيجار - لأهم مراحل تاريخ حياة رسول الله ﷺ وذلك في قرابة (١٢٠) سطراً من ورقة (٧أ) إلى ورقة (٩أ) .

٤ - إذا استدل الترمذي صاحب المتن على أمر بحديث من الأحاديث ، فإن الشارح ابن حجر كثيراً ما يورد أحاديث أخرى في نفس الموضوع تعضّد ما أورده الترمذي تكون أحياناً أحاديث في نفس المعنى وبألفاظ مختلفة ، وتكون أحياناً أخرى نفس الحديث بروايات مختلفة [٣] .

٥ - إذا ما أورد صاحب المتن اسم شخص ، فإن الشارح كثيراً ما يعمدُ إلى التعريف بذلك الشخص في ترجمة تطول أو تقصر بحسب أهمية الشخصية [٤] .

- قد يخرج ابن حجر في شرحه هذه عن موضوع الكتاب وسياق كلامه ، فيأتي بمسائل لا علاقة لها بما كان يذكر ، لأنه رأى أن القاريء قد يحتاج إلى توضيح مسألة أو قواعد تُيَسِّر له فهم الكتاب .

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢٧) . (٢) المصدر نفسه (ص٢٨-٢٩) .

(٣) انظر : مثلاً ورقة (١٨٤ب) .

(٤) ففي ورقة (٨ب) يترجم لأم المؤمنين السيدة صفية ، وفي ورقة (١٥٧ب) إلى (١٥٨أ) يترجم لأم المؤمنين السيدة ميمونة .

ومن أمثلة ذلك أنه في ورقة (٤ب-٥أ) يشرح لفظ أخبرنا ، وهو أول كلمة وردت في نص الترمذي فيعرض على القاريء قواعد من مصطلح الحديث فيبين الفوارق بين الألفاظ المستعملة عند المحدثين وهي - أخبرنا وأنبأنا وحدثنا - .

٦ - ومن أمثلة ذلك أيضاً أنه عندما ذُكر محمد بن الحنفية في سند رواة حديث من الأحاديث ينتهز الفرصة ليوضح خطأ اعتقاد الرافضة فيقول : « ومحمد هو ابن الحنفية أمَةٌ لعلي - رضي الله عنه - حصلت له من سَبْي بني حنيفة . قيل من سخافة عقول طائفة من الروافض أنهم يعتقدون في محمد هذا الألوهية مع أن أبا بكر هو المعطي علياً أُمَّه فلولا إعطاؤه له بحقّية كونه الإمام لكان إلههم دَعِيا »[1] .

٧ - التزم ابن حجر في أول مقدمة الكتاب أن يشرح الألفاظ المستعصية على فهم طُلاب العلم حيث قال : « هذه عجالة علقتها على مشكل شمائل الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي » . وفعلاً فإن شرحه لألفاظ النص لم يتناول ما كان منها واضح المعنى .

٨ - وفي شرح ابن حجر للمتن نجده في كثير من الأحيان يبدأ بضبط الكلمات التي تحتاج إلى شرح فيضبطها في بيان ما كان معجماً من حروفها وما كان مهملاً وضبط شكل الحروف من فتح أو ضم أو كسر أو سكون .

ويولي أهمية كبيرة لضبط أسماء الأعلام والأماكن .

٩ - كثيراً ما يورد إعراب الكلمات أو الجُمَل ليبيّن وظيفتها في الجملة مما يُعين على بيان المعنى .

١٠ - كثيراً ما يفسر معنى الكلمة ويشرحه شرحاً لغوياً على منهج كتب المعاجم - فإذا وردت الكلمة بالمفرد أورد جَمْعَهَا لزيادة توضيحها - ثم يورد معناها الأساسي الموضوعة له في كلام المتن ، وأحياناً يورد المعاني المتعددة للكلمة الواحدة .

١١ - نظراً إلى أن هذا الكتاب كان شرحاً لكتاب حديثي ، فإن ابن حجر لم يهتم كثيراً بذكر مصادره التي اعتمدها في ذلك والتي إذا ذكرها يكتفي في أغلب الأحيان بذكر أسماء المؤلفين دون الإحالة على كتبهم ، وهي في أغلبها تشمل كتب الحديث الصحيحة المشهورة أو بعض التفاسير وكتب الفقه والعقيدة .

---

(١) ابن حجر : شرح الشمائل ورقة (١٢أ-١٢ب) .

٣ - مؤلف في الإسراء كالذيل على حاشيته على شمائل الترمذي

انفرد بنسبته لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر (ورقة ٥أ) . ووضح السيفي أن هذا الذيل مفقود . ولم نعثر عليه .

تنبيه : قبل أن أواصل حديثي عن آثار ابن حجر في السيرة النبوية ، وأتناول بالدراسة كتبه الأربعة التي وضعها ابن حجر في ذكر تاريخ مولد الرسول ﷺ (الموالد) رأيت لزاماً عليّ أن أضع تنبيهاً يوضح المشاكل التي تعترض الباحث في هذا الموضوع ، وتتنوع هذه المشاكل إلى منهجية وعقدية .

أما المشكل المنهجي : فيتمثل في إمكانية دراسة هذه الموالد ضمن الإنتاج التاريخي لابن حجر . فإن عنوان هذه الرسالة هو « ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية » . وجميع ما كتبه ابن حجر في الموالد يعتبر ضمن كتاباته في السيرة النبوية ، والسيرة النبوية أساس انطلقت منه الكتابة التاريخية عند علماء المسلمين . فهل يسوغ لي إهمال ذكرها ودراستها ؟ ومراعاة ما يغلب على أذهان الناس من أن الموالد بدعة لم ترد في كتاب ولا سنة ولا فعلها السلف الصالح .

وعدتُ إلى قراءة الموالد الأربعة التي كتبها ابن حجر مرة بعد مرة لأصل إلى القرار السليم النزيه . وبعد أن عاودتُ القراءة لم أجد في نصوص الموالد التي كتبها ابن حجر شيئاً يخالف في روايته للسيرة النبوية ما ورد في كتب الحديث الصحيحة ، ولا كتب السيرة المعتمدة ، ولا كتب التاريخ الإسلامية القويمة . فإذا أنا تركت وأهملت دراسة هذه الكتابة التاريخية يكون البحث ناقصًا في جانبه المنهجي غير مُوف بالغرض منه وهو دراسة جهود ابن حجر في الكتابة التاريخية، وجاز لكل من يُطَّالِعُهُ أن يعتبره مبتورًا منهجياً .

أما المشكل العقدي : في إمكانية اعتباري محبِّذة لبدعة الموالد وداعية لها ، وهو ما لا ترتضيه مسلمة سنية مثلي تؤمن بالله تعالى وتتأسى بسنة رسول الله ﷺ .

وبعد التقصّي والنظر تبين لي أن للفظ « المولد » معنيين لغويين ومعنيين اصطلاحيين .

فالمولد لغة : هو وقت الولادة ومكانها .

وأما اصطلاحاً : فقد اصطلح أهل العلم بالتاريخ على أن المولد هو الكتاب الذي تجمع فيه أخبار ولادة رسول الله ﷺ وطفولته وشبابه ، ومن بين كتب السيرة النبوية كتب سيرة عامة تشمل كل مراحل حياة النبي المكرم ، وكتب تتناول مغازيه وكتب تتناول صفاته وأخلاقه (الشمائل) وكتب تتناول مولده ، وكتب تتناول وفاته ﷺ وغير ذلك .

كما اصطلح أهل الابتداع خلال القرون الأخيرة على جعل لفظ « المولد » دالاً على تلك المجالس البدعية التي يجتمع فيها العامة وغير الموفقين من أهل العلم المحدود ليقرؤوا فيها كتب الموالد ويحتفلوا فيها أحتفالاً لم يرد فيه نص فيقوموا فيه بأعمال فيها ما لا يقبله عقل ولا يجيزه دين .

وبعد أن استبان لي الأمر أني - بتوفيق الله - لا أدرس ولا أتناول في كتابى هذه المجالس البدعية ولا أدعو لها ولا أحبذها ولا أنشرها بين الناس ، بل أذكرها بما تستحق من التشهير ، وعلى أهل الاختصاص في العقيدة أن يبينوا للناس خطرها وخطأها ومشاركتي في ذلك لا تعدو أن تكون مشاركة طالبة علم مختصة في التاريخ الإسلامي .

أما دراستي لكتب الموالد فلا علاقة لها بشأن مجالس الموالد المبتدعة ، وعليّ أن أتناول كتب الموالد التي ألفها ابن حجر ، وأتبين ما فيها من مادة تاريخية وأقارنها بما ورد في كتب الصحاح والسيرة وأقحمها ضمن إنتاج ابن حجر في التاريخ فأبين أخطاءها - إن وُجدَتْ - ومنهجها وخصائصها .

وهو ما يتلاءم والمنهج العلمي في كتابى ويحفظني من تهمة نشر بدع تلك المجالس التي لا علاقة لها بما أكتب ، ولا علاقة لها بما في نفسي من إيمان صحيح والحمد لله .

وهذا ما جعلني لا أرى بأساً بدراسة هذه الموالد الأربعة التي كتبها ابن حجر الهيتمي - وأسأل الله التوفيق - .

* * *

٤ - ٥ - ٦ - ثلاثة موالد نبوية

اهتم ابن حجر بكتابة الموالد شأنه في ذلك شأن أبناء عصره ، فقد وضع ثلاثة موالد صغيرة لتقرأ كنصٍّ أدبي في بعض الاجتماعات . وقد ذكرها المؤرخ المكي على الطبري في كتابه الأرج المسكي [١] ، وذكرتْ هذه الموالد مجموعة من مصادر ترجمة ابن حجر [٢] إلا أنها لم توضح لنا الفوارق بينها ، كما أنها خلَطَتْ بينها وبين كتابه النعمة الكبرى في المولد النبوي الذي لا يُعتبر مولداً بقدر ما نعتبره كتاب سيرة نبوية ، نهجَتْ المنهج العلمي في كتابة السيرة ، في حين أنّ الموالد تنهج دائماً المنهج الأدبي وأسلوبه .

فهذه الموالد الثلاثة تتشابه في موضوعاتها، وتتفق في كثير من فَقَراتها ولا اختلاف بينها إلا في مقدماتها مع توسّع في بعض الموضوعات واختصار في موضوعات أخرى .

وقد وضعها المؤلف لتُقْرأ في مجلس واحد ، وليسهل حفظها كما ذكر ذلك في مقدمة واحد منها فقال في آخر كتاب النعمة الكبرى « الخاتمة : في تلخيص ما سبق ليسهل حفظه وقراءته في مجلس واحد » [٣] .

وهذه الموالد الثلاثة هي :

٤ - أولاً : مولد النبي ﷺ :

لم نعرف منه مخطوطة، وإنما حصلْتُ على صورة مطبوعة قديمة طبعت بالشام على نفقة محمد هاشم الكتبي صاحب المكتبة العلمية بالشام في (٣٢) صفحة ولعله طبع طبعة ثانية ذكرها سركيس في معجم المطبوعات العربية والمعربة[٤]

---

(١) علي الطبري : الأرج المسكي (ص٧٩) (تحقيق د . الطاسان) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر ورقة (٥ب) ؛ الكتاني : فهرس الفهارس (ص٣٣٩) ؛ البغدادي: هدية العارفين (١/١٤٦) ؛ إيضاح المكنون (٢/٦٦١) ؛ جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٣/٣٥٣) .

(٣) ابن حجر : النعمة الكبرى ورقة (٥٤ب) - نسخة تطوان ، وهذه المجالس اعتبرها أهل السنة والجماعة من البدع ولم ترد في كتاب ولا سنة ولا فعلها السلف الصالح .

(٤) سركيس : معجم المطبوعات (ص٨٢) .

وقال إنها طبعت بدمشق بالمطبعة الدومانية سنة (١٢٨٣هـ) في (٢٤) صفحة بعنوان « تحفة الأخبار في مولد المختار » لم نتمكن من الاطلاع عليها . أما المطبوعة الأولى فأولها « الحمد لله الذي شرّف هذا العالم بمولد سيد ولد آدم » وقد وردت فيه مقدمة في (٥) صفحات زيادة على المولدين الموالين .

تضمنت هذه الصفحات الحديث عن النبي ﷺ ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وشريعته الواضحة الجامعة لما في كتب الله المنزلة ، وأمته أفضل الأمم . واستشهد على ذلك بالآيات القرآنية وبشرحها ، وأحال فيه في (ص٥) على كتابه النعمة الكبرى على العالم ثم قال : « لكن في ذلك الكتاب بسْطٌ لا يتمّ معه قراءتُهُ في مجلس واحد فاختصرته هنا بحذف أسانيده وغرائبه واختصرت منه على ما بسنده مُتَابِعٌ أو عاضِدٌ روما للتسهيل . . » [1] .

ثم بدأه (ص٦) بالآية الكريمة :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] . .

أما محتوى الكتاب فقد جاء كما يلي :

(ص٧) سيادة رسول الله ﷺ على الخلق أجمعين .

(ص٨) معجزاته التي خصّه الله بها ومنها الإسراء والمعراج .

(ص٩) نسبه الشريف ، والخلاف حول هذا النسب .

(ص١١) خلق روح الرسول ﷺ قبل خلق آدم عليه السلام .

(ص١٣) طهارة النسب المحمدي إلى ولادته ﷺ .

(ص١٤) أخبار جده عبد المطلب ، وزواج أبيه من آمنة .

(ص١٥-١٦) حمله ﷺ والروايات حوله .

(ص١٧) وفاة والده قبل ولادته .

(ص١٧-١٨) ولادته .

(ص١٩-٢٠-٢١) الروايات حول ولادته .

---

(١) ابن حجر : مولد النبي ﷺ (ص٦) . (٢) سورة التوبة : الآية (١٢٨) .

(ص٢٢-٢٣) الروايات حول خاتم النبوة بين كتفيه .

(ص٢٣-٢٤) المعجزات والأحداث في العالم في يوم ولادته .

(ص٢٤-٢٥) تسمية جده له محمداً وأسبابها .

(ص٢٥) الاختلاف في يوم وشهر ولادته وأصحُّ الأقوال .

(ص٢٦-٢٧) قصة إرضاعه .

(ص٢٨) حادثة شق صدره .

(ص٣٠) وفاة أمه آمنة ، وجدّه عبد المطلب .

(ص٣٠-٣١) خروجه للتجارة إلى الشام مع عمه أبي طالب وعمره (١٢سنة) ، ثم خروجه للشام مع أبي بكر وعمره عشرون سنة ، ثم خروجه مرة أخرى للشام في تجارة خديجة وعمره خمس وعشرون سنة . وزواجه منها .

(ص٣٢) وضعه للحجر الأسود بالكعبة وعمره خمسٌ وثلاثون سنة . ثم لما بلغ أربعين سنة أرسله الله رحمة للعالمين .

٥ - أما المولد الثاني :

فقد وضعه في خاتمة كتابه النعمة الكبرى على العالم ، اختلفتْ مقدمته عن المولد السابق ، فقد جعله خاتمة لكتابه النعمة الكبرى على العالم وقال في مقدمته: « الخاتمة : نسأل الله حسنها آمين ، في تلخيص ما سبق ليسهل حفظه وقراءته في مجلس واحد ، قال الله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم...** ﴾ (١) واختلف محتواه بعض الشيء عن محتوى المولد السابق ، فحذف فيه تلك المقدمة السابقة في المولد المذكور سابقاً ، كما حذف ما جاء بعد الآية الكريمة من ذكر سيادة الرسول على الخلق ومعجزاته . ثم أورد في (ورقة ٥٤ب) نسبه ﷺ بصورة مختصرة عن كتابه السابق . أما باقي محتوى الكتاب فكان تقريباً بنفس نص المولد السابق عدا إضافة بعض الكلمات القليلة .

عرفنا منه نسختين :

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٢٨) . وانظر : ابن حجر : خاتمة النعمة الكبرى (ورقة٥٤ب). نسخة المغرب .

الأولى : في المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن رقم (٦٣ سيرة / ١٥٩٠) تقع في (١٠) ورقات ، وهي نسخة قديمة كُتبتْ سنة (١١٦٩هـ) بخط محمد بن محمد ابن إبراهيم كرم الواعظ العُمري .

والثانية : نسخة بالمكتبة العامة بتطوان برقم (٤٥٦ع) تقع في (١٠) ورقات نسخها حسن رجب السقا خطيب الجامع الأزهر سنة (١٣٠١هـ) .

٦ - أما المولد الثالث :

فقد وجدت منه نسخة في المكتبة العامة بتطوان رقم (٣٤٤/٢٢) . نسخت سنة (١٣٠١هـ) بخط حسن رجب السقا خطيب الأزهر . وقد وضع عليه هوامش كثيرة شرحاً لهذا المولد .

ونسخة بدار الكتب المصرية رقم (٢٣١/٣) يقع في (١٠) ورقات .

وهذا المولد يختلف عن سابقه في المقدمة حيث أن أوله « الحمد لله الذي بعث فينا رسوله الأعظم ، ونبيّه الأكمل الأفخم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم . . » .

أما محتوى هذا الكتاب فهو يشتمل على نفس متن كتابيه السابقين مع بعض الاختلافات من زيادة أو نقصان بعض النصوص والعبارات أو الفقرات ، فقد بدأه أيضاً بقوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...** ﴾ [١] .

ويبدو أن هذه الموالد التي ألفها ابن حجر انتشرت بين الناس واشتهرت ، حتى أنّ الكثير من المؤلفين وضعوا لها شروحاً عديدةً وحواشي أحْصَيْنا بعضها فكان منها :

١ - تحفة البشر ، على مولد ابن حجر للباجوري ، منه نسخة بدار الكتب المصرية رقم (٢٧٤٧) عروسي - (٤٢٧٠٣) أزهرية تقع في (٥٥) ورقة .

٢ - بهجة الفكر ، على مولد ابن حجر ، وهي حاشية الجَمَل على المولد النبوي . طبع بطنطا سنة (١٣٢٢هـ) يقع في (١٦٤) صفحة .

٣ - اقتناص الشوارد ، من موارد الموالد ، في شرح مولد الهيتمي . تأليف محمد بن محمد المنصوري الشهير بالخياط . فرغ منها في سنة (١١٦٦هـ) [٢] .

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٢٨) .

(٢) البغدادي : إيضاح المكنون (١١١/١) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (٣٠٣/١١) .

٤ – حاشية حجازي بن عبد المطلب العدوي المالكي (ت سنة ١٢٣٢هـ) على المولد النبوي لابن حجر [١] . منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (١-٤٥) مجموع .

٥ – حاشية الدمليجي على المولد النبوي لابن حجر – منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٢١٥-٢٢٠ ، ٢٤٨٩ صعايدة / ٣٩٩٢١ صعايدة) .

٦ – حاشية على مولد ابن حجر الهيتمي : تأليف يوسف بن عبد الرحمن السنبلاويني الشرقاوي المكي (ت١٢٨٥هـ) [٢] .

٧ – حاشية عبادة العدوي على المولد النبوي . منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم (٢٦٧٧) زكي (٤١٢٨٠) أزهرية .

٨ – نثر الدر ، على مولد ابن حجر – لأحمد بن عبد الغني بن عمر ، الشهير بابن عابدين الدمشقي الحنفي (ت١٣٠٧هـ/١٨٨٩م) . وهو شرح لقصة المولد المسماة : « مختصر النعمة الكبرى على العالم » [٣] .

٩ – تقرير الشيخ أحمد البيلي على المولد النبوي لابن حجر منه نسخة بدار الكتب المصرية رقم (١ ، ١٥ ، ٢٥٦٥٨ أزهرية) تقع فى (١٢) ورقة .

١٠ – حواشٍ وضعها حسن رجب السقا خطيب الأزهر على هامش النسخة السابقة الذكر ، والتي حُفظت بالمكتبة العامة بتطوان رقم (٣٤٤/ ٢٢) .

وقد عثرنا خلال مطالعاتنا على كتاب مطبوع وُضِع له عنوان « النعمة الكبرى على العالم » ونُسب لابن حجر الهيتمي طبع بمطبعة الاستقامة بمصر سنة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) . يقع في (٧١) صفحة ، وبعد الاطلاع عليه وجدنا :

أولاً : أنه لا يتفق أبداً مع كتاب النعمة الكبرى على العالم لابن حجر الذي ندرسه لاحقاً .

ثانياً : أنّ الكتاب لا يمكن أن يكون لابن حجر مترجمنا ،لأنه يشتمل على كثير من الاختلاقات والأكاذيب التي لا يمكن أن يكون قد كتبها ابن حجر نفسه ، من

---

(١) انظر ترجمته ، كحالة : معجم المؤلفين (٣/ ١٨٩) .
(٢) انظر ترجمته ، مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص٥٢٠) .
(٣) خالد الريان : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢/ ٥٣١) .

أمثلة ذلك ما ورد في الكتاب (ص٧) وهو من الكذب الصراح : « قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - من أنفق درهماً على قراءة مولد النبي ﷺ كان رفيقي في الجنة » . ومن ذلك أمثلة كثيرة .

كما أنه اشتمل على أشعار ركيكة ضعيفة المبنى والمعنى ، لا يمكن أن يكون قد ألفها ابن حجر ، كما لا يمكن أن ينقلها مثل ما ذكر في الكتاب (ص٢٠) :

« يـــا ذا المكيا يا ذا المكيا   مديح محمد عزيز عليا »

وإنما طُبِع هذا الكتاب لنشره بين العامة بناءً على شهرة موالد ابن حجر المكي.

وإن ما في هذا الكتاب من الكذب والخرافات ما يجعل المسلم يبرأ بدينه من قراءته وسماعه .

* * *

٧ - النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيد بني آدم = إتمام النعمة على العالم = المقاليد في المواليد

ذكر ابن حجر كتابه هذا بالعنوان الأول في كتابه المولد [(١)] قائلاً : « كما جمعتُ ذلك في كتاب سميتُه النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم » . كما نسبه له بهذا العنوان أيضاً تلميذه السيفي في نفائس الدرر [(٢)] .

أما العنوان الثاني وهو إتمام النعمة على العالم فقد وجدناه على مخطوطة الهند التي نذكرها فيما بعد .

والعنوان الثالث وهو المقاليد في المواليد وجدناه على مخطوطة القاهرة ، ولعل العنوانين التاليين من اختيار الناسخين .

نُسَخ المخطوط : حصلنا منه على ثلاث نسخ :

النسخة الأولى : بعنوان « النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم ويسمى القول السوي في أصل عمل المولد النبوي » . محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى رقم (٤٥٦ ع) . وهي نسخة حديثة تقع في (٦١) ورقة، اسم الناسخ حسن رجب السقا خطيب الأزهر - نسخها في (١٢ محرم سنة ١٣٠١هـ) ، وذكر أنه نقلها من نسخة في غاية الإتقان تَمَّتْ في سنة (١٢٠١هـ). واشتمل الكتاب على خاتمة (٥٤ب-٦١أ) لخّص فيها كتاب النعمة الكبرى ليسهل حفظه وقراءته في مجلس واحد كما قال [(٣)] .

---

(١) طبعة الشام (ص٥) . (٢) السيفي : نفائس الدرر ورقة (٥ب) .

(٣) حصلت على هذا المخطوط بتكرم وعناية من الأستاذ الدكتور حسن الوركلي ، شكر الله سعيه .

النسخة الثانية : بعنوان « إتمام النعمة على العالم » . محفوظة بالمكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند برقم (٦٣ سيرة / ١٥٩٠) . تقع في (٣٦) ورقة - نسخها محمد بن محمد بن إبراهيم كرم الواعظ العمري سنة (١١٦٩هـ) عليها بعض التملّكات غير مؤرخة . وكذلك اشتمل المخطوط على خاتمة (٣١ب-٣٦ب) فيها تلخيص الكتاب .

النسخة الثالثة : بعنوان « كتاب المقاليد في المواليد » محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٣٤١) الزكية . عليها تملكات أقدمها بتاريخ (١١٧١هـ) باسم يوسف الجمالي ، وتملّكات أخرى دون تاريخ أحدث منها كثيراً ، نظراً لنوع خطها. تقع في (٤٦) ورقة ، لم يُذكر ناسخها ولا تاريخ النسخ ، ولم تشتمل على الخاتمة التي فيها التلخيص .

تاريخ التأليف :

ذكر ابن حجر في نهاية كتابه النعمة الكبرى وقبل الخاتمة التي اعتبرها كتاباً ثانياً فقال : « نجز يوم الأحد ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وتسعمائة (٩٦٤هـ/١٥٥٦م) » [(١)] .

محتوى الكتاب :

وفيما يلي نقدم عرضاً لمحتوى الكتاب اعتماداً على نسخة المغرب التي وصفناها سابقاً .

ورقة (١ب) أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه العون ، الحمد لله أتم الحمد وأكمله ، وأشكره أفضل الشكر وأشمله ، إذ بعث فينا رسوله الأعظم ، ونبيّه الأكمل الأفخم . . . » .

(٢ أ) - الباب الأول : في المقدمات . وفيها فصول ثلاثة :

(٢ أ) - الفصل الأول : في أصل عمل المولد .

(٥ أ) - الفصل الثاني : في قبائح صدرت من الناس مقترنة بعمل المولد ، لا سيما بمكة المشرفة .

---

(١) ابن حجر : النعمة الكبرى ، (ورقة ٥٤أ) .

(٧ ب) - الفصل الثالث : في ذكر اختلاف العلماء في تفضيل ليلة المولد .
(٩ أ) - الباب الثاني في المقاصد : وفيه سبعة فصول :
(٩ أ) - الفصل الأول : في ذكر نسبه الشريف ﷺ .
(١٠ أ) - الفصل الثاني : في ذكر نُبَذٍ من أصل خلقه ﷺ .
(١٩ أ) - الفصل الثالث : في ذكر شيء من شرف هذا النسب الشريف .
(٢٠ ب) - الفصل الرابع : في تزوج عبد الله بآمنة .
(٢٢ أ) - الفصل الخامس في حمله ﷺ .
(٢٤ أ) - الفصل السادس : في ولادته ﷺ .
(٣٦ أ) - الفصل السابع : في رضاعه ﷺ .
(٤٣ أ) - تنبيهات : ١ - شق الصدر .
(٤٥ أ) - ٢ - خاتم النبوة .
(٤٦ ب) - ٣ - اختلاف الناس في أبويه ﷺ .

يتبين لنا من خلال عرض محتوى الكتاب أنه يتكون من بابين :

تناول في الباب الأول وفي الفصل الأول منه قضايا عقدية ، فبيّن حكم عمل المولد وأنه بدعة لم يؤثر على أحد من القرون الأولى أنه فعلها . وهو حكم نوافقه عليه ، إلا أن الذي لا نوافقه عليه أنه بدعة حسنة لما اشتمل عليه - حسب قوله - من الإحسان للفقراء وقراءة القرآن والذكر والصلاة على النبي ﷺ وإظهار السرور والفرح به ، والبدعة فيه مخالفته للسنة وأعمال السلف من الصالحين ، فإن الإحسان للفقراء وقراءة القرآن والذكر والصلاة على الرسول ﷺ لا تكون خاصة بيوم معين ولا بمجلس معين .

ثم ذكر ابن حجر أن أهل مصر والشام وأهل الأندلس والهند يحتفلون بالمولد ويصرفون في ذلك أموالاً طائلة ، وأن أهل مكة يبالغون في الاحتفال به . وتطرق إلى ذكر العلماء الذين يجيزون هذه البدعة ويعتبرونها حسنة .

ثم نقد ابن حجر الجماعة الذين يعقدون مجالس الموالد في أي يوم كان من السنة ، فهو بذلك يجيز الاحتفال بالمولد في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ولا يجيزه في غيره من أيام السنة - وهو أيضاً ما نتفق معه في عدم جواز عمل المولد في كل أيام السنة ونخالفه في إجازته الاحتفال به في اليوم المعين .

وفي الفصل الثاني من الباب الأول : انتقد ابن حجر القبائح التي تصدر من الناس مقترنة بعمل المولد لا سيما بمكة المكرمة ، منها :

(٥ أ) - « اختلاط النساء بالرجال في المسجد الحرام » .

(٥ أ) - « خروجهم إلى زيارة محل المولد المشهور على أقبح هيئة وأشنع رؤية ويسمون ذلك زفة المولد » .

(٥ أ) - « النساء يتزيّن بأحسن حليهن وحللهن ويتطيبن بأطيب طيبهن ثم يخرجن مختلطات بالرجال اختلاطاً فاحشاً » .

(٥ أ - ب) - أنه « يقع في تلك الليلة من المفاسد والقبائح ما تصم عنه الآذان » .

(٥ ب) - « ومن القبائح أيضاً . . . أنهم يخرجون والقمر في قوة سلطانه بالسُّرُج الكثيرة الشموع على اختلاف أنواعها ثم يأتون فتنصب تلك الشموع وغيرها في المسجد الحرام على صفات أكثر وأظهر مما كانت عليه في حال مشيهم وهذا قبيح أي قبح » .

(٥ ب - ٦ أ) - « إن بعض المتّسمين - من المكيين - بصورة الفقهاء يصطفون في الذهاب والعود في تلك الزفة صفوفاً مختلفة صفاً من الرجال وصفاً من الشموع والناس مصطفون بجنبتي الطريق مزدحمون على التفرج عليهم فيتمهلون غاية التمهل والتأني في مشيهم ويتبختر بعضهم تبختراً يغلب تبختر النساء - أعاذ الله بلده وحرمه من أفعال هؤلاء وقبائحهم » .

(٦ أ) - « اشتهر وتواتر عن النساء قبائح تصدر منهن حتى في المسجد الحرام» .

(٦ أ) - بلغ المؤلف وقوعُ بعض مقدمات الزنا بهن في المطاف وعند تقبيل الحجر الأسود .

(٦ أ) - أورد حكاية أحد طلبته تغريه امرأة سوء عند تقبيل الحجر الأسود وتتبعه فتأخذه إلى بيتها ولكن الله يسلمه من الزنا .

(٦ أ - ب) - حكاية طالب آخر وقع في المعصية فابتلاه الله بالجنون والاختلاط .

(٦ ب) - « أكثر الناس في عمل المولد لا يمنعون النساء من إشرافهن على الرجال ونظرهن إليهم وذلك قبيح . . . والواقع من النساء في المواليد كثيراً ما يترتب عليه الشهوة والفتنة » .

(٧ أ) - « في تلك المواليد يأتون بمن يقرأ لهم المولد الشريف على الكيفية التي ألفها الوُعَّاظ في هذه الأزمنة ، وذلك منكر أي منكر لأن أكثره كذب وبهتان واختلاف . بل لم يزالوا يولدون فيه ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه ، بل يجب على العلماء وكل من علم ذلك وقدر عليه الإنكار عليهم وتركهم للباطل منه ، أو مفارقة المجلس والقيام عنه » .

(٧ أ) - « فإن كان ولا بد من الإظهار ، فليكن مصوناً من غوائل الرياء وقبائح البدع ليُسْلك في مسلك المطهرين من الأخيار » .

ويروي ابن حجر محاربة الأخيار لهذه البدع التي تقام في زفة المولد فيقول :

ورقة (٥ ب) - « ثم لما تنبّه بعض الموفّقين من القضاة إلى ذلك منعهن (النساء) من الخروج فغلبنه المرة بعد المرة ، فمنع الناس من الخروج والمشي إلى الموالد بالكلية، فحمد الصالحون فعله وشهدوا بذلك عدله وفضله ، ثم أعيد ذلك ثم منعوا وهكذا » [١] .

ويقول في ورقة (٦ أ) - « إن كثيراً من العلماء الأربعة بمكة المشرفة قاموا أشد قيام وانتصروا أشد الانتصار في منع النساء من الخروج من بيوتهن إلى المسجد الحرام بالكلية . . . فعارضهم آخرون حتى كثرت الفتاوى وألف بعض كل من الفريقين في الرد على الآخر ، وأنهى كل من الفريقين أسئلة إلى علماء مصر

(١) كأنما يفهم من موقفه هذا أنه يعارض خروج النساء ومشاركتهن في مجالس عمل المولد ويجيزه للرجال ، وهذا غير جائز .

بحسب غرضهم فأجابوا عن كل سؤال بما يناسبه ، فوقع بينهم من المراسلات والخطأ والسبّ ما كان سبباً لإغراء الفسقة ومَن في قلبه زيغ وهوى إلى نصرة الباطل وإبقاء تلك القبائح كما كانت فزادت وطمت وانتشرت وعمت » .

● غرض ابن حجر من التآليف :

تحدث ابن حجر في خاتمة هذا الكتاب - التي جعلها كتابا منفصلاً - عن غرضه من الكتابة في المولد وهو قسم من سيرة الرسول ﷺ وتاريخه فقال ما نصه : « ولو لم يكن من ذلك إلا ما ظهر عند حَمله ﷺ وقُبَيْلَهُ ووقت ولادته وفي أيام رضاعه وتربيته لكفى ، كما جمعتُ ذلك في كَتاب سميته النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيّد بني آدم » [(١)] .

كما وضح ابن حجر غايته من التأليف في سيرة الرسول ﷺ وتاريخه ليقاوم البدع التي تحدث في مجتمعه من قراءة سيرة الرسول ﷺ في يوم مولده بكثير من القصص الخيالية والروايات الموضوعة . وينادي ابن حجر أولي الأمر لمقاومة ذلك ومنعه وضرورة محاربة هؤلاء الناس الذين يسيئون لسيرة المصطفى ﷺ . وعن ذلك قال ابن حجر في مقدمة كتابه هذا النعمة الكبرى على العالم : « أما بعد : فإنه لما كان ليلة الأحد ثامن شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وتسعمائة (٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م) خطر لي أن أكتب ورقات في بيان أصل المولد النبوي في هذا الشهر ، ثم أذكر ما له ذِكْر في كتب الحفاظ المحدثين مما سلم من وضع الواضعين وافتراء الكاذبين . . . دعاني إلى ذلك اختلاف الناس فى أصل عمل المولد وهل هو بدعة أو لا ، وإكثار القُصّاصِ والوعاظ من ذكر أخبار موضوعة، وحكايات وأشعار مصنوعة ، غير مُستحيين من الله ورسوله في الكذب عليهما عمداً تارة وجهلاً أخرى ، ومِن ثَم قال الأئمة : يجب على كل عارف الإنكار عليهم باليد فاللسان فالقلب ، خشية من العطب والسلب ، لأنهم ضلوا عن الهدى ، وزلوا عن الحق وأزالوا ، فضراعة إليك اللهم في هِدَايَتِهم للصواب وأن تُلْهِم مِن صُلحاء أولي الأمر مَن يكفُّهم عما يذكرونه على رؤوس الأشهاد من قبائح الكذب الذي بلغوا فيه العجب العجاب ، إنك أكرم مسؤول، وخير مرجو ومأمول » .

أما الباب الثاني من الكتاب فقد جعل ابن حجر جميع فصوله السبعة

---

(١) ابن حجر : المولد (ص٥) ، طبعة الشام .

متخصصة في ذكر أخبار مولد رسول الله ﷺ مستعرضاً فيه أصل خلقه ﷺ ونسبه وشرف هذا النسب ثم زواج والديه وحمل أمه به وولادته ورضاعه وشق صدره وخاتم نبوته ، خاتماً ذلك بعرض اختلاف الناس في حكم أبويه .

منهج ابن حجر :

أما عن منهج ابن حجر في كتابه هذا فقد قال في الخاتمة :

« كما جمعتُ ذلك (حمله وولادته ورضاعه وتربيته ﷺ) في كتاب سميته «النعمة الكبرى على العالم بمولد سيّد بني آدم » بأسانيده التي نقلها أئمة السنن والحديث الموصوفون بالحفظ والإتقان والجلالة والبرهان في القديم والحديث مما هو سالم من وضع الوضاعين وانتحال الملحدين والمفترين لا كأكثر المواليد التي بأيدي الناس ، فإن فيها كثيراً من الكذب المختلق الموضوع » (١) .

وبعد أن تتبعتُ ما ورد في الكتاب من أخبار تاريخية متعلقة بالسيرة النبوية لم أجده إلا صادقاً فيما ذكره عن نفسه من أنه يسند أخباره عن « أئمة السنن والحديث الموصوفين بالحفظ والإتقان والجلالة والبرهان في القديم والحديث ، مما هو سالم من وضع الوضاعين وانتحال الملحدين والمفترين » (٢) .

ويتبين لنا ذلك واضحاً في العرض المفصّل الذي نعرض فيه مصادره التي اعتمدها في كتابه هذا .

مصادره :

نظراً لأهمية معرفة مصادر ابن حجر في كتابه هذا ، فإني أعرض بتفصيل أسماء مؤلفيها مع الإحالة على ورقات المخطوط (٣) حتى يتسنى للباحث الحكم على مدى عناية المؤلف بالاعتماد على النصوص الصحيحة في تأليفه لمولده هذا الذي عنوانه « النعمة الكبرى على العالم » .

فمن مؤلفي كتب الحديث :

- البخاري ورقة (١٩ أ) .
- شرح البخاري لقطب الدين القسطلاني (٣٤ ب) .
- شرح البخاري لابن حجر العسقلاني (٤٠ أ) .

---

(١) ابن حجر : المولد (ص٥-٦) ، طبعة الشام .
(٢) ابن حجر : المولد (ص٥-٦) .
(٣) وقد يتكرر ذكر نفس الكتاب مرات أخرى فلا نذكره ، وإنما نكتفي بأمثلة منه .

- مسلم (١٠ ب ، ٢٥ ب) .
- شرح مسلم للنووي (٤٦ أ ، ٥١ أ) .
- شرح مسلم للأُبّي (٥٢ أ) .
- الإمام أحمد بن حنبل (١٩ ب ، ٣٥ أ) .
- مرويات ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل (٤٤ ب) .
- صحيح الترمذي (١٩ أ ، ٣٢ ب) .
- مسند الدارمي (٤٤ أ) .
- الحاكم في المستدرك (١٤ ب ، ١٩ ب) .
- مسند عبد الرزاق (١٢ ب) .
- صحيح ابن حبان (٢٣ ب ، ٢٤ أ) .
- مسند الفردوس (١٠ أ) .
- مرويات البغوي (٣٠ ب) .
- البيهقي (١٩ ب ، ٢١ ب ، ٢٩ أ) .
- النيسابوري (أبو سعيد) (١٧ ب ، ٢٦ ب) .
- الذهبي (٣٢ ب ، ٣٣ ب) .
- أبو يعلى (٤٣ أ) .
- الخرائطي (٢١ أ) .
- أبو علي بن السّكن (٢٩ أ ، ٣٠ ب) .
- الصابوني (٤٠ أ) .
- الحسن بن سفيان (٤٤ أ) .
- بالإضافة إلى إحالات كثيرة إلى كتب أبي نعيم والطبراني .

وهي كتب مشهورة في الحديث عرفت عند أهل السنة بالصحة والثبات ، وإذا صادفه منها حديث مرسل أشار إلى ذلك ووصفه بالإرسال مثلما ورد في ورقة (٢٩ ب و ٣٠ أ) . وإذا كان الحديث مرسلاً ضعيفاً ذكره بذلك ، مثال ورقة (٢٤ أ) .

ومن مؤلفي كتب السيرة والتاريخ :

- ابن إسحاق ورقة (١٥ أ ، ٢٣ أ) .

- الزبير بن بكار (٢٢ ب) .
- ابن سعد (٢٥ أ ، ٣٠ ب ، ٤٠ ب) .
- ابن الجوزي (٣١ أ ، ٣٤ أ) .
- ابن القيم (٣٢ ب) .
- ابن ناصر الدين (٤٨ أ) .
- ابن كثير (٤٨ أ) .
- الواقدي (٢٣ ب ، ٤٥ أ) .
- الخطيب البغدادي (٢٢ أ ، ٢٨ أ) .
- ابن عساكر (١٤ أ ، ٢٠ أ) .
- ابن عبد البر (٢١ ب ، ٣٣ ب) .
- السهيلي (١٠ أ ، ٤٦ أ ، ٤٨ أ) .
- الكلاعي (٣٣ أ) .
- ابن حجر العسقلاني (٤٢ أ) .
- السخاوي (٣ أ) .
- ابن خلكان (٣ ب) .

بالإضافة إلى العديد من كتب التفسير والفقه واللغة والعقيدة .

منهج ابن حجر في كتابة السيرة النبوية :

اهتم ابن حجر بالتأليف في موضوعات مختلفة متعلقة بالسيرة النبوية الشريفة. فقد ألف سبعة كتب فيها شرحان وخمسة مؤلفات . أما الشرحان فقد وضعهما لمؤلفين مختلفين أوّلهما شرح به قصيدة وضعت في المدح النبوي ولكن الشاعر البوصيري تناول فيها العديد من أخبار رسول الله ﷺ فكانت تغلب عليها موضوعات السيرة وصفات رسول الله ﷺ وشمائله مع مدحه . وثانيهما شرح لكتاب الشمائل النبوية تأليف الترمذي .

والمؤلفات الخمسة هي : تأليف في الإسراء لم نعثر عليه ، وأربعة موالد ثلاثة منها صغيرة وواحد كبير عنوانه النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم .

فقد كتب ابن حجر شرحاً لقصيدة الهمزية للبوصيري في المدح النبوي واعتمد

في هذا الشرح إيراد أخبار السيرة النبوية في العهدين المكي والمدني منتقياً من النصوص أصحها وأدقها شارحا بها ما يرد موجزاً في نص الهمزية .

كما تعرض لذكر أخبار التاريخ القديم المشهورة كقصة ابنيْ آدم وقصة يوسف وقصة أبرهة والكعبة وغيرها . وقدم في شرحه تراجم لبعض الأعلام الوارد ذكرهم في القصيدة وتعريفاً ببعض الأماكن والمواقع الجغرافية بضبط أسمائها وأماكنها .

كما وضع ابن حجر شرحاً لكتاب الشمائل للترمذي الذي جمع فيه الترمذي الأحاديث والآثار الصحيحة التي تتعلق بأوصاف رسول الله ﷺ الخَلقية والخُلقية جسماً وسلوكاً ، فنجد ابن حجر يسير في شرحه على نفس تقسيم أبواب الترمذي مع إضافة معلومات وقصص تاريخية من السيرة النبوية يكون قد أغفلها الترمذي ، كما يضيف أحاديث صحيحة لم يوردها الترمذي وفي كثير من الأحيان. ويقدم شرحاً لمتن الحديث وافياً وطويلاً يضبط فيه الكلمات ويوضح ما فيها من إعجام في بعض حروفها ، مع تقديمه ضبطاً لأسماء الأعلام والأماكن ، معتمداً في كل ذلك على كتب الحديث الصحيحة وبعض كتب التفسير والفقه والعقيدة .

كما اهتم ابن حجر بوضع مؤلفات في السيرة النبوية سماها الموالد وهي أربعة مؤلفات أكبرها كتاب النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم ثم ثلاث مختصرات لهذا الكتاب عرض فيها ابن حجر نسبه ﷺ والأحداث في العالم قبله وزواج والده عبد الله من أمه آمنة ثم ولادته ورضاعته وما رافقها من حادثة شق الصدر وما يتعلق بخاتم النبوة ثم وفاة أمه وجده عبد المطلب ثم خروجه للتجارة إلى الشام أولاً مع عمه أبي طالب ثم مع أبي بكر ثم خروجه بتجارة خديجة وزواجه منها . كل هذه الأحداث في إطار الرواية التاريخية الدقيقة البعيدة عن الزيادات الخيالية والروايات الباطلة التي كان يقرؤها ويتغنى بها العامة من أهل الابتداع في هذه المجالس التي يسمونها الموالد ، محارباً لجميع البدع التي تحصل في هذه المجالس مما ينكرها الدين الإسلامي ويتبرأ منها .

أما الروايات التاريخية التي يعرضها ابن حجر في مؤلفاته وشروحه في السيرة النبوية ، فإنها تخلو من الأخبار الكاذبة والآثار الموضوعة ، حيث يعتمد مصادر حديثية ، وكتباً في السيرة والتاريخ جديرة بالثقة في الرواية ، معروفة عند عامة المسلمين بالصحة والتوثيق .

* * *

الفصل الرابع
تآليفه في التاريخ الإسلامي

توضيح حول كتاب منتهى الإعلام المنسوب لابن حجر خطأ .

١ - كتاب في بيان أحقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب .

٢ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزندقة.

٣ - ذيل الصواعق المحرقة .

٤ - إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذ من أخبار تاريخ الخلفا .

٥ - تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان.

٦ - مبلغ الأرب في فخر العرب .

٧ - المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة .

توضيح حول كتاب منتهى الإعلام المنسوب
لابن حجر خطأ

عندما كنتُ بصدد وضع خطة البحث لهذا الكتاب علمتُ بوجود كتاب عنوانه « منتهى الإعلام بوفيات الصحابة وملوك الإسلام » نُسب لابن حجر ، وصفه وذكره الدكتور محمد عبد الله عنان في فهرس مخطوطات الخزانة الملكية الحسنية بالرباط (ص٣٠٤-٣٠٥) . وهو كتاب كبير في التاريخ الإسلامى العام .

فاعتمدت عنوان الكتاب واسم ابن حجر المكي عليه وجعلتُهُ من بين مؤلفاته التي عليّ أن أدرسها ، وخصصت له فصلاً ضمن هذا البحث .

ثم بذلت الجهد للحصول على مخطوطة الكتاب ، وبإعانة من الله وتفضّل من سعادة الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي - شكر الله سعيه - وصلتني صورة كاملة من المخطوط ، وذهبتُ شوطاً كبيراً في دراستها والتعرف عليها ، وكانت مفاجأتي كبيرة عندما تبيّن لي أن هذا الكتاب ليس من تأليف ابن حجر ولا يمكن أن يكون من تأليفه ، وإنما الخطأ من أحد قُرَّاء المخطوط الذي كَتَب بخطه المغربي على الهامش الأيسر من الورقة الأولى ما نصه : « تاريخ ابن حجر الهيتمي - رحمه الله - المسمى بمنتهى الإعلام ، بوفيات الصحابة وملوك الإسلام » وهو خط مغاير تماماً لخط ناسخي الكتاب اللّذيْن كان خطهما مشرقياً .

ولا يفوتني هنا أن أغتنم الفرصة للتعريف بمخطوطة كتاب « منتهى الإعلام » وذكر محتواها وبيان الأسباب الداعية إلى تيقُني من أنّ هذا الكتاب ليس من تأليف ابن حجر الهيتمي وإنما نُسِب إليه غلطاً .

وصف المخطوط :

المخطوطة محفوظة بالمكتبة الحسنية الملكية (بالديوان الملكي) بالرباط (المغرب) برقم (١٥٠٧) (تاريخ) . تقع في (٢٥٣) ورقة . تاريخ نسخها سنة (٩٩٣هـ). نسخها ناسخان ذُكِر اسماهما في نهاية المخطوط بما نصه : « بقلميْ

الفقيرين السيد علي ودرويش جلبي عفا الله عنهما وعن والديْهما » . خطهما مشرقي مختلف مع تمام الوضوح .

وعنوان الكتاب وضع بالهامش الأيسر من الورقة الأولى بخط مغربي هو أحدث من المخطوط يعود إلى زمن غير بعيد .

والمخطوط منقوص الأول سقطت منه كراسات كثيرة ، حيث بدأ في أول ورقة منه بأخبار دفن رسول الله ﷺ ، وهو ما يدل على أن الضائع من النسخة أغلب ما يهم السيرة النبوية وهي (١٣) باباً وقسم كبير من الباب الرابع عشر .

محتوى الكتاب :

ورقة (١ أ) – مبحث دفن رسول الله ﷺ ، والصلاة عليه .

(١٥ أ) – الباب الخامس عشر في ذكر الخلفاء الراشدين .

(٤٣ أ) – ذكر خلافة الحسن بن علي ، ومقتل الحسين وذكر الأئمة الاثنى عشر .

(٧٦ أ) – بابٌ في ذكر نبذ من وفيات الصحابة .

(١١٦ أ) – ذكر الدولة الأموية .

(١٣١ أ) – ذكر خلفاء العباسيين .

(١٧٨ أ) – ذكر الدولة الحسنية بمكة .

(١٩٢ ب) – ذكر الدولة الحسنية بالمدينة .

(١٩٤ ب) – الباب العشرون في ذكر بني زياد من ملوك اليمن .

(١٩٥ أ) – الباب الواحد والعشرون في ذكر بني نجاح من ملوك اليمن .

(١٩٦ ب) – الباب الثاني والعشرون في ذكر بني المهدي من ملوك اليمن .

(٢٠٠ ب) – في ذكر شرفاء اليمن وأرض تهامة .

(٢٠٥ أ) – الباب الرابع والعشرون في ذكر ملوك المغرب والأندلس .

(٢٠٨ أ) – في ذكر ملوك الطوائف .

(٢٠٨ ب) – في ذكر الأدارسة بالمغرب .

(٢١٠ أ) - في ذكر بني حمود العلويين بالأندلس .

(٢١١ ب) - في ذكر بني الأغلب بالمغرب .

(٢١٣ أ) - في ذكر بني باديس الصنهاجيين .

(٢١٤ ب) - الباب الخامس والعشرون في ذكر الملثمين .

(٢١٦ ب) - الباب السادس والعشرون في ذكر ملوك جزيرة صقلية .

(٢١٧ ب) - الباب السابع والعشرون في ذكر ملوك الموحدين .

(٢٣٢ أ) - الباب الثامن والعشرون في ذكر دولة المرينيين .

(٢٣٨ ب) - الباب التاسع والعشرون في ذكر دولة بنى حفص .

(٢٤٥ أ) - الباب الثلاثون فى ذكر بنى وطاس .

(٢٤٧ ب) - في ذكر أحوال شرفاء فاس وسوس ومراكش .

وبعد مطالعة كامل الكتاب أصبحتُ على يقين تام بأن كتاب « منتهى الإعلام » هذا ليس من تأليف ابن حجر الهيتمي وذلك للأسباب التالية :

(أ) وردت في صُلب الكتاب أخبار حوادث وقعتْ بعد وفاة ابن حجر وهي في الورقات التالية :

(٢٠٤ ب) : خبر حوادث في اليمن مؤرخة بسنة (٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م) وسنة (٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م) .

(٢٤٢ أ) : يذكر السلطان سليمان خان بقوله : المرحوم . وقد توفي هذا السلطان سنة (٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) سنة وفاة ابن حجر .

(٢٤٥ أ) : يذكر حوادث بتاريخ سنة (٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م) وسنة (٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) .

(٢٤٥ أ) : يذكر حوادث بتاريخ (٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م) .

(٢٥٠ ب) : يذكر حوادث بتاريخ (٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) .

(٢٥١ أ) : يذكر حوادث بتاريخ (٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م) .

(٢٥٢ أ) : يذكر حوادث بتاريخ (٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م) .

(٢٥٢ ب) : يذكر حوادث بتاريخ (٩٨٦هـ/١٥٧٨م) .

(٢٥٣ ب) : يذكر حوادث بتاريخ (٩٩٠هـ/١٥٨٢م) .

(ب) يذكر مؤلف هذا الكتاب المعز لدين الله الفاطمي (في ورقة ٢١٣ ب) فيصفه بالخليفة ، وهذا ليس من مذهب ابن حجر ، ولا من عادته ، لأنه لا يعتبر الفاطميين من الخلفاء ، وينكر اعتبارهم من ضمنهم ، كما سيتبين للقاريء في دراستنا لكتبه التاريخية التي ندرسها في ما بعد .

(جـ) في الورقة (٧٠ ب) نقل المؤلف عن كتاب الفتوحات المكية الذي ألفه المتصوف المغالي ابن عربي . وهذا من غير عادة ابن حجر الهيتمي ، فإننا لم نعثر له على نقل أو مدح لهذا المتصوف المبتدع .

وبعد ، فإن كل هذه الأدلة تجعلنا نقتنع بأن كتاب « منتهى الإعلام » ليس من تأليف ابن حجر المكي ، خاصة وأننا لم نعثر على نص واحد ينسب هذا الكتاب إليه ، في حين أن المترجمين له وخاصة المقربين منه من تلاميذه الذين أحصوا مؤلفاته كبيرها وصغيرها وذكروها بعناوينها ولم يهملوا حتى الرسائل الصغيرة التي ألفها ابن حجر . فلو كان هذا الكتاب له لما أهمل المترجمون له نسبته إليه ، وهذا ما جعلني لا أتناوله بالبحث في هذا الكتاب .

* * *

١ - كتاب « في بيان حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب

ألفه قبل سنة (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) واختصّ بذكره ابن حجر نفسه في مقدمة كتابه (الصواعق المحرقة) وقال : إنه وضعه استجابة لرغبة من سألَهُ في ذلك .

ووصف ابن حجر كتابه قائلاً « فجاء بحمد الله أُنموذجاً لطيفاً ، ومنهاجاً شريفاً ، ومسلكاً منيفاً » .

وبعد أن أتمَّ تأليفه سُئل أيضاً في إقرائه لطلاب العلم بالمسجد الحرام فقام بتدرسيه سنة (٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م) وبعد ذلك ظهر لابن حجر أن يزيد عليه أضعاف ما فيه ليُصبح كتاباً آخر هو كتاب « الصواعق المحرقة » [١] الذي نقوم بدراسته بعد هذا مباشرة .

لم نعثر منه على نسخة .

* * *

(١) انظر : مقدمة الصواعق المحرقة (ص٣) - طبعة (١٣٨٥هـ) .

٢ - الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزّندقة

تسمية الكتاب :

ذكره ابن حجر بالعنوان المذكور أعلاه في كتبه : الفتح المبين بشرح الأربعين[١] والزواجر عن اقتراف الكبائر [٢] ، وأسنى المطالب في صلة الأقارب [٣] .

وذكره المؤلف أيضاً في خاتمة كتابه هذا بعنوان مختصر هو « الصواعق المحرقة»[٤] ، كما أحال عليه بهذا العنوان المختصر في كتابه « المنح المكية في شرح الهمزية » [٥] ، وفي كتابه « الفتح المبين بشرح الأربعين » [٦] . كما ذكره ونسبَهُ له تلميذه السيفي في « نفائس الدرر » (ورقة ٥ ب) بعنوان « الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والابتداع والزندقة » ، وذكره العيدروسي في النور السافر (ص٢٩١) بعنوان « الصواعق المحرقة ، في الردّ على أهل البدع والضلال والزندقة » ، وذكره حاجي خليفة في « كشف الظنون (ص١٠٨٣) ، وكذلك البغدادي في «هدية العارفين » (١/ ١٤٦) بعنوان « الصواعق المحرقة ، على أهل الرفض والزندقة » . وذكره مرداد في المختصر من نشر النور والزهر (ص١٢٣) بعنوان «الصواعق المحرقة ، على أهل البدع والضلال والزندقة » - كما تعدد العنوان واختلف في بعض نسخ المخطوطات منه :

---

(١) ابن حجر : الفتح المبين (ص٤٣ ، ١٣٠ ، ٢٠٢ ، ٢٧٦) .

(٢) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٣١) .

(٣) ابن حجر : أسنى المطالب في صلة الأقارب (ص٦٢٧) نسخة القاهرة .

(٤) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص٢٢٦) طبعة سنة (١٣٨٥هـ) .

(٥) ابن حجر : المنح المكية في شرح الهمزية للبوصيري (ص٢٦٥) طبعة بولاق سنة (١٢٩٢هـ) .

(٦) ابن حجر : الفتح المبين بشرح الأربعين (ص ٤٣ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ٢٠٢ ، ٢٢١ ، ٢٧٦) .

- فورد على نسخته بدار الكتب الظاهرية برقم (٣٤٦٩) بعنوان « الصواعق المحرقة ، في حقيقة خلافة الصحابة رَدا للروافض والمتزندقة » .

- وورد بعنوان « تاريخ خلافة الأئمة الأربعة » على مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط مصورتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (رقم ٤٥٤٥) ضمن مجموعة أفلام لمخطوطات مختلفة بعضها من المكتبة الأزهرية ، وبعضها من الخزانة العامة بالرباط ، وعلى مصورة مخطوطة الرباط ختم هذه المكتبة ، مع ذكر أرقام مختلفة متعددة هي :(١٣٢٤ د/ و١٠٩ د/ و٢٠٢٩) [١] .

وطبع الكتاب بعنوان « الصواعق المحرقة ، في الردّ على أهل البدع والزندقة » في طبعات ثلاث هي :

١ - طبعة القاهرة - المطبعة الميمنية سنة (١٣٠٧هـ) بهامشها كتاب لابن حجر عنوانه « تطهير الجنان واللسان » .

٢ - طبعة مكتبة القاهرة سنة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ، وطبع معه كتاب تطهير «الجنان واللسان » - حقق الكتاب عبد الوهاب عبد اللطيف .

٣ - طبعة دار الكتب العلمية بلبنان سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) وعلى غلافها أنها طبعت بمراجعة النسخة وضبط أعلامها وكتابة هوامشها ، وهو عمل منسوب لجماعة من العلماء بإشراف الناشر - وبعد أن اطلعت على الطبعتين الأخيرتين تبيّن لي ما يلي :

١ - أن محقق الطبعة الثانية عبد الوهاب عبد اللطيف وضع مقدمة تحدث فيها عن أهمية الكتاب ، ثم ذكر بعض الفِرَق الإسلامية ، وتعديل الصحابة ، وترجم للمؤلف ابن حجر الهيتمي في صفحة ونصف الصفحة .

٢ - لم يذكر مخطوطاً للكتاب اعتمده وحقّقه ، ولم يقارن بين مخطوطات الكتاب ، ولا ذكر اختلاف النُّسَخ ، ولعله لم يحقق مخطوطة منه ، وإنما اعتمد الطبعة القديمة الأولى .

---

(١) وقد بحثنا فيما طبع من فهارس هذه المكتبة ، فلم نعثر له على ذكر في هذه الأرقام ، إلا أن الأختام التي عليه تثبت وجوده بها .

٣ - وضع هوامش على نص الكتاب - وإن لم تكن كثيرة - وإنما شَرَح فيها بعض الألفاظ وخرَّج بعض الأحاديث - وهي قليلة - وأحال على بعض المصادر الحديثية والفقهية والأصولية ، مع التعريف ببعض الأعلام . ودون أن يخرج الآيات القرآنية .

٤ - إن الطبعة الثالثة التي صدرت عن دار الكتب العلمية ، كُتب على غلافها « راجَعَ النسخة وضبط أعلامها وكتَبَ هوامشها جماعة من العلماء بإشراف الناشر» .

وبالاطلاع على هذه الطبعة تبيّن لي أنها مطابقة تماماً للطبعة السابقة بنصها وهوامشها ، ولا تختلف عنها في شيء ، غير أنها حذفت المقدمة التي وضعها عبدالوهاب عبد اللطيف ، وأنْقَصَت من بعض الهوامش الهامة المفيدة ، ولم يقمْ مَنْ ذُكِروا باسم جماعة من العلماء والناشر المشرف عليهم بأيّ عَمَل من تحقيق وإضافة ، حتى أن بعض الأخطاء المطبعية في الطبعة الثانية وقعتْ في طبعتهم[(١)] .

الغاية من تأليف الكتاب :

وضّح ابن حجر الغاية من تأليفه كتابه (الصواعق المحرقة) في المقدمة الأولى التي وضعها لكتابه فقال فيها : « اعلم أنّ الحامل الداعي لي على التأليف في ذلك ، وإن كنتُ قاصراً عن حقائق ما هنالك ، ما أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع وغيره أنه ﷺ قال : «إذا ظهرتْ الفتَن - أو قال - البدع وسُبَّ أصحابي فليُظْهر العالم علْمَه ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يَقْبَل الله منه صرفاً ولا عدْلاَ » [(٢)] .

---

(١) انظر : مثلاً كلمة « فبنت » وصوابها « فبيت » وردت في الطبعة الثانية (ص١٤٤)، وبنفس الخطأ وردت في الطبعة الثالثة (ص٢٢٢) . وكذلك كلمة « كنتُ » وصوابها «كُتِب» جاءت في الطبعة الثانية (ص٢٢٦) والطبعة الثالثة (ص٣٣٩) .

(٢) الذهبي : ميزان الاعتدال (جـ٣) رقم الحديث (٧٨٨٧) ؛ ابن حجر : لسان الميزان (جـ٥) رقم الحديث (٩١١) .

وما أخرجه الحاكم عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أنّ النبي ﷺ قال : « ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه»[1] .

كما يوضح ابن حجر غايته من تأليف هذا الكتاب ليردّ به على الشِّيعة ويُبطل آراءهم ويَحدّ من انتشار تأثيرهم بمكة فيقول في ذلك : « لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة ، أشرف بلاد الإسلام ، فأجَبْتُ إلى ذلك رجاء لهداية بعض من زل به قدمه عن أوضح المسالك » [2] .

كما نستطيع أن نوضح هدف ابن حجر وغايته من الكتابة في تاريخ الخلفاء الراشدين ، ليوضح مقدارهم ووجوب احترامهم ، وذلك ما أشار إليه في كتابه الزواجر عن اقتراف الكبائر ، عند حديثه عن حرْمة شتْم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال : « والأحاديث في ذلك كثيرة وقد استوفيْتُها وما يتعلق بها في كتاب حافل لم يُصنف في هذا الباب - فيما أظنّ - مثله . ومن ثم سمَّيْتُهُ : «الصواعق المحرقة ، لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزندقة » فاطْلُبْه إن شئتَ ، لترى ما فيه من محاسن الصحابة وثناء أهل البيت عليهم ، لا سيما الشيخان، ومن افتضاح الشيعة والرافضة في كذبهم وتقوُّلهم وافترائهم عليهم بما هم بريؤون منه ، رضوان الله عليهم أجمعين » [3] .

وأكّد ابن حجر على هذه الغاية من بيان فضل الصحابة ووجوب محبتهم، وأن ذلك ما دعاه للتأليف في تاريخهم، فقال في مقدمة الخاتمة الطويلة التي وضعها لكتابه (الصواعق المحرقة): «وإنما افتتحْتُ هذا الكتاب بالصحابة وختمتُه بهم، إشارة إلى أنّ المقصود بالذات من تأليفه تبرئَتُهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم مَن غلبتْ عليهم الشقاوة، وتردَّوْا بأرْدية الحماقة والغباوة، ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين، وركبوا متْن عمياء، وخبطوا خبط عشواء، فباءوا من الله بعظيم النكال، ووقعوا في أهوية الوبال والضلال، ما لم يداركهم الله

---

(١) ابن حجر : مقدمة الصواعق المحرقة (ص٣) . وقد خرج الحديث الهندي : كنز العمال رقم (١١٠٧) .

(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) ابن حجر : الزواجر (٢/ ٢٣١) .

بالتوبة والرحمة ، فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة ، أماتنا الله على محبتهم وحشَرنا في زمرتهم آمين »[1] .

تاريخ تأليف الكتاب :

وضّح ابن حجر أنه طُلِب منه قديماً - ولم يذكر اسم الطالب - أنْ يضع كتاباً في حقّية خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب فاستجاب للطلب . ثم سُئل في إقرائه في رمضان سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) بالمسجد الحرام - ثم زاد عليه بأن أكمل فيه بقية الخُلَفاء . فكان تأليفه لهذا الكتاب بعد سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) - وفي هذا المعنى قال ابن حجر في مقدمته : « أما بعد : فإني سُئلتُ قديماً في تأليف كتاب يُبيّن حقِّيّة خلافة الصديق وإمارة ابن الخطّاب فأجبْتُ إلى ذلك مسارعة في خدمة هذا الجناب ، فجاء بحمد الله أنموذجاً لطيفاً . . . ثم سُئِلتُ قديماً في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) بالمسجد الحرام . . . ثم سَنَحَ لي أن أزيد عليه أضعاف ما فيه ، وأبيّن حَقِّيّة خلافة الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتبع ذلك . . . فجاء كتاباً في فنه حافلاً »[2] .

انتشار الكتاب في حياة المؤلف :

تحدّث ابن حجر عن انتشار كتابه (الصواعق المحرقة) في حياته فقال في مقدمة الكتاب الذي ذيَّل به كتاب الصواعق : « وقد كُتِبَ منه من النُّسَخ ما لا أُحْصِي ، ونُقل إلى أقاصي البلدان والأقاليم كأقصى المغرب وما وراء النهر ، سمرقند وبخارى وكشمير وغيرها والهند واليمن »[3] .

محتوى الكتاب :

ذكر ابن حجر محتوى الكتاب في مقدمته فقال : « ورتَّبْتُه على مقدمات وعشرة أبواب وخاتمة » . إلا أنَّ دراسة الكتاب وضحتْ أن أبوابه كانت أحد عشر باباً، وقد يكون ابن حجر أضاف الباب الحادي عشر بعد إتمام مقصده من بيان

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص٢٠٨) .
(٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص٣) .
(٣) ابن حجر : ذيل الصواعق المحرقة (ص٢٢٦) .

فضائل الخلفاء الراشدين ، ثم رأى أن يضيف الباب الحادي عشر في فضائل أهل البيت النبوي فترجَمَ فيه لأئمة آل البيت .

وضع ابن حجر ثلاث مقدّمات لكتابه هذا وضّح فيها ما يلي :

في المقدمة الأولى : أسباب تأليفه الكتاب ووجوب محاربة أهل البدع والرافضة - وذكر أمر الرسول ﷺ بوجوب احترام أصحابه ومحبّتهم - ونقد أفكار الشيعة - كما عرض أقوال سيدنا علي رضي الله عنه في محبة أبي بكر وعمر .

أما المقدمة الثانية : فقد وضّح فيها أهمية تنصيب إمام للمسلمين ، واجتماع الصحابة - رضوان الله عليهم - على ذلك ، حتى قبل دفْن النبي ﷺ .

وجعل المقدمة الثالثة : في توضيح ما تَثْبُتُ به الإمامة - وجواز الإمامة للمفضول لا الأفضل - وخرافات الشيعة حول شروط الإمامة .

أما أبواب الكتاب ، فقد خصَّص الباب الأول بفصوله الخمسة ، والباب الثاني بفصله الوحيد ، والباب الثالث بفصوله الأربعة ، لذكر أبي بكر الصديق وخلافته وحقيتها والنصوص الدالة عليها ، وفي الثناء عليه وعلى عمر ، وفي أفضليته .

ووضع ابن حجر الباب الرابع وفيه ثلاثة فصول ، والباب الخامس وفيه سبعة فصول في عمر بن الخطاب وخلافته وحقيتها وفضائله .

وجعل الباب السادس والباب السابع بفصوله الثلاث ، في عثمان بن عفان وخلافته وفضائله .

أما الباب الثامن والتاسع بفصوله الأربعة ، فكان في علي بن أبي طالب وخلافته وفضائله .

وخصص الباب العاشر بفصوله الثلاثة ، في خلافة الحسن بن علي وفضائله .

وأضاف الباب الحادي عشر في فضائل أهل البيت النبوي وجعله في ثلاثة فصول .

ثم وضع **خاتمة للكتاب** في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة وقتال معاوية وخلافته - والاختلاف في كُفْر يزيد بن معاوية .

مصادر ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة :

بعد الاطلاع على الكتاب ودراسته وتتبع مصادره، تبين لي أن مصادر ابن حجر في كتابه تنوعتْ بين كُتب حديثية وتاريخية وتفاسير وكُتب فقه شافعي ولغة.

وفيما يلي ذكر أهم المصادر التي اعتمدها ابن حجر بحسب تصنيفها في العلوم المختلفة :

اعتمد ابن حجر كُتباً عديدة وكثيرة من كتب الحديث والسيرة النبوية ، وهي تمثل أغلب مصادره ، لأن طبيعة الكتاب تتطلب ذلك نظراً إلى أنه يتناول تاريخ الصحابة الراشدين وآل البيت ، وإن أخطاء الشيعة والروافض تُرَدّ بالاعتماد على الحديث النبوي الصحيح مع كتب الآثار والسيرة وما شابههما من كتب الأجزاء الحديثية والأمالي وغير ذلك من مصادرها .

لذلك نرى ابن حجر اعتمد من كتب الحديث عدداً ضخماً وأهمها : الكتب الصحيحة الستة ، وكتب الحديث الشهيرة الكبيرة مثل المستدرك للحاكم ، وصحيح ابن حبان ونوادر الأصول للحكيم ، وموطأ مالك ومسانيد عبد بن حُمَيْد والبزّار وعبد الرزاق ، وسُنَن البيهقي وسعيد بن منصور وأبي ذر الهروي والبغوي والمحاملي والديلمي وأبي يعلى والآمدي وابن راهويه .

وكثير من أمالي الحديث وأجزائه ومعاجمه كمؤلفات عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وابن الجوزي وسبطه والآجرّي والمدائني وابن بشران ، وابن مردُويَه وابن قانع وابن شاهين والزين العراقي وابن عدي .

وبعض شروح الكتب الصحيحة ، كشرح ابن حجر العسقلاني للبخاري ، والمفهم في شرح مسلم لأحمد القرطبي ، وغير ذلك كثير من المؤلفات الحديثية وكتب السيرة والشمائل كدلائل النبوة لأبي نعيم ، وسيرة ابن إسحاق وشفاء القاضي عياض .

كما اعتمد ابن حجر كتباً في تفسير القرآن ، كتفسير الفخر الرازي ، وابن أبي حاتم، وكتباً في الفقه وخاصة الفقه الشافعي ، كمؤلفات النووي والرافعي وغيرهما، وكتباً في اللغة والبلاغة كمؤلفات ابن الأعرابي والتفتازاني .

أما المؤلفات التاريخية التي اعتمدها في كتابه هذا فكثيرة ، منها ما تعلق

بالمغازي ككتاب الواقدي وموسى بن عقبة ، والتواريخ العامة للمدن ، كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ المسعودي .

وكتب التراجم والطبقات والمشيخات والمعاجم ، مثل كتاب الحلية لأبي نعيم والبخاري في التاريخ ، والعقيلي في الضعفاء ، والحاكم في الكنى ، والشيرازي في الألقاب ، والذهبي في الميزان ، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ، وطبقات ابن سعد ، وطبقات أبي إسحاق ، وابن عبد البر في طبقات الصحابة المسمّى بالاستيعاب ، وطبقات السبكي الكبرى ، وكتاب المحب الطبري الذي عنوانه الرياض النَّضِرة في فضائل العشرة ، والقزويني في كتاب كنوز المطالب في بني أبي طالب ، ومشيخة السِّلَفي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان وغيرها - ويمكن أن نتعرف على خصائص منهج ابن حجر المكي في التعامل مع مصادره هذه فنقول :

- إنّ ابن حجر في أغلب حالاته يحيل إلى اسم المؤلف فقط ، وفي حالات قليلة يذكر المؤلف وعنوان الكتاب الذي اعتمده ، وأحياناً يحيل على عنوان الكتاب فقط . وذلك حسب شهرة الكتاب بين الناس وعدمها .

- قد يعتمد على مؤلف واحد ويذكر روايته للحديث من عدّة كتب له . مثال ذلك : أورد نص حديث عن الطبراني من الأوسط (أي معجمه الأوسط) وذكر أنه أخرج مثله في الكبير (أي معجمه الكبير) (١) .

- في أغلب الأحاديث يورد تخريجها من أكثر من مصدر فيقول مثلاً : «أخرج الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي » (٢) وذلك ليؤكد صحة الحديث .

- غالباً ما يصدر حكمه على صحة أو ضعف الحديث الذي يُورده بعد دراسته لتسلسل سند الحديث (٣) . فيقول مثلاً : « زاد الثعلبي في رواية لكن في سندها كَذَّاب » (٤) .

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص٩٧) .

(٢) ومن أمثلة ذلك كثيرة : انظر : (ص٩٦ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠٩) .

(٣) مثال ذلك (ص١٥٦ ، ٢٢١) . (٤) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص١٧٦) .

- عند استشهاده بالآيات القرآنية يورد شرح الآية من علماء التفسير ، كما يورد اختلافهم في تفسيرها - إن وُجِدَ - وأسباب هذا الاختلاف [1] .

- يستعرض أقوال علماء المذاهب السنية الأربعة ، ليستشهد بها على وجوب محبة آل البيت مثلاً [2] .

قد ينقل عن المصدر نصاً كاملاً فيورد في آخره عبارة انتهى [3] .

وقد يورده ملخصاً منه فيقول انتهى ملخصاً [4] .

- يقدم دراسة مقارنة لاختلاف المصادر في الحكم على أيّ قضية يعرضها فيناقش آراء العلماء المختلفة فيها ، وفي ذلك دراسة مفيدة واضحة ، تخدم منهجه وفكرته [5] .

- إذا كان ابن حجر يلتزم في الاستشهاد بنصوص كتب الحديث والتفسير الدقّةَ في النقل والإحالة على هذه الكتب بذكر عناوينها أو أسماء مؤلفيها ، فإنه إذا نقل عن كتب التاريخ لا يلتزم بذلك دائماً ، وإنما نراه يذكر أحياناً تفاصيل الخبر التاريخي دون أن يحيل على مصدره [6] ، في حين أنَّا نجده في أحيان أخرى ينقل النص الطويل بلفظه فيقول في نهايته : « انتهى لفظه بحروفه » [7] .

وقد يختصر النص المنقول ويحيل إلى مصدره لمن يريد أن يطلع عليه [8] . أو يقول : « هذا ملخّص تلك الوقائع ولها بسط لا تتحمله هذه العجالة على أن الاختصار في هذا المقام هو اللائق » [9] .

منهج ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة :

إن مناهج المؤلفين تتأثر دائماً بموضوعات مؤلفاتهم وبالأسباب الدافعة لتلك التآليف . وقد ألّف ابن حجر كتابه الصواعق المحرقة لغاية محددة ، وهي وضع تاريخ للخلفاء الراشدين ، بعد أن درّسَ أخبارهم في دروسه بالمسجد الحرام بمكة

---

(١) مثال ذلك (ص١٧٠ ، ١٧١) .
(٢) راجع (ص١٨٠ ، ٢١٠) .
(٣) نفس المصدر (ص٦٠ ، ٦١ ، ٨٦) .
(٤) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص٢٢٤) .
(٥) نفس المصدر (ص١٤٥) .
(٦) نفس المصدر (ص١٩٦-١٩٩) .
(٧) نفس المصدر (ص٢٢٣) .
(٨) نفس المصدر (ص٨٥) .
(٩) نفس المصدر (ص١١٨-١١٩) .

المكرمة سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) ، ولم يفعل ذلك إلا كما قال : « لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة » [١] .

فكان يُلقي دروسه ويؤلّف كتابه هذا ليقاوم تيار الشيعة الذي بدأ ينتشر بمكة ، فإذا هو يكتب في موضوع تاريخ الخلفاء الراشدين ، ليبيّن للناس فضائلهم وحقّيتهم بالخلافة ، ويدحض دعاوي الشيعة فيهم فهو يقول في مقدمة الكتاب :

« وأبيّن حقّية خلافة الأئمة الأربعة وفضائلهم وما يتبع ذلك مما يليق بقوادمه وخوافيه ، فجاء كتاباً في فنه حافلاً ، ومطْلَباً في حلل الرصانة والتحقيق رافلاً ، ومهنَّداً قاصماً لحجج المبطلين ، وأعناق شرار المبتدعة الضالين ، لما اشتمل عليه من البراهين العقلية ، والأدلة الواضحة المنقّحة النقلية ، التي يعقلها العالمون ، ولا ينكرها إلا الذين هم بآيات الله يجحدون » [٢] .

ونراه يعتمد في كتابه هذا منهجاً ذا دعائم ثلاثة :

(أ) الردّ عليهم بالاستدلال بنصوص الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توضح فضل الصحابة ، ووجوب محبتهم واحترامهم وأقوال العلماء في ذلك .

(ب) الردّ عليهم بالنقاش والإقناع بناءً على المحاورات العقَدية .

(جـ) الردّ عليهم اعتماداً على الأخبار التاريخية بالتعريف بتراجم وتاريخ الخلفاء الأربعة وفضائلهم وحقيتهم في الخلافة .

(أ) استدلاله بالنصوص القرآنية والحديثية :

١ - استدلاله بالآيات القرآنية :

أورد ابن حجر الآيات القرآنية التي يستدل بها على حقية خلافة أبي بكر الصديق [٣] ، وقدَّم شروحاً لها معتمداً على كبار المفسرين للآيات التي يستشهد بها.

- ففي الفصل الثاني من الباب الثالث قدم ابن حجر الآيات القرآنية الدالة على فضل أبي بكر ، ونزلت فيه بإجماع العلماء والمفسرين .

---

(١) نفس المصدر (ص٣) . (٢) نفس المصدر (ص٣) .

(٣) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص١٦-٢٠) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ (١) أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ، ومن ثَم مَن أنكر صُحْبَتَه كفر إجماعاً » (٢) .

وجملة الآيات التي استشهد بها في هذا الفصل اثنا عشر آية .

- وفي الفصل السادس من الباب الخامس أورد ابن حجر عدداً من الآيات القرآنية التي وافق فيها القرآن الكريم آراء عمر وأقواله فكانت (١٥) آية (٣) .

- وفي الفصل الأول من الباب الحادي عشر ، أورد ابن حجر الآيات القرآنية الدالة على فضل أهل البيت النبوي ، فأورد فيه أربعة عشر آية » (٤) .

وبعد كل آية يورد جملة من الأحاديث في أسباب نزولها وتفسيرها من أقوال العلماء المفسرين لها ، وقد يورد في بعضها « تنبيهاً » يبيّن فيه ما يريد إظهاره لأهميته ، وقد يضع بعد شرح الآية « خاتمة » يلخّص فيها أهمّ ما جاء في الآية ليردّ بها على الرافضة .

وفي الآية الرابعة عشر أورد خمسة مقاصد طويلة في تفسيرها ، وما تضمنته من ترغيب وتحذير وواجبات ، وأضاف لهذه المقاصد تنبيهات أيضاً (٥) .

٢ - استدلاله بالأحاديث النبوية :

ظهر استدلال ابن حجر بالأحاديث النبوية في جميع أبواب الكتاب ففي المقدمات الثلاث أورد أحاديث صحاح عن كبار المحدثين في أفضلية الصحابة رضوان الله عليهم - وأحاديث عن ظهور الرافضة والتحذير من اتباعهم .

- ويشكك في صحة الأحاديث التي اعتقدها الرافضة فيقول :

« ومما لا يرشدك إلى أن ما نسبوه إليهم كذب مُخْتَلَق عليهم أنهم لم ينقلوا شيئًا منه بإسناد عُرِفتْ رجاله ولا عُدلت نَقَلَتُه ، وإنما هو شيء من إفْكهم

(١) سورة التوبة : الآية (٤٠) . (٢) ابن حجر : الصواعق المحرقة (ص٦٦) .
(٣) نفس المصدر (ص٩٩-١٠١) . (٤) نفس المصدر (ص١٤٣-١٨٦) .
(٥) نفس المصدر (ص١٦٩-١٨١) .

وحمْقِهم وجهلِهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى فإياك أن تدع الصحيح وتتّبع السقيم ميلاً إلى الهوى والعصبية » [1] .

– يقدم ابن حجر توضيحاً لاختلاف وتضارب أقوال العلماء في حديث ما ، مثال ذلك ما أورده عن تأخّر علي عن مبايعة أبي بكر ، فيبيّن أصل ذلك الحدث وحقيقته [2] .

– أورد ابن حجر الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ التي تُشير إلى خلافة أبي بكر بعده . وقد يأتي بالحديث بأسانيد متعددة وروايات مختلفة ليؤكد به صحته ، فذ. ي هذا الفصل ، وهو الفصل الثالث من الباب الأول أربعة عشر حديثاً عن رسول الله ﷺ تدل على خلافة أبي بكر الصديق [3] .

– استشهد ابن حجر في الفصل الثاني من الباب الثالث بأحاديث تدل على فضائل أبي بكر وحده ، أكملَ بها تسلسل العدد مع الأحاديث السابقة في الفصل الأول ، فبدأها بالحديث الخامس عشر وأحال بالإشارة إلى ما سبق فقال : « وأما الأحاديث فهي كثيرة مشهورة ، وقد مرّ في الفصل الثالث من الباب الأول منها جملة إذ الأربعة عشر السابقة ثمّ الدالة على خلافته وغيرها من رفيع شأنه وقدره غاية في كماله ، وغُرَّةٌ في فضائله وأفضاله ، فلذلك بنَيْتُ عليها في العدّ هنا فقلتُ : الحديث الخامس عشر » [4] . وأورد في هذا الفصل سبعين حديثاً تخصّ أبا بكر وحْدَهُ [5] .

– وفي الفصل الثالث أورد ابن حجر ثلاثة وأربعين حديثاً مشتركة في فضائل أبي بكر وغيره من الصحابة الكبار كعمر وعثمان وعلي، ومنها أحاديث جاءت في فضل الصحابة عامة . وأعطى هذه الأحاديث أرقاماً متتابعةً بعد الأرقام السابقة . فبدأها من الحديث الحادي والسبعين إلى الحديث الرابع عشر بعد المائة [6] .

---

(١) نفس المصدر (ص٧) .

(٢) نفس المصدر (ص١٤-١٦) .

(٣) نفس المصدر (ص٢٠-٢٦) .

(٤) نفس المصدر (ص٦٨) .

(٥) نفس المصدر (ص٦٨-٧٦) .

(٦) نفس المصدر (٧٦-٨٣) .

- عند ذكره لفضائل عمر بن الخطاب اعتمد ابن حجر ما ذكَرَه سابقاً من أحاديث جَمعتْ بين فضائل أبي بكر وعمر وأحصاها ، فذكر أنها كانت أربعة وثلاثين حديثاً ، ثم أكمل فوصل إلى الحديث الثامن والستين (١) .

وقد يحيل إلى أحاديث ذكرها بمتنها وسندها سابقاً فيوردها هنا بمعناها .

- في فضائل عثمان بن عفان وخلافته أورد ابن حجر أربعة وثلاثين حديثاً ، ولم يعتمد تسلسلها على الأحاديث السابقة جمعتْ فضائل الخلفاء إنما استقلت الأحاديث هنا بأرقامها بداية من الحديث الأول (٢) .

- وفي فضائل علي بن أبي طالب أورد ابن حجر أربعين حديثاً خاصة بفضائل علي وحْدَه (٣) .

- اهتم ابن حجر بتأكيد فضل الإمام علي ، وأنّ اعتقاد ذلك واجب على المسلم ، وأورد أقوال العلماء التي تؤكد أنّ من ينكر لعلي فضله فهو مذموم(٤) .

وبذلك يرد على الشيعة ويثبت أهل السنة نعترف بالفضل لعلي ولا ننكره حقه. وفي هذا المعنى قال ابن حجر : « وانظر إلى إنصافنا معشر أهل السنة والجماعة الذين طهّرهم الله من الرذائل والجهالات والعناد والتعصّب والحمق والغباوة ، فإنّنا لم نكفر القائلين بأفضلية عليّ على أبي بكر وإن كان ذلك عندنا خلاف ما أجمعنا عليه في كل عصر منا إلى النبي ﷺ ، على ما مرّ أول هذا الباب ، بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير . ومَن كَفَّر الرافضة من الأمة فلأمور أخرى من قبائحهم انضمّتْ إلى ذلك ، فالحذر الحذر من اعتقاد كفر مَن قلبُه مملوء بالإيمان بغير مقتضٍ ، تقليداً للجُهَال الضُّلال الغُلاة » (٥) .

- استشهد ابن حجر بأقوال علي رضي الله عنه في أفضلية أبي بكر وعمر عليه ومنها قوله : « لا أجد أحداً فضَّلني على أبي بكر وعمر إلا جلَدْتُه حد المفتري»(٦) .

ومن أقوال الإمام علي في أحقية أبي بكر بالخلافة : « والذي فلق الحبَّة وبرأ

---

(١) نفس المصدر (ص٩٤-٩٨) .
(٢) نفس المصدر (ص١٠٨-١١٠) .
(٣) نفس المصدر (ص١٢١-١٢٦) .
(٤) نفس المصدر (ص٥٧-٥٨) .
(٥) نفس المصدر (ص٦٥) .
(٦) نفس المصدر (ص٦٠-٦١) .

النسمة لو عهد إليّ رسول الله ﷺ عهداً لجاهدتُ عليه ولو لم أجد إلا ردائي ، ولم أترك ابن أبي قحافة يصعد درجةً واحدة من منبره ﷺ ، ولكنه ﷺ رأى موضعي وموضعه فقال : قُمْ فصلِّ بالناس وتركني ، فرضينا به لدنيانا كما رضي به رسول الله ﷺ لديننا » (١) .

- وفي الفصل الثاني من الباب العاشر نقل ابن حجر اثني عشر حديثاً عن فضائل الحسن بن علي بن أبي طالب (٢) .

- وفي فضائل أهل البيت النبوي وفضائل قريش عامة ، أورد ابن حجر أربعة وأربعين حديثاً في الفصل الثاني من الباب الحادي عشر (٣) .

- وفي فضائل بعض أهل البيت كفاطمة وولديْها عرَض ابن حجر ثلاثين حديثاً جاءت في الفصل الثالث من الباب الحادي عشر (٤) .

- في نقاش ابن حجر مع الرافضة لا ينفي الأحاديث التي يستشهدون بها مبْدئياً فلا يرفضها جزافاً دون معرفتها، بل على العكس إذا كان الحديث الذي هو حجَّتهم صحيحاً يُثْبتُ ابن حجر صحتْه . ومن ذلك قوله : « أنه حديث صحيح لا مرْية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقُهُ كثيرة جدا »(٥) .

- وقد يورد ابن حجر روايات يدعم بها أقواله ، وهي من أقوال بعض الشيعة المعتدلين ، وهم مَنْ وصفهم ابن حجر بقوله : « عن سالم بن أبي حفصة وهو شيعي لكنّه ثقة » (٦) . وقال أيضاً : « وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين كعبد الرزاق فإنّه قال : أُفَضّل الشيخيْن بتفضيل علي إياهما على نفسه وإلا لما فضلْتُهما » (٧) .

- وعلى العكس من ذلك إذا استشهد الرافضة بأحاديث موضوعة ، فإن ابن حجر يذكر أنها موضوعة بدليل أنها لم ترد في الكتب الصحيحة، وأنها ذُكرتْ بين

---

(١) نفس المصدر (ص٦٢) ، وفي (ص٦٣-٦٤) أورد ابن حجر قولاً آخر للإمام علي في الموضوع .

(٢) نفس المصدر (ص١٣٧-١٣٨) .

(٣) نفس المصدر (ص١٨٦-١٩٠) .

(٤) نفس المصدر (ص١٩٠-١٩٣) .

(٥) نفس المصدر (ص٤٢) .

(٦) نفس المصدر (ص٥٣) .

(٧) نفس المصدر (ص٦٢) .

الأحاديث الموضوعة ، ومن ذلك قوله : « إن هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه ﷺ . ألا لَعنةُ الله على الكاذبين ، ولم يقل أحد من أئمة الحديث أن شيئاً من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون ، فيها بل كلهم مجمعون على أنها مَحْض كذب وافتراء » (١) .

- عند استشهاد ابن حجر بالأحاديث الشريفة ، يقدم حكمه على صحة الحديث أو ضعفه فيقول مثلاً « بسند جيد » (٢) ويقول : « وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت » (٣) .

- ويقول عن حديث « وكثرةُ طُرُقه ربما توصِلُه إلى درجة الحسن » (٤) ويحكم على سند ضعيف فيقول : « وسنده غريب ضعيف جداً » (٥) ، أو يقول : «وسندهما ضعيف » (٦) ، ويقول : « وهو مرسل غريب سنداً ومتناً » (٧) . وقد يقول عن سند حديث : « بسند رجاله ثقات إلا واحد منهم » (٨) ، وفي حكم آخر قوله : « وفيه رجل اختُلِف في تضعيفه وبقية رجاله ثقات » (٩) . وقوله : «أخرجه جماعة كلهم بسند ضَعيف » (١٠) ، وقال أيضاً : « في سنده رافضي غال في الرفض ورجل آخر متروك » (١١) .

وإذا أورد حديثاً موضوعاً يقول عنه : « فهو موضوع » (١٢) ومن حكمه أيضاً على سند الحديث يقول : « زاد الثعالبي في رواية لكن في سندها كذّاب »(١٣).

(ب) **الرد على الروافض بالنقاش والمحاورات العقدية :**

اشتمل الكتاب على محاورات وردود كثيرة رد بها ابن حجر على أقوال الشيعة والرافضة ، فكان يقدم الأدلة النقلية والعقلية معترضاً على أقوالهم ، فمن ذلك :

---

(١) نفس المصدر (ص٥٠) .
(٢) نفس المصدر (ص٦٩ ، ٧٥) .
(٣) نفس المصدر (ص١٥٦) .
(٤) نفس المصدر (ص١٥٦) .
(٥) نفس المصدر (ص٧٥) .
(٦) نفس المصدر (ص٧٥ ، ١٢٣) .
(٧) نفس المصدر (ص٧٥) .
(٨) نفس المصدر (ص١٢٤) .
(٩) نفس المصدر (ص١٢٦) .
(١٠) نفس المصدر (ص١٥٢) .
(١١) نفس المصدر (ص١٧٤) .
(١٢) نفس المصدر (ص١٧٤) .
(١٣) نفس المصدر (ص١٧٦) .

- ردّه عليهم ومحاججتهم في أحقية خلافة أبي بكر الصديق [1] .

- ردّ قولهم بعدم أهلية أبي بكر بالإمامة [2] .

- ردّ قولهم بعدم شجاعة أبي بكر وذلك بعرض مواقف دالة على شجاعته وقوته وثباته [3] .

- عرضَ ابن حجر شبه الشيعة والرافضة الخمسة عشر في أبي بكر وردَّ عليها بإثبات بطلانها بأوضح الأدلة وأظهرها [4] .

- ردّه على الروافض بإيراد أقوال علي في تفضيل أبي بكر وعمر على نفسه وإثبات أحقيتهما بالخلافة قبله [5] .

- ردّه عليهم في اعتراضهم على خلافة عمر الفاروق وإثباتها له بالأدلة الواضحة القطعية [6] .

- رده عليهم في اعتراضهم على خلافة عثمان بن عفان بإثبات صحة بيعته وإجماع الصحابة عليها ومعهم علي [7] .

- إثباته ضرورة محبّة آل البيت النبوي ومناقشته لهم في إفراطهم في هذه المحبة والمبالغة فيها مع كرههم لأبي بكر وعمر [8] .

- ردّه على اعتقاد الشيعة الروافض في ولاية المهدي وقولهم أنه مات وعمره خمس سنوات آتاه الله فيها الحكمة محتجاً بأن الصغير لا تصح ولايته [9] .

كما ناقش ابن حجر أقوالاً أخرى كثيرة يعتقدها الشيعة والروافض وينشرونها بين الناس ، لذلك نراه ينبّه الناس إلى مخاطر أقوالهم واعتقاداتهم ويلجأ في أحيان كثيرة إلى وصفهم بأوصاف كثيرة وذكر حقائقهم في مواطن عديدة من كتابه، من أهمها قوله :

---

(١) نفس المصدر (ص٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) وغيرها .

(٢) نفس المصدر (ص٢٩-٣٠) .

(٣) نفس المصدر (ص٣٠-٣٢) .

(٤) نفس المصدر (ص٢٩-٥٢) .

(٥) نفس المصدر (ص٦٤) .

(٦) نفس المصدر (ص٨٧) .

(٧) نفس المصدر (ص١٠٦ ، ١٠٧) .

(٨) نفس المصدر (ص١٥٣) .

(٩) نفس المصدر (ص١٦٨) .

- « . . . الرافضة ونحوهم ، فقاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم » (١) .

- « أولئك المبتدعة والجهال » (٢) .

- « إن ذلك من قبائح كذبهم وافترائهم ، فقبحهم الله وخذلهم » (٣) .

- « إن هذه من غباوتهم وجهالاتهم إذ لا دلالة في ذلك لما زعموه » (٤) .

- « بل هم أشد ضرراً على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال كما صرح به علي رضي الله عنه بقوله : « تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا » (٥) .

- « وأحسن ما يقال في هذا المحل ألا لعنة الله على الكاذبين . . . بل أولئك الأشقياء » (٦) .

- « وإنما هو من جهالاتهم وغباواتهم وكذبهم وحمقهم » (٧) .

- « ولا تتوهم الرافضة والشيعة قبّحهم الله . . . وهؤلاء الضالون الحمقى . . . قاتلهم الله أنى يؤفكون » (٨) .

- « أن أولئك المبتدعة الرافضة والشيعة ونحوهما ليسوا من شيعة علي وذريته بل من أعدائهم » (٩) .

- « وأما الرافضة والشيعة ونحوهما إخوان الشياطين ، وأعداء الدين ، وسفهاء العقول ، ومخالفو الفروع والأصول ، ومنتحلو الضلال ، ومستحقو عظيم العقاب والنكال ، فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس ، المطهرين من شوائب النقص والدنس ، لأنهم أفرطوا وفرّطوا في جنب الله فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين في مهالك الضلال والاشتباه وإنما هم شيعة إبليس اللّعين ، وخلفاء أبنائه المتمردين ، فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين» (١٠) .

---

(١) نفس المصدر (ص١٥) .

(٢) نفس المصدر (ص٢٩) .

(٣) نفس المصدر (ص٣٣) .

(٤) نفس المصدر (ص٣٦) .

(٥) نفس المصدر (ص٤٦) .

(٦) نفس المصدر (ص٦١) .

(٧) نفس المصدر (ص٦٢) .

(٨) نفس المصدر (ص١٥٣) .

(٩) نفس المصدر (ص١٥٤) .

(١٠) نفس المصدر (ص١٥٥) .

- « وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين »[1] .

- « أن الفرقة المسماة بالشيعة الآن إنما هم شيعة إبليس ، لأنه استولى على عقولهم فأضلها ضلالاً مبينًا »[2] .

(جـ) الرد على الروافض اعتماداً على الأخبار التاريخية :

إن ردود ابن حجر على الروافض اعتمدت عروضاً للكثير من الأخبار التاريخية الموثقة ، التي ذكرت مواقف الخلفاء الراشدين وآل البيت ، وعرضت فضائلهم وأقوالهم مع ترجماتهم وأخبارهم .

فكانت أهم النقاط التاريخية التي تناولها هي ما يلي :

- في الفصل الأول من الباب الأول أورد أخبار بيعة أبي بكر الصديق بالخلافة والأحداث التاريخية المصاحبة لها من الاجتماع في سقيفة بني ساعدة والاتفاق بالإجماع أنها لأبي بكر[3] .

- كما نهج ابن حجر منهج المؤرخين عند حديثه عن شجاعة أبي بكر وأورد له مواقفه في الغزوات والحروب بجانب رسول الله ﷺ وبعد وفاته[4] .

- عند استشهاد ابن حجر بحديث من الأحاديث السابقة الذكر قد يتنبه إلى أن هناك أمراً يحتاج إلى مزيد توضيح فيضع « تنبيهاً » . مثال ذلك : حديث : «عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : كان اسم أبي بكر عبد الله فقال له النبي ﷺ : « أنت عتيق الله من النار »[5] فسمي عتيقاً (تنبيه) يستفاد من هذه الأحاديث ما هو الأصح عند العلماء أن اسم أبي بكر عبد الله وأن لقبه عتيق»[6] .

- أورد ابن حجر في نقاط واضحة عدة مواقف تاريخية مشرفة لأبي بكر الصديق معتمداً في بعضها على ما جاء في التهذيب للنووي، وعلى مصادر أخرى

---

(١) نفس المصدر (ص١٥٧) .
(٢) نفس المصدر (ص١٦١) .
(٣) نفس المصدر (ص٩-١٢) .
(٤) نفس المصدر (ص٢٩-٣٢) .
(٥) الترمذي : السنن (٢/ ٢٩٢) .
(٦) نفس المصدر (ص٦٩-٧٠) .

لم يذكرها ، كما وثق بعض الأخبار بالأحاديث المخرجة من البخاري والطبراني وغيرهما (١) .

- استعرض ابن حجر قضية تاريخية من مؤلفات المؤرخين وهي مرض أبي بكر واستخلافه لعمر ووفاته . وقد وثق التواريخ فيها باليوم والشهر والسنة وأحال إلى الواقدي والحاكم وابن سعد وابن عساكر وغيرهم (٢) .

- نقل ابن حجر عن الذهبي في فضائل عمر بن الخطاب وإسلامه وقوته وشجاعته (٣) . وعن ابن سعد في الطبقات في سيرة عمر بن الخطاب وأوصافه(٤) .

- في فضائل عثمان وإسلامه وهجرته يورد ابن حجر أخباراً تاريخية كثيرة عن ابن عساكر وابن سعد وغيرهما (٥) .

ويذكر مقتل عثمان وتاريخه ومكان دفنه بتعدّد الروايات (٦) .

- ثم يعيد قصة مقتله بتوسع في الباب الثامن عند حديثه عن خلافة علي معتمداً على ابن سعد وابن عساكر في روايتهما (٧) .

- في نهاية الفصل الثالث من الباب السابع ، يضع ابن حجر « تتمة » يناقش فيها الأمور التي نقمها الخوارج على عثمان وحطّوا بها من قدره وأفعاله ، فيقدم لها تحليلاً تاريخياً عن كل نقطة وجوابه عليها بأمور تاريخية ثابتة ، وفي نهايتها يذكر خلاصة يعنونها بلفظ « الحاصل » ، وفيه يبين في سطور فضل عثمان وبطلان تلك الترهات والاعتراضات التي نسبها له الرافضة (٨) .

- أورد ابن حجر أخبار وقعتيْ الجمل وصِفّين في عهد علي بن أبي طالب معتمداً على ابن سعد كمصدر تاريخي له ولم يتوسّع فيهما، لأن هدف ابن حجر من كتاباته التاريخية هو رده على الخوارج فقال في ختام كلامه : « هذا ملخص

---

(١) نفس المصدر (ص٨٥-٨٧) .

(٢) نفس المصدر ، الفصل الثاني من الباب الرابع (ص٨٨-٩٠) .

(٣) نفس المصدر (ص٩١-٩٣) .

(٤) نفس المصدر (ص١٠٢-١٠٤) .

(٥) نفس المصدر (ص١٠٧-١٠٨) .

(٦) نفس المصدر (ص١١١) .

(٧) نفس المصدر (ص١١٥-١١٨) .

(٨) نفس المصدر (ص١١٢-١١٥) .

تلك الوقائع ولها بسط لا تحتمله هذه العجالة ، على أن الاختصار في هذا المقام هو اللائق فقد قال ﷺ : « إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا » (١) .

- يناقش ابن حجر الاختلافات التاريخية ، ويقدم دراسة تحليلية علمية لاختلاف المصادر حول تاريخٍ ما ، فمثال ذلك ما قدَّمه من عرض تاريخي لإسلام علي واختلاف العلماء في تحديده ، فقال : « أسلم وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قديماً ، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة، أنه أول من أسلم ، ونقل بعضهم الإجماع عليه ومرّ الجمع بين هذا الإجماع، والإجماع على أن أبا بكر أول من أسلم، ونقل أبو يعلى عنه قال:«بُعِث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلمتُ يوم الثلاثاء » (٢) .

- ذكر ابن حجر حدث مقتل علي برواية تاريخية اتخذ فيها منهج المؤرخ ، ثم أورد اختلاف الروايات في عُمر علي عند مقتله فقال : « وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون ، وقيل خمس وستون ، وقيل سبع وخمسون ، وقيل ثمان وخمسون » (٣) دون ترجيح .

- عرض ابن حجر قصة الخلاف بين الحسن بن علي ومعاوية وكيفية الصلح بينهما بمنهج مؤرخ للأحداث (٤) .

- في ذكر فضائل الحسن بن علي أورد ابن حجر روايات المؤرخين أمثال ابن سعد وابن عساكر وابن عبد البر وأورد الاختلاف في سنة وفاته بقوله : « وكانت وفاته سنة تسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين أقوال ، والأكثرون على الثاني كما قاله جماعة ، وغلط الواقدي ما عدا الأول ، سيما مَن قال سنة ست وخمسين ومن قال سنة تسع وخمسين » (٥) .

- لو نظرنا إلى محتوى كتاب (الصواعق المحرقة) لوجدناه يشتمل على أخبار خمسة عشر من الصحابة وآل البيت هي :

---

(١) نفس المصدر (ص١١٨-١١٩) . والحديث خرّجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٢/١) .

(٢) نفس المصدر (ص١٢٠) .

(٣) نفس المصدر (ص١٣٤) .

(٤) نفس المصدر (ص١٣٥-١٣٧) .

(٥) نفس المصدر (ص١٤٠-١٤١) .

أخبار الخلفاء الراشدين الأربعة ، أخبار أحد عشر من أئمة آل البيت .

وقد خصص ابن حجر لأخبار الخلفاء الأربعة وأخبار الحسن بن علي مساحات واسعة من كتابه ، بحيث خصص لأبي بكر ثلاثة أبواب ولعمر بابين ولعثمان بابين ولعلي بابين وجعل الباب العاشر لخلافة الحسن بن علي ، أما بقية أئمة آل البيت الأحد عشر فقد جمعهم في باب واحد وهو الباب الحادي عشر .

ونظراً للغاية التي يقصدها ابن حجر من هذه الأخبار ، فإنه لم يضعها على أساليب كتب الطبقات والتراجم ، وإنما ركز فيها على ذكر الفضائل والصفات الأخلاقية والدرجة الدينية ، مع الاهتمام بأحقية الخلفاء في توليهم الخلافة ، وهو غايته من تأليف الكتاب للرد على الشيعة والرافضة .

أما أخبار أئمة آل البيت ، فإنها وردت موجزة بالنسبة لأخبار الخلفاء ، تختلف طولاً بحيث في بعضها لا تتجاوز بضعة أسطر ، وتمتد إلى صفحات في بعضها الآخر - فهو في هذه الأخبار عامة لا يهتم كثيراً بذكر تواريخ الولادة ولا تفاصيل أخبار المترجم وأعماله وتنقلاته ومواقفه السياسية والاجتماعية وغيرها ، وإنما يهتم فيها أساساً بذكر الفضائل والدرجة العلمية والأخلاقية والدينية ، مع التزام ذكر وفاة الشخصية وتاريخها وأسبابها ، وذلك عائد إلى أن الغاية من هذا التأليف ، إنما هو التأكيد على فضائل المترجمين ومكاناتهم الدينية والأخلاقية وأحقيتهم بالخلافة والإمامة .

- ففى الباب الحادي عشر يضع ابن حجر أخبار عشرة من آل البيت وهم أئمته بعد علي بن أبي طالب والحسين المترجمين في الأبواب الثامن والتاسع والعاشر - والمترجمون في هذا الباب (الحادي عشر) هم :

١ - الحسين بن علي : الذي يورد قصة مقتله في كربلاء سنة إحدى وستين مفصلة [١] .

٢ - زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب [٢] .

---

(١) نفس المصدر (ص١٩٦-١٩٩) .

(٢) نفس المصدر (ص٢٠٠-٢٠١) .

٣ – محمد الباقر : أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي / ابن زين العابدين [(١)] .

٤ – جعفر الصادق / ابن الباقر [(٢)] .

٥ – موسى الكاظم / ابن جعفر [(٣)] .

٦ – علي الرضا / ابن موسى الكاظم [(٤)] .

٧ – محمد الجواد / ابن علي الرضا [(٥)] .

٨ – علي العسكري / ابن محمد الجواد [(٦)] .

٩ – أبو محمد الحسن الخالص / ابن علي العسكري [(٧)] .

١٠ – أبو القاسم محمد الحجة / ابن أبي محمد الخالص [(٨)] .

وبذلك يصبح عدد المترجمين من آل البيت اثني عشر إماماً . وهم الأئمة الاثنى عشر ، الذين تعتبرهم الروافض أئمة الشيعة حتى يبين للشيعة أنّ هؤلاء الأئمة هم ممن لا ينكر فضلهم أهل السنة والجماعة . وقد أراد ابن حجر أن يقدم أخبارهم نقية من شوائب الخرافات والأكاذيب التي ألحقها الروافض بهم .

* * *

---

(١) نفس المصدر (ص٢٠١) .

(٢) نفس المصدر (ص٢٠١-٢٠٣) .

(٣) نفس المصدر (ص٢٠٣-٢٠٤) .

(٤) نفس المصدر (ص٢٠٤-٢٠٥) .

(٥) نفس المصدر (ص٢٠٦) .

(٦) نفس المصدر (ص٢٠٦-٢٠٧) .

(٧) نفس المصدر (ص٢٠٧-٢٠٨) .

(٨) نفس المصدر (ص٢٠٨) .

٣ - ذيل الصواعق المحرقة

هو تذييل لكتابه الصواعق المحرقة فيه زيادات مهمّة توضح فضل آل البيت عامة إلى زمن المؤلف ، وفضل الخلفاء الأربعة والصحابة خاصة .

ولقد ألفه ابن حجر بعد أربعة عشر سنة من تأليفه كتابه الصواعق المحرقة وهذا ما يجعلنا نعتبره كتاباً مستقلاً ، إلا أنه طُبِع ثلاث مرات مع طبعات كتاب الصواعق المحرقة ، ولم يُفصَل بينهما بعنوان خاص إنما كان يُلْحَق بنص الكتاب تحت عنوان « تتمة » رغم أنّ ابن حجر نفسه قال عنه : إن فيه زيادات كافية لأن تكون مؤلفا في مآثر آل البيت .

الغاية من التأليف :

وضّح ابن حجر الغاية من وضع هذا الذيل بقوله : إنه رأى كتاباً لبعض الحفاظ من معاصري شيوخه وهو الحافظ السّخاوي في مناقب آل البيت فأحبّ أن يضيفها إلى كتابه ، إلا أنه لم يتسنّ له إلحاقها بنصّ الكتاب لبُعْد الفترة الزمنية بين التأليفيْن ولانتشار كتاب الصواعق المحرقة في البلدان والأقاليم ، لذا أفرد هذه الزيادات في تأليف .

وقال في ذلك : « لما فرغتُ من هذا الكتاب - أعني الصواعق المحرقة - رأيتُ - بعد أربع عشرة سنة . . . كتاباً في مناقب أهل البيت ، فيه زيادات على ما مرّ لبعض الحفاظ من معاصري مشايخنا وهو الحافظ السخاوي ، وكان يمكن إلحاق زياداته لقلّتها على حواشي النُّسَخ لكن لتفرُّقها تعذّر ذلك ، فأردتُ أنْ ألخّص هذا الكتاب مع زيادات في ورقات إن أُ[illegible] ، فهي كافية في التنبيه على كثير من مآثرهم وإنْ ضُمَّت لهذا الكتاب فهي مؤكّدة [illegible]ارة ومؤسسة أخرى »[1] .

محتوى الكتاب :

قال عنه ابن حجر في مقدمته : « وفيه أبواب » وجاء محتوى الكتاب في أحد عشر باباً متتالية لم يرقّمها ابن حجر ، تليها خاتمة ثم باب أخير تليه خاتمة ثانية .

---

(١) ابن حجر : مقدمة ذيل الصواعق (ص٢٢٦) .

أما الأبواب فهي :

باب : وصية النبي ﷺ بهم (آل البيت) .

باب : الحثّ على حبّهم والقيام بواجب حقّهم .

باب : مشروعية الصلاة عليهم تبَعاً للصلاة على مشرّفهم ﷺ

باب : في دعائه ﷺ بالبركة في هذا النسل المكرم .

باب : بشارتهم بالجنة .

باب : الأمان ببقائهم .

باب : خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم .

باب : إكرام الصحابة ومَنْ بعدهم لأهل البيت .

باب : مكافأته ﷺ لمن أحسن إليهم .

باب : إشارته ﷺ بما حصل لهم من الشدة بعده .

باب : التحذير من بغضهم وسبّهم .

خاتمة : في أمور مهمة . قَسَّمها إلى ثلاثة أمور :

أولها : حرمة الانتساب إلى الرسول ﷺ إلا بحقّ .

ثانيها : اللائق بأهل البيت المكرّم أن يَجْروا على طريقة مشرِّفهم ﷺ وسُنَّته مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة التي تثبت أن فضل الناس على الناس يكون بالتقوى لا بالنسب ، وإن فضل الأشراف لا يتم إلا بتقاهم واتباعهم للسنة الطاهرة .

ثالثها : اللائق بواجب حقهم وتوقيرهم أن يُنَزَّلوا منازلهم ، وأن يُعْرَف لهم شَرَفُهم .

الباب الأخير : في التّخْيير والخلافة .

خاتمة : رواية التقي السبكي عما رآه بالجامع الأموي سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٥٤م) من سب أحد الرافضة لأبي بكر ، وحُكْم مَن سبَّ أبا بكر وقتله ، وأسباب تكفيره أوردها في ستة نقاط .. وذكر نصوص المذاهب الأربعة التي تكفّر من لَعَنَه.

مصادر ابن حجر في كتابه :

على الرغم من أن المصادر الحديثية التي اعتمدها ابن حجر في كتابه (ذيل الصواعق المحرقة) تكاد لا تختلف عن تلك التي استعملها في كتابه (الصواعق المحرقة) .

إلا أنّ مصادره التاريخية في « الذيل » تختلف عن المصادر التاريخية «للصواعق» نظراً إلى اختلاف الموضوع ، فإنه في الذيل اهتم بأخبار آل البيت وفضائلهم ، لذلك نلاحظه يعتمد المصادر التاريخية المؤلفة في آل البيت في مناقبهم وتراجمهم مع رواية أخبارهم عن معاصريه من أهل العلم والصلاح ، لذلك وجدنا أهم مصادره التاريخية في هذا الكتاب هي :

٩ – كتاب مناقب أهل البيت للحافظ السخاوي .

٣ – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحبّ الطبري .

٢ – المختار في مناقب الأخيار لابن الأثير .

١ – تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

٨ – إتحاف الورى للنجم بن فهد .

٤ – العقد الثمين للفاسي .

٥ – بعض كتب التقي المقريزي .

٦ – البحر العميق لابن الضياء القرشي العُمري المكي .

٧ – لحظ الألحاظ للتقي بن فهد .

١٠ – أخبار كثيرة عن معاصرين له من الأشراف والصالحين وطلبة العلم من الحجاز ومن اليمن .

منهج ابن حجر في كتابه هذا :

وضع ابن حجر كتابه هذا في اثنى عشر باباً وخاتمتين . لكنه قسمها فأورد أحد عشر باباً متعلقاً بآل البيت دون أن يرقمها ، تليها خاتمة ثم الباب الثاني عشر وموضوعه فضل أبي بكر وتخييره ، وتليه خاتمة ثانية مكملة للباب الثاني عشر .

أما الأبواب الأولى فقد تميّزت بقصرها . فأطولها لم يتجاوز أربع صفحات ومنها ما كان صفحة واحدة أو نصف صفحة أو أقل [١] .

واستشهد في كل باب بالأحاديث المخرجة للدلالة على مضمونه . وكانت مصادره في هذه الأبواب هي نفس المصادر الحديثية والفقهية التي اعتمدها في الكتاب الأصل الذي هو الصواعق المحرقة .

أما الخاتمة الأولى التي وضعها بعد هذه الأبواب ، فقد تضمنت ثلاثة أمور وجاء فيها تنبيه . تختلف مصادره عن الأبواب السابقة ، حيث نقل فيه أقوال مؤرخين مشهورين قريبين من عصره وروايات لمعاصريه ، فَمن المؤرخين الفاسي والتقي المقريزي والتقي بن فهد والنجم بن فهد دون ذكر عناوين كتبهم ، وجميعهم من كبار مؤرخي القرن التاسع .

وذكر فيه أيضاً روايات عن معاصرين له لم يذكر أسماءهم بل يقول مثلاً «أخبرني بعض الأشراف الصالحين » و « من ذلك ما أخبرني به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحيهم » [٢] و « حكى لي بعض طلبة العلم » [٣] .

أما جملة الروايات التي ذكرها فقد كانت في فضل آل البيت ووجوب احترامهم وإكرامهم مع روايات لأحداث معاصرة . فمنها مثلاً : حادثة تاريخية حدثت في موسم حج سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨هـ/١٥٥١م) بين شريف مكة محمد بن أبي نمي وأمير الحاج التابع للسلطان ، ونقل ابن حجر هذه الرواية عن أكابر أشراف اليمن وصالحيهم [٤] .

- ذكر ابن حجر بعد الخاتمة « فائدة » أورد فيها نقلاً « لنصوص من كتاب المختار في مناقب الأخيار للشيخ الإمام العالم العلامة أبي السعادات ابن الأثير»[٥] .

ونقلاً من كتاب الغُنْية لطالبي الحق - عز وجل - تأليف أبي صالح عبد القادر الجيلي [٦] .

---

(١) ابن حجر : ذيل الصواعق المحرقة (ص٢٢٧-٢٤٠) .
(٢) نفس المصدر (ص٢٤٤) .
(٣) نفس المصدر (ص٢٤٥) .
(٤) نفس المصدر (ص٢٤٢-٢٤٣) .
(٥) نفس المصدر (ص٢٤٤) .
(٦) نفس المصدر (ص٢٤٧-٢٤٩) .

- أما الباب الأخير فقد جعله ابن حجر في التخيير والخلافة ، أورد فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل أبي بكر الصديق وفضل الخلفاء بعده وأحقيتهم بالخلافة [1] .

- وفي الخاتمة الثانية التي وضعها ابن حجر لكتابه ، نقل رواية للتقي السبكي عن حادثة تاريخية حدثت في الجامع الأموي سنة خمس وخمسين وسبعمائة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) فَحْواها أنه جاء شخص وجهر بالسَّبّ واللّعن على أبي بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية ، فأمر القاضي بحبسه وضربه على أن يعدل عما يقول ، إلا أنه أصرَّ على أقواله فحكم القاضي المالكي عليه بالقتل فقُتل ثم ظهر مَنْ يقول إنه قُتِل بغير حقّ ، فكتَبَ السبكي في هذه المسألة ووضّح أن قتل ذلك الرافضي كان بحقّ لأنه كافر وأورد ستة أمور يثبت فيها بأقوال العلماء كُفْر ذلك الرجل واستحلال قتله [2] .

كما أورد ابن حجر في هذه الخاتمة اختلاف المذاهب الأربعة المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية في الحكم على تكفير الروافض وتعليلات ذلك الحكم ، واختلافه بحسب أقوالهم ، فإنهم إذا نسبوا للصحابة الكفر أو الضلال فيُكَفَّروا ويُقتلوا ، أما إذا نَسَبوا لهم الظلم فيختلف الحكم فيهم بين الضرب والسجن والتشهير - كما يختلف الحكم حسب مكانة الصحابة بين كبار الصحابة وآل البيت وصغار الصحابة [3] .

- لخص ابن حجر هذا الاختلاف بين علماء المذاهب في الحكم على الرافضة فقال : « فتلخَّص أنّ سبّ أبي بكر كُفْر عند الحنفية . وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفْر ، نعم قد يخرج عنه ما مرّ عنه في الخوارج أنه كفر ، فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السبّ من غير تكفير لم يكفر وإن كَفَّر كُفِّر ، فهذا الرافضي السابق ذكره كافر عند مالك وأبي حنيفة وأحد وجهي الشافعي ، وزنديق عند أحمد . . . وكفره هذا ردَّةٌ ، لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين ، والمرتد يُستتاب فإن تاب وإلا قُتِل، فكَان قَتْله عن مذهب جمهور العلماء أو جميعهم » [4] .

* * *

(١) نفس المصدر (ص٢٥٠-٢٥٣) .
(٢) نفس المصدر (ص٢٥٣-٢٦٢) .
(٣) نفس المصدر (٢٥٤-٢٦٠) .
(٤) نفس المصدر (ص٢٦٠) .

٤ - إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذ من أخبار تاريخ الخلفا

ورد الكتاب بعناوين ثلاثة :

إتحاف إخوان الصفا بنُبَذ من أخبار تاريخ الخلفا .

= تعريف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا .

= مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطي .

نسخ المخطوط :

علمنا بوجود خمس نسخ من الكتاب ، واطلعتُ على اثنتيْن منها . أما النسخ التي عرفْتُها ولم أَطلعْ عليها فهى :

١ - نسخة بمكتبة « بال » بالولايات المتحدة الأمريكية برقم (١٢٦٥) في (٩٧) ورقة .

٢ - نسخة بمكتبة (كتبخانة سي) رقم (١٠٩) بإسطنبول .

٣ - نسخة بمكتبة الفاروقي بالمدينة المنورة (دون رقم) مصورتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم (٦٨٣٠/١) .

أما اللتان اطلعتُ عليهما فهما :

أولاً : نسخة مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم - حضرموت ، رقم (١٦) ، نسخها عالم مكي هو الشيخ عبد الله بن سعيد باقشير (توفي سنة ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م) [١] تاريخ نسخها سنة (١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) ، عدد ورقاتها (٥٧) ورقة .

وهي نسخة أصيبتْ برطوبة في أولها وآخرها - خطها نسخي وعليها تملكات الواضح منها تملّك باسم عبد الله عتاقي، وآخر باسم محمد بن محمد بن محمد السقاف.

---

(١) د/ محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص٣٤٧) .

ثانياً : نسخة دار الكتب المصرية برقم (٢٧٦) تاريخ ، عدد ورقاتها (١٣٨) ورقة ، خطها نسخيّ واضح ، إلا أنها كثيرة الأخطاء . عليها تملّك وختم باسم محمد وفا ، وختمان باسم محمد أبو الأنوار السادات بتاريخ (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) ، بالإضافة إلى أختام دار الكتب السلطانية التي هي التسمية القديمة لدار الكتب المصرية . أما الناسخ فهو محمد بن الحسن الحسيني السمرقندي الذي ذكر اسمه في ورقة (١٣٦ ب) في نهاية المخطوط وبداية ذيول صغيرة أُلْحقتْ بالكتاب تشمل الورقتين الأخيرتين من المخطوط ، وتذكر أخبار بعض سلاطين العثمانيين إلى سنة (١٠٢٧هـ/١٦١٨م) .

وقد اعتمدتُ في دراستي للكتاب نسخةِ اليمن ، وهي رغم دقة خطها وصعوبته إلا أنها أصحّ كتابة من نسخة القاهرة ، رغم أنّ فيها نقصاً بمقدار ورقة واحدة من آخرها وهي ورقة (٥٧) ، وفيها ترجمة لستة من خلفاء العباسيين ، ولإكمال هذا النقص استعملتُ نسخة القاهرة من ورقة (١٣٢ ب) إلى ورقة (١٣٥ أ) .

وقد وردتْ في المخطوطتين أخطاء في أسماء بعض الخلفاء . ففي مخطوطة اليمن في اسم الخليفة المهتدي (ورقة ٣٨ ب) حيث ذُكر باسم «محمد أبو إسحق ابن المعتصم » وهو ابن الواثق لا المعتصم .

وفي اسم الخليفة المقتدر (ورقة ٤١ أ) حيث ذُكر باسم المعتمد - وفي نسخة القاهرة . وفي اسم الخليفة الواثق (ورقة ١٣٣أ) حيث ذُكر اسمه محمد وصوابه عمر، وفي نفس الورقة في اسم الخليفة المستعصم حيث ذُكر باسم المعتصم.

وقد توقف نص ابن حجر في نسخة اليمن على قوله : « مات المتوكل يوم الأربعاء سلخ المحرم سنة ثلاث وتسعمائة (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) وعهد بالخلافة لابنه يعقوب ولقبه المستمسك بالله » .

وأضاف ناسخها قوله : « هذا آخر ما في الأصل ولبعضهم ذيل لسنين أُخَر بعد إلى نحو العشرين ، ولعلنا نظفر به ونلحقه هنا ، والله سبحانه وتعالى أعلم»(١) .

---

(١) ابن حجر : إتحاف إخوان الصفا ورقة (٥٧ ب) نسخة اليمن .

أما نسخة القاهرة ، فقد أوردت في آخر الكتاب هذه العبارة السابقة، ثم أكمل الناسخ عليها قوله : « وقد يسّر الله تعالى لكَاتبه الفقير محمد بن الحسن الحسيني السمرقندي - لطَفَ الله تعالى به - هذا الذيل خالياً عن ذكر بني العباس ،لأنهم صاروا في خبَر العدم ، وهو أنه بعد وفاة السلطان قايتباي المذكور باطنُه في عام اثنين وتسعمائة (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) تسلْطَنَ ولده محمد أبو السعادات بمصر. . .»[١] .

ثم أورد ورقتين في أخبار الدولة العثمانية - وفيه زيادة ورقة أخرى فيها أخبارٌ إلى عام (١٠٢٧هـ/١٦١٧م) وقال الناسخ : إن هذه الزيادة وجدتُها بخط شرف الدين ابن شيخ الإسلام . والواضح أن كل هذا الإلحاق ليس من تأليف مترجمنا ابن حجر ، وأحال ابن حجر على كتابه هذا في كتابه « تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان » (ص١٥) ، وقال عنه : « وفي أوائل كتابي مختصر تاريخ الخلفاء في هذا الحديث كلام طويل ينبغي مراجعته » . كما أحال عليه في كتابه « شرح الهمزية للبوصيري » (ص٢٧١) [٢] ، وقد انفرد بنسبة هذا الكتاب لابن حجر تلميذه السيفي في نفائس الدرر ورقة (٦ أ) .

سبب تأليف الكتاب وتاريخه :

قال ابن حجر عن ذلك في مقدمة كتابه : بأنه ورد إلى مكة أحد العلماء المصريين وسأله ثلاثة أسئلة ، **أولها** : عن وظائف الوقف فأجابه . **والثاني** : من يستحق الوقف فأجابه من كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي . فسأله السؤال **الثالث** : في اختصار تاريخ السيوطي ، وعبّر ابن حجر عن ذلك بقوله : « فإنه ورد إلى مكة سنة ثلاث وستين وتسعمائة (٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) بعض أعيان الفضلاء المصريين، والنبلاء المحققين ، ممن جمع بين المعقول والمنقول ، وأخذ بحَظٍ وافر من التمييز بين المردود والمقبول، نفع الله به المسلمين ، ورفعه في العلم والعمل إلى أعلى علِّيين ، فسأل متبرعًا عما وقع له من تناول معلوم وظيفة من وقف

---

(١) ابن حجر : إتحاف إخوان الصفا ورقة (١٣٦ ب) نسخة القاهرة .

(٢) طبعة بولاق سنة (١٢٩٢هـ) .

السلطان حسَن بدون مباشرتها على ما شرطه الواقف ، فذكرتُ له كلام المتقدمين كابن الصلاح وابن عبدالسلام والنووي من تشديدهم في شروط الواقفين ، وكلام المتأخرين كالسبكي ومَن بعده في مسامحتهم في ذلك ، وأنه لا تخالف بين الكلامين . . . فأعجبَتْه هذه الفائدة الجليلة .

ثم سأل هل السلطان حسن كان من جمْلة الأتراك الذين هذا شأنهم ؟ فلم أجد عندي متيسّر إلا فوائد كنتُ انتقيتُها من تاريخ الخلفاء للحافظ العلامة الجلال السيوطي شكر الله مساعيه ، وأدام عليه من رضاه وتجليه ، فكشفْتُ فيه عن ذلك فأعجبته . ثم سألني في اختصار التاريخ المذكور وحذف ما فيه من نسبة الأحاديث وأقوال السّلف والخلف لمخرجها من الكتب المعتبرة وضمّ زيادات إليه معلّلاً ذلك بأن المشتغلين بأنواع العلوم على وجهها لا يجدون فراغاً لاستيعاب ذلك الكتاب ، لأنه بالنسبة لغرضهم لا يخلو عن إسهاب ، مع أنه يقبح بالفاضل جهل ما فيه من تراجم الخلفاء والملوك وأخبارهم ، وبعض ما وقع في أزمنتهم مع احتياجه لذلك ، بل اضطراره إليه في كثير من الوقائع .

فأجبتُه معوّلاً على ما فيه غالباً مع بيان التخريجات ، ونسبة المقالات ، ملتمسًا صالح دعواته على الدوام . . . وسمّيْتُه إتحاف إخوان الصفا بنُبَذ من أخبار الخلفا » [(١)] .

موضوع الكتاب والغرض من تأليفه :

تبين لنا مما سبق أن كتاب ابن حجر هذا وعنوانه : إتحاف إخوان الصفا ، هو اختصار لكتاب الحافظ جلال الدين السيوطي الذي عنوانه تاريخ الخلفاء [(٢)] ، وكلا الكتابين كان موضوعهما تواريخ الخلفاء بالدول الإسلامية من عهد خلافة الراشدين إلى عهد المؤلف الأصلي الإمام السيوطي .

وقد كان غرض المؤلفيْن واحداً حيث أنهما أرادا أنْ يؤرخا للخلفاء الشرعيين من الراشدين والأمويين والعباسيين ، وأن يهملا كل من ادّعى الخلافة ولا حقّ له

---

(١) ابن حجر : إتحاف إخوان الصفا ورقة (١ ب) نسخة اليمن .

(٢) طبع الكتاب طبعات منها طبعة دار الفكر سنة (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .

فيها كالعبيديين الفاطميين الذين قال عنهم السيوطي - وتبعه في ذلك ابن حجر - بأن دولتهم هي الدولة المجوسية اليهودية لا العلوية ، وأنها الدولة الباطنية لا الفاطمية مع طيّ ذكر الأُمويين بالأندلس وإهمال ذكر الموحدين بالمغرب وغيرهم ممن تَسَمَّوا بالخلفاء وليس لهم حق الخلافة من الدويلات الصغيرة .

وهكذا يظهر لنا الغرض الأساسى من التأليفين ، وهو أن يقع إبطال ادّعاء الباطنية ، بأنّ لهم خلفاء لرسول الله ﷺ وقد كان غرض ابن حجر من ذلك الوقوف في وجه الشيعة الذين ظهرتْ آثارهم وتكاثر عددهم في الحرمين الشريفين آنذاك .

محتوى الكتاب :

وفيما يلي نقدم استعراضاً لمحتوى كتاب ابن حجر إتحاف إخوان الصفا ، (من نسخة اليمن) فقد اشتمل على ما يلي :

(١ ب) المقدمة - طي ذكر الخلفاء الذين لم تتم لهم الخلافة من العلويين والعباسيين .

(١ ب) طي ذكر العبيديين لأن إمامتهم باطلة .

(٢ أ) بيان سرّ كون النبي ﷺ لم يستخلف صريحاً .

(٢ ب) بيان أن الأئمة من قريش .

(٢ ب) بيان مدة الخلافة الكاملة .

(٣ أ) بيان الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية .

(٣ أ) بيان الأحاديث المبشّرة بخلافة بني العباس .

(٣ ب) بيان البردة النبوية التي تداولها الخلفاء .

(٤ أ) بيان كلمات تجري على الألْسنة .

(٤ أ) بيان فوائد أخرى - خلفاء بني العباس كلهم أبناء سراري إلا السفاح والمهدي والأمين .

(٤ أ) بيان شيء من أولئك الخلفاء .

(٤ ب) مناقب أبي بكر الصديق .

(١٠ ب) مناقب عمر أمير المؤمنين .

(١٥ ب) مناقب عثمان بن عفان .

(١٦ ب) فصل في خلافة عثمان .

(١٨ ب) مناقب علي بن أبي طالب .

(١٩ ب) فصل في خلافة علي .

(٢١ ب) مناقب الحسن بن علي .

(٢٢ أ) فصل في خلافة الحسن .

(٢٢ ب) مناقب معاوية بن أبي سفيان .

(٢٣ ب) مساوئ يزيد بن معاوية .

(٢٤ ب) معاوية بن يزيد .

(٢٤ ب) مناقب عبد الله بن الزبير .

(٢٥ أ) خلافة عبد الملك بن مروان .

(٢٦ أ) خلافة الوليد بن عبد الملك .

(٢٦ أ) خلافة سليمان بن عبد الملك .

(٢٦ ب) مناقب الخليفة الصالح الملحق بالخلفاء الراشدين اتفاقاً عمر بن عبدالعزيز .

(٢٨ أ) خلافة يزيد بن عبد الملك .

(٢٨ ب) خلافة هشام بن عبد الملك .

(٢٨ ب) خلافة الوليد بن يزيد .

(٢٨ ب) يزيد بن الوليد الناقص - (دون أن يضع له عنواناً) .

(٢٨ ب) إبراهيم بن الوليد - (دون أن يضع له عنواناً) .

(٢٨ ب) خلافة مروان بن محمد .

(٢٩ أ) خلافة بني العباس - أولهم السفاح - عبد الله بن محمد .

(٢٩ أ) أبو جعفر المنصور .

(٤٥ أ) الطائع لله - عبد الكريم بن المطيع .

(٤٦ أ) القادر بالله - أحمد بن إسحاق بن المقتدر .

(٤٦ ب) القائم بأمر الله - عبد الله بن القادر .

(٤٧ ب) المقتدي بأمر الله - عبد الله بن محمد بن القائم .

(٤٨ أ) المستظهر بالله - أحمد بن المقتدي .

(٤٨ ب) المسترشد بالله - الفضل بن المستظهر .

(٤٩ أ) الراشد بالله - منصور بن المسترشد .

(٤٩ أ) المقتفي لأمر الله - محمد بن المستظهر .

(٥٠ أ) المستنجد بالله - يوسف بن المقتفي .

(٥٠ ب) المستضيء بأمر الله - الحسن بن المستنجد .

(٥٠ ب) الناصر لدين الله - أحمد بن المستضيء .

(٥٢ أ) الظاهر بأمر الله - محمد بن الناصر .

(٥٢ أ) المستنصر بالله - منصور بن الظاهر .

(٥٢ ب) المستعصم بالله - عبد الله بن المستنصر .

(٥٣ أ) أخبار التتار .

(٥٤ أ) العباسيون في مصر - المستنصر بالله أحمد بن الظاهر .

(٥٤ ب) الحاكم بأمر الله - أحمد بن أبي علي الحسن .

(٥٥ أ) المستكفي بالله - سليمان بن الحاكم .

(٥٥ ب) الواثق بالله - إبراهيم بن المستمسك بالله .

(٥٦ أ) الحاكم بأمر الله - أحمد بن المستكفي .

(٥٦ أ) المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفي .

(٥٦ ب) المتوكل على الله - محمد بن المعتضد .

ورقة (١٣٣ أ) - نسخة القاهرة - الواثق بالله عمر بن إبراهيم .

ورقة (١٣٣ أ) - نسخة القاهرة - المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم .

ورقة (١٣٣ أ) - نسخة القاهرة - المستعين بالله العباس بن المتوكل .

ورقة (١٣٣ ب) - نسخة القاهرة - المعتضد بالله داود بن المتوكل .

ورقة (١٣٤ ب) - نسخة القاهرة - المستكفي بالله سليمان بن المتوكل .

ورقة (١٣٤ ب) - نسخة القاهرة . القائم بأمر الله حمزة بن المتوكل (١) .

ورقة (٥٧ أ) - المستنجد بالله يوسف بن المتوكل .

ورقة (٥٧ أ) - المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل .

منهج ابن حجر في كتابه :

بما أن كتاب ابن حجر (إتحاف إخوان الصفا بنُبَذ من أخبار الخلفا) هو اختصار لكتاب الحافظ جلال الدين السيوطي تاريخ الخلفاء ، فإن منهج ابن حجر لا يستبين لنا إلا بعد المقارنة بين الكتابين في أمرين أساسيين هما :

(أ) المقارنة بين محتوى الكتابين .

(ب) منهج ابن حجر في الاختصار .

(أ) المقارنة بين محتوى الكتابين :

بعد المقارنة بين محتوى الكتابين تبيّن لي أن ابن حجر أورد في اختصاره نفس المحتوى الذي أورده السيوطي في الأصل - بصفة عامة - مع اعتماد الاختصار ليصل إلى الغاية التي ذكرها في مقدمته ، وهي أن يُيَسِّرَهُ ويختصره ليتمكن المشتغلون بأنواع العلوم من استيعاب محتواه والاستفادة منه ، وبعد المقارنة الدقيقة بين محتوى الكتابين ، تبيَّنَتْ لي وجوه التشابه والاختلاف التالية :

- ففي المقدمة وزّع السيوطي موضوعاتها على فصول عديدة، إلا أن ابن حجر

---

(١) سقطت تراجم الخلفاء الستة المذكورين أعلاه من نسخة اليمن ، فأحلنا عليها من نسخة القاهرة .

عرض مختصراً لتلك الموضوعات والفوائد ، وعرضها دون أن يُعَنْونها بالفصول مع أنه عرضها بنفس التسلسل الذي ذكره السيوطي .

- أما الأبواب الخاصة بتراجم الخلفاء الراشدين ، فقد سارتْ على نفس تسلسل السيوطي ، إلا أنّ ابن حجر ذكر تراجم الراشدين معتمداً الاختصار ، فقد جاءت ترجمة أبي بكر في كتاب السيوطي في (٢٧) فصلاً ، في حين أن هذه الترجمة وردت في كتاب ابن حجر تحت عنوان واحد .

أما ترجمة عمر الفاروق ، فقد كان عدد فصولها عند السيوطي (١٣) فصلاً وهي عند ابن حجر تحت عنوان واحد ، وترجمة عثمان بن عفان كانت عند السيوطي في (٦) فصول وهي عند ابن حجر في فصلْين - وترجمة علي بن أبي طالب أوردها السيوطي في (٧) فصول وهي عند ابن حجر في فصلين - وهو في كل هذه التراجم يورد بعض الفوائد التي تتناول موضوعات فصول السيوطي .

- وفي الأبواب الخاصة بتاريخ خلفاء الأمويين ، سار ابن حجر على نفس الترتيب الذي سار عليه السيوطي مع اختصاره في ترجمة كل خليفة منهم .

- وفي خصوص الدولة العباسية اتبع ابن حجر تقسيم السيوطي ، فذكر أولاً « العباسيين في العراق » ثم « العباسيين في مصر » .

- وأضاف السيوطي بعد ذلك فصلاً في الدولة الأموية القائمة بالأندلس وفصلاً في الدولة الخبيثة العبيدية ، وفصلاً في دولة بني طباطبا العلوية الحسنية ، وفصلاً في الدولة الطبرستانية .

وتناول كلاً منها بإيجاز كبير - بينما لم يذكر ابن حجر هذه الدول ، ويعود تجاهله ذِكرَهم لعدم اعترافه بأي دولة خارجة عن الخلافة القائمة ، كما ذكر في مقدمة الكتاب .

(ب) منهج ابن حجر في الاختصار :

أما منهج ابن حجر في اختصاره لكتاب السيوطي ، فقد سلك فيه مسالك الاختصار والحذف والإضافة والتقديم والتأخير ، وهذا ما نتناوله بالمناقشة فأقول :

١ - اختصار الروايات :

طريقة اختصار الروايات هي الطريقة التي تغلب على كتاب ابن حجر هذا ، ففي أغلب أحيانه يورد الروايات التي يذكرها السيوطي باختصار لا يُخلّ بالمعنى . فيعتمد أحياناً على النقل الحرفيّ من نص السيوطي وحذف ما لا يخلّ بالمعنى ، وفي أحيان أخرى يُغير اللفظ مع المحافظة على المعنى .

فمن أمثلة الاختصار الذي يعتمد الحذف - الرواية التي ذكرها السيوطي نقل فيها قولاً لعمرو بن العاص أجاب به الخليفة عمر بن الخطاب عندما طلب منه أن يصف البحر فقال له : « إني رأيتُ خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، إن ركد خرق القلوب ، وإن تَحَرَّكَ أراع العقول ، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة ، وهم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا فرق » (١) - فأوجز ابن حجر ذلك كله بقوله : « فوصفه بما ينَفّر عنه » (٢) .

وفي ترجمة الوليد بن عبد الملك ، أورد السيوطي تفصيلاً للفتوحات التي حدثتْ في عهده (٣) ، لكن ابن حجر يحذفها ويكتفي بقول الذهبي : « وفي أيامه فُتِحتْ فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب » (٤) .

٢ - حذف الروايات :

قد تتعدد روايات الحادثة الواحدة في كتاب السيوطي ، كما قد يورد السيوطي روايات لا يرى ابن حجر لها أهمية في موضوعه فنراه يحذف الكثير من هذه الروايات المتعددة للحادثة الواحدة ويكتفي ببعضها (٥) ، كما يحذف ما لا يراه مفيداً ، ولذلك أمثلة كثيرة ، منها :

(١) السيوطي : المصدر السابق (ص١٤٥) .
(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٦ ب) .
(٣) السيوطي : المصدر السابق (ص٢٠٨-٢٠٩) .
(٤) ابن حجر : المصدر السابق(ورقة ٢٦ أ) .
(٥) مثال ذلك السيوطي : نفس المصدر (ص١٠٢-١٠٨) ؛ ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ١١ أ) ؛ وانظر : كذلك السيوطي : نفس المصدر (ص٣٣-٣٤) ؛ ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ٥ ب) .

أورد السيوطي في كتابه (١٤٢) حديثاً رويتْ عن أبي بكر ، فيحذفها ابن حجر ولا يذكر منها إلا بعض الأحاديث الغريبة [١] .

وذكر السيوطي وفاة والده قائلاً : إنه توفي بعد الخليفة العباسي المستكفي بأربعين يوماً ، وهو خبر حذفه ابن حجر [٢] .

٣ - حذف أسانيد الروايات :

بما أن غرض ابن حجر أن يختصر كتاب السيوطي ، فإنه عمد دائماً إلى حذف أسانيد الأحاديث والروايات ، وهذا مما لا طائل في حصره ، ونكتفي أن نشير إلى بعض الروايات المذكورة عند السيوطي والمحذوفة عند ابن حجر [٣] .

٤ - حذف النصوص الشعرية :

يحذف ابن حجر الكثير من الأشعار التي يوردها السيوطي في كتابه ولا ينقل منها إلا القليل - ومن أمثلة ذلك : أنه حذف أبياتاً من الشعر وردت في ترجمة أبي بكر من كتاب السيوطي [٤] ، كما أسقط ابن حجر أشعاراً ذكرها السيوطي في ترجمة علي بن أبي طالب [٥] . ولم يورد ابن حجر المكي قصيدة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في مدح الخليفة العباسي المستعين بالله وهي تقع في

---

(١) السيوطي : المصدر السابق (ص٨١-٨٨) ؛ ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٩ ب-١٠ أ) .

(٢) السيوطي : المصدر السابق (ص٤٧٢) ؛ ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٣٤ ب) نسخة القاهرة .

(٣) منها السيوطي : المصدر السابق (ص٧) ؛ ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢ أ)، السيوطي : المصدر السابق (ص٩-١٠-١١) ؛ ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢ ب) . وغيرها كثير .

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء (ص٣١ ، ٨٠ - ٨١) ؛ ابن حجر : تعريف إخوان الصفا (ورقة ٥ ب ، ٩ ب) .

(٥) السيوطي : نفس المصدر (ص١٧١ ، ١٧٤) ؛ ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ٢١أ-٢١ ب) .

ثلاثة وأربعين بيتاً ، ذكرها السيوطي كاملة واكتفى مؤلفنا بقوله : « ومدحه شيخ الإسلام ابن حجر بقصيدة طويلة مشهورة » [(١)] - كما حذف ابن حجر المكي قصيدة طويلة تقع في (١١٦) بيتاً ألْفها السيوطي جمع فيها أسماء الخلفاء ووفياتهم ختم بها كتابه [(٢)] .

٥ - **حذف وفيات الأعلام :**

اعتاد السيوطي في كتابه أن يذكر قائمة مختارة من أسماء الأعلام الذين ماتوا في عهد كل خليفة يترجم له ، ولكن ابن حجر في اختصاره حذف كل هذه الوفيات ولم يذكرها [(٣)] .

٦ - **الإضافات :**

على الرغم من أن عمل ابن حجر في هذا الكتاب هو التلخيص ، فإننا نجدُه في بعض الأحيان يقوم ببعض الإضافات التي تُثْري القارىء ، فمنها :

- إضافة أحاديث . فقد أضاف حديثاً يتعلق ببيان أن الأئمة من قريش ، لم يورده السيوطي في الأصل [(٤)] .

- عنْوَن السيوطي الفصل الخاص بترجمة يزيد بعنوان يزيد بن معاوية ، أما ابن حجر جعل هذا العنوان « مساويء يزيد » [(٥)] .

- في نهاية ترجمة عثمان بن عفان يورد ابن حجر تنبيهاً يوضح فيه أن الصحابة ليس لهم يد في قتل عثمان ما عدا محمد بن أبي بكر [(٦)] ، وهو تنبيه لم يذكره السيوطي .

---

(١) السيوطي : نفس المصدر (ص ٤٦٥ - ٤٦٧) ؛ ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ١٣٣ أ) (من نسخة القاهرة) .
(٢) السيوطي : نفس المصدر (ص٤٧٥-٤٨٠) .
(٣) من أمثلة ذلك انظر : السيوطي : نفس المصدر (ص٢٠٧ - ٢٠٩) .
(٤) انظر ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢ ب) ؛ السيوطي : المصدر السابق (ص١٠).
(٥) السيوطي : المصدر السابق (ص١٩١) ؛ ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢٣ ب).
(٦) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٨ أ - ب) .

- عندما تعرض لقصة موقعة الجمل بيّن فيها آراءه الخاصة ثم قال : « وقد بينتُ ذلك وتوابعه في كتابي الذي ألّفتُه بما حاصله . . » [(١)] .

- ذكر السيوطي في ترجمة يزيد بن عبد الملك أنه أتى بأربعين شيخاً فشهدوا له : « ما على الخلفاء حساب ولا عذاب » ولم يعلق السيوطي على ذلك .

أما ابن حجر فزاد على هذا الخبر بقوله : « كذَبُوا وافتَروا قاتلهم الله » .

٧ - التقديم والتأخير :

قد يعمد ابن حجر إلى تقديم بعض الأخبار أو تأخيرها عن موطنها الذي وضعه لها السيوطي - ففي وسط ترجمة أبي العباس السفاح ، ذكر السيوطي وفاته ثم أكمل بقية الترجمة [(٢)] ، أما ابن حجر فقد أخّر ذكر الوفاة إلى نهاية الترجمة ، لأنه رأى ذلك أنسب لها [(٣)] ، وكذلك فعل في ترجمة أبى جعفر المنصور [(٤)] .

ذكر السيوطي في ترجمة المتوكل لقبه ولماذا تلقب به وذلك بعد أن عرض ست صفحات من ترجمته [(٥)] ، أما ابن حجر فقد أورد هذه المعلومة في أول ترجمة المتوكل [(٦)] .

المصادر :

أورد السيوطي في نهاية كتابه مصادره التاريخية التى اعتمدها فكانت عديدة [(٧)] إلاّ أن ابن حجر لم يذكرها وأهمل إيرادها تماماً . وإنه من الطبيعي ألا يذكر ابن حجر مصادره ، لأنه لم يكن بصدد تأليف كتاب مستقل ، وإنما هو يختصر كتابا

---

(١) ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ١٩ ب) .
(٢) السيوطي : المصدر السابق (ص٢٤١) .
(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢٩ أ) .
(٤) السيوطي : نفس المصدر (ص٢٤٤) ؛ ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ٣٠ ب) .
(٥) السيوطي : نفس المصدر (ص٣٢٥) .
(٦) ابن حجر : نفس المصدر (ورقة ٢٦ ب) .
(٧) السيوطي : المصدر السابق (ص٤٧٥) .

سابقاً له ، لذلك لا يجد فائدة في ذكر مصادره كما أوردها السيوطي ، إلا أنه مع ذلك قد يذكر بعضها عرضاً ، وعندما يريد أن يبين أهمية المسألة - ولم نجد ابن حجر أضاف مصدراً واحداً على مصادر السيوطي غير مرة فريدة ذكر فيها تأليفه « تطهير اللسان والجنان » الذي أحال عليه في حديثه عن موقعة الجمل[1] .

* * *

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٩ ب) .

٥ - تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبي سفيان

عنوان الكتاب :

ذكر تسميته ابن حجر في مقدمة الكتاب فقال : « وسميتُه تطهير الجنان واللسان. عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان . مع المدح الجلى وإثبات الحق العلى . لمولانا أمير المؤمنين علي » [١] .

وورد العنوان في مصادر ترجمة ابن حجر مقتصرًا على الجزء الأول من هذا العنوان . ويظهر أن ابن حجر ألف كتابين في نفس الموضوع وبنفس العنوان وهو ما ذكره عنه تلميذه السيفي قائلاً : « ومؤلفان في معاوية أحدهما أبسط من الآخر وكلاهما يسمى تطهير اللسان والجنان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه » [٢] .

إلا أننا لم نعثر إلا على كتاب واحد يحمل هذا العنوان ، وهو الذي بين أيدينا ولا نعرف إن كان هو الأطول أم الأخْصَر [٣] .

أحال عليه ابن حجر في كتابه إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار الخلفا ، ورقة (١٩ ب) ولكنه لم يذكره بعنوانه تطهير الجنان واللسان ، وإنما ذكره في حديثه عن موقعة الجمل فقال : « وقد بينت ذلك وتوابعه في كتابي الذي ألفته في معاوية » . وأحال عليه حفيده خليفة الزمزمي في كتابه نشر الآس في فضائل زمزم ورقة (١٢ ب ، ٢٣ أ) - كما نسب هذا الكتاب لابن حجر كلٌّ من :

الكتاني في فهرس الفهارس (ص٣٩٣) ؛ والبغدادي في هدية العارفين

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان (ص٤) .

(٢) السيفي : نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) .

(٣) ولعل جمع المخطوطات والمقارنة بينها تدلنا على وجود الإصدار الآخر للكتاب .

(١/ ١٤٦) ؛ وفي إيضاح المكنون (١/ ٢٩٤) ؛ وسركيس في معجم المطبوعات (١/ ٨٢) ؛ ودائرة المعارف الإسلامية المترجمة (١/ ١٣٤) [١] .

طُبع الكتاب مع كتاب الصواعق المحرقة طبعة مكتبة القاهرة سنة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) . وطبعة حديثة بتحقيق أبي عبد الرحمن المصري الإثري . دار الصحابة للتراث بطنطا ، مصر سنة (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

سبب تأليف الكتاب والغاية منه :

إنّ السبب الدافع لابن حجر أنْ يؤلف كتابه هذا ، هو ما ذكره في مقدمته حيث قال : « دعاني إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند وأصلحهم وأشدّهم تمسّكاً بالسنة الغراء ، ومحبة أهلها .. وسببُ طلَبِه ذلك أنه نبَغَ في بلاده قوم ينتقصون معاوية - رضي الله عنه - وينالون منه وينسبون إليه العظائم ، مما هو بريء منه ، ... فأجبتُه لذلك ، وَضَامّا إليه بيان ما يُضطَرّ إليه من أحوال مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حروبه وقتاله لعائشة وطلحة والزبير ومن معهم من الصحابة وغيرهم [٢] .

أما الغاية من تأليفه لهذا الكتاب ، فهي تبرز لنا واضحة بعد أن تعرّفْنا على السبب ، فقد أراد أن يردّ على أولئك الرافضة الذين ظهروا بالهند، وتطاولوا على الصحابي الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فنالوه بالسب واستحلوا لعْنَه ، وهو الصحابي الذي شهدت الكثير من الأحاديث الصحيحة بفضله ، وقد اختاره

---

(١) وقد ألف في الموضوع مؤلفون آخرون سبقوا ابن حجر في ذكر فضائل معاوية ومناقبه منهم : أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الاهوازي المتوفي سنة (٤٤٦هـ/ ١٠٧٤م) الذي ألف كتاب شرح عقد أهل الإيمان في معاوية بن أبي سفيان ، وذكر ما ورد في الأخبار من فضائله ومناقبه ، منه قطعة قديمة تمثل الجزء السابع عشر من الكتاب محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (٣٨٦٥) من ورقة (١٦٤ إلى ١٩٧) . وعليها سماع المؤلف وسنة وفاته .

كما ألف في الموضوع أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد السقطي كتاباً عنوانه «جزء فيه فضائل أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان » . ألفه سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، منه نسخة بالظاهرية برقم (٤٤٩٣) تقع في (٨ ورقات) كتبت في القرن السابع الهجري .

(٢) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان (ص٤) .

رسول الله ﷺ كاتباً للوحي ، وذكره في أحاديث كثيرة موضحاً فضله ومناقبه ، وهو ما سيظهر لنا عندما نطلع على محتوى الكتاب .

تاريخ تأليف الكتاب :

لم يذكر ابن حجر في مقدمة الكتاب ولا في خاتمته تاريخاً لتأليفه ، كما كان يفعل في كثير من كتبه ، ورغم ذلك فإنه يمكننا أن نجزم بأنه أَلَّفَه قبل سنة (٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م) وذلك لأن هذه السنة هي التي توفي فيها الملك الهندي همايون [١] الذي كان طلَبُه سبباً في تأليف الكتاب .

محتوى الكتاب :

بما أن الكتاب وُضع للردّ على الشيعة وأهل البدع ممن يسبّون الصحابي معاوية ابن أبي سفيان ويستبيحون ذلك ، فإن أهم طُرُقِ ردعهم عن ذلك يكون ببيان فضله ، فقد قال ابن حجر في مقدمته : « وبعد فهذه ورقات أَلَّفْتُها في فضل سيدنا أبي عبد الرحمن أمير المؤمنين معاوية بن صخر أبي سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموى - رضي الله عنه وأرضاه - ، وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وفي مناقبه وحروبه وفي الجواب عن بعض الشُّبه التي استباح سبّه بسببها كثير من أهل البدع والأهواء جهلاً واستهتاراً بما جاء عن نبيّهم ﷺ من المبالغة الأكيدة في التحذير عن سبّ أو نقص أحد من أصحابه ، لا سيما أصهاره وكُتّابه ومن بَشَّرَهُ بأنه سيملك أُمَّته»[٢] .

أما عن ترتيب الكتاب فقد قال : « ورتبتُه على مقدمة وفصول وخاتمة » [٣] .

واشتملت المقدمة : على وجوب محبّة جميع أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم معاوية (ص٤ - ٦) .

الفصل الأول : في إسلام معاوية رضي الله عنه (ص٧ - ٩) .

الفصل الثاني : في فضائله ومناقبه وخصوصياته وعلومه واجتهاده (ص٩ - ٢٨) .

الفصل الثالث : في الجواب عن أمور طعَن عليه بعضُهم بها (ص ٢٨ - ٤٣) .

---

(١) انظر : ترجمة السلطان همايون في : العيدروسي : النور السافر (ص٢٥٥) ؛ وابن العماد : شذرات الذهب (٨/ ٣٣٣) .

(٢) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان (ص٣) .　　(٣) المصدر السابق (ص٤) .

الخاتمة : في ذكر أمور وفوائد مجموعة وهي :

- وجوب عدم الخوض فيما شجر بين الصحابة من خلافات إلا لضرورة (ص٤٣ - ٤٤) .

- قضية مقتل عثمان (ص٤٤ - ٤٨) .

- خلاصة ما وقع بالجمل (ص٤٨ - ٥٣) .

- خلاصة ما وقع في صفين (ص٥٣ - ٥٥) .

- ذكر ما يتعلق بالصلح بين الحسين ومعاوية (ص٥٥) .

- مقاتلة علي - كرم الله وجهه - للخوارج (ص٥٥ - ٦٠) .

- ذكر أمور وفتن تبعتْ ما سبق واحتيج لمعرفتها (ص٦٠ - ٦٧) :

- منها استخلاف معاوية لولده يزيد .

- وبعض أخبار خلفاء بني أمية الأُوَل ومحاربتهم لابن الزبير في مكة .

- وبعض الأحاديث الموضوعة في لعن بني أمية وبني الحكم .

مصادره :

اعتمد ابن حجر في كتابه على أغلب مصادره الحديثية السابقة التي اعتمدها في كتابيه الصواعق المحرقة وذيله ، كما اعتمد بعضاً من الكتب التاريخية مثل :

مغازي الواقدي ؛ وسيرة الملا [(١)] ؛ وسيرة ابن إسحاق ؛ وكتاب الرياض النضرة في تراجم العشرة للمحب الطبري ، وطبقات ابن سعد ؛ وتاريخ مكة للفاكهي .

منهج ابن حجر في كتابه :

إن كتاباً مثل كتاب (تطهير الجنان واللسان ، عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية ابن أبي سفيان) يتطلب من مؤلفه أنْ يعتمد أسلوباً منهجياً يتلاءم وموضوع

(١) لعله يُشير إلى سيرة مغلطاي الشهيرة . انظر ابن العماد : شذرات الذهب (١٩٧/٦) .

الكتاب . إذ هو يدعو الناس إلى الإمساك عن ثلب الخليفة الصحابي معاوية بن أبي سفيان فلا بُدَّ من رجوع مؤلفه إلى فضائل هذا الصحابي معتمداً :

أولاً : على ما ورد فيه من الأحاديث التى تقوم حجة على فضله ومكانته في الإسلام .

وثانياً : على ما ذُكِر في كتب السيرة والتاريخ من مواقفه في العهد النبوي وأعماله الصالحة في استقرار الدولة الإسلامية بعد عصر الفتنة .

وثالثاً : على مناقشة الشيعة فيما يتقولُونه من تُرّهات ضدّ هذا الصحابي وجوابهم بالأدلة العقدية والعقلية .

(أ) اعتماده على الأحاديث النبوية :

استشهد ابن حجر بأحاديث كثيرة ، ثَبَتَتْ عن رسول الله ﷺ في فضائل الصحابة عامة ووجوب محبتهم ، واستشهد أيضاً بالأحاديث الواردة في فضل معاوية الذي جمع شرف الإسلام وشرف الصحبة وشرف النَّسَب وشرف مصاهرة رسول الله ﷺ (١) ، واستشهد بالأحاديث التي أخبرت عن اختلاف الصحابة مع علي - رضى الله عنه - وعن موقعتي الجمل وصفين (٢) - وبعد الاستشهاد بالأحاديث كثيراً ما نجده يذكر درجة الحديث من الصحة أو الضعف (٣) ، ويحكم على الرواة ورجال الحديث من جهة الثقة أو الضعف أو الاختلاط (٤) .

أما الأحاديث التي يوردها الشيعة والروافض ، فإنه يقابلها بالنقد اعتماداً على نقد أئمة المسلمين من أهل السنة ، الذين دَحَضوا « شُبَه المبتدعة التي أخذوها تارة عن كذبهم على علي وأصحابه ، وتارة عن بقية الصحابة ثم ردّوها عن آخرها حتى لم يبق لهم شبهة يستندون إليها ولا حجة يعتمدون عليها ، وبيّن أئمتُنا المحدّثون أنّ كثيراً مما نُقل عنهم إما كذب وإما فى سنده علّة أو علل ، كما أشرت

---

(١) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان (ص٥ ، ٩ - ١٥ ، ٣٨) .

(٢) نفس المصدر (ص٣٦-٣٧) .

(٣) مثلاً نفس المصدر (ص٥ ، ٦ ، ٩ ، ٣١) وغيرها كثير .

(٤) مثلاً نفس المصدر (ص١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٣٤) وغيرها كثير .

إلى كثير من ذلك في هذا الكتاب بقولي : رجاله ثقات أو رجال الصحيح أو فيهم ضعيف أو مجهول أو إرسال أو وقف أو نحو ذلك مما رأيتَه وسترى بقيّته»[1].

كما أورد ابن حجر في الفصل الثالث ثمانية نقاط هاجم بها الرافضةُ معاويةَ ، وهي أحاديث اعتمدوها في ثلبهم له ، فوضّح ابن حجر ضعف هذه الأحاديث وأنها موضوعة ، أو ما كان منها صحيحاً فيوضّح أنّ الاستدلال به لا يكون بهذا المعنى . ثم أورد الأحاديث الصحيحة التي تخالف أقوالهم وأجاب في نقاط حديثية وتاريخية على ادّعاءاتهم [2] .

(ب) اعتماده على ما ورد في كتب السيرة والتاريخ :

اعتمد ابن حجر الروايات التاريخية من كتب السيرة والتاريخ للرد على الرافضة والشيعة ولبيان ما وقعوا فيه من الكذب وما أشاعوه من أخبار زائفة حول شخصية الصحابي معاوية بن أبي سفيان . فنراه مثلاً :

– ناقش بمنهج مؤرخ في الفصل الأول قضية إسلام معاوية ، وهل كان إسلامه قبل فتح مكة بنحو سنة وكَتَمَهُ أم أنه أسلم يوم الفتح ، واستدلالاته على ذلك ، واعتماده أقوال المؤرخين أمثال الواقدي [3] .

– وذكر ابن حجر أسماء من روى عنهم معاوية بن أبي سفيان الحديث النبوي وأسماء من رووا عنه من الصحابة وكبار التابعين فقال : « إنه روى عن أبي بكر وعمر وأخته أم المؤمنين أم حبيبة ، وروى عنه من أجلاء الصحابة وفقهائهم ، عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وجرير البجلي ، ومعاوية ابن حديج والسائب بن يزيد والنعمان بن بشير وأبو سعيد الخدري وأبو أمامة بن سهل ، ومن كبار التابعين وفقهائهم عبد الله بن الحارث بن نوفل وقيس بن أبي حازم وسعيد بن المسيّب وأبي إدريس الخولاني ، وممن بعدهم عيسى بن طلحة ، وعبد الله بن محيريز وعلقمة بن أبي وقاص وعمير بن هاني وهمام بن منبه وأبو العريان النخعي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وآخرون .

---

(١) نفس المصدر (ص٣١) .   (٢) نفس المصدر (ص٢٨ -٤٣) .

(٣) نفس المصدر (ص٧–٨) .

فتأمل هؤلاء الأئمة أئمة الإسلام الذين رووا عنه ، تعلم أنه كان مجتهداً وأيّ مجتهد ، وفقيهاً أي فقيه » [(١)] .

- وذكر ابن حجر أخبار تولي معاوية إمارة دمشق الشام من قبل الخليفتين عمر وعثمان . وحتى نتبين منهجه في الكتابة التاريخية نستعرض قوله في ذلك الموضوع :

« وسبب ولايته لدمشق أنّ أبا بكر - رضي الله عنه - لما استُخلِف بعث الجيوش إلى الشام وولاها يزيد بن أبي سفيان أخا معاوية فسار معه معاوية ، فلما مات يزيد استخلف أخاه معاوية على عمله فأقرّه عمر - رضي الله عنه - على ذلك مدّة خلافته ، وكذلك عثمان ، فمكث أميراً نحو عشرين سنة وخليفة عشرين ، ثم لم يبايع علياً - كرم الله وجهه - للتأويل الآتي بيانه ، واستقلّ فى زمن خلافة علي بالشام ثم ضمّ إليها مصر ، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين يوم صفّين ، ثم استقل بها لما صالح الحسن ونزل له الحسن عنها باختياره ورضاه ، بل مع كثرة أتباعه وأعوانه ، ومع غلبة الظنة بأنه لو حارب معاوية لغلبَهُ ، فلم يكن لنزوله سبب إلا خشيته - رضي الله عنه - على دماء المسلمين . . . وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه ، وسُمّي ذلك العام عام الجماعة ، ثم لم ينازعه أحد مع أنه الخليفة الحق من يومئذ » [(٢)] .

- ووضح ابن حجر في روايات تاريخية موجزة معركتيْ الجمل وصفّين أنّ خروج معاوية على علي ومحاربته له لم يكن انفراداً منه بذلك الأمر « بل وافقه عليه جماعات من أجلاء الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - كما يُعلم من السِّيَر والتواريخ ، وسبقه إلى مقاتلة علي من هو أجلّ من معاوية ، كعائشة والزبير وطلحة ومن كان معهم من الصحابة ، فقاتلوا عليا يوم الجمل . حتى قُتِل طلحة ، وولي الزبير ثم قتل » [(٣)] .

---

(١) نفس المصدر (ص٢٦) .

(٢) نفس المصدر (ص١٧) .

(٣) نفس المصدر (ص٣٥-٣٦) .

- ووضح ابن حجر أن قتال علي ومعاوية في صفين ، إنما هو اجتهاد من كليهما لا يأثمان عليه « فمخطئهم كمصيبهم في أصل الثواب ، وتحري الصواب»[1] .

- وأورد ابن حجر الاختلاف في وفاة معاوية ، فقال : « واتفقوا على أنه توفي بدمشق ، والمشهور أن وفاته كانت لأربع خلون من رجب سنة ستين من الهجرة النبوية ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين وقيل ست وثمانين سنة » [2] .

- ثم وضع ابن حجر خاتمة لكتابه تناول فيها مواقع تاريخية مشهورة ، مثل مقتل عثمان ووقعتي الجمل وصفين ، والصلح بين الحسن ومعاوية ومقاتلة علي للخوارج ، والفتن التي تلت هذه الأحداث ، ومنها استخلاف معاوية لولده يزيد ومحاربة خلفاء بني أمية لابن الزبير بمكة وقتله .

ولكن قدم ابن حجر لهذه الخاتمة بمقدمة وضح فيها منهجه في الكتابة في تاريخ الصحابة ، وأنه يجمع المعلومات المتفرقة من كتب الأئمة السابقين ، كما يوضح بأنه رغم ترجيحه مبدأ عدم الكتابة والخوض في سير الصحابة وأحوالهم إلا أنه في بعض الحالات يكون من الواجب على العالم أن يكتب تاريخهم ليبيّن مكانتهم وفضلهم ويردّ على مَن يُسيء إليهم عن قصد أو عن غير قصد ، وذلك ليوضّح للعوام صورة الصحابة الصحيحة وليرد على بعض التآليف التي وُضعت في تاريخ الصحابة ، وأوردتْ جميع الأحاديث والروايات حول أخبارهم . وقد تكون تلك الأحاديث والأخبار ضعيفة أو موضوعة أو صحيحة ، إلا أن المؤلف يوردها جميعها دون أن يوضّح زيف موضوعها ودون دراسة سند ذاكريها مما يسيء إلى الصحابة ويُنقِص درجاتهم ، وهم أعلى وأجلّ من ذلك .

ومن هؤلاء الذين كتبوا في تاريخ الصحابة دون تمحيص ابن قتيبة فقال عنه ابن حجر : « ومع تآليف صدرت من بعض المحدثين كابن قتيبة مع جلالته القاضية بأنه كان ينبغي له أن لا يذكر تلك الظواهر » [3] .

---

(١) نفس المصدر (ص٣٢-٣٣) .

(٢) نفس المصدر (ص٢٨) .

(٣) نفس المصدر (ص٤٣-٤٤) .

- نجد ابن حجر يكتب تاريخ الخلفاء ، ليذكر أخبارهم التاريخية من مصادر حديثية موثوقة ، فيورد القصة بدقة وصحة مثلما فعل عند ذكره لقضية مقتل عثمان - رضي الله عنه - فقال : « قضية عثمان وهي عجيبة مبسوطة في كتب السِّيَر والتواريخ ، وفيها أشياء كثيرة لم تصحّ فلا تغتر بها ، وحاصل ما جاء في ذلك باختصار أن عثمان . . » .

ثم يورد الرواية التاريخية لقصة الكتاب الذي زُوِّرَ عنه على أنه أرسله إلى عامله في مصر بقتل الوفد الذي كان بالمدينة ، وكان ذلك الكتاب سبباً في أن يعود الوفد للمدينة ويستحلوا قتل عثمان . فذكر ابن حجر الأحداث مفصلة ثم ذكر تاريخ مقتل عثمان وعمره ومكان دفنه . وقال في ختام كلامه :«هذا ما يتعلق بقتل عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - وبما تقرّر فيه تعلم أنّه الخليفة الحق وأنه مات على الحق وأنّ قاتليه بعضهم فَسَقَة ملحدون وبعضهم بغاة لهم تأويل باطل ، وأنه مات مظلوماً شهيداً » [(١)] .

- وذكر ابن حجر موقعة الجمل تحت عنوان : « خلاصة ما وقع بالجمل » فوضح أن علياً كان على الحق وأن عائشة ومن معها من الصحابة معذورون وكذلك معاوية ، ووضّح أنّ هذه الروايات يجب أن تؤخذ من كتب الثقات حتى لا يكون فيها مجال لكذب أو ادعاء فقال : « واعلم أنه قد رُوي هنا أيضاً أمور لا أصل لها فلا تقنع لشيء مما تراه في كتب السير والتواريخ إلا إن رأيته في كلام حافظ وقد بيّن سنده ونقله ثقة عنه » [(٢)] .

ثم أورد أحاديث رسول الله ﷺ التي تنبه الصحابة لما سيقع بينهم وخاصة ما سيقع بين عائشة وعلي والزبير وطلحة وغيرهم ، وما سيكون من قتالهم .

ثم أورد الروايات التاريخية الموثقة على منهج المحدثين عن أحداث موقعة الجمل ، وأن عائشة ومن معها إنما خرجوا للمطالبة بدم عثمان ، وأنّ علياً كان على الحق ، إلا أن عائشة والصحابة متأوّلون ، فهم محقون أيضاً [(٣)] .

- وأورد ابن حجر قصة التحكيم في يوم صفين بين أبي موسى الأشعري من

---

(١) نفس المصدر (ص٤٤-٤٨) .
(٢) نفس المصدر (ص٤٨) .
(٣) نفس المصدر (ص٤٨-٥٣) .

جهة علي ، وعمرو بن العاص من جهة معاوية ، واحتيال عمرو على أبي موسى حتى خلع عليا ، ثم برز عمرو وولى معاوية . ولهذه الخدعة لم يعترف علي وأصحابه بذلك الخَلْع [١] .

- كما ذكر ابن حجر تنازل الحسن بن علي لمعاوية على الخلافة حقناً لدماء المسلمين [٢] .

- ثم وضح ابن حجر خروج الخوارج على علي بعد قبوله صلح معاوية إثر وقعة صفّين ، وأنهم كانوا « بضعة عشر ألفا وسيأتي في رواية أنهم أكثر وأُخرى أنَّهم أقل » [٣] . فاستشار علي أصحابه في أن يسير لمعاوية أو يخرج لقتال هذه الطائفة المنشقّة فأشاروا عليه بالخروج لقتال الخوارج . فخرج إليهم علي وقاتلهم بالنهروان وانتصر عليهم ثم عاد إلى الكوفة . وكان مقتله وتولية الحسن الذي أرسل بالبيعة لمعاوية فبايعه الناس » [٤] .

- وأورد ابن حجر استخلاف معاوية لولده يزيد وإرسال يزيد جيش مسلم بن عقبة لقتال ابن الزبير الذي أعلن الخلافة بمكة ، فقدم مسلم المدينة واستباحها ثم مات في طريقه إلى مكة ، واستخلف على الجيش حصيناً الكندي الذي قاتل ابن الزبير في مكة إلى أن وصلّته الأخبار بموت يزيد [٥] .

- وذكر ابن حجر تولية مروان نفسه الخلافة وإرسال عبد الله بن الزبير بجيش لقتاله إلا أن مروان حمل عليهم وقتل أميرهم - ثم ما كان من وفاة مروان وتولى ولده عبد الملك الذي أرسل الحجاج بجيش لمكة لقتال ابن الزبير ، ووصف ابن حجر الموقعة بينهما وانتصار الحجاج ومقتل ابن الزبير [٦] .

(جـ) مناقشة ابن حجر للشيعة :

اعتمدت ردود ابن حجر على آراء الشيعة أساليب متعددة ، فمن أكثرها عدداً استشهاده بالأحاديث الصحيحة لتردّ أكاذيبهم ، وعرضُه للأحاديث الموضوعة والضعيفة التي يروّجونها ثم إسقاطها بالأدلة الحديثية القوية . وهو ما وضحناه في الفقرات السابقة .

---

(١) نفس المصدر (ص٥٣-٥٥) .
(٢) نفس المصدر (ص٥٥) .
(٣) نفس المصدر (ص٥٦) .
(٤) نفس المصدر (ص٥٦-٦٠) .
(٥) نفس المصدر (ص٦٠-٦١) .
(٦) نفس المصدر (ص٦١-٦٢) .

كما اعتمد الروايات التاريخية التي يعرضها ليصحّح ما في أقوالهم من ترهات ويردّ بها على أكاذيبهم مما تبين للقاريء في الفقرات السابقة أيضاً . ولكن ابن حجر يؤكد على أمرين في نهاية أغلب ردوده على الشيعة وأهل البدع .

أولهما : الأوصاف التي يصف بها أصحاب هذه الأقوال الكاذبة .

ثانيهما : تحذير المسلمين من أهل السنة من الوقوع في أخطاء الشيعة ودعوتهم للإعراض عنهم وعدم سماع أقوالهم والانصراف عن مجادلتهم .

أما الأول : الأوصاف التي كان يصف بها أهل البدع من الشيعة فإنها كثيرة نكتفي بذكر أمثلة منها :

- بعد أن يعرض الرد عليهم يقول : « فعُلِم افتراء الشيعة وعظيم بهتانهم وكذبهم في زعمهم » [١] .

- ويصف رده عليهم بأنه « يقطع أعناق الطاعنين على معاوية ويقصم ظهور المعاندين والغالين فيما نسبوه إليه » [٢] .

- أو يقول بعد الرد : « اندفع ما طعن كل طاعن عليه وبطل سائر النقائص المنسوبة إليه » [٣] .

- أو قوله : « زعم بعض الملحدة الكذبة الجهلة الأغبياء والأشقياء إخوان الضلالة والعناد والبهتان والفساد » [٤] . . .

- أو قوله عنهم : « وإنهم كالأنعام بل هم أضل ، إذ لا يروج أن هذا حديث إلا على أحمق عُدِم حسه وحقّق الله خذلانه وأظهر على رؤوس الخلائق كذبه وتعسه . . . فقبّحه الله وخذله ، وأخْمَله وأخبله ، إنه الجواد الكريم » [٥] .

- وقوله : « وأما تكفير طائفة من الرافضة لكل من قاتلهُ (علي بن أبي طالب) فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، فلا يتأهلون لخطاب ، ولا يوجَّه إليهم جواب ، لأنهم معاندون ، وعن الحق ناكثون ، بل أشبهوا كفار قريش في العناد

---

(١) نفس المصدر (ص٤٠) .
(٢) نفس المصدر (ص١٩) .
(٣) نفس المصدر (ص٢١) .
(٤) نفس المصدر (ص٢٩) .
(٥) نفس المصدر (ص٣٠) .

والبهتان ، حتى لم تنفعْ فيهم معجزة ولا قرآن ، وإنما النافع لهم القتل والجلاء عن الأوطان، كيف وهم لا يرجعون لدليل، وشفاء العليل منهم كالمستحيل»[(١)].

- ويصف المتعنت منهم بقوله : « فهو ضال جاهل أو معاند فلا يُلتفَت إليه ولا يعوّل عليه » [(٢)] .

- وأما أقواله في تحذير المسلمين من الوقوع في حبائل الشيعة ، فهي كثيرة في هذا الكتاب ، أهمها :

- قال في ذلك : « فتفطنْ لذلك إن أردتَ السلامة في دينك من الفتن ، والابتداع والعناد والمحن ، والله الهادي إلى سواء السبيل » [(٣)] .

- وقال : « وجب على كلّ من فيه أهلية أنْ يُقرّ هذا الحق في نصابه ، وأن يردّه إلى إهابِه ، وأن لا يُصغي إلى ترهات المضلين ونزغات المبطلين » [(٤)] .

- وقوله بعد إثبات الفضل لمعاوية ونسبه مع رسول الله ﷺ : « لعلك تنفكّ أو تكفّ غيرك عن الخوض في عرض أحد ممن اصطفاهم الله لمصاهرة رسوله وأدخلهم في حيطة قرْبِه وتكميله ، فإنّ الخوض في أحد من هؤلاء هو السمّ الناقع والسيف القاطع ، ومن تحسّى مثل هذا السمّ كانت نفسه رخيصة عليه ، وشهوته جارة لكل سوء إليه ، ومن هو كذلك لا يبالي الله به في أيّ واد هلَك، ولا في أيّ ضلال ارتبك ، أعاذنا الله من غضبه ونقمه ، بمنّه وكرمه، آمين»[(٥)].

- وقوله : « فتأمل ذلك ليزداد اعتقادك أو لتسلم من الغباوة والعناد والبهتان»[(٦)] .

- بعد أن استشهد ابن حجر بأقوال الإمام علي في معاوية وفضله قال : «وبعد أن أحاط خبرك هذا كله من علي لم يبْقَ لك عذرٌ بوجه في الاعتراض على أحد من الصحابة فيما وقع منه مع البقية ، فتنبَّه لذلك ونبه الناس عليه ، فإنه لا أنفع في المعترضين من كلام عليّ هذا » [(٧)] .

---

(١) نفس المصدر (ص٣٧) .

(٢) نفس المصدر (ص٣٨) .

(٣) نفس المصدر (ص٦) .

(٤) نفس المصدر (ص١٣) .

(٥) نفس المدر (ص١٤) .

(٦) نفس المصدر (ص١٦-١٧) .

(٧) نفس المصدر (ص٢٤) .

- وقال في حديث موضوع استشهد به الرافضة : « ووجوب الإعراض عنه وأنه لا يحلّ روايته إلا لتبيين أمْرِه وإظهار كذب ناقله » [(١)] .

- وقال : « فعليك باتباع ما قرَّرناه ، واعتقاد ما حرّرناه ، فإن فيه إدحاضاً للمبتدعين ، وإخماداً للمعاندين ، وتعليماً للجاهلين وإرشاداً للمتعلمين » [(٢)] .

- وقال عنهم : « بل الواجب على كل مسلم أن يعتقد أنّ علياً هو الإمام الحق وأن مقاتليه بغاة عليه وأنّ كلاً من الفئتين معذور مثابٌ مأجور » [(٣)] .

- وقال عن الأحاديث الموضوعة : « ورووا في ذلك أحاديث كلها كذب وبهتان اخترعوها من عند أنفسهم لترويج اعتقادهم الفاسد ، فلا يحلّ روايتها ولا الإصغاء إليها » [(٤)] .

والأمر الثاني : الذي اعتمده ابن حجر في مناقشته للشيعة تنبيهُه الناس إلى أن الشيعة والرافضة يُحْسنون الجدال ، لذا فهو يدعوهم إلى الإعراض عنهم وعدم مجادلتهم فقال : « تنبيه ، جاء في الحديث الصحيح أن قوة الجدل بالباطل والقدرة عليه من علامات الضَّلال ، وأصل ذلك قوله تعالى : ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴾ [(٥)] وحينئذ فاحذر أيّها الموفّق أن تسترسل مع مبتدع في جدل أو خصام ، فإنك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية والآيات القرآنية لم يُصْغِ إليك واستمر على بهتانه وعناده ، لأن قلبه أُشْرِب حبّ الزيغ عن سنن أهل السنَّة ، وخلفاء التوفيق والمنة ، اقتداء بكفار قريش الذين لم تنفع فيهم حجة ولا قرآن ، بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والشنآن . فكذا هؤلاء المبتدعة ، الكلام معهم عيّ فاعرض عنهم رأساً ، وابذل جهدك فيما ينفعك الله به في الدنيا والآخرة » [(٦)] .

* * *

(١) نفس المصدر (ص٣٢) .
(٢) نفس المصدر (ص٣٢) .
(٣) نفس المصدر (ص٣٨) .
(٤) نفس المصدر (ص٤٠) .
(٥) سورة الزخرف : الآية (٥٨) .
(٦) ابن حجر : تطهير الجنان واللسان (ص٦)

٦ – مبلغ الأرب فى فخر العرب

هو مخطوط لم يطب ، اطلعْتُ منه على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، مجاميع تاريخ برقم (٥/١٤٢) - تقع في (١٤ ورقة) (من الورقة ١٢١ - ١٤٥) لم يُذكَر ناسخها ولا تاريخ نسخها - إلا أنها جميلة الخط مع كثرة أخطائها .

نَسَبه له السيفي في نفائس الدرر ورقة (٣ أ) ؛ والبغدادي في هدية العارفين (١/ ١٤٦) ؛ وإيضاح المكنون (٢/ ٤٢٥) ؛ والزركلي : الأعلام (١/ ٢٣٤) ؛ وجرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٣٥) ؛ وكحالة : معجم المؤلفين (٢/ ١٥٢) .

محتوى الكتاب :

ذكر المؤلف في مقدمته أنه رتَّبه « على مقدمة وفصول وخاتمة » دون أن يذكر عدد الفصول – وباطّلاعنا عليه وجدنا أنّ فصوله (٥٣ فصلاً) ، وهي كما يلي :

ورقة (١٣١ أ) – المقدمة .

(١٣١) – فصل : في أبي العرب .

(١٣١ ب) – فصل : في حُب العرب من محبّة النبي ﷺ .

– فصل : ينبغي محبّة العرب لثلاث .

– فصل : يُقال العرب نور في الإسلام .

– فصل : ذل العرب ذل الإسلام .

– فصل : بغض العرب مفارقة الدين .

(١٣١ ب) – فصل : حبّ العرب إيمان .

– فصل : وَصَّى ﷺ بالعرب .

(١٣٢ أ) – فصل : مَن غشّ العرب لن تناله شفاعة .

منهج ابن حجر في كتابه :

لم يضع ابن حجر منهجاً لكتابه هذا ، لأنه لم يكن إلا مختصراً لكتاب آخر في الموضوع ، وهو كتاب (محجّة القُرَب إلى محبّة العرب) [1] تأليف الزين عبد الرحيم ابن حسين العراقي (المتوفي سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م) [2] ، وقد ذكر ابن حجر في مقدمة كتابه : أنه أراد أن يضع رسالة مختصرة في فضل العرب وقال : « ولما عزمتُ على هذا المقصود النافع إن شاء الله تعالى رأيتُ لشيخ الإسلام والحفاظ أبي الحسين عبد الرحيم العراقي تأليفاً في ذلك حافلاً لكنه طوّله بالأسانيد الكثيرة والطرق المستفيضة الشهيرة ، فقصدْتُ اختصاره في دُون عُشره ، بحيث لا أفوّت شيئاً من مقاصده وفوائده » [3] .

فهو اختصره إلى دون عُشره بحذف أسانيده . وقد جمع فيه العدد الكبير من الأحاديث الصحيحة والآثار التي تَذْكُر فضل العرب بمختلف قبائلهم مع ربط أنسابهم واجتماعهم مع النسب النبوي الشريف ، وعرض القبائل مرتبة على حروف المعجم .

الغرض من تأليف الكتاب :

ذكر ابن حجر في مقدمة كتابه الأسباب التي دعته إلى تأليف كتابه قائلاً : «وبعد ، فإن كثيرين من الفِرَق الأعجمية ، والطوائف العنادية ، جُبلوا على بُغض العرب . وقد كثُر من جمع جمّ لا خَلاق لهم الوقيعة فيهم والاستهتار بحقوقهم ، فقصدتُ أن أتحفهم برسالة مختصرة جدا لتكون - إن شاء الله تعالى - كافّةً

---

(١) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٤٤٢) - طبع الكتاب بالهند سنة (١٣٠٣هـ)، انظر سركيس : معجم المطبوعات العربية (ص١٣١٨) .
وقد ذكره الشلي في المشرع الروي (١/ ٢٣٢) بعنوان « القرب في محبة العرب » .

(٢) هو من مشاهير المحدثين والحفاظ - انظر : مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لكحالة (٥/ ٢٠٤) .

(٣) ابن حجر : مبلغ الأرب (ورقة ا ب - ٢ أ) - نلاحظ بأن الزين العراقي اختصر كتابه المذكور في كتيب عنوانه « أنفع القرب في بيان فضل العرب » ذكره البغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٤٤٢) وهدية العارفين (١/ ٥٦٢) - ويبدو أن ابن حجر لم يعلم بوجود هذا الاختصار الذي وضعه العراقي فألف كتابه (مبلغ الأرب) .

لمن اطلع عليها أن يخوض فيهم بأدنى كلمة وإلا حَقَّتْ عليه الكلمة ، فإن الجاهل قد يُعذَر . بخلاف غيره ، فإنه ربما عاجلَه ما يُخاف ويُحذر » (١) .

إن ما في كلام ابن حجر هذا دليل على تفاقُم أَمْر العصبية ضد العرب ، وكثرة من يعاديهم من الأُمم المعايشة لهم في ذلك العصر . ولا شك أن ابن حجر لاحظ هذه الظاهرة في مجتمعه ، فأراد أن يضع رسالته هذه ليُنبّه الناس إلى خطأ مواقفهم وخَطَره على الوحدة الإسلامية ، ويدعوهم إلى ترك عوامل التشتت والعداوة بين المسلمين .

وبما أن الخطأ يتمثل في احتقار العرب والتعصّب ضدّهم ، فقد لجأ ابن حجر إلى اختصار كتاب الحافظ العراقي ، الذي جمع فيه الأحاديث العديدة المنبّهة إلى فضل العرب ومفَاخرهم . ولا يخفى علينا أنّ ابن حجر عاصر مرحلة انتشار السلطة العثمانية على أغلب الدول العربية في المشرق العربي .

فقد خضعتْ مصر والحجاز لسلطة العثمانيين سنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) عندما كان شاباً يافعاً ، وورد على مكة المكرمة سنة (٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م) وقد قويتْ شوكة العثمانيين بها ، وظهرت في سياسة العثمانيين كثير من مظاهر الشدّة في سياستهم نحو العرب، مما جعل بعض موظفي الدولة العلية وبعض أتباعها يسيئون التصرّف مع المواطنين من العرب، مما أثار بعض الخلافات والمشاكل الاجتماعية.

ففي مكة أثارت هذه الظاهرة من سياسة العثمانيين العديد من الاضطرابات الاجتماعية والخلافات الخطيرة بين الأشراف حُكّام مكة العرب من جهة والعثمانيين من أمراء جدة وقواد الجيش وغيرهم من الأتراك . فقد أظهرت هذه الخلافات منذ بداية قيام السلطة العثمانية على الحجاز مظاهر من ظلم العرب وإساءة معاملتهم .

ففي سنة (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) منع السلطان سليم أبناء العرب من دخول الروم، ومن دخلها مُنِع من الخروج منها (٢) .

وفضّل الموظفون العثمانيون أبناء الروم والأعاجم على أبناء العرب في تفرقة الصدقات (٣) .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١ ب) .

(٢) جار الله بن فهد : نيل المنى (ورقة ٣٧ ب) . (٣) نفس المصدر (ورقة ٤٠ ب).

كما أساء جنود الأتراك معاملة أهل مكة واستولوا على بيوتهم [1] .

وكثيراً ما كانت تقوم الفتن بين أهل مكة وساستها ، وبين كبار موظفى العثمانيين وجيوشهم ، فيموت في معاركهم الناس من الجانبين [2] .

ولا شك أن هذه السياسة العثمانية في الحجاز أثرت أثرًا سيئاً فى المجتمع فظهرت عوامل التفرقة والتشتّت بين أفراده ، وهو ما دفع بابن حجر أن يبادر إلى وضع اختصاره هذا .

* * *

(١) الطبري : إتحاف فضلاء الزمن (ص٣٤) .

(٢) من أمثلة ذلك حادثة رواها ابن إياس في بدائع الزهور (٥/ ٣٢٢) ، وحوادث كثيرة ذكرت في تواريخ مكة .

٧ - المناهل العذبة فى إصلاح ما وَهَى من الكعبة

لم يزل هذا الكتاب مخطوطاً ولم يُطبع ، اطلعت منه على نسختين :

أولاهما : بدار الكتب المصرية برقم (١٨٩٢) تاريخ طلعت في (٢٧ ورقة) نسخ سنة (١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) .

والثانية : في مكتبة مكة المكرمة برقم (٦٥) فتاوى تقع في (١٧ ورقة) نسخت سنة (١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م) . وهي النسخة التى اعتمدتها فى دراسة الكتاب .

نسبه له ثلاثة من معاصريه ، وهم : قطب الدين النهروالي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) الذي حضر معه الحوادث المسببة لتأليف هذا الكتاب . فقد ذكره النهروالي في تذكرته لوحة (١٦ - ١٨) - وأعاد ذكره مرة أخرى في تأليفه الذي عنوانه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام (ص٥٩ - ٦١) . وذكره المؤرخ عبد القادر الجزيري (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) فى كتابه الدرر الفرائد (ص٢٢) ، كما ذكره ونسبه له السيفي في نفائس الدرر ورقة (٥ أ) ؛ أما من غير معاصريه فقد ذكره ونسبه له محمد بن أبي بكر الشلي (ت١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) في كتابه السنا الباهر ورقة (٢٣٨ أ - ب) .

كما ذكر كتاب (المناهل العذبة) في فتاوى بعض المفتين المكيين من رجال القرن الحادي عشر متعلقة بأحكام بناء بيت الله الشريف ، منها فتوى حفيد ابن حجر وهو عبد العزيز بن محمد الزمزمي (ت١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م) (١) ، وفتوى خالد بن أحمد الجعفري المكي (ت١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) (٢) ، وفتوى عبد الله بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي الحنبلي من رجال القرن الحادي عشر - وهذه الفتاوى ضمن كتاب بعنوان « صورت فتواي بناي بيت الله العظيم » نسخته محفوظة بالمكتبة الوطنية النمساوية بفينا برقم (٢٤٦٧٦) .

---

(١) مرداد : المختصر من نشر النور والزهر (ص٢٥٩) .

(٢) المحبي : خلاصة الأثر (٢/ ١٢٩) .

كما نَسَبَ هذا الكتاب لابن حجر مؤرخ مكة على السنجاري (ت١١٢٥هـ/١٧١٣م) في كتابه منائح الكرم (٢/ ٤٥٩) ، ومحمد بن علي الطبري (ت١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) في كتابه إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن (ص٦٩ - ٧١) ، والبغدادي في إيضاح المكنون (٢/ ٥٦٥) ، وهدية العارفين (١/ ١٤٦) .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب وضعه ابن حجر ليكون فتوى تبيّن الحكم الفقهي لإعادة بناء سقف الكعبة وجدرانها ، وليكون قولاً يحسم الخلاف بين الفقهاء في عصره في هذه المسألة ، إلا أنه اشتمل على العديد من الأخبار التاريخية المتعلقة ببناء الكعبة ، لذلك وجدنا صداه والنقول عنه في العديد من الكتب التاريخية التي وضعت في تاريخ مكة .

أسباب تأليف الكتاب وتاريخه :

ذكر ابن حجر أسباب تأليف الكتاب في مقدمته قائلاً : « وبعد : فإنه ورد فى أوائل سنة تسع وخمسين وتسعمائة (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) أوامر مولانا سلطان الإسلام والمسلمين ومُبيد الكفرة والمبتدعة والملحدين ، ظل الله في أرضه ، القائم بأوْفَى غايات العدل في سُنَنه وفرضه ، الملك العادل الأفخم ، والخاقان الكامل المعظم ، السلطان ابن السلطان الحادي عشر من ملوك بنى عثمان الملك المظفر شاه سليمان ، أدام الله على أهل الإسلام عدله ومسرّته ، وعلى أهل الشرك والبدعة سطوته ونقمته ، وأباد بسيوف قهْرِه وعدله غياهب المحن ، ومواقع الفتن ، وأدام ملكه الأعظم الأعدل الأفخم في ذريته الطاهرة ، وبلغه أعظم مأمُوله في الدنيا والآخرة آمين . بتعمير ما تشعَّث في الكعبة المعظمة لعرض قاضى مكة بسؤال سدنتها على نائب مولانا السلطان بمصر المحروسة الوزير على باشا ، فإن سقفها صار ينزل منه الماء الكثير من المطر ، وأن ذلك ربما آذى وأضرّ ، فعرض على باشا ذلك على أبواب مولانا السلطان الزكية وسُدَّتُه العلية فتحرّى - عزّ نصره ، وزاد عزه وبرّه - جرياً على ما انفرد به هو وجميع آبائه الأكرمين من بين سائر الملوك والسلاطين أن لا يبرموا أمرًا إلا بعد مشاورة العلماء لا سيما إمامهم ومفتيهم المقدم على جميع القضاة والمفتين، واستفتى مولانا إنسان عين الزمان ، وخليفة النعمان ، ومحقق الأعصار المتأخرة ، ومدقق المباحث العويصة المقرَّرة ، إمام الإفتاء بالباب العالى، المحفوظ بصلاح نية مولانا من صروف الأيام والليالي ،

عما أنهاه إليه سدنة الكعبة ، فأفتاه بما هو الحق الواضح من إصلاحها على ما يليق بحُرْمَتها ، فكُتبتْ المراسم الخنكارية لعلي باشا أن يعين لذلك من مماليك مولانا السلطان من يراه ، فعين علي باشا لذلك الأمير أحمد بيك رئيس كُتّاب خزانة مصر المحروسة ، كان ذلك بعد أن عين له من الأموال ما يليق بذلك ، فقدم بها مع الآلات إلى مكة ، ثم أراد الشروع في ذلك نازعه فاتحُها ، فأحبّ الناظر ألا يستبد بأمرٍ حتى يجمع جمعاً من علماء مكة لينظر هل يطابقون ما أفْتى به مفتي السلطان أو يخالفونَهُ ؟ فأرسل هو وقاضي القضاة بمكة الرومي الحنفي إلى أولئك بعد صلاة الجمعة سادس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) وعُقد مجلسٌ حافلٍ وكان من جملة ما فيه أن قال فاتح الكعبة: هي لا تحتاج إلى ما يريدون فعْله فيها . فأحضر مهندس السلطان ومعه آخر وشهدا أنّ فيها خشبتين مكسورتين من سقفها وخشبة ثالثة لم تنكسر ، لكنها نزلت عن محلها تسعة قراريط فحينئذ استُفْتِيَ الحاضرون عن ذلك وكنت معهم ، فأفتيتُ بأن ما صلاحُه ضروري يُصَلح وبأنه ينبغي أن يُضم إلى هذين الشاهدين بعض أهل الخبرة حتى يطيب خاطر فاتحِ الكعبة ، فوافق الناظِر والقاضي والحاضرون على ذلك وكذا فاتح الكعبة ، وزاد أنه ينبغى كشف ما على الخشب المدَّعَى انكساره ، فإن تحقّق أُصلِح وإلا رُدّ كل شيء إلى محلّه فوافقوه أيضاً ، ثم كُتِب في المجلس ورقة بذلك جميعه وقرئ على الحاضرين ، وكان منهم جماعة من المالكية والحنفية ثم تفرّقوا على ذلك .

ثم أراد الناظر الشروع في ذلك فتوقّف بعض سَدَنَتها في ذلك وعُقد مجلس آخَرُ أكثر جمعا من الأول ، فدار الكلام بينهم في تلك المسألة فكثُر اختلافهم ، ولم أكن حاضراً فيه ، فقيل : إن منهم من قال كما قلناه لا يُصلَح إلا ضروريّ الإصلاح ، ومنهم من قال : هذا كلام غير صحيح بل لا يُتَعرَّض لها بشيء أصلاً حتى يقع منها شيء فَيُردَّ إلى محلّه ، ومنهم من قال لا يصلح وإنْ وقع سقفها ، لأنَّها كانت في الجاهلية غير مُسَقّفة ، ومنهم مَن قال : كيف يُقَال بإصلاحها وبقاؤها على مر الأعصار خرقاً للعادة من الآيات الباهرة .

ثم تفرقوا من ذلك المجلس ولم يتخلصوا منه على شيء يُعلم اتفاقهم عليه . فعند ذلك أظهر الناظر إفتاء المفتي السابق ذكره ، ولم يكن أظهره قبل ذلك وكتبه

في سؤال ، ثم كتب بعده ما وقع في المجلس ، ثم رفعه إلى أولئك الحاضرين مستفتياً لهم هل يوافقون ما قاله المفتي مِن إصلاح الضروري والحاجي فيعمل بما أفتى به أو يخالفونه فيبيّنون سنَد المخالفة من النقل ليعرض عليه كلامهم وينظر الصواب مع أيّ الفريقين ؟ فالأكثر كتب بنحو كتابة المفتي ، وبعضهم امتنع من الكتابة ، وأرسلوا إليّ لأكتب فقلتُ لهم : لم أحْضر هذا المجلس وقد حضرتُ المجلس الأول وضبطتم ما قلتُه فيه مما ظهر موافقته لما أفتى به المفتي .

وحينئذ كثر كلام العامة ونقل البيان أن الموافقين للمفتي إنما وافقوه خشية الفتنة وأن الذي عليه أكثرهم إنما هو عدم إصلاحها مطلقاً حتى يسقط ما يراد إصلاحه . فلذلك عزمتُ بعد الاستخارة عل بيان ما للعلماء في هذه المسألة مما يدل على الجواز أو المنع مع حمْل كلٍّ من تلك العبارات على ما يتعيّن حمله عليه ، ويتبادر كل ذهن سليم إليه .

فشرعتُ في ذلك أول شهر ربيع الثاني سنة (تسع وخمسين وتسعمائة) (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) وقد شرعوا في الإصلاح على ما وقع في الإفتاء السابق ، مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ومفوّضاً سائر أموري إليه لا ربّ غيره ، ولا مأمول إلا برّه وخيره ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسمّيتُ هذا التأليف بالمناهل العذبة في إصلاح مَا وَهَى من الكعبة » (١) .

وقد أورد معاصره قطب الدين النهروالي في تذكرته أخباراً إضافية مكملة تبيّن بعض التفاصيل عن هذه الحادثة ومواقف الناس والعلماء وأرباب السلطة منها(٢) .

محتوى الكتاب :

وقال ابن حجر عن محتوى مؤلَّفه هذا : « ورتّبتُه على مقدمة وأربع مقاصد وخاتمة . أما المقدمة ففى تحرير ما أفتيتُ به . وأما المقاصد فأولها في بيان كلام أئمتنا فى ذلك ، وثانيها فى كلام الحنفية ، وثالثها فى كلام المالكية ، ورابعها فى كلام الحنابلة . وأما الخاتمة ففي تتمات وفوائد تتعلق بذلك » (٣) .

---

(١) ابن حجر : المناهل العذبة (ورق ١ ب - ٢ أ - ب) نسخة مكة المكرمة .

(٢) النهروالي : التذكرة لوحة (١٦-١٨) والإعلام (ص٥٩-٦١) .

(٣) ابن حجر : المناهل العذبة (ورقة ٢ ب) .

وتفصيل ما في المقدمة والمقاصد والخاتمة كما يلي :

(ورقة ٢ ب - ٣ ب) المقدمة : تضمنت إفتاء الفاسي بإصلاح الكعبة ، وإن وجه التعظيم يكون فى إصلاحها ، وذلك لأنّ تركها متهدّمة يُزيل هيبَتَها من قلوب الناس .

كما تعرَّض ابن حجر لفتوى الإمام محبّ الدين الطبري في الموضوع ، ونقل عنه ما رآه بخطه فى ذلك معتمداً عليها فى فتواه .

(ورقة ٣ ب - ٩ أ) **المقصد الأول** : وفيه خمسة مباحث :

الأول : جواز الإهداء والنذر إلى الكعبة . وما يُهدى ويُنْذَر إليها يُصرف عليها منه لإصلاحها وهذا يدلّ على جواز الإصلاح فيها .

الثاني : آراء وأقوال العلماء فى هدم الشاذروان وإعادته إلى ذراع ، ومنه الأزرقي والطبري .

الثالث : الاستدلال بجواز الإصلاح في الكعبة بسكوت العلماء في العصور السابقة على ذلك . من ذلك موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز والإمام سعيد بن المسيب من إصلاحات الوليد بن عبد الملك .

الرابع : جواز إصلاح الكعبة اعتماداً على خبر هَدْمها وإعادة بنائها على يد ابن الزبير .

الخامس : عرض آراء وأقوال العلماء وأئمة المذاهب في جواز أو تحريم هدم الكعبة وإعادة بنائها .

(ورقة ٩ أ) - **المقصد الثاني** : أقوال علماء الحنفية في الموضوع ومنهم معاصره مفتي الحنفية الذي حكم بالجواز .

(ورقة ٩ أ - ٩ ب) - **المقصد الثالث** : آراء المالكية ومنهم الفقيه ابن بَطَّال في شرحه على البخاري وقوله بجواز إنفاق المال على إصلاح الكعبة ، مع ذكر مواقف التقي الفاسي المكي المالكي من إصلاحات الكعبة وحضوره لذلك وإقراره له .

(ورقة ٩ ب) - **المقصد الرابع** : بيان مذهب الحنابلة في ذلك وجواز تغيير وإصلاح الكعبة عندهم .

(ورقة ٩ ب - ١٧ أ) - **الخاتمة** : اشتملتْ الخاتمة على ثلاثة أمور وخمس تنبيهات جاءت كما يلي :

الأمر الأول : عرض فيه سكوت العلماء على إصلاحات الكعبة المشرفة التي وقعتْ في العصور المختلفة وهي :

- بناء ابن الزبير والحجاج .
- بناء الوليد بن عبد الملك .
- بناء المتوكل العباسي سنة (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) .
- عمارة سقفها ودرجتها سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) .
- إصلاح رخامها سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) في عهد المستنصر العباسي .
- تجديد رُخامها سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) زمن المظفر الرسولي صاحب اليمن .
- إصلاحها سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) بحضور الإمام الفاسي .
- إصلاحها سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م) في عهد السلطان برسباي بحضور الفاسي أيضاً .
- مع عرض إصلاحات أخرى نقلها عن ابن حجر العسقلاني .

الأمر الثاني : قدم فيه عرضا تاريخياً بيَّنَ فيه أنّ المال الذي يكون للكعبة يتعيّن صرفُه على عمارتها ، مستشهداً بأخبار تاريخية توضّح الموضوع في أزمان :

- إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .
- عمارة قريش .
- في عهد الرسول ﷺ والصحابة إلى سنة (١٨٨هـ/ ٨٠٣م) .

الأمر الثالث : عرض للمرّات التي بُنِيتْ فيها الكعبة :

- بناء الملائكة .
- بناء آدم .
- بناء إبراهيم .
- بناء العمالقة .

- بناء جرهم .
- بناء قصيّ بن كلاب .
- بناء عبد المطلب .
- بناء قريش .
- بناء ابن الزبير .
- بناء الحجاج .

أما التنبيهات الخمسة فهي :

التنبيه الأول : في ذكر مقام إبراهيم عليه السلام .

التنبيه الثاني : في بيان المراد بالبيت المعمور .

التنبيه الثالث : بقاء البيت من آيات الله البينات .

التنبيه الرابع : هدم البيت من علامات الساعة .

وذكر حادثة القرامطة سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وقتْلهم الحُجاج بالبيت الحرام وسرقة الحجر الأسود الذي بقى لديهم (٢٢ سنة) ووصف القرامطة بالكفر والإلحاد .

التنبيه الخامس : في أن المسجد الحرام أول مسجد وضع في الأرض .

مصادر ابن حجر في كتابه :

أما المصادر التي اعتمدها ابن حجر في تأليف كتابه ، فإنها تنوعت بحسب اختلاف موضوعاتها .

فمن الكتب التاريخية نقل عن تاريخ الأزرقي (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م) .

وسيرة عبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م) التي عنوانها الروض الأُنُف[1] .

---

(١) مطبوع - انظر الزركلي : الأعلام (٣/ ١٤٤) .

وكتابين للمحبّ الطبري (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) وهما القرى لقاصد أم القرى[١] واستقصاء البيان في مسألة الشاذروان [٢] .

وكتاب تنزيل السكينة على قناديل المدينة [٣] لتقي الدين علي بن عبد الله الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) [٤] وكتاب شفاء الغرام للتقي الفاسي (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) . ومؤلفات السيد علي بن عبد الله السمهودي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) في تاريخ المدينة المنورة [٥] .

أما مصادره في الفقه ، فقد تنوعتْ أيضاً بحسب المذاهب ، حيث اعتمد على كُتب الشافعية المشهورة مثل مؤلفات المزني (ت٢٦٤هـ/ ٨٧٧م) [٦] ، والنووي (ت ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) [٧] والرافعي (ت٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) [٨] والزركشي (ت٧٩٤هـ/ ١٣٥١م) [٩] من كتابه الخادم .

وكُتب المالكية : كالقاضي الباقلاني (ت٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) [١٠] وابن بطال (ت٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م) [١١] وكُتب الحنابلة : كابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) ولعله من كتاب الإلمام في فضائل بيت الله الحرام [١٢] . ومحمد بن مفلح (ت٧٦٣هـ/ ١٣٥٢م) في كتابه الفروع [١٣] .

---

(١) مطبوع - انظر ابن العماد : شذرات الذهب (٥/ ٤٢٥) .

(٢) منه نسخة بمكتبة برلين رقم (٥٥٣٦) ، د/ محمد الحبيب الهيلة ، التاريخ والمؤرخون (ص٥٥) .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون (ص٤٩٤) .

(٤) الزركلي : الأعلام (٤/ ٣٠٢) ؛ البغدادي : إيضاح المكنون (١/ ٧٢١) .

(٥) كحالة : معجم المؤلفين (٧/ ١٢٩- ١٣٠) .

(٦) هو إسماعيل بن يحيى . انظر ترجمته : كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٢٩٩- ٣٠٠) .

(٧) هو محيى الدين يحيى بن شرف . انظر كحالة: معجم المؤلفين (١٣/ ٢٠٢- ٢٠٣).

(٨) هو عبد الكريم - انظر كحالة : معجم المؤلفين (٦/ ٣) .

(٩) هو محمد بن بهادر - انظر كحالة : معجم المؤلفين (٩/ ١٢١) .

(١٠) هو محمد بن الطيب الباقلاني البغدادي - انظر كحالة: معجم المؤلفين (١٠/ ١٠٩).

(١١) هو علي بن خلف البكري القرطبي - انظر كحالة : معجم المؤلفين (٧/ ٨٧) .

(١٢) هو عبد الرحمن بن أحمد : انظر البغدادي : هدية العارفين : (١/ ٥٢٨)؛ كحالة : معجم المؤلفين (٥/ ١١٨) .

(١٣) حاجي خليفة: كشف الظنون (ص١٢٥٦)؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٢/ ٤٤- ٤٥).

بالإضافة إلى كتب الحديث ، مثل كتاب ابن هبيرة (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) ، ولعله كتاب الإفصاح عن معاني الصّحاح [١] ، وابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ، ولعله من كتاب فتح الباري [٢] ، والحليمي (الحسين ابن الحسن الشافعي ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) ولعله من كتاب آيات الساعة وأحوال القيامة [٣].

كما اعتمد تفسير الزمخشري (محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) الذي عنوانه الكشّاف [٤] . وبعض كتب اللغة كالقاموس المحيط للفيروزابادي (محمد ابن يعقوب ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) [٥] .

وينقل ابن حجر عن مصادره هذه النصوص التي قد تكون طويلة ، وقد تكون مختصرة - وإذا كان يذكر أحياناً اسم المؤلف وعنوان كتابه الذي اعتمده ، فإنه أحياناً أخرى يورد اسم المؤلف دون ذكر عنوان كتابه . كما يكتفي أحياناً بذكر عنوان الكتاب لشهرته دون ذكر مؤلفه .

ونظراً لأهمية هذا الكتاب الذي يوضح اختيار ابن حجر للكتابة التاريخية لغرض إصلاح مشاكل اجتماعية ، وارتباط هذه الكتابة التاريخية بالعلوم الإسلامية والعقدية ، فقد وقع عليه اختياري فحققتُه عسى أن يعم به النفع إن شاء الله .

* * *

---

(١) هو يحيى بن محمد . انظر كحالة : معجم المؤلفين (١٣/ ٢٢٨-٢٢٩) .
(٢) كحالة : معجم المؤلفين (٢/ ٢٠-٢٢) . (٣) كحالة : المرجع السابق (٤/ ٣) .
(٤) انظر : المرجع السابق (١٢/ ١٨٦) . (٥) كحالة: المرجع السابق (١٢/ ١١٨).

منهج ابن حجر في كتابة التاريخ الإسلامى

شارك ابن حجر بسبع مؤلفات تناولت التاريخ الإسلامي العام وهى :

١ - كتاب في بيان حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب (مفقود) .

٢ - كتاب الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزّنْدقة.

٣ - ذيل الصواعق المحرقة .

٤ - كتاب إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذٍ من أخبار تاريخ الخلفا .

٥ - كتاب تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية ابن أبي سفيان .

٦ - كتاب مبلغ الأرب في فخر العرب .

٧ - كتاب المناهل العذبة في إصلاح مَا وَهَى من الكعبة .

وقد كانت غايته من تأليف هذه المؤلفات السبعة تعود إلى ثلاثة أهداف :

الهدف الأول : الرد على الشيعة الذين يَغُضون من حقية أبي بكر الصديق في الخلافة ومكانة الخلفاء الراشدين ، ويسبّون غالبهم . فيبين خطأهم في ذلك وفي ما يشيعونه حول معاوية بن أبي سفيان . ويرد على إنكارهم خلافة الأمويين والعباسيين ، كما يوضح أن من تسموا خلفاء من الفاطميين وغيرهم هم من أدعياء الخلافة وليس لهم الحق فيها . مع أنه يعلن من خلال أغلب هذه الكتب فضائل آل البيت .

الهدف الثاني : بيان فضائل العرب وشرف أنسابهم لالتقائهم بالنسب النبوي الشريف ، وقد قصد ابن حجر من كتابته في هذا الموضوع أن يبين للمسلمين المنتسبين للأجناس الأخرى كالأتراك والفرس أن معاداتهم للعرب واحتقارهم لهم لا يجوز شرعاً نظراً لما يسببه من تشتيت الوحدة الإسلامية ومناقضة لما أكده الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) ، وهو موضوع يناسب ذلك العصر

---

(١) سورة الحجرات : الآية (١٠) .

الذي ظهرت فيه قوة الجنس الفارسي في المنطقة الإيرانية ، وسيطرة الجنس التركي الذي تولى أمر أغلب البلاد الإسلامية .

الهدف الثالث : تسجيل حوادث تاريخ الكعبة من مرات بنائها وإصلاحها وترميماتها من أقدم عصور التاريخ ، ليبيّن لمن عارض ترميمها وإصلاحها خطأهم وفساد تدبيرهم .

ولكل واحد من هذه الكتب السبعة دوافعه المباشرة الخاصة به وغاياته الدقيقة ومنهجه .

فإن الدافع لتأليف كتاب الصواعق المحرقة وذيله هو ظهور فتن الروافض «لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن (فى عصره) بمكة المشرفة » [1] .

أما الغاية فهي : هداية بعض من زلت به قدمه فى اتباع الروافض ، والرد على الرافضة فى كذبهم على الصحابة ، ودحض دعاويهم فى ذلك ، مع بيان تحريم سب الصحابة ووجوب محبتهم وتبرئتهم . وبيان حقية الخلفاء الأربعة وفضائلهم مع فضائل آل البيت .

أما المنهج :

فقد كان متناسباً مع ادعاءات المغرضين ، وبما أن الشيعة الروافض اعتمدوا التشكيك فى صدق كبار الصحابة وحسن سلوكهم وفضائلهم ، فإن الرد عليهم يكون بالاعتماد على كتب السيرة والحديث الصحيحة وكتب الآثار والتاريخ . فهو يخرج الأحاديث المعتمدة فى الموضوع المستشهد بها ويبين صحتها فى اعتماد نقد النص ونقد السند - وذلك عن طريق الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث، والاستدلال بالكتب التاريخية .

كما اعتمد طريقة المحاورة مع الرافضة ، بأن يورد أقوالهم ثم يعترض عليها بالأدلة النقلية الشرعية والعقلية المنطقية التي لا يردها نزيه عاقل . وفى أغلب الأحيان عندما ينهى الرد عليهم فى قضية من القضايا ويبين كذبهم يَصفُهم بالأوصاف التي يستحقونها مثل وصفهم بالكذب والافتراء والجهل والشر والحمق مع الحاق ذلك بالدعاء عليهم، وأنهم أخطر على الإسلام من اليهود والنصارى.

والدافع لابن حجر فى تأليف كتابه إتحاف إخوان الصفا بنبذ من أخبار تاريخ الخلفا الذي اختصر فيه كتاباً للسيوطي وهو كتاب تاريخ الخلفاء الذي تناول خلفاء

---

(١) ابن حجر : مقدمة الصواعق المحرقة (ص٣) .

الدول الإسلامية من عهد الراشدين إلى عهد السيوطي ، هو اهتمام كل من المؤلف (السيوطي) وواضع الاختصار (ابن حجر) بوضع تاريخ للخلفاء الشرعيين من الراشدين والأمويين والعباسين، وأن يهملا فيه ذكر من ادعى الخلافة دون حق شرعي كالعبيديين الفاطميين، وركز على ذلك ابن حجر ليرد على الشيعة بإبطال دعوتهم بأن لهم خلفاء لرسول الله ﷺ وذلك بإثبات أن إمامتهم باطلة .

كما أهملا ذكر الأمويين في الأندلس والموحدين فى المغرب لوجود دولة الخلافة .

أما منهجه فى الاختصار :

فقد أورد ابن حجر نفس محتوى الكتاب الأساسي مع اعتماده الاختصار فنراه يختصر فى عنونة الفصول فيجمع عدة عناوين تحت عنوان واحد .

- ويسير على نفس ترتيب الفصول وتقسيماتها مع اختصار معلوماتها .

- وطريقة الاختصار قد تكون بإيراد الرواية بنصها وحذف ما لا يخل بالمعنى منها ، أو بتغيير اللفظ مع المحافظة على المعنى - أو قد يعتمد الحذف إذا تعددت الروايات للحادثة الواحدة فيكتفى ببعضها أو أهمها .

- كما أن من أساسيات الاختصار حذف أسانيد الأحاديث والروايات وهذا ما اعتمده ابن حجر فى اختصاره .

- كما حذف النصوص الشعرية ووفيات الأعلام فى عهد كل خليفة .

- وقد يضيف فى بعض الأحيان ابن حجر على الأصل ، وذلك ببعض الأحاديث التي يرى أهميتها أو ببعض العنونة من وجهة نظره للفقرات ، أو بعض التنبيهات والتعليقات التي يراها تخدم فكرته .

- وقد يعمد أحياناً أخرى إلى التقديم والتأخير فى فقرات المعلومة الواحدة إذا رأى أن ذلك أفضل لعرضها .

أما الدافع لابن حجر فى تأليف كتابه تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان ، فقد وضعه لغرض إصلاح الأوضاع الخاطئة فى المجتمعات الإسلامية عامة ، فنجده هنا فى كتابه التاريخي هذا يؤلفه استجابة لطلب السلطان همايون أكبر سلاطين الهند منه فى أن يكتب فى فضل معاوية بن أبى سفيان لما تفشى فى بلاده من ظهور جماعات ينتقصون معاوية وينسبون إليه

العظائم ويسبونه ، فما كان من ابن حجر إلا أن سارع فى الرد عليهم وإظهار الحق لهذا الصحابي الفاضل كاتب الوحي صهر الرسول ﷺ الذي بشره بأنه سيملك أمته . فجاء هذا التأليف المتكامل التاريخي عن إسلام معاوية وفضله ومناقبه وعلومه ، والأحداث التاريخية فى عصره وأهمها معركتي الجمل وصفين ، معتمداً فيها على المؤلفات التاريخية الكبيرة وكتب السيرة ، مستشهداً بالأحاديث النبوية التي تثبت الفضل للصحابة عامة ولمعاوية خاصة ، مناقشاً فيه الشيعة والخوارج وأقوالهم الكاذبة فى الحط من معاوية واعتمادهم الأحاديث الموضوعة ، وتتسم مناقشته لهم ببيان كذبهم وافترائهم ووصفهم بالأوصاف التي يستحقونها من الكذب والإلحاد والضلال والكفر والجهل والغباء وغيرها ، وتحذير المسلمين من أهل السنة من الوقوع فى أخطائهم ووجوب الإعراض عنهم والانصراف عن مجادلتهم .

ويركز ابن حجر على أنه رغم ترجيحه مبدأ عدم الخوض فى سير الصحابة وأحوالهم ، إلا أنه فى بعض الأحوال يكون من الواجب على العالم أن يكتب فى تاريخهم وفضلهم ليرد على من يسيء إليهم ، وأنه على العالم أن ينتقي من أحوالهم وأخبارهم دقة الروايات وصحتها ، فلا يورد فى تاريخهم جميع الروايات التي قد تسيء لهم لعدم صدق سندها . ومن هنا نرى بوضوح أن ابن حجر وهو العالم الفقيه المحدث عندما يؤلف فى التاريخ فإنه يعتمد دقة الرواية وصدق سندها .

كما نجده يناقش الروايات الباطلة التي يروّجها المبطلون من الأخبار التي تتهم بعضا من الصحابة الكبار وتزيفها فينقدها نقداً تاريخياً ويبيّن ما فى رواياتهم من خطأ يثير الفتنة واتهام الصحابة ، من بين هذه الحوادث :

- استخلاف معاوية .
- مقتل عثمان .
- معركة الجمل ومعركة صفين .
- مقاتلة علي للخوارج .
- استخلاف معاوية لولده يزيد . . . وغيرها .

ففيها يجمع المعلومات المتفرقة من كتب الأئمة من علماء السير والتاريخ ناقداً

ما يقع فيها من أخبار غير موثقة وما يرد فيها من روايات تتنافى مع النصوص الموثقة الصحيحة .

والدافع لابن حجر فى تأليف كتابه مبلغ الأرب فى فخر العرب الذي هو أيضاً اختصار لكتاب محجة القرب إلى محبة العرب للزين العراقي (ت٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م) .

فقد وضع ابن حجر اختصاراً لكتاب فى فضل العرب ، ليوضح لنا مدى اهتمامه بالكتابة عن فضل العرب فى تلك الفترة التي تفشّت فيها العصبية ضد العرب وهى ما سماها ابن حجر بالفرَق الأعجمية والطوائف العنادية ، وكعادة ابن حجر فى عدم تحديد ذكر أسماء أو أشخاص لينتقدهم ، وإنما نراه يعالج هذه المشكلة بهذا الاختصار لمؤلف فى فضل العرب ، ويبين للناس بأن غالب قبائل العرب تنتسب للرسول ﷺ حيث يلتقون معه فى سلسلة نسبه الشريف .

وقد يكون وضعه لما كان من قوة الدولة العثمانية فى ذلك العصر وسيطرتها على مصر والحجاز ، وما وقع من خلاف بين الأشراف فى مكة وأصحاب السلطة من العثمانيين .

أما عن غرض ابن حجر فى كتابه المناهل العذبة فى إصلاح مَا وَهَى من الكعبة فنلاحظ فيه أن ابن حجر يلجأ إلى الكتابة التاريخية لحل بعض المشاكل (ذات الطابع الفقهى) كتلك القضية التي حدثت بين أبناء عصره عندما اختلف الناس فى مكة حول جواز إعادة بناء ما تشعث من الكعبة أو عدمه (وفى هذا دليل على عقلية مجتمعه فى عصره) فقد اختلف الناس ومنهم الفقهاء فى المسألة خاصة بعدما تهدمت جوانب من الكعبة وتشقق سقفها حتى نزلت منه مياه الأمطار وخشى على البيت .

وقف ابن حجر مع من كان يرى وجوب إصلاح مَا وَهَى من الكعبة وأفتى بذلك ، ثم قدم الأدلة الشرعية والتاريخية على ذلك .

وهنا استعمل ابن حجر - أيضاً - المادة التاريخية بياناً للناس حتى يقنعهم بوجوب ترميم البيت مستدلاً بمواقف المسلمين من السلف الصالح فى العصور الأولى وعدم معارضتهم لذلك ، بل ومشاركة بعضهم فى الإصلاح . فقد عرض

تاريخ الكعبة وذكر البناءات العديدة التي وقعت لها منذ الأزل . منها : بناء الملائكة ، بناء آدم ، بناء إبراهيم ، بناء العمالقة ، بناء جرهم ، بناء قصي بن كلاب ، بناء عبد المطلب ، بناء قريش ، بناء ابن الزبير والحجاج ، عمارة الوليد ابن عبد الملك ، عمارة المتوكل العباسي سنة (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ، عمارة سقفها سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) ، إصلاح رخامها فى عهد المستنصر العباسي سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) ، تجديد رخامها سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) فى عهد المظفر الرسولى صاحب اليمن ، إصلاحها سنة (٨١٤هـ/ ١٤٢٢م) فى عهد السلطان برسباى .

كما قدم ابن حجر عرضاً تاريخياً لحادثة القرامطة سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وتعرضهم للحجاج ولسرقة الحجر الأسود .

كما استشهد أيضاً بالحوادث التاريخية على جواز النذر والإهداء للكعبة ، وأن ذلك يُصرف فى إصلاحها – وذكر عرضاً تاريخياً لمقام إبراهيم عليه السلام .

عَرض ابن حجر كل هذه العناصر من أخبار تاريخ الكعبة بأسلوب مؤرخ معتمداً الإيجاز فى عرض أنباء الحوادث مستفيداً من مختلف أنواع المصادر من كتب الحديث والسيرة وكتب تواريخ مكة التي ركز عليها كثيراً كمؤلفات الأزرقي والمحب الطبري والتقي الفاسي وغيرهم ، دون أن يُهمل بعض كتب اللغة والفقه المنسوبة إلى مختلف المذاهب .

وختاماً يمكن لنا أن نلاحظ أن ابن حجر فى هذه المجموعة من المؤلفات المتناولة للتاريخ العام سلك منهجين مختلفين :

فقد ألف خمسة منها تأليفاً شرع فيه منهجه فيها واختار مراحله وأبوابه ورتبه بنفسه ترتيباً يخدم غرضه ويوفى بغاياته سالكاً مسلكه الخاص به فى الكتابة التاريخية ، وهذه الكتب هى :

١ – كتاب فى بيان حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب .

٢ – الصواعق المحرقة لإخوان الشياطين أهل البدع والضلال والزندقة .

٣ – ذيل الصواعق المحرقة .

٤ – تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوّه بثلب معاوية بن أبى سفيان .

٥ – المناهل العذبة فى إصلاح مَا وَهَى من الكعبة .

أما الكتابين الباقيين من السبعة وهما :

١ – اتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذ من أخبار تاريخ الخلفا .

٢ – مبلغ الأرب فى فخر العرب .

فقد كان فيهما مختصراً لكتابين سابقين له اعتمد فيهما الاختصار الذي لا يخل بمحتوى الكتاب ، ويسهل على مختلف درجات القراء الاستفادة منه ، فقد سلك مسلك حذف أسانيد الروايات والاستغناء عن الروايات المتكررة فى الغرض والمعنى وتلخيص الأخبار المطولة .

* * *

الفصل الخامس
تآليفه فى التراجم

١ - معدن اليواقيت الملتمعة فى مناقب الأئمة الأربعة .

٢ - رسالة فى مناقب أبى حنيفة النعمان .

٣ - الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان .

٤ - معجم شيوخ ابن حجر = الإجازة .

تراجم أئمة المذاهب الأربعة

اعتنى ابن حجر بتراجم أئمة المذاهب الفقهية السنية الأربعة : الإمام مالك ، والإمام أبى حنيفة ، والإمام الشافعى ، والإمام أحمد بن حنبل. ولكن اعتناءه بترجمة الإمام أبى حنيفة كان أكثر وأهم من غيره من الأئمة رغم أن ابن حجر شافعى المذهب ، كما أنه يُعتبر من بين أشهر شيوخ الشوافع فى الحجاز .

فقد ألف ابن حجر رسالة صغيرة فى مناقب الأئمة الأربعة وعنوانها :

١ - معدن اليواقيت الملتمعة ، فى مناقب الأئمة الأربعة

نَسَب هذا الكتاب لابن حجر البغدادي فى هدية العارفين (١/١٤٦) ، وفى إيضاح المكنون (٢/٥١٠ ، ٢/٥٤٣) . كما ذكره الزركلي فى الأعلام (١/٢٣٤) وقال إنّ منه نسخة مخطوطة بدمشق تقع فى (١٤ ورقة) ، وذكره كذلك كحالة فى معجم المؤلفين (٢/١٥٢) . ولم نحصل على نسخة منه ، ويبدو أنه مختصر نظراً لعدد ورقاته القليلة .

كما كتب ابن حجر تراجم الأئمة الأربعة وضمّنها معجمه المعنون بالإجازة عند عرضه لكتب الحديث التي أخذها عن شيوخه ، فوضع ترجمة الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل [1] .

وعاد مرة أخرى إلى كتابة ترجمات للأئمة الأربعة فى كتابه فتح الإله ، فى شرح المشكاة [2] . وهى تراجم وردت فى الكتابين موجزة لا تفوت كل واحدة منها بعض الورقات من المخطوطين ، إلا أنها تعتبر موفية بالغرض لأنها وردت فى كتب تتناول موضوعات واسعة ليست خاصة بفضائل هؤلاء الأئمة ، وتناول فيها ابن حجر عناصر كثيرة من الترجمات تمتدّ فى أكثر من ورقتين من المخطوط لكل إمام من هؤلاء الأئمة ، فى حين أنه التزم فى كتابيه أن يضع ترجمات قصيرة لغيرهم من الشيوخ لا تتجاوز الوجه الواحد من الورقة الواحدة .

كتابات ابن حجر فى ترجمة أبى حنيفة

اعتنى ابن حجر بترجمة أبى حنيفة النعمان عناية كبيرة ، حيث وضع له خمس ترجمات مختلفة الأساليب ، فقد ترجمه ثلاث ترجمات قصيرة وضعها فى ثنايا كُتُبه الحديثية وغيرها ، وترجمتين جعلهما فى كتابين خاصين بهما .

---

(١) ابن حجر : الإجازة (ورقة ٥٧ ب - ٧١ ب) (نسخة ألمانيا) .

(٢) ابن حجر : فتح الإله فى شرح المشكاة (نسخة القاهرة) .

١ – فقد ترجم لأبى حنيفة فى كتابه الحديثي « فتح الإله فى شرح المشكاة » عندما ترجم لجماعة من كبار الأئمة فى الحديث والفقه .

٢ – وترجمه ترجمة قصيرة فى شرحه لكتاب « عين العلم » .

٣ – وترجمة قصيرة أيضاً فى كتابه « الإجازة » .

٤ – وترجمة طويلة جعلها فى رسالة عنوانها « رسالة فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان » .

٥ – وترجمة أطول منها جعلها فى كتابه الذى عنوانه « الخيرات الحسان فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان » .

الترجمة الأولى : أوردها ابن حجر عرضاً فى صفحات قليلة ضمن كتابه «فتح الإله فى شرح المشكاة » ولم يخصصها بكتاب منفرد .

أحال عليها وذكرها ابن حجر فى مقدمة « رسالته فى مناقب أبى حنيفة » فقال متحدثاً عن أحد علماء الأحناف : « واطّلع على مقدمة شرحي على مشكاة الأنوار على أوراق لخّصتُ فيها ما قاله الأئمة الأخيار فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة – رضي الله عنه وأرضاه » [1] .

وقد اطّلعتُ على هذه الترجمة التي وضعها ابن حجر للإمام أبى حنيفة فى كتابه « فتح الإله ، فى شرح المشكاة » [2] فوجدتها فى أول الكتاب [3] . وهى ترجمة موجزة للإمام أبى حنيفة شملتْ نَسَبَه ومولده وأخذه على بعض الصحابة والتابعين ، وذكر بعض تلامذته ومحنته فى تولّيه القضاء لبنى أمية وبنى العباس وصفاته وبعض روايات وأقوال العلماء فيه ووفاته .

---

(١) ابن حجر : رسالة فى مناقب أبى حنيفة (ورقة ٢ أ) نسخة المدينة المنورة .

(٢) كتاب فتح الإله فى شرح المشكاة ما زال مخطوطاً اطلعت على نسخة منه بدار الكتب المصرية رقم (٣٥٤) حديث وهو يقع فى (٥٩٤ ورقة) .

(٣) وردت ترجمة أبى حنيفة فيه من الورقة (١٢ ب إلى ١٣ ب) من كتاب فتح الإله المذكور سابقاً .

الترجمة الثانية : كما ترجم ابن حجر لأبى حنيفة ترجمة موجزة جاءت فى شرحه لكتاب عين العلم [1] والتي وضعها فى مقدمة كتابه « الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان » [2] . أما كتاب عين العلم فهو مختصر صغير وضعه أحد علماء الهند اختصر فيه كتابَ الإحياء للغزالي وكان فى كلام الغزالي ما يُثبتُ احترامه لأبى حنيفة وينفى ما اتُّهِم به من التأليف فى الحطّ عليه ، فوضع ابن حجر شرحاً لكتاب عين العلم واغتنم فرصة ذلك فأورد ترجمة مختصرة للإمام أبى حنيفة ونقلها فى مقدمة كتابه الخيرات الحسان حيث قال : « إن بعض علماء الهند اختصر الإحياء اختصاراً بليغاً سماه « عين العلم » لم يسبق إلى مثله اختصاره مع تعدد مختصريه ، فإنه أشار إلى مقاصده فى أوراق قليلة تكاد أن تكون من جوامع الكلم ، فلذا وضعتُ على كتابه شرحاً له لأنه لفرط ما فيه من الإيجاز يكاد أن يُعَدّ من الألْغاز » [3] .

ثم أورد ابن حجر هذا الاختصار وشرحه عليه فى قرابة أربع صفحات ، قدّم فيها عن حياة أبى حنيفة وفضله وعلمه وبعض مواقفه وعدد من كبار تلاميذه ومحنته وانتشار مذهبه وشيء من مناقبه وفى ختامها قال : « انتهى كلام مختصر الإحياء مع شرحي له وبه يُعْلَم براءة الإمام الغزالي حجة الإسلام مما نُسِب إليه من التعصّب ، حاشاه الله منه » [4] .

الترجمة الثالثة : هى ترجمة قصيرة أيضاً للإمام أبى حنيفة النعمان ، ضمنها ابن حجر معجمه المعروف بالإجازة (من ورقة ٥٧ ب إلى ٦٠ ب) [5] . اشتملت على اسمه ومولده وشيوخه وسبب تأليفه كتابه المستقل فى مناقب أبى حنيفة من اتهام الغزالي الشافعي بوضع كتاب فى الحط من أبى حنيفة وهو منه بريء . ثم ذكر زهده وورعه ومحنته ووفاته .

---

(١) انظر عنه: حاجي خليفة : كشف الظنون (ص١١٨٢) ، وانظر أعلاه : (ص٢٧٦) من الرسالة .

(٢) ابن حجر : الخيرات الحسان (ص٤ -٨) طبعة سنة (١٣٢٦هـ) مصر .

(٣) ابن حجر : الخيرات الحسان (ص٤) .

(٤) المصدر السابق (ص٨) .

(٥) نسخة ألمانيا .

الترجمة الرابعة : جاءت فى كتاب له بعنوان :

٢ - رسالة فى مناقب أبى حنيفة النعمان

أحال عليها ابن حجر نفسه فى مقدمته لكتابه الثاني فى الموضوع وعنوانه «الخيرات الحسان » ، حيث قال عن هذه الرسالة إنه أَلَّفَها استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ، وبعد أن تفرقت نُسَخُها فى البلاد فُقدت منه نسخته الأصل الشخصية ، فأعاد التأليف فى نفس الموضوع وكتبه من جديد وسماه « الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان » (١) .

يضاف إلى ذلك ما ذكره تلميذه السيفى فى نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) ضمن عرضه لمؤلفات ابن حجر قائلاً : « مؤلفان فى مناقب الإمام أبى حنيفة » .

أما بقية مصادر ترجمة ابن حجر فلم تذكر له سوى كتاب واحد فى الموضوع إمّا بعنوان مناقب أبى حنيفة أو بعنوان الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان

وهذه المصادر هى :

العيدروسي فى النور السافر (ص٢٩١) ، وابن العماد فى شذرات الذهب (٣٧١/٨) ، مرداد فى المختصر من نشر النور والزهر (ص١٢٣) ، الكتاني فى فهرس الفهارس (ص٣٣٩) ، البغدادي فى هدية العارفين (١٤٦/١) ، سركيس فى معجم المطبوعات (٨٣/١) ، الزركلي فى الأعلام (٢٣٤/١) ، اللكنوي فى الفوائد البهية (ص٢٤١) ، جرجي زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (٣٥٣/٣).

نسخ المخطوط :

على الرغم من أن هذه الرسالة ضاعت نسختها الأصلية من يد المؤلف ، فإن ابن حجر عندما ذكر ذلك فى مقدمة كتابه « الخيرات الحسان » قال أيضاً إنها

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان (ص٣) .

انتشرت بين الناس قبل ضياعها منه ، وهو ما يفسر سبب عثورنا على ثلاث مخطوطات منها ، وهى :

١ - نسخةٌ اطلعتُ عليها بدار الكتب المصرية ضمن المجموع رقم (٢١٢/٢) تشتمل على (٢٦ ورقة) ، لم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها - المسطرة (١٧) - خطها نسخ جميل يعود إلى القرن (١٣هـ) تقريباً . إلا أن الناسخ محدود الثقافة ، لأنه وقع فى أخطاء كثيرة جداً فى النَّسْخ .

٢ - ومن المخطوط نسخة أخرى - اطلعتُ عليها أيضاً - محفوظة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٢١٥/ ٩٠٠) تقع فى (٢١ ورقة) - المسطرة (٢٣) - وهى نسخة حسنة قليلة الأخطاء يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر الهجري تقريباً .

٣ - ومنه نسخة أخرى بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم (١٠١٠٥) وصفها خالد الريان فى فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (٢/ ٢٣٥-٢٣٦) وذكرها تحت عنوان « الخيرات الحسان فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان » وأورد فيها جزءاً من مقدمة المخطوط وجزءاً من آخره .

وبعد مقارنته بمخطوطتيْ رسالة ابن حجر فى مناقب أبى حنيفة السابقتين وجدتُ أن المقدمة التي ذكرها تتفق مع مقدمة الرسالة من النسختين المصرية والمدنية السابقتين ، أما الخاتمة التي أوردها فإنها تختلف مع خاتمة الرسالة وتتفق مع خاتمة الكتاب الثاني لابن حجر فى مناقب أبى حنيفة وهو كتاب الخيرات الحسان .

وبما أنني لم أطلع على مخطوطة الظاهرية فلا أستطيع أن أجزم بأنها نسخة من الرسالة التي ألفها ابن حجر فى مناقب أبى حنيفة أم هى الكتاب الثاني له فى الموضوع وهو الخيرات الحسان ، وذلك لأنّ خالد الريان أورد فيه مقدمة الكتاب الأول وخاتمة الكتاب الثاني . ولعل هذا خطأ وقع فى المخطوط .

تاريخ التأليف :

ألّف ابن حجر هذه الرسالة فى مناقب أبى حنيفة سنة خمس وخمسين وتسعمائة (٩٥٥هـ/١٥٤٨م) فى مكة المكرمة [1] .

---

(١) ابن حجر : رسالة فى مناقب أبى حنيفة النعمان (ورقة ١ ب) (نسخة المدينة المنورة).

سبب التأليف وغايته :

ألّفه ابن حجر استجابة لطلب أحد العلماء من القسطنطينية زار مكة والتقى به واطّلع على ما كتبه ابن حجر عن الإمام أبى حنيفة فى كتابه مشكاة الأنوار ، فطلب الضيف منه أن يؤلّف فى مناقب أبى حنيفة تأليفاً مستقلاً فاستجاب له ، فكانت رسالته هذه .

ويروي لنا ابن حجر ذلك بقوله : « إنه قد ورد علينا تمام خمسة وخمسين وتسعمائة (٩٥٥هـ/١٥٤٨م) ببلد الله وحرمه ، ومحلّ تنزلات جوده وكرمه، . . . الشيخ الصالح الإمام العارف الهمام إلياس بن علي القاطن بمدينة القسطنطنية التي هى الآن أجلّ بلاد الإسلام ، وملجأ ذوي الحاجات من الأنام. . . ثم لما ظفر مني بما آمله من إيضاح شيء من تلك المعارف ، وتحقيق مدلهمّ من تلك اللطائف ، واطلع على مقدمة شرحي على مشكاة الأنوار على أوراق لخّصتُ فيها ما قاله الأئمة الأخيار فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة - رضي الله عنه وأرضاه - وجعل جنات الشهود والمعارف منقلبه ومأواه ، سألني فيما كنتُ أُضْمره قديماً منذ سنين ، . . . ، من إفراد غرر ترجمة ذلك الإمام الأعظم بتأليف يستحسنه أولو الألباب ويعوّلون عليه حتى يعرفوا لذلك الإمام حقه من غير شك ولا ارتياب ، فعلمتُ إذ سألني هذا الرجل الصالح بما طابق ما أضمرتُه من ذلك السر اللائح أن للوارد حق ينبغي أن يبادر إليه وأن يُعَوَّل فى هذا التأليف المهمّ عليه ، فعزمتُ على الشروع فيه ، محكما جميع قوادمه وخوافيه ، . . . ولقد لخّصْتُ تلك الغُرر من مناقبه مستعيناً بالله ومتوكلاً عليه ، ومفوّضاً سائر أموري إليه » (١) .

انتشار الكتاب :

ذكر ابن حجر انتشار رسالته فى مناقب أبى حنيفة ثم ضياعها منه ، وذلك فى مقدمة كتابه الخيرات الحسان الذي ألفه فى نفس الموضوع ، فروى أنّ أحد علماء القسطنطينية ساجلَه فى موضوعات علمية وطلب منه قائلاً : « أودُّ منكم مختصراً جامعاً . . .يشتمل على تلخيص ما طال به الأئمة فى مناقب الإمام الأعظم . . .

---

(١) ابن حجر : رسالة فى مناقب أبى حنيفة (ورقة ٢ أ - ب) .

أبي حنيفة النعمان . . . فبادرتُ إلى امتثال أمره المحتم ، وبذلْتُ الجهد في تلخيص تلك المناقب بأنه مقصد أهم فجاء بحمد الله مختصراً لطيفاً وأنموذجاً شريفاً . فكتَبَ منه نسخة وذهب به إلى بلده . . . ثم كتبه الناس بعده ، واقتفَوْا أثَره ومجده ، وتفرّقوا به في البلدان ، ولم يبق عندي إلا نسخة الأصل والله المستعان ، فاستعارها بعض الحنفية ليكتبها ويردها ثم سافر بها غير ملتفت إلى عظيم وِزْر فقْدها ، فتأثرتُ لذلك » [1] .

وهكذا يتبيّن لنا بأن نسخة الكتاب فُقدتْ من المؤلف وأنها انتشرت من ثلاثة طرق :

أولاً : النسخة التي كتبها عالم القسطنطينية وسافر بها إلى بلاده .

ثانياً : النُّسَخ التي تناقلها الناس عنه بمكة وتفرقوا في البلدان وهي نُسَخٌ لا يُعرَف عددها .

ثالثاً : النسخة التي استعارها أحد الحنفية من المؤلف ولم يُعِدها لصاحبها بل سافر بها .

أما المؤلف فلم تبق بين يديه نسخة وهو ما دعاه إلى تأليف كتابه الثاني في مناقب أبي حنيفة والذي عنوانه « الخيرات الحسان » وسنفرد له دراسة خاصة به إن شاء الله .

محتوى الكتاب :

قال ابن حجر عن محتوى كتابه في مقدمته : « ورتَّبْتُه على فصول » ولقد قسم فيه مناقب أبي حنيفة النعمان في ثلاثين فصلاً سنورد فيما يلي عناوينها :

ورقة (١ ب) - المقدمة : ذكر فيها سبب تأليف الكتاب .

(٢ ب) - الفصل الأول : فيما ورد فيه (أبو حنيفة) عموماً وخصوصاً. وذكر فيه أحاديث عن رسول الله ﷺ في فضل أهل فارس واجتهادهم في طلب العلم ومنهم أبو حنيفة النعمان .

(٥ أ) - الفصل الثاني : في ذكر نسَبه .

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان (ص٣) .

(٥ ب) - الفصل الثالث : في ذكر مولده .

(٥ ب) - الفصل الرابع : في دعاء علي بن أبي طالب بالبركة لثابت والد أبي حنيفة فيه وفي ذريته .

(٥ ب) - الفصل الخامس : فيمن أدركهم أبو حنيفة من الصحابة وروى عنهم أحاديث مباشرة وهم ثمانية منهم أنس بن مالك ، وفيهم صحابية وهي عائشة بنت عجرد .

(٦ ب) - الفصل السادس : فيمن أخذ عنهم العلم وهم مائة شيخ منهم سبعة من الصحابة ، وثلاثة وتسعون من التابعين كعطاء بن رباح ومجاهد ، ولم يذكر ابن حجر أسماءهم جميعاً .

(٧ ب) - الفصل السابع : فيمن أخذ العلم عن أبي حنيفة ، اكتفى ابن حجر بذكر عدد تلاميذ أبي حنيفة من الشيوخ المعروفين وهم خمسمائة وستون ولم يورد أسماءهم .

الفصل الثامن : (سقط هذا الفصل من النسختين) .

(٧ ب) - الفصل التاسع : في عدد المسائل المنقولة عنه . فقد نقل ابن حجر أنّ عدد المسائل التي نُقلتْ عن أبي حنيفة وأجاب عنها ستمائة ألف مسألة وقيل ألف ألف ، ويعلّق على ذلك بأنه أمر لا يُستبْعَد عند العلماء بالفقه ومسائله .

(٨ أ) - الفصل العاشر : فيمن استنكف من أئمة السَّلَف أن يُقال أخطأ أبو حنيفة .

(٨ أ) - الفصل الحادي عشر : في قيامه بواجبات حقوق شيوخه .

(٨ ب) - الفصل الثاني عشر : في إنصافه لتلامذته وثنائه عليهم وإرشاده إياهم .

(٩ أ) - الفصل الثالث عشر : في ذكاء أبي حنيفة الذي بهَر العقول وأدهشها . . . وفي سرعة فهمه وكمال فطنته ومبادرته بالجواب الحق على البديهة ، مع ذكر أمثلة كثيرة من ذلك .

(١٢ ب) - الفصل الرابع عشر : في فَراسته الصائبة . . . وصدق حدسه ، مع عرض أمثلة من ذلك .

(١٣ أ) - الفصل الخامس عشر : في سخائه وكرمه ، مع ذكر أمثلة .

(١٣ ب) - الفصل السادس عشر : في تواضعه لا سيما لأهل العلم ، مع ذكر أمثلة .

(١٤ أ) - الفصل السابع عشر : في حسن مداراته اقتداءً برسول الله ﷺ ، مع أمثلة .

(١٤ ب) - الفصل الثامن عشر : في عظيم اجتهاده في العبادات ومحاسبته لنفسه ، مع ذكر أمثلة .

(١٥ ب) - الفصل التاسع عشر : في تَحَرُّزه عن الغيبة .

(١٥ ب) - الفصل العشرون : في عظيم عقله وكمال تصوُّره .

(١٥ ب) - الفصل الحادي والعشرون : في قوة يقينه وثبات جأشه .

(١٥ ب) - الفصل الثاني والعشرون : في شهرته في حياته بالعلم والتقدم حتى في مكة المكرمة .

(١٥ ب) - الفصل الثالث والعشرون : في حسن احتراسه في الفتوى على البديهة [1] .

(١٦ أ) - الفصل الرابع والعشرون : في تَقَلُّلِه من الدنيا مع قدرته التامة وغناه الوافر إيثاراً لنعيم الآخرة .

(١٦ أ) - الفصل الخامس والعشرون : في تَحرِّيه .

(١٦ أ) - الفصل السادس والعشرون : في بلوغه في الاجتهاد وفقه النفس الغاية القصوى ، وفيه أمثلة كثيرة .

(١٧ أ) - الفصل السابع والعشرون : في بلوغه في الورع والزهد والتحري والاحتياط التام لدينه مبلغاً تقصر الخطى عن بلوغ مداه .

(١٧ ب) - الفصل الثامن والعشرون : في محنته الكبرى بسؤالهم له في تولية نظر بيت المال والقضاء فامتنع منهم أشد الامتناع صابراً محتسباً على ما آذوه به من الضرب والسجن وغيرهما من وجوه الظلم .

---

(١) سقط هذا الفصل من النسخة المدنية وورد في النسخة المصرية في (ورقة ١٩ أ) .

(١٩ أ) - الفصل التاسع والعشرون : في ثناء الأئمة عليه واعترافهم بما ساقَهُ الله من الفضائل والكمالات إليه .

(٢٠ ب) - الفصل الثلاثون : في أمور جامعة لأوصاف جليلة من أوصافه .

(٢٠ ب) - خاتمة : في وفاته .

وبعد هذا العرض لمحتوى الكتاب نستطيع أن نقول : إن هذه الرسالة اشتملت على ثلاثة عناصر أساسية هي :

١ - ذكر وقائع ترجمة أبي حنيفة وتاريخ حياته ووفاته وهي في الفصول :

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، الخاتمة .

٢ - ذكر علمه أخْذاً وعطاءً وتعاملُه مع العلماء وخصائصه في مجالات العلم وهي الفصول :

٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ .

٣ - ذكر أخلاقه وخصائص صفاته الدينية والاجتماعية ، وهي الفصول :

١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ .

مصادر ابن حجر فى كتابه :

اعتمد ابن حجر في رسالته هذه على مصادر عديدة من كتب حديثية كبرى من تلك التي استعملها في مرويات أبي حنيفة الحديثية كالبغوي والطبراني والحاكم وغيرهم .

أما الروايات التاريخية التي تعلقت بترجمة أبي حنيفة فقد استفادها أساساً من الكتب التي صُنفت في ترجمته مثل كتاب القاضي أبي عبد الله الحسن بن علي الضميري ، وكتاب شمس الأئمة الكردري ، بالإضافة إلى تاريخي الخطيب البغدادي وابن عساكر الدمشقي ، مع ملاحظة أنه كثيراً ما يورد أخبار أبي حنيفة دون تعيين مصادره في ذلك . والناظر في هذه الأخبار يتبيّن له أنها في الغالب نقلت من كتابَيْ فضائل أبي حنيفة المذكورين أعلاه . ولعله ترك عزو هذه الأخبار إلى مصادرها، لأنه فضّل برسالته هذه أن يقدّم ترجمة موجزة لأبي حنيفة النعمان.

* * *

الترجمة الخامسة :

٣ - الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان= قلائد العقيان فى مناقب أبي حنيفة النعمان

أحال ابن حجر على مؤلفه هذا فى كتابه الإجازة أو المعجم (ورقة ٥٨ أ) من نسخة ألمانيا حيث قال : « وقد حَرَّرتُ ما فى ذلك فى تأليفى المستقلّ فى مناقبه ، والحامل لي عليه أنّ شخصاً معتزلياً اسمه محمود الغزالي أفْرَط فى الحطّ على أبي حنيفة وتنقيصه وسبِّه . . . » .

كما أحال عليه فى كتابه المناهل العذبة فى إصلاح ما وَهَى من الكعبة (ورقة ١٤ أ) - نسخة القاهرة - وذكره هنا بالعنوان الثاني فقال : « كما بينتُه فى كتابي الذي أفْردتُ ترجمته فيه وسمّيْته قلائد العقيان فى ترجمة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » وهو العنوان الذي ورد على المخطوط المحفوظ بمكتبة الفاروقي بالمدينة المنورة ، وسيأتي الحديث عنه ووصفه .

ونسَبَ هذا الكتاب لابن حجر بالعنوان الأول « الخيرات الحسان » كل من : حاجي خليفة فى كشف الظنون (ص٧٢٧) والبغدادي فى هدية العارفين (١/ ٤٤٠) .

طبعات الكتاب :

طبع هذا الكتاب عدة طبعات منها :

الطبعة الأولى : طبع بمصر سنة (١٣٠٥) هي فى (٨٠ صفحة) ، ذكرها سركيس فى معجم المطبوعات (ص٨٣) - ولم أطّلع عليها .

الطبعة الثانية : طبع سنة (١٣١١هـ) بالقاهرة بالمطبعة الميمنية قرب الجامع الأزهر ، عدد صفحاتها (٨٠ صفحة) .

الطبعة الثالثة : طبع سنة (١٣٢٦هـ) بمصر - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى على نفقة مصطفى الحلبي وأخويه ، عدد صفحاتها (٧٢ صفحة) .

الطبعة الرابعة : سنة (١٤٠٣هـ) طبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، عدد صفحاتها (١١٢ صفحة) . وقد كُتب على الغلاف : قدم له وحققه الشيخ خليل الميس مدير أزهر لبنان ، لكن ما لاحظته أنّ نص الكتاب مطابق تماماً للطبعتين السابقتين ليس بينهما أي اختلاف صغير أو كبير إلا مقدمة تقع فى ثلاث صفحات ، كتبها الشيخ خليل الميس وهي تمثّل ترجمة موجزة لابن حجر الهيتمي مع ذكر أربعة من مصادر الترجمة .

وصفحتين فى آخر الكتاب فهارس اكتفى فيها بذكر رقم الصفحة وعدد الفصل دون ذكر عناوين الفصول . ولم أجد ما يدل على تحقيق النص حيث لم يَذكُر المحقق المخطوطات التي اعتمدها ولم يورد أي هامش من الهوامش فى كامل نص الكتاب ، مع ما أشرت إليه سابقاً من أنه لا يختلف فى شئ عن الطبعتين السابقتين .

ومن الكتاب نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ محمد مظهر الفاروقي بالمدينة المنورة برقم (٨٤) . وقد اطلعتُ على نسخة مصورة منها بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم (٦٨٣٦/ ١) وهي نسخة حسنة واضحة الخط جميلة عليها هوامش - وهذه النسخة هي الوحيدة التي وردت بعنوان مختلف عن العنوان الوارد فى المطبوعات فكان عنوانها :

« قلائد العقيان ، فى مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان » .

أسباب تأليف الكتاب :

ذكر ابن حجر فى خطبة كتابه هذا أنه بعد أن ضاعت منه نسخة رسالته فى مناقب أبي حنيفة ، عزم على إعادة الكتابة فى نفس الموضوع فى كتاب آخر ، فأعاد النظر فيما كُتبَ فى مناقب الإمام النعمان من مؤلفات إلى أن ظفر بكتاب عقد الجمان لمحمدَ الشامي [1] . فلخّص مقاصده ونقّح مصادره فى هذا الكتاب الذي سماه الخيرات الحسان .

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الشامي الدمشقي الصالحي (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) وعنوان كتابه عقود الجمان فى مناقب أبي حنيفة النعمان . انظر : حاجي خليفة : كشف الظنون (ص١١١٥ ، ١٨٣٨) ؛ كحالة : معجم المؤلفين (١٠/ ٦٣) .

خصص ابن حجر فى كتابه الثاني هذه المقدمات الثلاث ، والفصل الأول لعرض الغاية والسبب الذي جعله يؤلف فى أبي حنيفة . وهذا السبب لم يكن فى كتابه الأول الذي ألّفه استجابة لطلب أحد علماء القسطنطينية ووافق رغبة منه فى الكتابة فى ترجمة هذا العالم الفاضل ، إنما بعد فقده لكتابه الأول ألّف كتابه الثاني ، فكان سبب هذا التأليف الجديد هو ما شاع عن الإمام الغزالي أن له تأليفاً فى الحطّ من أبي حنيفة وما كان من رد فعل الكردري من تأليف كتاب فى الحط من الإمام الشافعي ، كلّ ذلك جعل ابن حجر يُعيد التأليف فى أبي حنيفة فوضّح فى المقدمات والفصل الأول فضل هؤلاء الأئمة جميعهم ، وعدم جواز التعرّض لهم بالتنقيص أو السب ، ونفى ما نُسِب للإمام الغزالي فى ذلك ، فجاءت تلك المقدمات والفصل الأول كما سيأتي عرضها :

- وضح فى مقدمته الأولى سبباً آخر دعاه لتأليف هذا الكتاب ، وهو ما نُسب للإمام الغزالي من تأليف كتاب فيه تعصُّب ومهاجمة وسبّ للإمام أبي حنيفة وما أحْدَثَ هذا الكتاب من ردود فعل عند بعض العلماء مثل الكردري ، وأوضح ذلك ابن حجر بقوله : « اعلم أنّ بعض المتعصبين ممن لم يُمْنَح توفيقاً جاءني بكتاب منسوب للإمام الغزالي فيه من التعصب الفظيع ، والحطّ الشنيع ، على إمام المسلمين ، وأوحد الأئمة المجتهدين ، أبي حنيفة رحمه الله ما تصمّ عنه الآذان . . . وقد أدَّى ذلك شمس الأئمة الكردري إلى أن بسط الكلام فى ردّ ذلك الكتاب وقابَلَ مؤلّفه مقابلة الفاسد بالفاسد ، فشنَّع على الشافعي رحِمه الله أعظم من ذلك التشنيع ، وبسط الكلام بما لا يُحْمَد من الصنيع » (١) .

ويَجْدُرُ بنا أن نشير هنا إلى أن ابن حجر لم ينزلق فى نفس المزلق الذي وقع فيه غيره من الفقهاء والمؤرخين ، فلم يقابل التعصب بالتعصّب المماثل ، بل ذهب إلى تكريم أبي حنيفة وتفضيله بما يأتي :

أولاً : وضع هذا الكتاب فى تكريمه وذكر مناقبه .

ثانياً : احتج بمواقف الإمام الشافعي فى احترام الإمام أبي حنيفة وتكريمه ، وأنه عند دخوله بغداد زار قبره وصلى فيه على مذهب أبي حنيفة حتى لا يُظْهِر خلافَه بحضرته ، وفى ذلك دليل تقديره واحترامه .

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان (ص٣-٤) طبعة مصطفى البابي سنة (١٣٢٦هـ) مصر .

ثالثاً : أن ابن حجر نفى نسبة الكتاب للإمام الغزالي ، ونسبه إلى شخص آخر معتزلي اسمه الغزالي وليس هو الغزالي المشهور بحجة الإسلام بدليل ما ورد فى كتاب الإحياء للغزالي من مدح الإمام أبي حنيفة وتقديره ، فقال فى ذلك : « كل ذلك منه (أي من الكردري) على أن ذلك الغزالي هو الإمام محمد حجة الإسلام وليس هو لما يأتي فى إحيائه من مدح أبي حنيفة وترجمته بما يليق بِعُلا كماله . وأيضاً فلأن النسخة التي رأيتها مكتوب عليها أنّ هذا الكتاب تصنيف محمود الغزالي ومحمود هذا ليس بحجة الإسلام . ومن ثمّة كتب على حاشية تلك النسخة هذا شخص معتزلي اسمه محمود الغزالي وليس هو حجة الإسلام»[1] .

وجاءت المقدمة الثانية تخدم غرضه من تأليف الكتاب وهو عدم جواز الحط من الأئمة ووجوب الاعتقاد أنهم جميعاً على هُدًى من الله ورضوان ، وأن اختلافهم نعمة ورحمة للمسلمين وليس نقمة عليهم ، أو عاملاً من عوامل التفرقة، وهو بتوضيح ذلك يبين سوء التعصب وفساده ويدعو الناس إلى نبذه[2] .

وقد أشار ابن حجر إشارة مباشرة إلى محاربته التعصّب لمذهب ، والتعدي على المذهب الآخر بالسبّ أو المقت ، ولو كان ذلك للردّ على من سبّ المذهب الثاني من مبدأ مقابلة الفاسد بالفاسد ، فإنّ ذلك لا يجوز ولا يُرْضي إمام ذلك المذهب ، ومن فعل ذلك ليس له إلا الخزي والعذاب يوم القيامة » [3] .

ووضع ابن حجر الفصل الأول « فى بيان الأسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب » وقال :

إنّ **أولها** : إنزال الناس منازلهم .

ثانيها : ما يقع من نسبة أقوال فى الإمام أبي حنيفة إلى بعض العلماء وهُم بريئون منها مثل ما وقع فى تاريخ الخطيب وكتاب المنتظم لأبي الفرج بن الجوْزي من ذكر أشياء تنافى كمال أبي حنيفة . على أنّ الخطيب ذكر من فضائل أبي حنيفة ما يبهر العقل .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ص٤) . (٢) ابن حجر : المصدر السابق (ص٨-١١) .
(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ص١٢-١٣) .

وكذلك ما وقع للإمام الغزالي الذي نُسبتْ إليه أقوال شنيعة اختُلقَتْ عليه بدليل مدحه لأبي حنيفة فى كتابه إحياء علوم الدين - وأن الكتاب وضعه سَمِيّة المعتزلي الذي وضع ذلك التأليف ، والإمام الغزالي حجة الإسلام بريء مما فيه . وأنه قد يكون هناك بعض الخارجين دسوا ذلك الكلام ونسبوه إلى الإمام الغزالي ، لذلك وجب على كل عالم أن يوضّح ذلك الزيف الذي وقع فى كتاب الغزالي وأنْ يُبطله ويسَفّهه .

الثالث : خطأ المتعصبين فى أن الكلام فى أبي حنيفة وغيره هو من باب الحديث عن أحوال الرجال وهذا غير صحيح ، لأنّهم اعتمدوا على كلام بعض معاصريه وقد يكونون حساداً له ، وفى ذلك تشنيع عليه .

الرابع : تبيين أن أبا حنيفة من أئمة الإسلام ولا يجوز الكلام عليه بسوء .

الخامس : أن أئمةً حُفاظاً ترجموا لهذا الإمام الجليل قديماً وحديثاً ، وأراد ابن حجر أن ينتظم فى سلكهم فيلخّص ما كتبوا ويزيد على ما بسطوا .

محتوى الكتاب [1] :

(ص٢) - خطبة الكتاب .

(ص٣) - المقدمة الأولى : فى بيان فضل أبي حنيفة والردّ على من حطّ عليه وتعصّب ضده .

(ص٨) - المقدمة الثانية : فى عدم جواز الحطّ من الأئمة والعلماء ، فكلهم على هدى من الله . ووضع ابن حجر هذه المقدمة فى أمرين :

أولهما :أن اختلاف المذاهب إنما هو فى الفروع وهذا اختلاف جائز ، وأورد لإثبات ذلك روايات لاختلاف الصحابة فى عهد الرسول ﷺ وتأييده لهم دون أن ينكر على أحد منهم اجتهاده (إلى ص١١) .

والأمر الثاني : إنّ اختلاف المذاهب هو رحمة واسعة دليل على سماحة الدين ويسره ، لذا لا يجوز أن يؤدّى تفضيل مذهب إلى تنقيص مذهب آخر (من ص١١ إلى ص١٣) .

---

(١) اعتماداً على طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة (١٣٢٦هـ) - مصر - .

(ص١٣) - المقدمة الثالثة : فيما ورد من تبشير النبي ﷺ بالإمام أبي حنيفة . فذكر الأحاديث النبوية الدالة على فضل أبناء فارس فى اجتهادهم لطلب العلم ، ثم أورد الأحاديث الموضوعة عن النبي ﷺ فى ظهور أبي حنيفة وقال عنها : «وهذه كلها موضوعات لا تَرُوج على من له أدنى إلمام بنقد الحديث ، وقد أوردها ابن الجوزي فى الموضوعات وأقرَّه الذهبي وشيخنا الحافظ الجلال السيوطي فى مختصريهما والحافظ أبو الفضل شيخ الإسلام ابن حجر فى لسان الميزان » .

(ص١٥) - الفصل الأول : فى بيان الأسباب الحاملة على تأليف هذا الكتاب وهي خمسة .

(ص١٩) - الفصل الثاني : فى ذكر نسبه وتحديد مكان مولده واختلاف العلماء فى ذلك .

(ص٢٠) - الفصل الثالث : فى مولده واختلاف العلماء فى تاريخ ولادة أبى حنيفة واجتماعهم على أنه ولد سنة ثمانين هجرية .

(ص٢٠) - الفصل الرابع : فى اسمه .

(ص٢٠) - الفصل الخامس : فى صورته .

(ص٢١) - الفصل السادس : فيمن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم . وناقش ابن حجر صحة ذلك . مع كل منهم بتاريخ وفاته وكيفية لقائه بأبى حنيفة وهل صحّ ذلك . (وفيه تنبيه ص٢٣) .

(ص٢٣) - الفصل السابع : فى ذكر شيوخه - اختصر فيه ابن حجر شيوخ أبى حنيفة ، فلم يذكر أسماءهم وإنما ذكر عددهم حسب الروايات ، وأحال على المؤلفات التي كُتبتْ فى ترجمة أبى حنيفة .

(ص٢٣) - الفصل الثامن : فى ذكر الآخذين عنه الحديث والفقه . ولم يذكر ابن حجر أسماء تلاميذ أبى حنيفة واكتفى بذكر عددهم ، وأحال على المؤلفات فى ذلك فقال : « وقد ذكر منهم بعض متأخري المحدثين فى ترجمته نحو الثمانمائة مع ضبط أسمائهم ونَسَبهم بما يطول ذكره » .

(ص٢٤) - الفصل التاسع : فى مبدأ أمره ونشأته وسبب اشتغاله بالعلم . (وفيه تنبيه ص ٢٥) .

(ص٢٥) – الفصل العاشر : فى ابتداء جلوسه للإفتاء والتدريس .

(ص٢٦) – الفصل الحادي عشر : فيما بُني عليه مذهبه . أثبت فيه ابن حجر أن أبا حنيفة مجتهد فى الأمور التي لا نصّ فيها من القرآن ولا السنة ولا إجماع الصحابة والتابعين ، فيما عدا ذلك يكون قياسه واجتهاده ورأيه » .

(ص٢٨) – الفصل الثاني عشر : فى الصفات التي تميز بها على من بعده .

(ص٢٨) – الفصل الثالث عشر : فى ثناء الأئمة عليه . أورد ابن حجر فيه أقوال العلماء المعاصرين لأبى حنيفة فى مدحه والثناء عليه ، ثم قال فى آخرها : « والآثار فى النقل عن الأئمة غير ما ذكر كثيرة ، وفى بعض ما ذكرناه مقنع للمنصف المذعن الذي يعرف الحق لأهله » .

(ص٣٣) – الفصل الرابع عشر : فى شدة اجتهاده فى العبادة . (وفيه تنبيه ص٣٤) .

(ص٣٥) – الفصل الخامس عشر : خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتعالى .

(ص٣٦) – الفصل السادس عشر : فى حفظ لسانه عما لا يعنيه وعن السوء ما أمكنه .

(ص٣٧) – الفصل السابع عشر : فى كَرَمه .

(ص٣٩) – الفصل الثامن عشر : فى زهده وورعه .

(ص٤٠) – الفصل التاسع عشر : فى أمانته . أورد فيه أقوال علماء معاصرين لأبى حنيفة فى أوصافه وعباداته وصفاته ومدحه .

(ص٤١) – الفصل العشرون : فى وفور عقله .

(ص٤١) – الفصل الحادي والعشرون : فى فراسته .

(ص٤٢) – الفصل الثاني والعشرون والثالث والعشرون : فى عظيم ذكائه وأجوبته المسكتة عن الأسئلة المبهتة . (وفيهما سبع تنبيهات من ص٤٤ إلى ص٥٢) . جمع ابن حجر فى هذين الفصلين أجوبة أبى حنيفة على مسائل الناس وذكائه وسرعة بديهته الدالة على عظيم علمه فيها ، فجاءت فيها روايات كثيرة

أوردها . وفى ختامها قال : « وهذا الباب طويل ، وفيما ذكرناه كفاية على أن فى بعض ما لم نذكره خللاً أو نزاعاً فى ثبوته أوجب حذفه » .

(ص٥٣) - الفصل الرابع والعشرون : فى حلمه ونحوه .

(ص٥٥) - الفصل الخامس والعشرون : فى أكله من كسبه وردّه للجوائز .

(ص٥٦) - الفصل السادس والعشرون : فى ملبسه .

(ص٥٦) - الفصل السابع والعشرون : فى شيء من حِكَمه وآدابه (وفيه تنبيه ص٥٧) .

(ص٥٨) - الفصل الثامن والعشرون : فى محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة كالقضاء ونظر بيت المال فامتنع .

(ص٦٠) - الفصل التاسع والعشرون : فى سنَدِه فى القراءة .

(ص٦٠) - الفصل الثلاثون : فى سنَدِه فى الحديث .

(ص٦١) - الفصل الحادي والثلاثون : فى سبب وفاته ، وأورد فيه ابن حجر الأخبار التي رُوِيتْ عن سبب وفاة أبى حنيفة وناقَشَها .

(ص٦٢) - الفصل الثاني والثلاثون : فى تاريخ وفاته . وناقش ابن حجر تاريخ وفاة أبى حنيفة وعدّد الروايات وأصدقها .

(ص٦٢) - الفصل الثالث الثلاثون : فى تجهيزه .

(ص٦٢) - الفصل الرابع والثلاثون : فيما سُمع من الهواتف بعد موته .

(ص٦٣) - الفصل الخامس والثلاثون : فى تأدُّب الأئمة معه فى مماته كما هو فى حياته .

(ص٦٤) - الفصل السادس والثلاثون : فى بعض منامات حسنة رآها ورُئيَتْ له . (وفيه تنبيه ص٦٥) .

(ص٦٦) - الفصل السابع والثلاثون : فى الرد على من قدح فى أبى حنيفة بتقديمه القياس على السنة . (وفيه تنبيه ص٦٦) .

(ص٦٧) - الفصل الثامن والثلاثون : فى ردّ ما قيل فيه من الجرح .

(ص٦٩) - الفصل التاسع والثلاثون : فى رد ما نقله الخطيب فى تاريخه عن القادحين فيه . وأورد ابن حجر فيه تحليلاً لما جاء فى كتاب التاريخ للخطيب البغدادي، ومن قال إنه ذكر أشياء تُنقص من أبى حنيفة . فحلل ابن حجر ذلك بأن منهج المؤرخين ذكر جميع الأقوالَ عمن يُترجمون لهم فقال عن الخطيب : «اعلم أنه لم يقصد بذلك إلا جمع ما قيل فى الرجل على عادة المؤرخين ،ولم يقصد بذلك انتقاصه ولا الحطّ من مرتبته بدليل أنه قدم كلام المادحين وأكثر منه».

(ص٦٩) - الفصل الأربعون : فى ردّ ما قيل إنه خالف فيه صرائح الأحاديث الصحيحة من غير حجة . وقال عنه : « هذا باب واسع جدّا يستدعي سرْد جميع أبواب الفقه فلنُشِرْ إلى قواعد إجمالية تنفع من استحضرها عند الأدلة التفصيلية».

(ص٧١) - الخاتمة : جعل ابن حجر الخاتمة فى التأكيد على وجوب احترام العلماء ، وعدم الخوض فى الحديث عنهم بما يؤذيهم . والتأكيد على فضل الإمام العظيم أبى حنيفة وعلو قدره ووجوب محبته واحترامه . إلى (ص٧٢) . وهي نهاية الكتاب .

منهج ابن حجر فى هذا الكتاب :

ذكر ابن حجر أنه ألّف كتابه هذا تلخيصاً لكتاب آخر فقال : « ظفرتُ بكتاب جامع فيها (أي فى مناقب أبى حنيفة) لصاحبنا الشيخ العلامة الصالح الفهامة الثقة المطلع ، والحافظ المتبع ، الشيخ محمد الشامي الدمشقي ثم المصري » [(١)] المتوفى سنة (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) [(٢)] .

وعنوان الكتاب هو « عقود الجمان ، فى مناقب أبى حنيفة النعمان » [(٣)] .

ويستبين لنا منهج ابن حجر فى تلخيصه لهذا الكتاب مما ذكره ابن حجر نفسه فى مقدمة كتابه الخيرات الحسان حيث قال : « فلخّصتُ مقاصده ، ونقّحْتُ مصادره وموارده ، فى هذا الكتاب البديع [(٤)] .

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان : (ص٣) .

(٢) ترجمه ابن العماد فى شذرات الذهب: (٢٧/٧)؛ وكحالة فى معجم المؤلفين (٦٣/١٠).

(٣) نسبته له مصادر ترجمته المذكورة أعلاه . لم أتمكن من الحصول على نسخة منه . (من كتاب عقود الجمان لمحمد الشامي الدمشقي) .

(٤) ابن حجر : الخيرات الحسان : (ص٣) .

كما يزيدنا المؤلف توضيحاً لمنهجه فى الفصل الأول من كتابه حيث يقول : «إن أئمة حفاظاً ترجموا هذا الإمام وأطالوا فى ترجمته قديماً وحديثاً فقصدتُ أن أنتظم فى سلكهم . . . وأن ألخّص جميع ما ذكروه بأوجز عبارة وأبلغ إشارة معرضاً عن ذكر الأسانيد ، معَوّلاً على ما بسطوه منها فى كتبهم مما يُزيل الشك والترديد ، لإعراض الناس عن المطولات ، وإكبابهم على المختصرات » (١) .

ونلاحظ بأن ابن حجر هنا قال إنه لخّص جميع ما ذكره الأئمة فى مؤلفاتهم التي خصوها بترجمة أبى حنيفة ، والواقع أنه لم يعتمد من كتبهم إلا أربعة كتب ذكرها فى كتابه وهي :

١ - عقود الجمان لمحمد الشامي .

٢ - مناقب أبى حنيفة النعمان لشمس الأئمة الكردري (٢) .

٣ - مناقب أبى حنيفة للطحاوي (٣) .

٤ - البستان فى مناقب النعمان لعبد القادر القرشي (٤) .

بالإضافة إلى ترجمة أبى حنيفة فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادي . فى حين أن المؤلفات التي خُصصت لترجمة أبى حنيفة ومناقبه كثيرة جدا بحيث تُعَدّ بالعشرات (٥) .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ص١٩) .

(٢) حافظ الدين محمد الكردري البزاري (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) له كتاب مناقب الإمام أبى حنيفة - انظر ترجمته : عند حاجي خليفة فى كشف الظنون (ص١٨٣٧) ؛ سركيس : معجم المطبوعات (ص٥٥٥-٥٥٦) .

(٣) أحمد بن محمد الطحاوي (ت٣٢١هـ/٩٣٣م) - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون: (ص١٨٣٦) - كحالة : معجم المؤلفين : (١٠٧/٢) .

(٤) عبد القادر بن أبى الوفا القرشي المصري (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م) - انظر حاجي خليفة: كشف الظنون : (ص٢٤٤ ، ١٨٣٧) .

(٥) نذكر من هذه المؤلفات :

- أحمد بن الصلت الحماني (ت٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) له كتاب فى مناقب أبى حنيفة . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون : (ص١٨٣٧) .

- عبد الله بن محمد الحارثي الكلاباذي (ت٣٤٠هـ/ ٩٥١م) وكتابه كشف الآثار الشريفة فى مناقب أبى حنيفة - انظر حاجي خليفة : المصدر السابق (ص١٤٨٥) . =

أما بقية مصادر ابن حجر فى كتابه فقد تنوعتْ وكان منها :

- اعتماده على كتب التراجم والطبقات ومنها ابن عبد البر وكتابه الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ، وابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى وابن حجر العسقلاني فى لسان الميزان - والسبكي فى طبقات فقهاء الشافعية والمحيوي القرشي فى كتابه طبقات الحنفية وغيرها .

- كما اعتمد كتب الحديث وخاصة الاعتناء بكتب الموضوعات ، ومنها مؤلفات ابن الجوزي والذهبي والسيوطي فى ذلك .

=- أحمد بن محمد الشعبي النيسابوري (ت٣٥٧هـ/ ٩٦٧م) له كتاب فى فضائل الإمام أبى حنيفة . انظر حاجي خليفة : المصدر السابق (ص١٨٣٩) ؛ البغدادي : إيضاح المكنون: (١/ ٦٥) ، كحالة : معجم المؤلفين : (٢/ ٦٩) .

- حسين بن علي الصيمري (ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون: (ص١٨٣٧) .

- جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) كتابه شقائق النعمان فى مناقب النعمان - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون : (ص١٨٣٧) .

- أبو الحسن علي بن أبى القاسم البيهقي (ت٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) - وكتابه المواهب الشريفة فى مناقب أبى حنيفة وتُرجِم إلى الفارسية ، ترجمَهُ محمد بن شهاب المعروف بزهلي الفارسي (ت٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) وسماه تحفة السلطان ، فى مناقب النعمان .
راجع حاجي خليفة : كشف الظنون : (ص٨٩٥ ، ٣٦٧) .

- موفق الدين بن أحمد المكي الخوارزمي (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) كتابه مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة - طبع ثلاث مرات بالهند .
انظر حاجي خليفة : كشف الظنون : (ص١٨٣٧) ؛ سركيس : معجم المطبوعات (ص١٨١٨) ؛ د/ محمد الحبيب الهيلة : التاريخ والمؤرخون (ص٣٨-٤٠) .

- محمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) له كتاب فى ترجمة أبى حنيفة . انظر بشار عواد : الذهبي ومنهجه (ص٢٠٤) .

- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وكتابه تبييض الصحيفة ، بمناقب أبى حنيفة - انظر حاجي خليفة : كشف الظنون : ص٣٤٢ ، ١٨٣٨) .

- أبو القاسم بن عبد العليم اليمني الحنفى القرشي . له مؤلفان فى أبى حنيفة وهما : قلائد عقود الدرر والعقيان، فى مناقب أبى حنيفة النعمان، وكتاب الروضة العالية المنيفة، فى مناقب أبى حنيفة . انظر حاجي خليفة : كشف الظنون : (ص١٣٥٣ ، ٩٢٧) .

- كما اعتمد ابن حجر بعض الكتب الأخرى من مصادر فقهية وغيرها .

وعلى الأرجح فإنّ ابن حجر اتّبع محمد الشامي فى مصادره .

- ومن المؤكد أن منهج ابن حجر فى كتابه هذا « الخيرات الحسان » ، يختلف عن منهجه فى رسالته الأولى فى أبى حنيفة لأنه عند تأليفه هذا الكتاب لم يكن بين يديْه تأليفه السابق ، ولذلك تبيّن لنا بعد المقارنة السريعة بين الكتابين اللذيْن ألّفهما ابن حجر فى ترجمة أبى حنيفة أنه توسع فى الأخبار التي أوردها فى الكتاب الثاني فأضاف أشياء لم يذكرها فى الرسالة الأولى . منها مثلاً :

- فى الفصل الرابع عند ذكره لاسم أبى حنيفة أورد بتوسع عدة روايات فى ذلك لم يذكرها فى مؤلّفِه الأول (١) .

- فى الفصل التاسع والعشرين ذكر ابن حجر سند أبى حنيفة فى القراءة وقال: إن المفسرين نسبوا له قراءات شاذة ، وأن محمد بن جعفر الخزاعي وضع كتاباً فى قراءات أبى حنيفة ، ثم وضح ابن حجر أن جماعة منهم الدارقطني أثبتوا أن ذلك الكتاب موضوع وأبو حنيفة بريء من ذلك . وهذه المعلومة لم يوردها ابن حجر فى كتابه الأول .

وبما أن هذا الكتاب تلخيص لكتاب محمد الشامي ، فمن الطبيعي أن نجده يجنح إلى الاختصار وخاصة فى ذكر شيوخ أبى حنيفة وتلاميذه ففى الفصل السابع ذكر ابن حجر عدَدَ شيوخ الإمام أبى حنيفة ولم يذكر أسماءهم وأحال على المؤلفات التي كتبت فى ترجمته وذكرتهم ، وذلك لأنه فى كتابه هذا يلخّص كتاباً آخر فى نفس الموضوع .

وكذلك فعل فى الفصل الثامن عند ذكر تلاميذ أبى حنيفة فى الحديث والفقه .

* * *

---

(١) ابن حجر : الخيرات الحسان : (ص٢٠) .

٤ - معجم شيوخ ابن حجر = الإجازة

ذكر هذا الكتاب تلميذه السيفى فى نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) ؛ والعيدروسي فى النور السافر (ص١٢٤ ، ٢١٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩١) ؛ والشلي فى المشرع الروي (٢/ ٣٨٠) ؛ والكتاني فى فهرس الفهارس (ص٣٣٨-٣٣٩) ، وجرجي زيدان فى تاريخ آداب اللغة العربية (٣/ ٣٥٣) .

نُسَخ المخطوط :

تعرفتُ على ثلاث نسخ منه وفيما يلي وصفها :

١ - نسخة مكتبة برلين : رقمها (١٧٤) ، ذكرها الوارد فى فهرسته (جـ١ ص٦٤) .

الناسخ : إبراهيم بن عبد العزيز بن إسماعيل الاصفيدروي المنسوب إلى عثمان ذي النورين . نسخها برسم الملا محمد بن الملا داود الكرودي . تاريخ نسخها (٢٤ ربيع الأول سنة ١١٧٠هـ) . الخط نسخ . عدد ورقاتها (١٢٥ ورقة) . مسطرته (١٥) .

وهي النسخة التي اعتمدتها فى هذا المؤلَّف ، ويلاحظ فيها أن بها هوامش فيها عنونة للموضوعات ، إلا أنها أحياناً تكون غير صحيحة ، لأنها لا تتطابق مع المضمون بدليل عدم وجودها فى النسختين الأخريين .

٢ - نسخة دار الكتب المصرية : رقمها (١٣٤) مصطلح حديث تيمور .
الناسخ : محمد بن رسول بن محمد بن محمد بن رسول الذكي بن يعقوب بن خضر . تاريخ النسخ سنة (١٢٢٥هـ) . الخط نسخ . عدد ورقاتها (٩٥ ورقة). المسطرة (٢٢) .

٣ - نسخة مكتبة الأحقاف بتريم حضرموت : مجموعة آل يحيى رقم (١) مجاميع . الناسخ : لم يذكر . تاريخ النسخ لم يذكر . الخط نسخ عادي . عدد الورقات (١١٥ ورقة) . المسطرة ما بين (١٩ و ٢١) سطراً .

وهذه النسخ الثلاثة اطلعتُ عليها وامتلكتُ مصورات منها واعتمدتُ فى هذه الدراسة نسخة برلين .

ومن الكتاب نُسَخ أخرى : نسختان بمكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٢٨٠٦) (٢) مجموع ، ورقم (٤٧٢٤) (١) مجموع . ونسخة بالمكتبة القادرية ببغداد برقم (١٤٩٥) ، ونسخة مكتبة الحرم المكي برقم (٤٤) أسانيد دهلوي . وقد ذكر الكتاني فى فهرس الفهارس (ص٣٣٨) أنه اطلع على نسخة من الكتاب فى المكتبة الخديوية بمصر ، وعلى نسخة أخرى كتبها حفيد المؤلف واسمه رضي الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن حجر ، فرغ منها سنة (١٠٣٠هـ) .

عناوين الكتاب :

ذكر الكتاب بعناوين مختلفة وهي :

١ – معجم شيوخ ابن حجر الهيتمي . ذكره السيفى والعيدروسي والكتاني وجرجي زيدان .

٢ – ثبت ابن حجر الهيتمي وأسانيده فى عنوان نسخة مكتبة الأحقاف باليمن .

٣ – الإجازة – فى آخر نسخة برلين – وفى آخر نسخة مصر .

٤ – مسانيد ابن حجر الهيتمي – فى عنوان نسخة الحرم المكي .

تاريخ تأليف الكتاب :

ألّف ابن حجر معجمه فى آخر حياته حيث أتمه فى (١٢ رمضان من سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م) وهو ما ذُكر فى آخر نسختي ألمانيا ومصر اللّتين ذكرناهما أعلاه. وسقط هذا التاريخ من نسخة اليمن .

الغرض من تأليف الكتاب :

وضع ابن حجر كتابه هذا ليكون معجماً له اختصه بثلاثة فقط من شيوخه وذكر أسانيده عليهم فى مختلف العلوم وهو ما وضّحه بنفسه خلال المعجم حيث قال : بعد أن ذكر علمي الحديث وأهميته وفضله : « لأنّي أخذته رواية ، وأتقنته دراية ، عن الأئمة المسندين ، والأكابر والمسنّين ، ممن يضيق المقام عن استيعابهم

ويجب الاقتصار علٰى مسانيد أشهر مشاهيرهم ، شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي ، ثم شيخنا الزيني عبد الحق السنباطي ، ثم شيخنا شيخ أشياخنا بالإجازة الخاصة وشيخنا بالإجازة العامة لأنه أجاز لمن أدرك حياته ، وإني وُلدتُ قبل وفاته بنحو ثلاث سنين فكنتُ ممن شملتْه إجازته ، واستكمل عنايته ، حافظ عصره ، باتفاق أهل مصره ، الجلال السيوطي » [١] .

ثم يقول : « وذلك أني تفقهتُ بجماعة كثيرين لا يحتمل الزمان ذكرهم على طريق الاستيعاب لاشتغال البال وحينئذ فلنَقْتصر على أجلائهم ومُسنديهم وهم مشائخنا الثلاثة السابقون » [٢] .

كذلك يقول فى موضع آخر : « وبعد أن أنْهينا ذكر هذه الإجمالات فلنذكر أخصر مسانيد مشائخنا الثلاثة المذكورين فى بعض الكتب المشهورة لعظيم احتياج الناس إليها » [٣] .

محتوى الكتاب :

يحتوي الكتاب على العناصر التالية :

ورقة (١ ب) - أول الكتاب قوله : « إن أزهى زهر لمؤانس عناية الله الكبرى، ووقايته الواقية للتخلّف عن السباق فى السُّرى ، يُفَاوِح عبير طيبها نسائم الرياض ، ويُنَاسِم كمائم الغياض . . . » .

(٣ ب) - أهمية علم الحديث مع بيان علو درجة علماء المسلمين القوّامين على الشريعة وخصوصاً مَّن أنار الله بصيرتهم وذكر شرفهم برواية الحديث النبوي مستدلاً بالأحاديث النبوية الكثيرة .

(٨ أ) - من خصائص أهل الحديث اتصال مسانيد السنة إلى رسول الله ﷺ بتأليفهم وأسانيدهم ومعاجمهم ومشيخاتهم ومسلسلاتهم ، فكانوا حُفّاظاً للشريعة المطهرة .

(١٢ أ) - شرع فى مدحٍ مطوّل للشيخ أحمد قاضي مكة المكرمة ثم

---

(١) ابن حجر : الإجازة (ورقة ٢٢ أ) نسخة ألمانيا .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٥١ ب) .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٥٧ أ) .

مدح السلطان سليمان القانوني العثماني مع الدعاء له وذكر أمجاده بعرض أعماله وأخباره . (وقد سقطت أمداح وأخبار السلطان سليمان من نسخة اليمن من هذا الكتاب) .

(١٩ أ) - قاضي مكة يطلب من المؤلف أن يكتب له بعض مسانيده فى الكتب الستة والمجامع المشهورة وغيرها من الفوائد فأجابه ابن حجر إلى ذلك بوضع هذا الكتاب .

(٢١ أ) - ذكر العلوم التي أخذها عن شيوخه وهي العلوم الآلية والقوانين العقلية والعلوم الشرعية لا سيما علم الفقه وأصله . . .

(٢٢ أ) - يذكر أنه وضع كتابه هذا لذكر مسانيد أشهر مشاهير شيوخه وهم ثلاثة : أولهم زكريا الأنصاري ، وثانيهم عبد الحق السنباطي ، وثالثهم الجلال السيوطي مكتفياً بذلك لضيق المقام مع كثرة الشيوخ .

(٢٣ أ) - سنده إلى الحديث المسلسل بالأولية وهو (الراحمون يرحمهم الرحمن) [١] عن شيوخه الثلاثة مع ذكر سلسلة سند كل واحد منهم .

(٢٧ ب) - ذكر سند الحديث المسلسل بالمصافحة عن شيخيْه الأوليْن زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي .

(٣٤ أ) - أحاديث رسول الله ﷺ فى لبس العمامة .

(٣٤ ب) - نقده لشيخه زكريا الأنصاري فى مسألة حديثية .

(٣٦ ب) - رواية الحديث المسلسل بأخذ السبحة باليد عن شيخه الثاني .

(٤٠ أ) - طريقة أخذ العهد بين الشيخ والتلميذ ونصّها .

(٥٠ ب) - أهمية الأسانيد ومعرفتها لحفظ الشريعة الإسلامية : « لولا الأسانيد لقال من شاء ما شاء » فيجب ضبطها وتحريرها .

(٥١ ب) - أسانيد شيوخ شيخه الأول زكريا فى الفقه .

(٥٢ ب) - سند شيخه الثاني عبد الحق السنباطي فى الفقه .

(٥٣ ب) - سند شيخه الثالث الجلال السيوطي فى الفقه .

---

(١) أبو داود : السنن : (٤/ ٢٨٥) رقم (٤٩٤١) .

(٥٤ ب) – فائدة مهمة : ذكر البلدان التي اشتهر فيها أئمة المذهب الشافعي وهي : بغداد ونيسابور وخراسان ومدنها الهامة كمرو وبلخ وهراة ثم بلاد الشام ومصر وبلاد الحجاز (مكة والمدينة) وفى اليمن .

(٥٦ أ) – خروج جنكيز خان وخراب بغداد على يد هولاكو .

(٥٧ أ) – أسانيد شيوخه الثلاثة فى مسانيد الأئمة الأربعة .

(٥٧ أ) – سند شيخه الأول فى مسند أبى حنيفة .

(٥٧ ب) – سند شيخه الثاني فى مسند أبى حنيفة .

(٥٧ ب) – ترجمة الإمام أبى حنيفة .

(٦٠ ب) – سند شيخه الأول فى موطأ الإمام مالك .

(٦١ أ) – سند شيخه الثاني فى موطأ الإمام مالك .

(٦١ أ) – سند شيخه الثالث فى موطأ الإمام مالك .

(٦١ ب) – ترجمة الإمام مالك .

(٦٣ أ) – أسانيد شيوخه الثلاثة فى مسند الإمام الشافعي .

(٦٣ ب) – ترجمة الإمام الشافعي .

(٦٦ ب) – أسانيد شيوخه الثلاثة فى مسند الإمام أحمد .

(٦٧ ب) – ترجمة الإمام أحمد بن حنبل .

(٧١ ب) – ذكر صحيح الإمام البخاري ، يقول فى ذلك أنه أخذه عن مشائخ كثيرين لا يتسع المجال لاستيعابهم لذا اقتصر على شيوخه الثلاثة الذين خصهم بهذا المعجم .

(٧٢ أ) – ترجمة الإمام البخاري .

(٧٧ أ) – أهمية كتاب صحيح البخاري .

(٧٧ ب) – كتاب صحيح مسلم وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

(٧٧ ب) – ترجمة الإمام مسلم .

(٧٩ أ) – كتاب سنن أبى داود السجستاني وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

(٧٩ أ) - ترجمة أبى داود .

(٨٠ ب) - الجامع الكبير للترمذي وأسانيد شيوخه الثلاثة إليه .

(٨٠ ب) - ترجمة أبى عيسى الترمذي .

(٨٢ ب) - عرض مسائل من علم مصطلح الحديث تتناول الإسناد والمتن ، مع تحليل ومناقشة ثم إبداء رأي .

(٨٤ ب) - السنن الكبرى للنسائي وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

(٨٥ أ) - ترجمة الإمام النسائي .

(٨٦ أ) - سنن ابن ماجه وأسانيد شيوخه الثلاثة فيه .

(٨٦ ب) - ترجمة ابن ماجه .

(٨٧ أ) - مؤلفات البيهقي وترجمته .

(٩٠ أ) - مؤلفات البغوي وترجمته .

من (ورقة ٩٣ أ) إلى الخاتمة (ورقة ١٢٤ ب) استعرض فيها ابن حجر مجموعة من الكتب فى مختلف الفنون مع ذكر أسانيد شيوخه فيها وترجمات قصيرة لمؤلفيها .

وخلال ذلك تعرض إلى مسألة حدثتْ بمكة وهي ظهور القهوة وولوع الناس بها فاختلف العلماء والمفتين فى حكمها وذلك من (ورقة ١٠٥ أ) إلى (ورقة ١٠٩ أ) .

أما المؤلفات التي ذكرها وترجم لمؤلفيها فهي :

صحيح ابن حبان فى ورقة (٩٣ أ) ، سنن الدارقطني (٩٣ ب) ، المستدرك للحاكم (٩٤ ب) ، المعجم الكبير للطبراني (٩٥ أ) ، المعجم الأوسط له (٩٥ ب) ، المعجم الصغير له (٩٥ ب) ، الشفاء للقاضي عياض (٩٦ أ) ، مشكاة الأنوار للخطيب التبريزي (٩٦ أ) ، مؤلفات القاضي للبيضاوي (٩٧ ب) ، تلخيص المفتاح ومؤلفات الجلال القزوينى (٩٩ أ) ، تفسير الفخر الرازي وسائر كتبه (٩٩ ب) ، مؤلفات القطب الرازي (٩٩ ب) ، مؤلفات ابن الحاجب (١٠٢ أ) ، مؤلفات العضد الإيجي (١٠٣ أ) ، مؤلفات سعد الدين التفتازاني

(١٠٩ أ) ، مؤلفات الشريف الجرجاني (١١٠ ب) ، كتاب التنبيه للشيرازي (١١١ ب) ، تصانيف إمام الحرمين الجويني (١١١ ب) ، مصنفات الغزالي (١١١ ب) ، تصانيف الرافعي (١١١ ب) ، كتاب الحاوي الصغير لعبد الغفار القزويني (١١٢ أ) ، تصانيف العز بن عبد السلام (١١٢أ) ، تصانيف النووي (١١٢ أ) ، عوارف المعارف للسهروردي (١١٢ أ) ، تصانيف التقي السبكي (١١٢ ب) تآليف التاج السبكي (١١٢ ب)، تصانيف الجلال الأسنوي (١١٢ب)، تصانيف البدر الزركشي (١١٢ ب) ، تصانيف السراج بن الملقن (١١٢ ب) ، ألفية الحديث للزين العراقي (١١٣ أ) ، تصانيف ابن العماد (١١٣ أ) ، تصانيف الكمال الدميري (١١٣ أ)، تصانيف الولي العراقي (١١٣أ)، تصانيف شمس الدين بن الجزري (١١٣ ب) ، القاموس للفيروزابادي (١١٣ ب) ، الهداية للميرغناني (١١٤ أ) ، مختصر القدوري (١١٤ أ) ، مجمع البحرين لابن الساعاتي (١١٤ أ) ، مؤلفات التقي الشمني (١١٤ أ) ، مؤلفات الكمال بن الهمام (١١٤ ب) ، مؤلفات الكافيجي (١١٦ أ) ، مصنفات الخافى (١١٧ أ) ، مصنفات ابن قطلوبغا (١١٨ أ) ، مصنفات الكمال ابن أبى شريف (١١٩ أ) ، مؤلفات جماعة من الأئمة ، منهم : فقهاء ونحاة ومحدثون (دون ذكر أسمائهم) (١١٩ ب) ، مؤلفات الشمس الفناري (١٢١أ)، مؤلفات القوشجي (١٢٢ ب) .

ورقة (١٢٤ ب) - الخاتمة : وفيها إجازة لمن أهداه الكتاب ولعامة المسلمين وضّحها ابن حجر بقوله : « هذا وفيما ذكرته كفاية ، والحاصل أني أجزتُ لمولانا شيخ الإسلام المنوَّه باسمه أول الكتاب (أحمد عناية الله) ولولده درويش محمد الهاشمي . . . ولسائر جماعته وأقاربه وأحبائه وذويه وتلامذته ولأهل بلده بل وإقليمه بل ولمن أدرك حياتي من المسلمين على مذهب من يرى ذلك من أئمة الحديث . . . أن يروي مولانا ومن ذُكر معه جميع ما ذكرتُه فى هذه الأوراق ، وكذا غيره مما يجوز لي وعني روايته . . . من مقروء ومسموع ومجاز إجازة خاصة أو عامة مناولة ومكاتبة ووجادة ومراسلة ومن معقول ومنقول من فروع وأصول، ومن تأليف وتخريج وتصنيف. . .بما أخذتُه ودريتُه أو وجدتُه أو رويتُه ، الحمد لله الذي هدانا لهذا . . . وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » [١].

---

(١) ابن حجر : الإجازة (ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ أ) .

ونلاحظ أن أغلب الكتب التي وردتْ فى معجم ابن حجر تتناول الفنون التالية :

- كتب تفسير القرآن الكريم .
- كتب الحديث ومصطلحه .
- كتب أصول الفقه .
- كتب الفقه الشافعي .
- كتب الفقه الحنفى .
- كتب العقيدة .
- كتب اللغة .
- كتب النحو .
- كتب البلاغة .
- كتب المنطق .

معجم ابن حجر بين مختلف المعاجم :

كتب المعاجم :

هي الكتب التي يؤلفها العلماء ليترجموا فيها لشيوخهم ويعرّفوا فيها بالكتب التي أخذوها عنهم .

وسُميتْ معاجم لأنها فى مبدأ ظهورها كان المؤلف يذكر فيها الشيوخ على ترتيب حروف المعجم .

وقد يسمى المعجم مشيخة أو فهرسة أو ثبتاً عند المشارقة وأحياناً يسميها المغاربة والأندلسيون بالبرامج .

وقد تنوعت مناهج المؤلفين فى كتب المعاجم وتعددت أساليبهم فى ترتيبها وتأليفها فكان منها :

(أ) معاجم تعرض تراجم الشيوخ وترتيبها على حروف المعجم ويذكر المؤلف فى الترجمة ما أخذه عن الشيخ من مؤلفات وعلوم .

(ب) معاجم تعرض تراجم الشيوخ مرتبة ثم تعرض فيها الكتب التي أخذها عن الشيخ مرتبة .

(جـ) معاجم يعرض فيها المؤلف الكتب التي أخذها عن الشيوخ الذين يذكرهم تبعاً للكتب .

(د) معاجم يضيف فيها المؤلف فوائد كثيرة تخرج بالكتاب عن حدّ المعجم والفهرسة فيُصبح كأنه كتاب فى الأمالي .

(هـ) وقد يرتّب الكتاب أسماء الشيوخ بحسب أهمية الشيخ وأسبقيته فى العلم والمكانة .

(ز) وقد يُرتّب الكتاب بحسب فنون العلم فيبدؤها بعلوم القرآن الكريم ثم الحديث الشريف ثم الفقه ثم علوم اللسان وغير ذلك من العلوم الأخرى .

(ح) قد يضع المؤلف معجماً خاصاً بفئة معيّنة من العلماء حسب اختصاصهم. من أمثلة ذلك : كتاب المعجم المختص بالمحدّثين للإمام الذهبي .

وهكذا تنوعت أساليب مؤلفى المعاجم فكان الكثير منهم يسلك طريقة «مستجدة» لم يسلكها غيره ، ولكنهم فى أغلب الأحيان يذكرون جميع شيوخهم ويترجمونهم وإن بلغوا عدداً كبيراً . من أمثلة ذلك : كتاب المعجم الكبير للإمام الذهبي الذي ترجم فيه لقرابة الألف من شيوخه .

كما أن الغالب على مؤلفى المعاجم أن يضعوا لأنفسهم معاجمهم فيذكرون شيوخهم والكتب التي أخذوها عنهم . إلا أننا نلاحظ أحياناً أن بعض الطلاب يضعون معاجم لشيوخهم فيجمعون فيها الشيوخ الذين أخذ عنهم أستاذهم ، مثل: معجم شيوخ الصدفى . وهذا النوع من العمل سماه المشارقة التّخْريج وهو أن يُخرّج الطالب لشيخه معجماً يجمع فيه ذكر وتراجم شيوخ ذلك الشيخ وأمثلة ذلك كثيرة .

كما يلجأ بعض المؤلفين فى أحيان قليلة إلى وضع معجم يجمعون فيه تراجم تلاميذ ذلك الشيخ مثل معجم تلاميذ الصدفى من تأليف ابن الأبار [1] .

---

(١) انظر المزيد من التفاصيل عن تعريف المعاجم وأنواعها وأمثلتها ومناهجها فى المراجع التالية:
(أ) الكتاني : فهرس الفهارس (ص٦٧-٧١) .
(ب) عبد العزيز الأهواني : كتب برامج العلماء فى الأندلس مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الأول والثاني (ص٣-٣٢) . =

وجاء ابن حجر الهيتمي المكي فى معجمه هذا بمنهج غريب يختلف عن الأنواع التي عرضناها سالفاً وذلك أنه جعل معجمه خاصاً بثلاثة من شيوخه وهم من كبار شيوخ العلم ومن الذين اشتهروا بكثرة الشيوخ وتنوع العلوم وتعدُّد الكتب التي ألّفوها أو أخذوها عن شيوخهم .

منهج ابن حجر فى معجمه :

سلك ابن حجر فى معجمه هذا مسلكاً غريباً عن مسالك مؤلفى المعاجم واستعمل منهجاً نادر الاستعمال ، فإن من عادة أصحاب المعاجم أن يجمعوا تراجم كل شيوخهم ويوردوها فى معاجمهم ، إلا أنّ ابن حجر جعل معجمه هذا خاصاً بذكر ما أخذه من الكتب عن ثلاثة من شيوخه فقط وهم :

١ - زكريا الأنصاري الشافعي .

٢ - الزيني عبد الحق السنباطي .

٣ - الجلال السيوطي .

وقد صرح ابن حجر فى مقدمته بأنه أخذ عن الكثير من العلماء الكبار إلا أنه وضع معجمه هذا للشيوخ الثلاثة المذكورين فقال : « لأني أخذتُه (العلم) رواية، وأتقنته دراية ، عن الأئمة المسندين والأكابر والمسنين ممن يضيق المقام عن استيعابهم ويجب الاقتصار على مسانيد أشهر مشاهيرهم شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي ، ثم شيخنا الزينى عبد الحق السنباطي ثم شيخنا شيخ مشائخنا بالإجازة الخاصة وشيخنا بالإجازة العامة . . . الجلال السيوطي »[(١)] .

ويمكننا أن نلاحظ بأن ابن حجر اعتبر الجلال السيوطي من شيوخه اعتماداً على الإجازة العامة التي أجاز بها السيوطي كل علومه لجميع الذين عاشوا فى عصره. فقال عنه : « شيخ مشائخنا بالإجازة الخاصة وشيخنا بالإجازة العامة ، لأنه أجاز

= (جـ) د . محمد الحبيب الهيلة : برنامج ابن جابر الوادي آشي ، المقدمة (ص٢٩-٣٧).

(١) ابن حجر : الإجازة (ورقة ٢٢ أ) .

لمن أدرك حياته وإني وُلدتُ قبل وفاته بنحو ثلاث سنين ، فكنتُ ممن شملته إجازته، واستكمل عنايته ، حافظ عصره ، باتفاق أهل مصر » [1] .

وقد جعل ابن حجر الجلال السيوطي من شيوخه وذلك لسعة شهرته وكثرة مؤلفاته واشتهارها مع كثرة مسموعاته لذا نجده اعتمده فى غالب أسانيده .

وضع ابن حجر كتابه هذا - فى الأساس - ليكون معجماً يذكر فيه ما أخذه عن شيوخه الثلاثة المذكورين سابقاً كما وضعه ، ليكون إجازة يجيز بها القاضي الحنفى أحمد وابنه درويش محمد الهاشمي ، ويجيز بها كل أبناء عصره ولكل من أدرك حياته من المسلمين [2] .

وهذا يفسر ما وجدناه فى عناوين الكتاب من اختلاف ، فهو تارة يسمّى معجمًا وثَبْتا ، وتارة أخرى يسمى إجازة .

- وعلى الرغم من أن ابن حجر اكتفى فى معجمه هذا بالاعتماد على ما رواه عن هؤلاء الشيوخ الثلاثة فقط فإنّه لم يترجم لواحد منهم وإنما اكتفى بمدحهم وتحلية أوصافهم وذكر مكانتهم العلمية .

- أما شيوخه الآخرين - وهم كثر - فإنه لم يورد لهم ترجمات ولم يذكر منهم غير سبعة ذكرهم عَرَضا خلال المعجم وهم :

الناصر اللّقاني ورقة (٩٩ ب) ، والزين الشنشوري ورقة (١٠٠ ب) ، والشمس السمنودي ورقة (٣٧ ب) ، والشمس ابن أبى الحمائل : ومحمد الحطاب الكبير ورقة (٣٩ أ) ، والحسيني بن علي رضي الدين ونسيم الدين الملقب بميرك شاه ورقة (٩٦ ب) .

- وإذا كان ابن حجر قد أهمل ترجمة شيوخه الثلاثة المقصودين بالمعجم ، فإنه اهتمّ فيه بترجمات المؤلفين للكتب التي أخذها عن الشيوخ الثلاثة والذين ذكروا ضمن هذا المعجم ، فقد ترجم لاثنين وثلاثين مؤلفاً عند ذكر مؤلّفاتهم فى ترجمات تختلف طولاً وقصراً بحسب أهمية الشخص المترجم فإنه عند تعرضه لمسانيد الأئمة الأربعة - أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل - فإنه

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢٢ أ) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١٢٤ ب - ١٢٥ أ) .

عرض لكل واحد منهم ترجمة طويلة ومفصلة عرض فيها الاسم مفصلاً والأصل والولادة والرحلات والشيوخ والمؤلفات والمحن التي صادفته وآراء العلماء فيه من الورقة (٥٧ أ - ٧٠ ب) ، وكذلك فعل في ترجمة البيهقي من الورقة (٨٨ أ - ٩٠ أ) .

أما أغلب التراجم فإنه يوردها موجزة فيكتفى بذكر الاسم والولادة والوفاة والمؤلفات وآراء العلماء فيه مثلما فعله فى ترجمة السعد التفتازاني والجرجاني من الورقة (١٠٩ أ - ١١٠ ب) .

- أما أسلوب ابن حجر فى العرض فإنه يختلف بعض الشيء عن بقية المعاجم فقد أطال فى المقدمة طولاً مبالغاً فيه وجعلها مشتملة على موضوعات عديدة كما أقحم فيها نصاً طويلاً مدح فيه القاضي أحمد الحنفى والسلطان العثماني سليمان القانوني .

كما أراد ابن حجر أن يكون كتابه هذا فى غاية الإيضاح وهو ما ذكره موضحاً أسلوبه حيث قال : « فأنا أحرِّر العبارة ، وأزيد فى التقرير والإشارة ، حتى يكون فى غاية الإيضاح والبيان ، وأعبِّر عما لا يقبله أئمة الظاهر بقولي زعم فلان ونحوه ، فتنبَّه لذلك » [١] .

وإذا عرض مشكلة تتعدد فيها الآراء والأقوال يناقشها وينقدها ثم يعرض رأيه قائلاً : « والذي يتّجه عندي أن المراد . . . » [٢] كما يحيل أحياناً على المصادر التي تقوي حجته فيقول مثلاً « وليراجع جامع الأصول لابن الأثير ونحوه » [٣] .

- ويعتمد ابن حجر فى معجمه هذا الدقة والتحري فى عرض أسماء رواة الحديث خاصة أولئك الذين يكون فى أسمائهم بعض الالتباس مما يثير الشك فيه فنراه يضع فائدة يذكر فيها هذا الالتباس ويوضح الاسم والشخص ويوضح الفرق بينه وبين اسم المشابه له ويقدم ترجمة موجزة للرجلين ، كما فعل فى عرضه الفرق بين يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) ويحيى بن يحيى

---

(١) ابن حجر : الإجازة : (ورقة ٣٩ ب) .

(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٨٣ ب) .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ص٨٤ أ) .

التميمي (ت٢٢٦هـ/ ٨٤٠م) وكلاهما من رجال الحديث . وهذا دليل على دقة معرفته بعلم الحديث ورجاله [١] .

- كما نجده يتحرّى ويدقّق فى ذكر أسماء الأماكن والبلدان فقد أورد اسم هنا - وهو بلد قرب سمرقند - وتحرى فى ذلك فضبط حروفها ودقق فى الأمر فسأل أهلها عن طريقة نُطْقِها ومعناها [٢] .

- ونلاحظ أنه إذا عرض سنده للكتب الكبيرة الأساسية فإنه يُحيل إلى أسانيد شيوخه الثلاثة . ولكنه عند عرض سنده للكتب الفرعية الصغيرة فإنه يعرضها معتمداً على شيخ واحد مِن شيوخه الثلاثة أو شيخين اثنين ، وفى الغالب كان يعتمد على شيخه الثالث (وهو السيوطي) . وقد يخرج عن هذه القاعدة فيُحيل إلى أسانيد شيوخه الآخرين على غير عادته فى المعجم [٣] .

- وإذا تعرض ابن حجر إلى رواية حادثة تاريخية هامة نراه يعتمد تلخيصها . ففى ورقة (٦٨ أ - ٧٠ ب) عرض محنة الإمام أحمد بن حنبل وموقفه من القول بخلق القرآن ، فإذا هو يذكر الأسباب الأساسية لظهور هذه المحنة ، ويناقش القضية من أساسها منذ عهد بدايتها فيذكر أهم الأسماء والحوادث والتواريخ المبرزة لهذه الحوادث ويقدم لنا تلخيصاً دقيقاً مختصراً مناسباً لعلاقة هذه الحادثة بترجمة الإمام أحمد ، فجاءت روايته التاريخية متناسبة مع الترجمة لا تعتمد النقل المملّ وإنما تعتمد توضيح القضية وتحليلها وإبداء الرأي مع النقد التاريخي الدقيق .

- كما أنه من منهج ابن حجر فى معجمه أن يقدم للقاريء تحليلاً دقيقاً للكتاب الذي يذكره ويبيّن منهجه ، كما فعل مع جامع الإمام الترمذي [٤] .

أو يبيّن أهمية الكتاب ومكانته بين الكتب التي فى موضوعه ، فقد ذكر كتاب

---

(١) ابن حجر : الإجازة : (ورقة ٦١ أ - ب) .
(٢) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٧٦ أ) .
(٣) انظر مثلاً : (ورقة ٩٦ ب) .
(٤) ابن حجر : الإجازة (ورقة ٨١ ب) .

المبسوط للبيهقي وعلّق عليه بقوله : « وهو الذي يضطر إليه كلّ فقيه شافعي ، إذ لا استغناء له عنه لأنه فى معرفة السنن والآثار المؤيّدة لمذهبه والذابّة عن مطلبه»[1] .

وقدّم دراسة تحليلية لمحتوى كتاب المصابيح للبغوي واشتماله على ما فى الكتب الحديثية الستة ، وبين اعتراض بعض أكابر الحفاظ عليه ثم ردّ التاج التبريزي على هذا الاعتراض وانتصاره للبغوي ، خاتماً ذلك بتأييد ابن حجر العسقلاني لهذا الرأي . وخلال هذا العرض نجده يقدم دراسة مفصّلة للكتب الستة فيحلل ويناقش ويقارن مما يدلّ على سعة علمِه بفنّ الحديث ، ثم يعلّق على كل ذلك بأن كل ما أورده فيها إنّما هو استطراد منه .

- ولا نجد ابن حجر يمدح الكتب التي ذكرها من بين مسموعاته فقط ، بل نراه ينقد مناهج بعض العلماء فى كتبهم ويبيّن أخطاءهم فى مؤلفاتهم . فقد تحدث عن الإمام الكافيجي وذكر ما تميّز به من علم ومعرفة وعدم تعصبه لمذهبه إلا أنه انتقده فى المنهج الذي سلكه فى تأليف حاشيته على البيضاوي فقال : «ومع ذلك لما ألّف حاشيته على البيضاوي جعلها مجرّد جمع لحواش اطّلع عليها فيحكي تلك الحواشي فى كلّ محلّ تخالفتْ أو توافقت فيه برمّتها ، من غير أن يتعقَّب واحدةً منها بأدنى ردّ أو نقد أو تقييد أو إطلاق أو نحو ذلك . حتى أن مُطَالِع حاشيته يعتقد أنه ناقل لحواش فيها لا غير » [2] .

وعندما تعرض ابن حجر إلى شرح أبى النجا على توضيح ابن هشام (فى النحو) ذكر أنه كتب فى أربعة مجلدات ثم قال عنها : « لو حُقِقتْ لم تأت مجلداً ، وذلك أنه يسلك فيها البسط بما ليس له كثير جدوى من التوسع فى الاحتمالات العقلية والتشكيكات الادّعائية . . . » [3] .

يحرص ابن حجر فى كتابه هذا على النقد النزيه المفيد ، فكلما وجد فى رواية تاريخية ما يراه خطأ أَلْفَيْناه ينقد ذلك الخطأ فيبين وجه الصواب وينتقد قائله بأسلوب يناسب مكانته ، سواء كان من العلماء المشهورين أو من شيوخه أو من علماء رجال الحديث أو من العلماء الذين اشتهروا بالضلال فمن أمثلة ذلك :

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٨٨ أ) .

(٢) ابن حجر : الإجازة : (ورقة ١١٧ أ) .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ١١٧ ب) .

أنه ينْقُد شيخه زكريا الأنصاري الذي ينكر أخْذ الحسن البصري عن الإمام علي ابن أبى طالب - رضي الله عنه - ولكن ابن حجر يُثبتُ صحة ذلك الأخذ بالأدلة القوية ويوضح ذلك بأسلوب النصيحة والتّوعية والنقد المهذب فيقول : «فلا تَغتَرّ بذلك وإنْ كَثُر المنكرون وجَلّتْ مراتِبُهم ، فإنّ الحق أحقّ أن يُتّبَع »[1].

وينتقد مرة أخرى بعض العلماء ويناقش آراءهم ثم يوضح أنّ اختلاف العلماء واعتراض بعضهم على بعض لا يدل على تنقيص ولا ازدراء وإنما قَصْدُهم بيان وجه الصواب لله ولحفظ الشريعة الإسلامية »[2] .

- وعندما يتعرض ابن حجر لخبرٍ مردود عقلاً وشرعاً ورواية تاريخية يناقشه بجدّ وصرامة ويكذّبُه . فقد أورد أخبار المسندين عن المعمّريْن المغربي والهندي (رتَن الهندي) اللذيْن ظهرا قريب القرن السادس الهجري وزعَم كل منهما أنه صحابي رأى النبي ﷺ واجتمع به وروى عنه . فنرى ابن حجر ينكر ادّعاءَهما وينقد مَنْ يُصدّقهما ليعدّ نفسه مِن التابعين[3] .

أما إذا عرض قولاً خاطئاً من أقوال بعض المشتهرين بالضلال فإنّه يكذّبُه ويبيّن بُهتانَه . وقد فعل ذلك مع ابن حزم الذي كذَب على الإمام الترمذي وقال عنه إنه مجهول ، فرد عليه ابن حجر قائلاً : « وقول ابن حزم إنه مجهول كذبٌ وافتراء منه على عادته القبيحة المستمرة فى أنه يحطّ من أقدار العلماء وجلالتهم بالكذب والبهتان والسفاهة »[4] .

منهج ابن حجر فى كتابه التراجم والوفيات والفضائل :

اشتملت الكتب التي وضعها ابن حجر فى التراجم على المؤلفات السابقة العرض وهي :

- معدن اليواقيت الملتمعة فى مناقب الأئمة الأربعة .
- تراجم الإمام أبى حنيفة النعمان .

---

(١) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٣٤ ب) .

(٢) ابن حجر : الإجازة : (ورقة ٥٨ أ - ٥٩ ب) .

(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٢٧ ب) .

(٤) ابن حجر : المصدر السابق (ورقة ٨١ ب) .

- معجم شيوخ ابن حجر وهو الإجازة .

وبعد دراسة هذه المؤلفات يتبين لنا أن ابن حجر لم يستعمل نمط كتابة التراجم إلا لغرضين معينين وهما :

١ - الغرض الأول :

وضع ابن حجر تراجم أئمة المذاهب الفقهية ، لمداواة المشاكل الاجتماعية التي طغت فى ذلك العصر وخاصة فى مكة حيث قويت المواجهة بين المذهب الشافعي والمذهب الحنفى .

فقد كان المذهب الشافعي سائداً قبل ظهور الدولة العثمانية . وعندما استقر الحكم العثماني على الحجاز قوي المذهب الحنفى وانتشر بين الناس واجداً المساندة من العثمانيين الذين أعادوا بناء المقام الحنفى فى الحرم المكي وجعلوه على طابقين وفرضوا تسمية قاضي الحنفية من طرف الدولة العثمانية بعد أن كان يقع اختياره من بين فقهاء المكيين ، وخاصة من عوائل المكيين الأحناف . مثل عائلة بني الضياء القرشيين .

لذا نجد ابن حجر يؤلف كتابه « معدن اليواقيت الملتمعة فى مناقب الأئمة الأربعة » ويضع فيه تراجم الأئمة الأربعة ليبين للناس فضائل جميع الأئمة الأربعة وأنهم جميعاً من أهل السنة المرضي عنهم ، وأن تقديرهم واجب على كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم . وأنهم إذا فاضلوا بين الأئمة والمذاهب السنية أوجدوا بين المجتمع الإسلامي فوارق وحزازات يمكن أن تُحدث انقساماً بين المسلمين . ورغم ضياع هذه الرسالة وعدم عثورنا على نسخة منها ، فإننا وجدنا أن ابن حجر تناول تراجم أئمة المذاهب فى كتابه الإجازة ، فترجم لهؤلاء الأئمة ترجمات تبين لنا موقفه منهم ومدحه لهم وعدم تفضيله لأحد منهم على الباقين بما يعرضه من عناصر ترجماتهم ومناقبهم وذلك من ورقة (٥٧ ب) إلى ورقة (٧١ ب) من الإجازة (نسخة ألمانيا) .

كما تناول ترجماتهم ومناقبهم أيضاً فى كتابه الحديثي « فتح الإله فى شرح المشكاة » .

وقد اهتم ابن حجر بترجمة أبي حنيفة النعمان أكثر من تراجم غيره من بقية أئمة المذاهب - حسبما يظهر لي - لسببين اثنين .

أولهما : يُعتبر ابن حجر من أكبر شيوخ الشوافع في مكة ولذلك أراد أن يبين لهم أن الإمام أبا حنيفة من أئمة المسلمين وأهل الفضل والعلم والدين وأنه لا يجوز لمسلم - ولو كان شافعياً - أن يحط من قدره وقيمته ولا أن يناهض أو يعادي المذهب الحنفي . وهو نمط ذكي من دعوة المؤمنين إلى الوحدة الإسلامية تحت راية السنة الشريفة ، ويَصُدُّ أصحاب التعصب المذهبي من الوقوع في أئمة المسلمين ومن إثارة الفتن والخلافات بين أبناء الدين الواحد .

ثانيهما : أن ابن حجر أراد أن يبين للدولة العثمانية صاحبة السلطة على أغلب العالم العربي الإسلامي بأن شيوخ المذهب الشافعي لا يقفون موقف المعاداة للمذهب الحنفي ولا لإمامه حتى لا تنزلق السياسة العثمانية في مزالق محاربة ومعاداة الشوافع ، وحتى لا يعتبر العثمانيون ما يظهر لهم من بعض العامة من غلاة الشوافع عداءً يقابلونه بالمحاربة والعداوة .

هذه هي أهم الدوافع التي حَدَتْ بابن حجر إلى كبير اهتمامه بترجمة الإمام أبى حنيفة النعمان .

أما الأساليب والمنهج الذي سلكه في كتابته لمختلف هذه الترجمات المتعددة لأبي حنيفة فإنها تختلف باختلاف مواضعها من تآليفه :

ففي ثلاث مرات كتب ابن حجر ترجمات لأبى حنيفة ، ولكن في كل مرة منها يضعها داخل كتاب من مؤلفاته لم يوضع أساساً لترجمة أبي حنيفة أو لمجموعة من الترجمات وإنما وضعها في موضوعات أخرى .

- فإن الترجمة التي أقحمها في كتابه فتح الإله في شرح المشكاة هي ترجمة قصيرة وضعت ضمن كتاب حديثي عند ذكره لأكابر علماء الحديث .

- والترجمة الثانية التي وضعها في شرح كتاب « عين العلم » هي أيضاً وضعها مختصرة داخل كتاب حديثي أخلاقي أيضاً هو كتاب « عين العلم » الذي وضع ليكون اختصاراً لكتاب « إحياء علوم الدين » لأبي حامد الغزالي .

- والترجمة الثالثة وضعها ضمن معجمه المعروف بالإجازة حيث عرض فيه

ترجمة موجزة لأبي حنيفة عند حديثه عن كتب الحديث التي درسها على شيوخه والترجمة لمؤلفيها .

ولهذه الأسباب كانت هذه الترجمات مختصرة إلا أنها اشتملت على أهم عناصر الترجمة وخاصة منها ما يبيّن فضائل ومناقب وأخلاق هذا الإمام الجليل مع بيان علو درجته العلمية .

- أما الترجمتان الكبيرتان اللتان وضعها ابن حجر للإمام أبي حنيفة فإنهما واسعتان طويلتان لأنه جعل كل واحدة منهما في كتاب .

أحدهما صغير سماه رسالة في مناقب أبي حنيفة النعمان وضعه في منهج خاص به ، لم يلخص فيه كتاباً ألّفه غيره وإنما كتبه ابتداء ووضع له منهجاً اختاره بنفسه فاشتمل على (٣٠ فصلاً) وخاتمة عرض في عدد قليل من عناصرها الوقائع المادية لحياة الإمام أبي حنيفة كنسبه ومولده وشيوخه وتلاميذه ومحنته عند رفضه القضاء ووفاته . وأولى أغلب اهتمامه في رسالته هذه بصفات هذا الإمام الأخلاقية والسلوكية مع بيان رسوخه في العلم وتقدير الناس لما آتاه الله من علم وفضل ، واعترافهم بسمو مكانته العلمية والدينية .

أما الكتاب الثاني فهو أكبر من السابق إلا أنه لخص فيه كتاباً آخر في الموضوع ألّفه غيره فالكتاب الملخَّص هو عقد الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان ومؤلفه هو معاصره محمد بن يوسف الشامي الدمشقي (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) .

قال ابن حجر في مقدمة تلخيصه متحدثاً عن عمله في كتابه « الخيرات الحسان» « لخّصتُ مقاصده ونقّحتُ مصادره » وجعله في ثلاث مقدمات وأربعين فصلاً وخاتمة ، لم يختلف كثيراً عن منهجه في رسالته السابقة الذكر من حيث الاهتمام بعرض فضائل ومزايا الإمام أبي حنيفة الأخلاقية والدينية والعلمية مع الإكثار من إيراد القصص التي تقوم أمثلة مؤكدة لثبوت تلك الصفات والمناقب للمترجم .

وبالإضافة إلى ذلك فقد اهتم اهتماماً بالغاً بالرد على من يحط من مكانة أبي حنيفة بسبب التعصب المذهبي ، مبيناً خطر ذلك على الوحدة الإسلامية مُنكِراً على من

تزل قدمه ويقع في واحد من الأئمة والعلماء الصالحين من مجتهدي المذاهب السنية الأربعة .

هذه أهم سمات منهج ابن حجر في عرض التراجم المطولة التي خص بها إمام المذهب الحنفي .

٢ – الغرض الثاني :

أما الغرض الثاني من أغراض كتابة ابن حجر لنمط كتابة التراجم ، فهو يختلف عن الغرض الأول حيث أنه أراد أن يجري على مسلك أبناء عصره في وضع معجم له يجمع فيه شيوخه الذين أخذ عنهم العلم ليكون شهادة على مستواه العلمي واتساع زاده الثقافي ووفرة الكتب التي أخذها عن شيوخه .

ورغم أنه أراد أن يضع معجماً له فإنه شذّ عن بقية زملائه من مؤلفي المعاجم فإنه لم يجعله معجماً مترجماً لكل شيوخه ذاكراً لهم ، وإنما اكتفى فيه بما قرأه على ثلاثة من كبار شيوخه . وعوضاً عن أن يضع ترجمات لكل شيوخه أو لهؤلاء الثلاثة منهم فقط ، فإنه خصّصه لتراجم مؤلفي الكتب التي درسها على شيوخه من القدماء أصحاب المؤلفات الكبيرة والأساسية في العلوم الدينية واللغوية والعقلية ، فكان عدد هذه الترجمات (٣٢) ترجمة كانت في أكثرها موجزة تكفي لتضبط اسم الشيخ ونسبه وتاريخ ولادته ورحلاته لطلب العلم وشيوخه وتلاميذه وصفاته وأهم حوادث حياته وأشهر تآليفه وآراء العلماء فيه ثم تاريخ وفاته . وهو ما يستجيب لغايته ويكفي ليبيّن للقاريء أهمية هذا المؤلف ومكانة تآليفه في إثراء الزاد الثقافي لطالب العلم .

وهكذا ، فإن ابن حجر عالج الكتابة التاريخية في فن التراجم ، فكانت كتابته في هذا المجال متلائمة مع غرضه الذي يريده منها تطول حين يستلزم الغرض الإطالة والتوسع وتكون موجزة إذا استلزم الغرض الإيجاز .

* * *



الفصل السادس

مؤلفات ابن حجر ورسائله

المشتملة على معلومات

تاريخية وحضارية اجتماعية تصور عصره

(أ) مؤلفات ورسائل تشتمل على معلومات متعلقة بالتاريخ السياسي وببعض النظم في الحجاز :

اهتم ابن حجر ، وهو الفقيه المحدث ، بأمور السياسة والمجتمع ، فقدم النصح والإرشاد للملوك وأصحاب السلطة بتأليفه كتابه « نصيحة الملوك » (١) ، ليوضح فيه قواعد السياسة الشرعية وما يتبعها من أحكام فقهية ، يجب على الملوك وأصحاب السلطة الالتزام بها وتطبيقها .

كما وضح كتابه « إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العمال والحكام » في المسائل المتعلقة بالهدية والرشوة التي تُقدم للقضاة وأصحاب السلطة والحكم ، مع بيان آراء العلماء فيها على مختلف المذاهب (٢) .

واهتم ابن حجر بتذكير أصحاب السلطة والسياسة بوجوب تطبيق العدل ، فوضع كتاب « الأربعون حديثاً في العدل » وأهداه إلى السلطان سليمان خان ، جامعاً فيه الأربعين العدلية من الأحاديث الخاصة بالعدل والعدالة (٣) .

ومن أبرز مؤلفات ابن حجر التي تعلقت بالسياسة والحكم كتابه « جمر الغضا، لمن تولى القضا » (٤) ، فقد وضعه في نقد قضاة السوء وذم أفعالهم التي تمجّها الأسماع وتستنكرها الطباع وقال عنهم : « ولما أن كان غالب قضاة زمننا بلغوا إلى ما لم يبلغه غيرهم ، صنّفتُ كتاباً في قبائحهم وصدّرتُه بأربعين حديثاً فيه مزيد الذم وتشديد الوعيد على أكثر القضاة ، وسميته « جمر الغضا ، لمن تولى القضا » (٥).

وركز ابن حجر اهتمامه بالتأليف عن النظام التعليمي ، حيث وضع كتابيه «تحرير المقال ، في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليه مؤدبو الأطفال » .

---

(١) راجع مؤلفات ابن حجر في الأخلاق (وهو كتاب لم نعثر عليه) .
(٢) انظر : حديثي عنه ضمن مؤلفات ابن حجر في الأخلاق .
(٣) انظر : ما كتبته عنه في مؤلفات ابن حجر في الحديث .
(٤) انظر : ما كتبته عنه ضمن مؤلفات ابن حجر في الحديث .
(٥) ابن حجر : الإعلام بقواطع الإسلام : (ص١٧) ، وكتاب جمر الغضا لم نعثر على نسخة منه .

و« آداب المعلم والمتعلم » . فجاءت في كتابه الأول إجابات لأسئلة وردت عليه من أحد مؤدبي الأطفال بمكة وهو عبد الله اليافعي ، وجمع فيه ابن حجر جميع ما يتعلق بمسائل التعليم خاصة تعليم القرآن وفضل تدريسه وحكم أخذ الأجرة عليه وغير ذلك من أحكام خاصة بالمعلمين والمتعلمين . وجاء كتابه الثاني تلخيصاً لكتاب وجده لأحد علماء المغاربة جامعاً فيه كثيراً من المسائل في مجال التعليم وآدابه . فأخذ ابن حجر حاصل ما فيه ونقحه وزاد عليه - وهذا يوضّح مدى اهتمام ابن حجر بالنظام التعليمي في مجتمعه وما يجب أن يكون عليه .

أما كتاب ابن حجر « الفتاوى الحديثية » فقد وجدنا فيه الكثير من المعلومات التاريخية المتعلقة بالتاريخ القديم والسيرة النبوية . فمن أمثلة التاريخ القديم : ما ورد في (ص٣٩) من ذكر ملوك الأرض من القدماء كذى القرنين وسليمان عليهما السلام .

وما ورد في (ص٦١) عن قصة هاروت وماروت .

وما ورد في (ص١٥٨) عن عدد نساء سليمان عليه السلام .

وما ورد في (ص١٨٨) في قصة عوج بن عنق وما فيها من أحاديث وروايات موضوعة .

وما ورد في (ص٢٥٣) عن تاريخ سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وما ورد في (ص٢٨٩) عن موت فرعون كافراً .

وما ورد في (ص٣٠٧) عن حياة الخضر عليه السلام . وغير ذلك .

ومن أمثلة ما جاء في كتاب « الفتاوى الحديثية » ويتعلق بالسيرة النبوية : ما ورد في (ص٤) عن طول عمامة الرسول ﷺ .

وفي (ص٥٥) عن عدد الذين آخى بينهم رسول الله ﷺ .

وفي (ص١٢٧) عن بنات الرسول ﷺ قبل النبوة .

وفي (ص١٣١) فيمن سُمّي محمداً قبل نبينا محمد ﷺ .

وفي (ص١٣١) عن عدد أولاد النبى ﷺ من ذكور وإناث .

وفي (ص١٧٥) ما ورد فى حق إبراهيم ابن النبى محمد ﷺ .

وفى (ص١٧٧) عن واقعة حفر الخندق ومعجزاتها .

وفى (ص٢٢١) عن خوفه ﷺ وتعوذه فى أدعيته . وغير ذلك .

مع إيراد أخبار أخرى تاريخية تخرج عن السيرة النبوية منها :

ما ورد فى (ص١٦٥) عن الحكمة فى خصوص أولاد فاطمة بالشرف .

وفى (ص١٦٨) أن العلامة الخضراء للأشراف حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) وفى نفس الصفحة عن أوقاف الأشراف .

(ب) مؤلفات ورسائل متعلقة بالحرمين :

اهتم ابن حجر فى مؤلفاته بذكر أوضاع الحرمين المكي والمدني واختص كتابه «المناهل العذبة فى إصلاح مَا وَهَى من الكعبة » [1] فى ذكر حادثة وقعت خاصة بالمسجد الحرام وحكم الإصلاح فى الكعبة بالهدم والعمارة وغير ذلك مما يستوجب الإصلاح فيها وذلك سنة (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) .

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب وضعه ابن حجر ليكون فتوى فقهية فى حكم إعادة بناء سقف الكعبة وجدرانها وبه يحسم الخلاف الواقع بين فقهاء عصره فى ذلك ، إلا أنه اشتمل على الكثير من الأخبار التاريخية المتعلقة ببناء الكعبة عبر العصور القديمة والحديثة فتناول بناء الملائكة ، وبناء آدم ، وبناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ثم بناء العمالقة وجرهم وقصي بن كلاب وعبد المطلب وبناء قريش . ثم استعرض البناء والعمارة فى العصر الإسلامي فتناول بناء عبد الله بن الزبير والحجاج والوليد بن عبد الملك ، والمتوكل العباسي سنة (٢٤١هـ/ ١١٥٥م)، وما حدث فى عمارة سقفها ودرجتها سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م) ، وإصلاح رخامها فى عهد المستنصر العباسى سنة (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) ، وما حدث

---

(١) درسناه وفصلنا الحديث عنه فى الفصل الخاص بكتب التاريخ ، انظر : (ص٣٧١ - ٣٧٩) من هذا المؤلَّف .

من تجديد رخامها سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) فى زمن المظفر الرسولي صاحب اليمن، وإصلاحها سنة (٨١٤هـ/ ١٤١١م) بحضور الإمام الفاسي ، وإصلاحها فى عهد السلطان برسباي سنة (٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م) وغيرها .

كما قدم عرضاً تاريخياً لواقعة القرامطة سنة (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) [(١)] وما وقع فى المسجد الحرام وحجاج البيت العتيق من قتل وإيذاء ، وذكر سرقة الحجر الأسود وبقائه لديهم (٢٢ سنة) . وهو يقدم فى رسالته هذه كتابة تاريخية دقيقة لحل مشكلة فقهية ذات طابع عقدي .

ومن اهتمام ابن حجر بأوضاع الحرمين وأخبارهما ما ذكره فى كتابه الفتاوى الفقهية ، حيث روى لنا حادثة تاريخية وقعت فى عهده بالمسجد الحرام . فذكر فى باب طلب الفتوى خبراً تاريخياً يتعلق بما « وقع فى موسم سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) ضحى يوم النحر بين صاحب مكة وأمير الحاج من فتنة اقتضت خوف الناس كلهم من أعراب البوادي وغيرهم على نفوسهم وأموالهم إن أقاموا بمنى للمبيت أو الرمي ، ثم تزايدت واشتد الخوف إلى أن رحل أكثر الناس من منى وتركوا المبيت ورمي أيام التشريق وتغذرت الاستنابة ولم يبق بها إلا المخاطر بنفسه وماله » [(٢)] .

وعاد ابن حجر إلى ذكر هذه الحادثة فى كتابه (الصواعق المحرقة) وعرضها بصورة مفصلة فقال : « ما أخبرني به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحيهم لما وقع من أمير الحجاج الفاجر المفسد المذموم المخذول ما سوَّلتْ له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيد الشريف صاحب مكة محمد أبى نمي - زاد ترقيه وعلوه - ببيته بمنى يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده فى ساعة واحدة - أعاذهم الله من ذلك - فظفروا به وأرادوا قتله وجميع جنده لكنه - أعني السيد أبا نمي - خَشي على الحجاج أن يُقتلوا عن آخرهم فلا يفضل منهم عقال ، فأمسك عن قتاله .

---

(١) إن هذه الأمور وردت مفصلة بأرقام أوراقها فى دراستي لكتاب المناهل العذبة فى موضعه من الكتاب .

(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٢/ ١٣٢-١٣٣) .

ثم ذهب ليلة النفر إلى مكة والناس فى أمر مريج . فلم يزدد ذلك الجبار إلا طغياناً ، فنادى أن الشريف معزول ، فلما سمعت الأعراب بذلك سقطوا على الحجاج ونهبوا منهم أموالاً لا تُعدّ وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصال الحجاج والأمير وجنده . فركب الشريف - جزاه الله عن المسلمين خيراً - وأثخن فى العرب الجراح وقتل البعض فخمدوا . واستمر ذلك الجبار بمكة والناس في أمر مريج بحيث عُطّلت أكثر مناسك الحج والجماعات وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يُسمَع بمثله ، ثم رحل ذلك الجبار وهو يتوعد الشريف بأنه يسعى في باب السلطان فى عزله وقتله . وكان ذلك كله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة . . » [1] - (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) .

ولقد اعتمد مؤرخ مكة السنجاري فى كتابه منائح الكرم على نقل هذه الحادثة التاريخية عن ابن حجر فأوردها بقوله : « ورأيت فى ذيل الصواعق المحرقة للعلامة ابن حجر المكي . . » [2] .

وفى كتاب ابن حجر الفتاوى الفقهية أورد كامل نص تأليفه الذي عنوانه «الاتحاف ببيان أحكام إجارة الأوقاف » [3] الذي قدم فيه ابن حجر أوصافاً لأوقاف بيوت مكة وأحكامها وما يحق للناظر منها ومدة وقفها وغير ذلك[4]، كما أورد أخباراً « عما يفعله حكام مكة من إجارة دور الوقف الخربة الساقطة مائة سنة أو نحوها»[5] ، وحكم ذلك وما يترتب عليه من مصاريف اصلاحها وعمارتها.

كما وضع ابن حجر كتابه « كشف الغين عن أحكام الطاعون وأنه لا يدخل البلدين » الذي أورد تلخيصاً له ضمن كتابه الفتاوى الفقهية[6]، وتناول فيه أخباراً عن أقوال العلماء هل يمكن دخول الطاعون مكة والمدينة أو لا . ولقد ذكر تلميذه

(١) ابن حجر : ذيل الصواعق المحرقة (ص٢٤٤-٢٤٥) .
(٢) السنجاري : منائح الكرم فى أخبار مكة والحرم (٢/ ٤٢٩) .
(٣) ابن حجر : اتحاف إجارة الأوقاف المطبوع ضمن الفتاوى الفقهية (٣/ ٣٢٦-٣٤٩) .
(٤) ابن حجر : المصدر السابق (ص٣٣٥) .
(٥) ابن حجر : المصدر السابق (ص٣٣٩) .
(٦) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٤/ ٢٠-٢٩) .

السيفى عن كتابه هذا قوله : « ألفه مستهل رجب سنة اثنين وسبعين وتسعمائة (٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م) لما سُئل أيدخل (الطاعون) مكة ؟ » [١] .

ومن كتاب ابن حجر « تنوير البصائر والعيون بإيضاح حكم بيع ساعة من قرار العيون » الذي ورد نصه ضمن كتاب الفتاوى الفقهية [٢] ، خصص ابن حجر الباب السادس « فى بيان حكم عيون الحجار بخصوصها هل هى مملوكة أو مباحة؟ وهل يصحّ بيعها أو لا ؟ » [٣] .

ثم استعرض حكم بيع العيون بمكة وأوضاعها فى عصره فقال : « أنه لا يوجد أحد من أهل عيون مكة يملك ماء مجرداً عن القرار قط ، بل كل من ملك الماء ملك قراره بحيث أن ذيل العين ومجراها ومنبعها إذا خرب وتنازع الشركاء فى عمارتها عمروها على حسب ملكهم للماء . ولو رفعوا الأمر إلى قاض أو أمير بمكة لحكم بينهم بذلك ، وأيضاً بعض عيون أودية مكة الآن خراب لا يجري فيها ماء منذ سنين ، ومع ذلك فقد أخبرني بعض الثقات أنه اشترى من هذه العين أجزاء وأن صورة مشتراها : اشترى فلان ساعة مثلاً من قرار عين كذا » [٤] . فهو يبين لنا نموذجاً لصورة عقد الشراء بمكة فى ذلك العصر . مع أخبار أخرى عن العيون بمكة وما حولها .

ونستطيع أن نستخرج من بعض الفتاوى الفقهية التي تعرض على ابن حجر ويقدم إجاباته عنها ذكراً لبعض الأوضاع الاجتماعية والحضارية فى الحرم النبوي الشريف .

فجاء مثلاً فى إجابته عن سؤال ورد عليه مضمونه : « سئل - رضي الله تعالى عنه - عن أمره ﷺ فى مرضه الذي مات فيه الصحابة بسد أبوابهم النافذة إلى مسجده إلا خوخة أبى بكر - رضي الله عنه - من رواه ؟ وما حكم ذلك بعد وفاته ﷺ » [٥] . فقدم فى إجابته عرضاً لأبواب المسجد النبوي ووصفاً لشوارع

---

(١) السيفى : نفائس الدرر : (ورقة ٥ أ) .
(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٢/ ١٦٦-٢٢١) .
(٣) ابن حجر : المصدر السابق (ص١٨٩) .
(٤) ابن حجر : المصدر السابق (ص٢١٨) .
(٥) ابن حجر : المصدر السابق (٣/ ١٦٠) .

المدينة المنورة وتطوّر العمارة بالمسجد النبوي فى عهد الصحابة . ثم جعل خاتمةً تضمنت موضوع اختلاف العلماء حول رغبة السلطان قايتباي فى بناء مدرسة بجوار المسجد النبوي ، وأن يجعل الحائط مشتركاً بين المسجد والمدرسة وحكم ذلك[1] .

كما عرض ابن حجر فى فتاويه الفقهية أخباراً عن أوضاع اجتماعية وحضارية فى عهده منها وظائف البوابين فى الحرم النبوي وما يخصص لهم من صدقات وكيف تقسم بينهم ، وعدد البوابين فى تلك الفترة وجهات تعيينهم فقال : « سئل عن شخص دخل إلى الحرم الشريف النبوي وأعطى البوابين به وهم تسعة أنفار لكل نفر منهم خمسين محلقاً والتسعة الأنفار بعضهم مقَرَّرٌ بالأصالة فى وظيفة البوابة بتقرير الناظر الشرعي، وبعضهم نائب بالأجرة عن صاحب الوظيفة. . . »[2].

ونجد ابن حجر فى كتابه الفقهى « مختصر الإيضاح » [3] يقدم العديد من المعلومات الحضارية الخاصة بالحرمين .

ففى (ص٦٥) يصف مسجد الخيف فى عرفات وأن منارته فى وسطه .

وفى الباب الخامس فى المقام بمكة (ص٨٥) يقدم عرضاً لفضائل مكة .

وفى (ص٩٠-٩٤) يقدم عرضاً لتاريخ عمارة الكعبة المشرفة منذ القديم وبعد النبوة .

وفى (ص٩٤) يقدم عرضاً لأسماء المدينة المشرفة .

وفى (ص٩٩-١٠٠) يستعرض بناء المسجد النبوي فى عهد الرسول ﷺ وزيادة الصحابة والأمويين فيه .

(جـ) مؤلفات ورسائل تشتمل على معلومات تصوّر وجوهاً من الضلال والبدع والأخطاء المنتشرة فى عصره :

- من أبرز وجوه الضلال المنتشرة بمكة فى عصر ابن حجر كان ظهور الشيعة

---

(١) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ١٦٤) .

(٢) ابن حجر : الفتاوى الفقهية (٣/ ١٦٤) .

(٣) ابن حجر : مختصر الإيضاح المطبوع بهامش عمدة الأبرار للونائي انظر : (ص١٧٧و١٧٨) من هذا المُؤَلَّف .

وتكاثرهم ونشاطهم فى نشر دعوتهم ومبادئهم . ومن المؤكد أن عالم مكة وفقيهها ابن حجر لا يمكن أن يقف موقف المتفرج أمام هذه الظاهرة الخطيرة فى المجتمع المكى . لذا نراه يحارب الشيعة بطريقة العلماء ، فيضع المؤلفات الخاصة بذلك ويهدم أفكارهم ويبطلها . كما أننا نجده فى مؤلفات أخرى لا يترك فرصة تأتيه لإثبات ضلال الشيعة إلا ويغتنمها .

فهو يؤلف كتابه « الصواعق المحرقة فى الرد على أهل الضلال والبدع والزندقة» رَدا على الشيعة ومناقشة أقوالهم وإبطال دعواهم محتجاً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات الصحابة وكبار العلماء وروايات المؤرخين . وكان قد كتب قبله مؤلفاً فى حَقّية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب وقال عنه : « ثُم سُئلتُ قديماً في إقرائه في رمضان سنة خمسين وتسعمائة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة أشرف بلاد الإسلام » [١] .

وها هو ذا فى كتابه « إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء فى الصدقة والضيافة» الذي وضعه سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) لما كثر القحط باليمن وجنوب الحجاز ونزح أهلها إلى مكة . فكتبه ليحثّ أهل مكة وخاصة الأغنياء منهم على وجوب الصدقة والضيافة ، وقال فى المقدمة عن الشيعة بمكة : « لكن منهم أو أكثرهم (أغنياء مكة) مَنَ هو رافَضي أو شيعي يبغض الإسلام وأهله ، فلا تزيده رؤية سَيئ أحوال من المسلمين إلا فرحاً وسروراً ، طهر الله بلده الأمين ، وحرمه المطهر ، وبيته المكرم المعظم ، منهم ، وعاملهم بعَدْله ، وعاجَلهم بعِقابه ، وسلب نِعَمه » [٢] .

وفي كتابه « النفحات المكية » الذي لم نعثر على نسخة منه إلا أنّ ما كَتَبه عنه تلميذه السيفي يوضّح أنّ ابن حجر اختص الخاتمة : « فى الردّ على الرافضة والشيعة » [٣] .

---

(١) ابن حجر : الصواعق المحرقة : (ص٣) .

(٢) ابن حجر : مقدمة إتحاف ذوي المروءة والأناقة ، بما جاء فى الصدقة والضيافة (ص١٦) .

(٣) السيفى : نفائس الدرر (ورقة ٥ ب) .

وفى كتابه « شرح شمائل الترمذي » وعندما يذكر محمد بن الحنفية فى سند رواة حديث من الأحاديث ينتهز الفرصة ليوضح خطأ اعتقاد الرافضة فى محمد هذا فيقول : « ومحمد هو ابن الحنفية أَمةٌ لعلي - رضي الله عنه - حصلت له مِن سبْي بني حنيفة . قيل من سخافة عقول طائفة من الرافضة أنهم يعتقدون فى محمد هذا الأُلُوهية مع أنّ أَبَا بكر هو المعطي عليا أُمَّه فلولا اعطاؤه له بحقية كوْنِه الإمام لكان إلهُهم دَعياً » [1] .

وفى كتابه « الزواجر عن اقتراف الكبائر » يهاجم آراء الخوارج وينتقدهم فى عدم فهمهم للأحكام الفقهية [2] .

- ومن مظاهر البدع التي حاربها ابن حجر بمكة وانتقدها فى مؤلفاته البدع التي ظهرت عند الصوفية . فقد ألف كتابه « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » للرد على مجالس الصوفية وما يحدث فيها من رقص وغناء واستعمال آلات الطرب ، فقال فى مقدمة كتابه : « الحمد لله الذي حظر مواطن اللهو على عباده . . . وكشف لهم عن تسويلات الشيطان ، لا سيما على قوم زعموا التصوف والعرفان . . . لما غلب عليهم من الشهوات ومحبّة البطالات والسعي فى جلب فَسَقَة العامة إلى مجالسهم لينالوا من حطامهم وخسائسهم الجالبة لهم إلى القطيعة لعدم علمهم بما قاله أئمة الحقيقة والشريعة . فحمداً لك اللهم أن وفقتنا لرد سقطاتهم الشنيعة ، وتقولاتهم الفظيعة ، . . . لأنهم سنُّوا سُنَناً سيئة مصحوبة بالإلحاد والعناد ، فباءُوا بوزرها ووزر من يعمل بها إلى يوم يرون جزاء ذلك على رؤوس الأشهاد . . . » [3] وذكر أنه فى سنة (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) دُعي إلى مجلس ذكر فسئل عن كتاب فرح الأسماع لأبى المواهب التونسي ، فأجاب بأن السماع من البدع وطُلب منه أن يبين الأمر فألف كتابه هذا وتناول فيه تعريف السماع ، وأنواع الغناء وذكر جميع أنواع الآلات الموسيقية التي كانت تستعمل فى عصره كالدف والطبل والكوبة والصفاقتين والضرب بالقضيب والضرب بالأقلام على الصيني والشبابة والزمارة والأوتاد والمعازف والضرب بالكفين وغيرها [4] .

---

(١) ابن حجر : شرح شمائل الترمذي (ورقة ١٢ أ - ب) .

(٢) ابن حجر : الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٢٢١) .

(٣) ابن حجر : كف الرعاع المطبوع بعد الزواجر (ص٢٦٨) .

(٤) ابن حجر كف الرعاع (ص٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩) .

كما بين أنواع اللهو المحرم كالنرد والشطرنج والحمام [(١)] وغير ذلك من الألعاب المنتشرة فى عصره مما يصوّر جانباً هاماً مما كان يقع عند المتصوفة وغيرهم من بدع .

– وقد ألف ابن حجر موالد أربعة ذكر فيها أخبار ميلاد الرسول ﷺ – ولم يكن يرى بذلك بأساً – لأنه اعتبر ذلك كتابة فى تاريخ السيرة النبوية خاصة وأنّ موالده التي ألفها لم تكن تشتمل على روايات ضعيفة ولا على خرافات ومبتدعات [(٢)] .

وخلال كتابه النعمة الكبرى على العالم الذي يعتبر أكبر موالده ، ذكر تلك المجالس التي كانت تنعقد فى مكة وفى غيرها والتي تُسَمَّى أيضاً موالد وانتقد فيها ما كان يقع فيها من مظاهر الابتداع كاختلاط الرجال بالنساء والخروج إلى زيارة محل المولد على أشنع هيئة ومنظر وما يقع فى هذه الموالد من الفواحش وقراءة كتب تشتمل على الكذب والبهتان والباطل موردأ قصصاً تذكر بعض القبائح[(٣)] .

كل أخباره فى هذا الكتاب تبين للدارس ما كان يشيع بين الناس من بدع فى هذه المجالس المسماة بالموالد .

– ومن أخطاء المجتمع التي نقدها ابن حجر وألف بسببها مؤلفات ورسائل تلك الانقسامات المذهبية السنية التي كانت تقوم بين الأحناف والشوافع والحنابلة والمالكية، وما شاع خَطأً عن أبى حامد الغزالي من أنه ألّف فى الحط من أبى حنيفة وما كان من رد فعل الكردري من تأليف كتاب فى الحط من الإمام الشافعي.

كل ذلك جعل ابن حجر يهتم بالتأليف فى مناقب الأئمة الأربعة عامة ومناقب الإمام أبى حنيفة خاصة، ويثبت احترام أبى حامد الغزالي للإمام أبى حنيفة وبراءته من نسبة هذا الكتاب وبين تقديره لأبى حنيفة فى كتاباته مثل كتابه الإحياء.

ويبيّن ابن حجر فضل الأئمة جميعهم وعدم جواز التعرض لهم بالتنقيص أو السب [(٤)] ، فوضع رسالة بعنوان « معدن اليواقيت الملتمعة فى مناقب الأئمة

---

(١) ابن حجر : كف الرعاع (ص٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢) .

(٢) انظر : ما كُتب عن موالد ابن حجر فى المؤلفات الخاصة بالسيرة النبوية فى هذا الكتاب .

(٣) راجع مؤلفاته فى السيرة . كتاب النعمة الكبرى على العالم فى هذا الكتاب .

(٤) راجع ابن حجر : الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان (ص٣-٤) .

الأربعة» وترجم للأئمة الأربعة فى معجمه المسمى « بالإجازة » . وكما ترجم لهم أيضاً فى كتابه « فتح الإله فى شرح المشكاة » .

أما كتاباته فى أبى حنيفة النعمان فتعددت ، حيث جاءت طويلة تارة وقصيرة أخرى ، فوردت ترجمته ضمن مؤلفاته أحياناً ، وخصصت بها أحياناً أخرى رسالة عنوانها « رسالة فى مناقب أبى حنيفة النعمان » أو كتاب عنوانه « الخيرات الحسان فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان » .

- وظهر التفاخر والتفاضل بين العرب وغيرهم وتفشت ظاهرة بغض العرب والافتخار عليهم من الأجناس الأخرى ، فلاقت اهتمام ابن حجر فخصها بالتأليف حيث وضع رسالته « مبلغ الأرب فى فخر العرب » التي قال فى مقدمتها: « وبعد ، فإن كثيرين من الفرق الأعجمية ، والطوائف العنادية ، جُبلوا على بغض العرب . وقد كثر من جمع جم لا خلاق لهم الوقيعة فيهم والاستهتار بحقوقهم ، فقصدتُ أن أُتحِفهم برسالة مختصرة جدا لتكون-إن شاء الله تعالى-كافة لمن اطلع عليها أن يخوض فيهم بأدنى كلمة»[(١)] وتضمن مؤلفه هذا التركيز على وجوب محبة العرب وأن بغضهم مفارقة للدين وحبهم إيمان.

ثم استعرض القبائل العربية واتصال نسبها بالنسب النبوي الشريف وفى ذلك مداواة لخطر قد يهدم الوحدة الإسلامية ويبث فيها العداء والتفرقة [(٢)] .

ومن الأمراض الاجتماعية التي أصابت مجتمع المؤلف انتشار استعمال الكفتة والقات بين أفراده . فقد ظهر فى اليمن واختلف علماؤه فى حكمه الشرعي ، ثم انتقل هذا الداء الاجتماعي إلى مكة ورجالها ، فاستعمله بعض الفقهاء والمدرسين وجربه بعض الأشراف .

ونرى أن ابن حجر يؤلف كتاباً فى الموضوع هو كتاب وُضِع ليكون بياناً للحكم الشرعي المقابل عنوانه « تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات » [(٣)]

---

(١) ابن حجر : مبلغ الأرب فى فخر العرب (ورقة ١ ب) .

(٢) راجع ما كتب فى الفصل الرابع : مؤلفات ابن حجر فى التاريخ . كتاب مبلغ الأرب فى فخر الغرب من هذا الكتاب .

(٣) انظر : ما كتبتُه عنه فى هذا الكتاب .

وقد تناول فيه ذكر ووصف بعض المخدرات كالقات والكفتة والأفيون والحشيشة وجوزة الطيب ، مع بيان أحوال مستعملي المخدرات من الكفتة والقات ، وما يلحقه بهم من الضرر والمرض والجنون ، بالإضافة إلي ذكر اختلاف الفقهاء اليمنيين والمكيين عند ظهوره بينهم فى الجواز والمنع .

– وقد ظهرت القهوة وتفشى أمرها فى المجتمع المكي فى أوائل القرن العاشر الهجري [1] ، ويبدو أنها انتشرت بين الناس وظهرت محلات عامة تسمى بيوت القهوة واختلف العلماء فى حكمها أيضاً .

واهتم ابن حجر بموضوعها فذكر فى معجمه المعروف بالإجازة [2] أنه حضر وليمة عرس فى تاريخ قرب سنة (٩٥٠هـ/١٥٤٣م) وقُدم للحاضرين شراب القهوة فذكر أقوال العلماء فيها وحججهم فى تحليلها وتحريمها بحسب آرائهم – وعرض مع ذلك كثيراً من أخبار ظهورها فى المجتمع المكي ومواقف أهل السياسة والعلم منها ومن اجتماعاتها . ووصف فيها بعض المجالس التي انعقدت في مكة للنظر فى حكمها وللحوار حول حرمتها أو تحليلها . مع عرضه لبعض أخبار ظهورها واختلاف الناس حولها فى مصر وامتحان بعض العلماء فيها .

وهكذا نلاحظ بأن ابن حجر تناول الموضوعات التاريخية فى كتب لم توضع أساساً للتاريخ، وإنما عرضها خلال كتاباته الفقهية والحديثية والأخلاقية والعقدية.

فقد عرض المعلومات التاريخية فى مؤلفاته غير التاريخية ، وبذلك يكون قد استعمل الكتابة التاريخية فى كتب لم تخصص للتاريخ . وإنما جَعَل فيها التاريخ حُجَة يقيمها للاستدلال على آرائه ومواقفه ، وبهذا نعتبر أن ما كتبه ابن حجر فى مختلف هذه الكتب والرسائل مصدراً صادقاً يُبيّن للباحث كثيراً من المعارف التاريخية والحضارية التي تصف العصر ومشاكله التي تحدث فيه. وهذا ما لا يستغني عنه كل دارس وباحث .

* * *

(١) نجد لها ذكراً فى كتب مؤرخي أول القرن العاشر من المكيين ، ومنهم جار الله بن فهد فى كتابه نيل المنى (ورقة ٦ أ ، ٦٣ ب ، ٨٩ ب) .

(٢) ابن حجر : الإجازة : (ورقة ١٠٥ أ – ١٠٩ أ) نسخة ألمانيا .

الخاتمة

لقد تناول هذا الكتاب عنصرين رئيسيين هما :

أولاً : التعريف بواحد من علماء المسلمين الذين عاشوا بمكة المكرمة فى القرن العاشر الهجري ، وقد برّز فى تناوله للعلوم الإسلامية وامتاز بكثرة تآليفه ووفرة فتاويه ومواقفه الإصلاحية التي أراد بها أن يواجه كل الأخطار العقدية وكثيراً من المظاهر البدعية التي ظهرت فى مجتمعه .

وثانياً : تتبع إنتاجه العلمي فى ميدان التاريخ وجَمْعه والتعريف به ودراسته وبيان مناهجه فيه مع توضيح غاياته من هذه الكتابة التاريخية .

فقد عاش ابن حجر الهيتمي فى القرن العاشر الهجري ، الذي شهد فى رُبُعه الأول تحوُّلَ السلطة فى المشرق من المماليك إلى العثمانيين ، فقضى شبابه ومرحلة الطلب فى مصر ، ينهل من الأزهر الشريف ، وانتقل إلى مكة ليقضي بها معظم حياته مدرّساً مفتياً مؤلفاً وداعياً إلى سبل الصواب .

وقد وجَد فى مكة المكرمة المجال الواسع والمحيط الطيب الذي يُظهِر فيه دقة نظرِه فى العلم وسعة معرفته بفنونه ، ووجد من علمائها وحكامها وأبنائها اعترافاً بفضله وتقديراً لعلمه واحتواءً لمختلف آرائه ، وهو ما سمح له وهيّأ له الظروف الطيبة ، لأن ينصرف إلى التأليف ونشر المعرفة عن طريق القلم والقرطاس . فإذا هو يؤلف العديد من المؤلفات التي بلغت - حسب إحصائنا - مائة وسبعة عشر عنواناً ، منها الرسائل الصغيرة ، ومنها المؤلفات التي تشمل المجلدات الكثيرة .

وإذا كان الغالب على مؤلفات ابن حجر الهيتمي أنها فى علم الفقه (على مذهب الإمام الشافعي) مما جعله يشتهر بالفقه أكثر من غيره ، فإنه ألّف كذلك فى الحديث والعقيدة وأصول الفقه والسيرة النبوية والتاريخ والتراجم والنحو والأدب والأخلاق والفلك .

فكانت عدة مؤلفاته فى الفقه وأصوله : ٥٠ .

وفى الحديث : ١٠ .

وفى العقيدة : ١٠ .

وفى السيرة والتراجم والتاريخ : ١٨ .

وفى الأدب والأخلاق : ٢٦ .

بالإضافة إلى مؤلفيْن فى النحو وواحد فى الفلك .

وهذا التنوع إن دلّ على شيء ، فإنما يدلّ على اتساع دائرة ثقافة الرجل ووفرة إمكانياته العقلية ، ورسوخ قدمه فى مختلف مجالات المعرفة . فهو بذلك يمثّل صورة صادقة للعالم المسلم الذي نذر حياته لخدمة الفكر الإسلامي ، ينشر العلم على طلابه المقيمين بمكة والوافدين إلى الحرمين الشريفين للحج والاعتمار والمجاورة . ويسدّ حاجات المجتمع المكي لمعرفة أحكام دينهم فى دنياهم بما كان يجيب به عن أسئلتهم واستفتاءاتهم ، ويكتب لهم من المؤلفات العديدة التي ترافقهم فى مساراتهم ليجدوا فيها القواعد والتفريعات وأوجه الاختلاف فى النظر ودواعي المقارنة بين الآراء ، ثم ترجيح الراجح منها وردّ الضعيف الذي لا يصمد أمام الحِجَاج والمناقشة .

وإنّ مَن تتبع المجالات العلمية التي تناولها ابن حجر فى مؤلفاته ، يجد الرجل من أولئك العلماء الذين انصرفوا إلى العلم كليةً لغاية أساسية وهى توعية المجتمع المسلم بأمر دينه ودنياه وهدايته إلى سوي المسالك فى أحكام شريعته .

فإنه لم يتعلم الفقه ولم يدرسه ولم يؤلف فيه ليكون قاضياً أو ليسعى إلى الوظائف السامية الممتازة ، فلم نعرف عنه أنه تولى قضاء ولا وظيفة فى دولة الأشراف ولا غيرها . ولم يتناول العلوم الأخرى بالبحث والدراسة لغاية مشابهة. وإنما بذل عمره وجهده فى هذه العلوم ليكون المنارة التي تشعّ بأضوائها على أبناء عصره ومجتمعه كي يهتدوا بها عندما تختلط بهم السُّبُل .

وقد تناول ابن حجر مختلف هذه العلوم بالتأليف والتدريس ، ولم يكن ذلك إلا خدمة لغرضه الأساسي منها وهو تعليم مجتمعه وتوعيته .

فقد تناول علم الحديث ليبيّن للناس الأحكام المستنبطة منه ، ويوضح لهم سنة الرسول الأعظم لينهجوا نهجها .

وتناول الدراسات الفقهية ليوضح للناس أحكام شريعتهم الطاهرة .

وتناول علوم التاريخ لتكون لهم عبرة وموعظة .

ولم يكن علم ابن حجر مقصوراً على واحد من هذه الفنون ، وإنما كان له فى كل مجال من هذه المجالات إنتاج وفير ومؤلفات بارعة وآراء نيّرة لو درسها الباحثون اليوم لكان كل واحد منها جديراً بالتأليف والدراسة الجامعية .

فإنه يمكن أن تُدرس آراء ابن حجر الهيتمي ومؤلفاته فى العقيدة وتعرض على النقد والتمحيص .

ويمكن أن يُدرس كفقيه شافعي من خلال كتاباته الواسعة فيه .

ويمكن أن يدرس كمحدث اعتماداً على مؤلفاته وفتاويه فى هذا الفن .

وقد أمكن لي والحمد لله أن أدرس جهوده فى الكتابة التاريخية فى عملي هذا.

ولم يكن ابن حجر الهيتمي مؤرخاً مختصاً فى التاريخ فحسب ، وإنما كان التاريخ علماً من العلوم التي حَذَقها وأتقنها . وعندما جمعتُ إنتاجه التاريخي وأمعنت النظر فى دراسته وجدْتُه يتناول أهم ميادينه ومختلف اختصاصاته :

- فقد ألف ابن حجر فى السيرة النبوية وتناول مختلف فروعها درستُها فى فصل خاص من هذا الكتاب .

- حيث شرح كتاب الشمائل لأبى عيسى الترمذي فجاء شرحه ثرياً بالنصوص التي استمدّها من أمهات المصادر الأساسية فى السيرة النبوية ، ليقدم للناس الصورة الناصعة لشمائل النبى ﷺ وصفاته الخَلْقية والخُلُقية .

- وألّف شرحاً للهمزية ، فجاء هذا الشرح موضحاً للعديد من الحوادث والأخبار المتعلقة بالعهد النبوي . وعلى الرغم من أن هذه القصيدة اشتملتْ على بعض الأبيات التي سلك فيها الشاعر مسالك المبالغة التي لا يستسيغها اعتقاد المسلم السني السَّلَفِي - مما وضحناه فى محلّه - فإنّ أغلب ما فيها من الأبيات وما جاء فى الشرح يعتبر كتابة تاريخية تتناول الكثير من الدقائق وأخبار السيرة النبوية الشريفة .

- وألّف ابن حجر فى الإسراء كما ألف فى أخبار قصة ولادة الرسول الكريم ﷺ وهو موضوع اعتنى به المؤرخون فى عصره وخَصّوه بكتب ورسائل كثيرة سموها الموالد . ولكن الطبقات الشعبية فى ذلكْ العصر وبعده وقعت فى أشكال

من البدع باقامة الاحتفالات التي لم يرد فيها نص ولا فعلها السلف الصالح بالإضافة إلى ما كان يقع فيها من البدع والقبائح .

فألّف ابن حجر فى الموالد وجعل المولد الكبير الذي عنوانه « النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد بني آدم » على قسمين انتقد فى الأول منهما البدع التي اقترنت بقراءة المولد فى فصل كامل جعل عنوانه « الفصل الثاني : فى قبائح صدرتْ من الناس مقترنة بالمولد لا سيما بمكة المشرفة » وانتقد مبالغة الناس فى الإحتفال بالمولد واختلاط الرجال فيه بالنساء وخروجهم لمحلّ المولد وظهورهم على أقبح هيئة وأشنع رؤية ، وانتقد زفة المؤلد وزينة النساء وطيبهن لحضوره ووقوع المفاسد فى ليلة المولد واصطفاف الفقهاء وتبخترهم فى مشيتهم وأساليب قراءة الموالد من الغناء المنكر وما يقرءونه من الأخبار الكاذبة والاختلاق فى السيرة النبوية وغير ذلك .

كل هذه البدع انتقدها ابن حجر وشهّر بها ودعا العلماء إلى تغيير هذا المنكر وترك هذا الباطل ومفارقة المجالس التي تحدث فيها .

وهكذا نرى أنّ كتاباته فى السيرة كانت بسبب بيان أخلاق رسول الله ﷺ وشمائله ولغرض عرض أخبار عصره ، ليجد الناس فى سيرته العطرة الأسوة الحسنة التي دعانا إليها الله تعالى فى قوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1] .

فلقد اغتنم ابن حجر فرصة تأليفه فى موضوع الموالد ليبين البدع التي انتشرت فيها ويشهّر بها ويوضّح ضلالات الفاعلين لها ، وليقدم لمن يريد الاطلاع على قصة المولد نصوصاً تعتمد ما صحّ من الأحاديث والآثار المعتمدة على المصادر الصحيحة ، لينصرفوا عما كانوا يقرءون من كتابات وصفها بالكذب والاختلاق والبهتان .

– وألّف ابن حجر فى مادة التاريخ الإسلامي العام سبعة كتب . خصَّص خمسة منها لبيان الحقيقة التاريخية التي توضح ما وقع من الحوادث فى القرن الإسلامي الأول .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٢١) .

تناول فى ثلاث منها تاريخ الخلفاء الراشدين وأحقيتهم بالخلافة وهى :

كتاب فى بيان حقّية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب .

وكتاب الصواعق المحرقة ، وذيله .

وفى الكتاب الرابع تناول موضوع خلافة معاوية بن أبى سفيان .

وفى الكتاب الخامس لخّص تاريخ الخلفاء للسيوطي ، وعرض بإيجار أخبار خلفاء المسلمين من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري .

وفى الكتاب السادس تناول أنساب العرب .

وفى الكتاب السابع تناول تاريخ عمارة الكعبة والأحكام المتعلقة بها عندما أريد إصلاحها فى سنة (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م) .

ألّف ابن حجر المكي كُتُبَه السبعة فى هذا المجال لغايات محدّدة وأغراض معينة أيضاً .

– فإن كتبه الخمسة الأولى منها وُضعتْ رداً على ضلالات الشيعة والروافض الذين يحاولون تغيير الحقائق التاريخية بالكذب والبهتان ، فينكرون أحقية أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية فى الخلافة ويبنون على ذلك تُرَّهاتهم وسبابهم للصحابة وللخلفاء الراشدين . مقدّما الأدلة على كذبهم وافترائهم بما عرضه فى مؤلفاته هذه من أخبار صادقة لا يرقى إليها الشك ، توضح الحقيقة التاريخية الناصعة التي تعتمد الروايات الصحيحة والمصادر اليقينية والحجة البالغة والنقد العقلي النزيه .

– أما كتابه مبلغ الأرب فى فخر العرب فقد أراد به أن يواجه بدعة فكرية جديدة ظهرت فى مجتمعه من طوائف الأعاجم والأتراك الذين ظهرتْ فيهم نزعة الشعوبية ، فصاروا يحطون من الجنس العربي ، وفى ذلك ما فيه من تشتيتٍ لوحدة المسلمين وتوهينٍ لقوتهم وإضعافٍ لتكاملهم وتكاتفهم .

– وألّف ابن حجر أربعة كتب فى التراجم . اثنان منها فى ترجمة أبى حنيفة النعمان ومناقبه . وواحد فى مناقب أئمة المذاهب السنية الأربعة ومعجماً لشيوخه.

وكانت غايته من الكتب الثلاثة الأولى مواجهة خطر اجتماعي ظهر استفحاله

فى مجتمع القرن العاشر الهجري . ألا وهو اشتداد الخلافات بين المذاهب الفقهية وشيوع التفاضل بين فقهائهم وطلابهم وعامتهم ، ولم يَخْفَ على ابن حجر ما ينتج عن ذلك من شتات أمر أهل السنة أمام انتشار الشيعة الروافض وظهورهم بأعداد كبيرة فى الحرمين الشريفين .

فألّف للناس كتاباً يبيّن به فضائل الأئمة الأربعة موضحاً أنهم جميعاً على علم وفضل ودين ، وأنه لا يجوز لمسلم أن ينتقص من قدر واحد منهم . وقدَّم المثل على ذلك بتأليفه لكتابين اثنين فى ترجمة أبى حنيفة وذكر فضائله ومناقبه ، وهو - أي ابن حجر - أكبر علماء الشافعية فى عصره .

وهكذا نراه يستعمل الكتابة التاريخية فى هذا المجال لمداواة مرض اجتماعي ولتقديم النصح والتوجيه لأولئك الذين تعصبوا لمذاهبهم الفقهية من غيرها .

هذه صورة موجزة عن مؤلفات ابن حجر التي وضعها للتاريخ أساساً .

ولكن الذي نلاحظه أن ابن حجر خلال تآليفه الفقهية والعقدية وغيرها ، قد يلجأ إلى الكتابة التاريخية . فيذكر حوادث القرون الماضية أحياناً ويذكر أيضاً ما يقع فى عصره من حوادث ومظاهر حضارية وبدع وضلالات ، فيعرض الكتابة التاريخية والحضارية ليصف فيها ما عَلِمَهُ وما رآهُ وشاهَدَهُ ولاحظهُ فى مجتمعه لينقد ما يستحق منه النقد ويبيّن رأيه فيه ومواقفه منه .

- ففى كتاب كفّ الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ، يحارب ما ظهر فى مجتمعه من مجالس الغناء عامة ، والغناء فى المجالس التي يعقدها المتصوفة ويعتبرونها دينية صالحة .

- ويحارب المخدرات التي كانت فى عصره ، فيؤلف رسالته التي عنوانها «تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات » فيوضح أخطار هذه المخدرات وغيرها كالأفيون والحشيشة ذاكراً حكم الشرع فيها .

- ويكتب عن القهوة وأحكامها نصاً يضمّه لمعجمه المعروف بالإجازة .

- وتظهر الرشوة فى مجتمعه ، فيؤلف كتاباً عنوانه « إيضاح الأحكام ، لما يأخذه العُمّال والحكّام » .

- ويقع نهب الأعراب للحجيج فى موسم سنة (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) فيذكر تلك الحوادث ويبيّن كِبَرها وحرمتها فى كتابه « ذيل الصواعق المحرقة » .

- وينتشر لعب النرد والشطرنج والحمام ، فيذكر ذلك وينتقده فى كتابه « كف الرعاع » .

وهكذا أمكننا فى هذا الكتاب أن نجمعَ ونعرضَ وندرسَ كل الانتاج التاريخي لهذا العالم ونبيّن جهوده فيه .

تلك الجهود التي كان يوجّهها دائماً لغايات شريفة نبيلة يحارب فيها ضلالات الشيعة الروافض ، وبدع غلاة الصوفية وأخطار البطالة والغناء واللعب ومصائب المخدرات ، وسوء سلوك العامة والحكام .

لذلك يمكننا أن نقول بأنّ ابن حجر سار فى كتابته التاريخية على منهج إسلامي خالص ، حيث استعمل التاريخ للموعظة الحسنة وللعبرة المفيدة . عملاً بقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِى الأَلْبَابِ ﴾ [1] . صدق الله العظيم.

* * *

(١) سورة يوسف : الآية (١١١) .



ثبت المصادر والمراجع

المخطوطات :

الأسدي : أحمد بن محمد المكي (ت١٠٦٦هـ/١٦٥٦م) .

- طبقات الشافعية .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٤) تاريخ تيمور .

ابن حجر : أحمد بن محمد الهيتمي (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م) .

- إتحاف إخوان الصفا ، بنُبَذٍ من أخبار تاريخ الخلفا = مختصر تاريخ الخلفاء للسيوطي .
- نسخة مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم - حضرموت - رقم (١٦) مجموعة آل يحيى رقم (٦) .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٧٦) تاريخ .
- إتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٠١٤) تاريخ طلعت .
- نسخة الأزهرية مصورة بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم (٢٧/ ٧١٨٧) .
- نسخة مكتبة الحرم المكي رقم (٣٧٨١/ ٣٣١) فقه .
- إتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء في الصدقة والضيافة .
- نسخة المكتبة السعيدية بحيدر آباد بالهند رقم (٢٤٧) .
- الإجازة = معجم شيوخ ابن حجر .
- نسخة مكتبة برلين - ألمانيا - رقم (١٧٤) .
- نسخة مكتبة الأحقاف بتريم - حضرموت - مجموعة آل يحيى رقم (١) مجاميع .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٣٤) مصطلح حديث تيمور .
- أدب المعلم والمتعلم .

- نسخة مكتبة جامعة برنستن ، ضمن المجموع (٤٢٢٤) (قسم يهودا) من مجموع جاريت Garrett للمخطوطات العربية . وهو المخطوط الأول من المجموع .

- أسنى المطالب ، فى صلة الأقارب .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٨٨) أخلاق تيمور .

- نسخة مكتبة خدابخش بتنا رقم (١٣٩٨) H L .

- نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند رقم (٩٤٠) (عام ١٣٢٤).

- أشرف الوسائل ، إلى فهم الشمائل .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٩٨٠) تاريخ طلعت .

- نسخة مكتبة الأحقاف باليمن تريم - حضرموت - رقم (٤١٣) .

مجموعة حسين بن سهل .

- نسخة مكتبة مكة المكرمة رقم (٣٣) تاريخ .

- الإعلام ، بقواطع الإسلام .

- مصورة مخطوط بمركز البحث العلمي التابع لجامعة أم القرى برقم (٢٣٦) مجاميع . (لم يُذكر اسم المكتبة التي حُفظ فيها) .

- إلصاق عُرر الهوى والهوس ، المضللة بمن غوى عن غُرر الهُدى حتى لم يفهم الاضطراب عن أنس فى حديث البسملة .

- مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٤٤٥) حديث تيمور .

- الامداد ، وهو شرح الإرشاد .

- مخطوط دار الكتب المصرية رقم (١٤٧٤) فقه شافعي .

- الايضاح والبيان ، لما جاء فى ليلة النصف من شعبان .

- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم (١٨٨٣/٣د) .

- الايعاب ، فى شرح العباب .

- نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٧٦٢) فقه شافعي .

- تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢١٦١٤) ب .
- تحرير المقال ، فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٩٧٩) تصوف .
- تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج .
- منه نسختان بالمكتبة المركزية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم (٤٧٨١) ورقم (٤٧٠١) .
- تطهير العَيْبة ، من دنس الغَيْبة .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٤٢/ ٣) مجاميع .
- التعرف ، فى الأصلين والتصوف .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٥٩٧) معارف عامة .
- تخليص الإحراء ، فى حكم تعليق الطلاق بالإبراء = مختصر المحرر من الآراء ، فى حكم الطلاق بالإبراء .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٣٨١٤٨) ب .
- نسخة المغرب مكتبة تطوان رقم (٣٢) .
- نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم (١٨٨٣/ ٤د) .
- الجوهر المنظم .
- نسخة الهند فى المكتبة الآصفية بحيدر آباد رقم (١٣٠) حديث .
- نسخة مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى رقم (٥٤٨) مجاميع .
- نسخة الهند خدابخش بتنا رقم (١٢٩٩) H L .
- حاشية الإيضاح فى المناسك للإمام النووي .
- مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٩١٣) فقه شافعي .
- الخيرات الحسان ، فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان .

– نسخة مكتبة الشيخ محمد مظهر الفاروقي بالمدينة المنورة برقم (٨٤) . منها نسخة مصورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. رقم (١/٦٨٣٦) بعنوان « قلائد العقيان ، فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان» .

– در الغمامة ، فى ذر الطيلسان والعذبة والعمامة .

– نسخة مكتبة جامعة برنستن مجموعة Garrett رقم (١٣٧١) .

– نسخة مكتبة ابن عباس بالطائف رقم (٢١٣) (٤) .

– نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم (٢٩٥٨) .

– الدر المنضود ، فى الصلاة على صاحب المقام المحمود ، ﷺ .

– نسخة تونس بمكتبة حسن حسين عبد الوهاب رقم (١٨١٢٤) .

– رسالة فى مناقب أبى حنيفة النعمان .

– نسخة دار الكتب المصرية ضمن المجموع رقم (٢/٢١٢) .

– نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٢١٥/ ٩٠٠) .

– الصواعق المحرقة ، لإخوان الشياطين أهل الابتداع والضلال والزندقة .

– نسخة دار الكتب الظاهرية برقم (٣٤٦٩) بعنوان « الصواعق المحرقة فى حقيقة خلافة الصحابة ردأ للروافض والمتزندقة » .

– مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط مصورتها بمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم (٤٥٤٥) ضمن مجموع بعنوان « تاريخ خلافة الأئمة الأربعة».

– فتح الإله ، فى شرح المشكاة .

– مخطوط دار الكتب المصرية رقم (٣٥٤) حديث .

– قرة العين ، ببيان أن التبرع لا يبطله الدين .

– نسخة دار الكتب المصرية مجاميع (٩/١٤٢) .

– كشف الغين ، عمن ضل عن محاسن قرة العين .

– نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٣٢٤٥) ب .

- كنه المراد ، فى بيان بانت سعاد .
- نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم (٦٦) مجاميع .
- القول المختصر ، فى علامات المهدي المنتظر .
- نسخة دار الكتب المصرية ، مجاميع (١٤٢/ ١٠) .
- مبلغ الأرب ، فى فخر العرب .
- نسخة دار الكتب المصرية ، مجاميع تاريخ رقم (١٤٢/ ٥) .
- المناهل العذبة ، فى إصلاح مَا وَهَى من الكعبة .
- نسخة مكتبة مكة المكرمة رقم (٦٥) فتاوى .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (١٨٩٢) تاريخ طلعت .
- المنَح المكية فى شرح الهمزية = القرى لقراء أم القرى .
- نسخة مكتبة أحمد جبران عوضي جبران باليمن ، دون رقم .
- نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم (٢٥٦٥) .
- المنهاج القويم ، شرح ابن حجر على المقدمة الحضرمية .
- نسخة المكتبة المركزية بجامعة أم القرى رقم (٤٩٧١) .
- مولد النبى ﷺ (٢) .
- نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن رقم (٦٣) سيرة (١٥٩٠) .
- نسخة المكتبة العامة بتطوان رقم (٤٥٦ ع) .
- مولد النبى ﷺ (٣) .
- نسخة المكتبة العامة بتطوان رقم (٣٤٤/ ٢٢) .
- نسخة دار الكتب المصرية رقم (٢٣١/ ٣) .
- النعمة الكبرى على العالم ، بمولد سيد بني آدم .
- نسخة المكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند رقم (٦٣) سيرة (١٥٩٠) .
بعنوان « إتمام النعمة على العالم » .

- نسخة المكتبة العامة بتطوان بالمغرب الأقصى رقم (٤٥٦ ع) .

- نسخة دار الكتب المصرية برقم (٣٤١) الزكية بعنوان : « كتاب المقاليد ، فى المواليد » .

الحضراوي : أحمد بن محمد (ت١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) .

- تاج تواريخ البشر ، وتتمة جميع السير .

- نسخة مكتبة مكة المكرمة ، رقم (١٢٢) تاريخ .

الدهلوي : عبد الستار بن عبد الوهاب .

كتاب الأزهار الطيبة النشر ، فى ذكر الأعيان من كل عصر .

- مخطوط . نسخة الحرم المكي .

الزمزمي : خليفة بن أبى الفرج المكي (ت١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م) .

- نشر الآس ، فى فضائل زمزم وسقاية العباس .

- نسخة دار الكتب الظاهرية رقم (٥٩١٠) .

السقا : حسن رجب خطيب الأزهر .

- حواشي حسن رجب السقا .

- على هامش نسخة المولد (٣) لابن حجر المحفوظة بالمكتبة العامة بتطوان رقم (٣٤٤/ ٢٢) .

السيفى : أبو بكر بن محمد باعمرو اليزني (كان حياً سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م).

- نفائس الدرر فى ترجمة ابن حجر .

- نسخة الظاهرية رقم (٢٣١٩) (من ١٣٨-١٤٤) .

السيوطي : عبد الرحمن بن أبى بكر (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

- الهيئة السَنية ، فى الهيئة السُنية .

- نسخة بمكتبة برلين رقم (٥٦٩٧) .

الشلي : محمد بن أبى بكر المكي (ت١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) .

- السنا الباهر ، بتكميل النور السافر ، فى أخبار القرن العاشر .
- مخطوط بمكتبة شستربيتي بأيرلندة رقم (٥٢٣٠) .
- عقد الجواهر والدرر ، فى أخبار القرن الحادي عشر .
- نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٤٥٣) .
الطبري : عبد القادر بن محمد المكي (ت١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م) .
- إنباء البرية ، بالأنباء الطبرية .
- نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف رقم الفيلم (٢٤٩٣) . رقم المخطوط (١٦) تراجم / دهلوي .
- كُنَّاشَةُ عبد القادر الطبري .
- نسخة المكتبة المركزية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة رقم (١٨٩٢) .
ابن عراق : محمد بن علي بن عبد الرحمن (ت٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م) .
- عقيدة ابن عراق .
- نسخة بمكتبة الأوقاف العامة ببغداد ضمن مجموع قديم رقم (٤٧٤٥) .
ابن علان : محمد علي بن محمد البكري الصديقي (ت١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) .
- التلطف فى الوصول إلى التعرف .
- نسخة بدار الكتب المصرية رقم (١٤٤) أصول فقه .
فتاوى ضمن كتاب باللغة التركية بعنوان :
- صورت فتواي بناي بيت الله العظيم .
- نسخة محفوظة بالمكتبة الوطنية النمساوية بفينا رقم (٢٤٦٧٦) .
ضمنه فتاوى بالعربية متعلقة ببناء البيت منها :
- فتوى عبد العزيز الزمزمي .
- فتوى عبد الله بن أبى بكر ظهيرة القرشي .
- فتوى خالد بن أحمد الجعفري المكي .

ابن فهد : جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي المكي (ت٩٥٤هـ/١٥٤٧م) .

- نيل المنى ، بذيل بلوغ القرى ، لتكملة إتحاف الورى .

- مخطوط بالمكتبة السليمانية باسطنبول رقم (١٩٦١) . مكتبة شهيد علي باشا .

ابن فهد : العز عبد العزيز بن نجم الدين عمر (ت٩٢٢هـ/١٥١٧م) .

- بلوغ القرى ، فى ذيل إتحاف الورى ، بأخبار أمّ القرى .

- نسخة مكتبة الحرم المكي بدون رقم .

مجهول :

- مناقب العلامة ابن حجر (اختصار كتاب نفائس الدرر للسيفى) .

- نسخة مكتبة الحرم المكي رقم (١٤) تراجم .

- نسخة دار الكتب المصرية (٢٧٤) تاريخ تيمور .

- منتهى الإعلام بوفيات الصحابة وملوك الإسلام . (المنسوب لابن حجر خطأ) .

- مخطوط محفوظ بالمكتبة الحسنية الملكية (بالديوان الملكي) بالرباط .

- المغرب - رقم (١٥٠٧) تاريخ .

الميرغني : أمين .

- تنزيل الرحمات ، على من مات .

- مخطوط بالمكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن برقم (١٩٤٣٤١) .

النهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين (ت٩٩٠هـ/١٥٨٢م) .

- التذكرة .

- نسخة بخط المؤلف ضمن مكتبة الشيخ حمد الجاسر ، وقد تكرّم علينا بنسخة مصورة منها .

* * *

• المطبوعات :

أحمد جلبى عبد الغني :

- أوضح الإشارات ، فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات تقديم وتحقيق د/ فؤاد محمد الماوي . ط . دار نشر الثقافة القاهرة (١٩٧٧م) .

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله (٢٤٤هـ/٨٥٨م) .

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار .

- تحقيق رشدي الصالح ملحس .دار الثقافة بيروت ط.(٣) سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ألوارد Ahlward..

- فهرسة المخطوطات العربية بمكتبة الدولة ببرلين .

ط - نيويورك (١٩٨٠-١٩٨١م) ، وهي فى عشرة أجزاء مصورة عن الطبعة القديمة التي صدرت فى برلين سنة (١٨٨٧-١٨٩٩م) .

الألوسي البغدادي : السيد نعمان خير الدين .

جلاء العينين ، فى محاكمة الأحمدين .

مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، سنة (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) .

الأهواني : عبد العزيز .

- برامج العلماء فى الأندلس .

مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية . العدد الأول ، الجزء الأول مايو (١٩٥٥م/ رمضان ١٣٧٥هـ) .

ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد الحنفى (ت نحو ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م).

- بدائع الزهور ، فى وقائع الدهور .

تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، (٥ أجزاء) .

البخاري : الإمام محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٤م) .

الصحيح = الجامع الصحيح .

الطبعة السلطانية ، بولاق (١٣١١-١٣١٣هـ) ، (٩ أجزاء) .

(وقد طبعت مصورة مرات) .

البغدادي : إسماعيل باشا (ت١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) .

- ايضاح المكنون ، فى الذيل على كشف الظنون ، عن أسامي الكتب والفنون .

ط . إسطنبول سنة (١٩٤٥م) مجلدان .

- هدية العارفين ، فى أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين ط - إسطنبول سنة (١٩٥١م) ، مجلدان .

البغدادي : صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) .

- مراصد الاطلاع .

ط - دار إحياء الكتب العربية ، مصر سنة (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) . (٣أجزاء).

التنبكتي : أحمد بن أحمد المعروف بأحمد بابا (ت١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م) .

- نيل الابتهاج ، بتطريز الديباج .

طبع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة (١٣٢٩هـ) .

الجزار : عبد المعز عبد الحميد .

- ابن حجر الهيتمي .

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة سنة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

الجزيري : عبد القادر بن محمد الأنصاري المكي (ت بعد سنة ٩٧٦هـ/ بعد ١٥٦٨م) .

- الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة . أعده للنشر حمد الجاسر ، مطبعة نهضة مصر بالقاهرة سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) - (٣ مجلدات) .

ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) .

- فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري . ط . دار المعرفة - بيروت لبنان .

- لسان الميزان . ط . حيدر آباد الدكن ، (١٣٢٩هـ) ستة أجزاء .

ابن حجر : أحمد بن محمد الهيتمي المكي (ت٩٧٤هـ/١٥٦٦م) .

- اتحاف أهل الإسلام ، بخصوصيات الصيام .

طبع بمصر ، تحقيق محمود النواوي ومحمد الديوي من علماء الأزهر .

نشر مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) .

- الاتحاف ، ببيان أحكام إجارة الأوقاف .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٣٢٦-٣٤٩) .

- اتحاف ذوي المروءة والأنافة ، بما جاء فى الصدقة والضيافة .

طبع بعنوان : الأنافة فى الصدقة والضيافة (إكرام الضيف وفضل الصدقات).

- مكتبة القرآن - مصر ، تحقيق مجدي السيد إبراهيم .

طبعة بولاق سنة (١٩٨٧م) .

- إصابة الأغراض ، فى سقوط الخيار بالأعراض .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٢/ ٢٤٢-٢٤٩) .

- الاعلام ، بقواطع الإسلام .

طبع آخر كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة (١٣٢٥هـ) .

له طبعة جديدة سنة (١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م) غير محققة . بدار الكتب العلمية ببيروت - لبنان - .

- الافادة ، لما جاء فى المرض والعيادة .

- ط١ : دار الصحابة للتراث بطنطا سنة (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) . مع تحقيقه بمعرفة الدار .

- ط٢ : طبعة مكتبة الهداية ، ببيروت - لبنان - بتحقيق د. عبد الله نذير أحمد سنة (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) .

- الانتباه ، لتحقيق عويص مسائل الإكراه .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ١٧١-١٧٩) .

- ايضاح الأحكام ، لما يأخذه العمال والحكام .

اطلعتُ على أوراق نسخة منه تحت الطبع والتحقيق بمصر (لم يذكر تاريخه) معتمدة على نسخة مخطوطة دار الكتب المصرية رقم الميكروفيلم (٤٣٣٣٦) .

- بطلان الدور فى المسألة السريجية .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ١٧٩-١٩٧) .

- تحذير الثقات ، من أكل الكفتة والقات .

طبع ضمن كتاب الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ٢٢٣-٢٣٤) .

- تحرير المقال فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال .

تحقيق عبد المعز عبد الحميد الجزار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة سنة (١٤٠٦هـ) .

- تطهير الجنان واللسان ، عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان .

- ط١ : طبع بهامش الصواعق المحرقة لابن حجر .

المطبعة الميمنية طبعة القاهرة سنة (١٣٠٧هـ) .

- ط٢ : طبع بعد كتاب الصواعق المحرقة طبعة مكتبة القاهرة سنة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) . تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

- ط٣ : طبع بعد كتاب الصواعق المحرقة .

طبعة دار الكتب العلمية بلبنان سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) . تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف الناشر .

- ط٤ : بتحقيق أبى عبد الرحمن المصري الأثري دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

- تحفة المحتاج ، بشرح المنهاج .

طبع مع حواشي عبد الحميد الشرواني وأحمد العبادي ، المطبعة الميمنية بمصر سنة (١٣١٥هـ)، مصورتها صدرت عن دار الفكر بلبنان د ت، (١٠ مجلدات).

- التحقيق ، لما يشمله لفظ العتيق .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٣٠١-٣٢٦) .

- تنوير البصائر والعيون ، بإيضاح بيع ساعة من قرار العيون . طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٢/ ١٦٦-٢٢١) .

- الجوهر المنظم .

- ط١ : طبعة بولاق مصر مطبعة عبد الرحمن الرشيدي . سنة (١٢٧٩هـ) .

- ط٢ : المطبعة الميمنية - مصر - سنة (١٣٠٩هـ) .

- ط٣ : المطبعة الخيرية - مصر - سنة (١٣٣١هـ) .

- حاشية الإيضاح فى المناسك .

المكتبة السلفية . محمد صالح الباز مكة المكرمة سنة (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

- حاشية فتح الجواد ، بشرح الإرشاد . .

طبع فى ذيل فتح الجواد بشرح الإرشاد . مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - سنة (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

الحق الواضح المقرر ، فى حكم الوصية بالنصيب المقدّر .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٤/ ٥٠-٦٨) .

- الخيرات الحسان ، فى مناقب الإمام أبى حنيفة النعمان .

- ط١ : المطبعة الميمنية بالقاهرة سنة (١٣١١هـ) .

- ط٢ : مطبعة دار الكتب العربية - على نفقة مصطفى الحلبي وأخويه - بمصر سنة (١٣٢٦هـ) .

- ط٣ : طبعة دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان - سنة (١٤٠٣هـ) .

تقديم وتحقيق الشيخ خليل الميس .

- در الغمامة ، فى ذر الطيلسان والعذبة والعمامة .

مطبعة السعادة بمصر - على نفقة علي بن أحمد النهاري الكتبي بمكة المشرفة د. ت .

- الدر المنضود ، فى الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ، ﷺ .

تحقيق الأستاذ حسنين محمد مخلوف . طبع بمصر سنة (١٣٨٠هـ) .

- ذيل الصواعق المحرقة .

طبع ثلاث مرات مع طبعات كتاب الصواعق المحرقة ولم يعنون له بعنوان ، إنما كان يلحق بنص الكتاب تحت عنوان « تتمة » رغم أن ابن حجر وضعه بعد كتابه الصواعق بأربعة عشر سنة . (انظر : الصواعق المحرقة) .

- رفع الشبه والريب ، عن حكم الإقرار بأخوة الزوجة المعروفة النسب .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ١٣٢-١٤١) .

- الزواجر ، عن اقتراف الكبائر .

- طبعة أولى : مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر سنة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) فى جزءين (في مجلد واحد ويليه كف الرعاع والإعلام بقواطع الإسلام) .

- طبعة ثانية : بدار الكتب العلمية بلبنان سنة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) فى جزءين .

- سوابغ المدد ، فى العمل بمفهوم قول الواقف من مات من غير ولد .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ١٤٩-٢٢١) .

- الصواعق المحرقة ، فى الرد على أهل البدع والزندقة .

- ط١ : المطبعة الميمنية سنة (١٣٠٧هـ) . بهامشها كتاب آخر لابن حجر عنوانه تطهير الجنان واللسان .

- ط٢ : مكتبة القاهرة سنة (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ويليه كتاب تطهير الجنان واللسان ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

- ط٣: طبعة دار الكتب العلمية ببيروت - لبنان - سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)- يليه كتاب تطهير الجنان واللسان - راجع النسخة وضبط أعلامها وكتب هوامشها مجموعة من العلماء باشراف الناشر .

- الفتاوى الحديثية .

طبعة مصطفى الحلبي . مصر سنة (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) (مصورة عن طبعة قديمة) .

- الفتاوى الكبرى الفقهية .

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) وبهامشه فتاوى شمس الدين الرملي . مصورة عن الطبعة القديمة بمصر سنة (١٣٠٨هـ) (٤مجلدات) .

- فتح الجواد ، بشرح الارشاد .

طبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر سنة (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

- فتح المبين ، لشرح الأربعين .

طبعة دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي ، مصر وبأسفله حاشية المدابغي . د . ت .

- قرة العين ، ببيان أنّ التبرع لا يبطله الدين .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٢-٢٦) .

- كشف الغين ، عمن ضل عن محاسن قرة العين .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (٣/ ٢٦-٢٨) .

- كف الرعاع ، عن محرمات اللهو والسماع .

مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) . فى ذيل كتاب الزواجر ، عن اقتراف الكبائر .

- مختصر الإيضاح .

طبع بهامش كتاب عمدة الأبرار فى أحكام الحج والاعتمار للشيخ على الحسني الونائي ، طبعة مصْرية قديمة . د - ت .

- المنح المكّية فى شرح الهمزية .

- ط١ : طبعة بولاق مصر . سنة (١٢٩٢هـ) وبهامشها حاشية محمد الحفني على شرح ابن حجر هذا .

- ط٢ : بالمطبعة الخيرية سنة (١٣٠٧هـ) .

- ط٣ : وطبع بعنوان أفضل القرى لقراء أم القرى مطبعة التقدم العلمية .

- القاهرة - سنة (١٣٢٦هـ) .

- المنهاج القويم ، شرح ابن حجر على المقدمة الحضرمية .

طبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - سنة (١٣٥٨هـ) .

- مولد النبي ﷺ (١) .

طبع بالشام على نفقة محمد هاشم الكتبي صاحب المكتبة العلمية . طبعة قديمة .

- مؤلف فى الحيض (الثالث) .

طبع ضمن الفتاوى الكبرى الفقهية (١/ ٩٧-١٢٢) .

- النخب الجليلة ، فى الخطب الجزيلة .

- ط١ : المطبعة الحسنية سنة (١٢٩٠هـ) .

- ط٢ : المطبعة الميمنية سنة (١٣١٠هـ) .

- ط٣ : المطبعة الميمنية سنة (١٣٢٤هـ) .

ابن حنبل : الإمام أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م) .

المسند = مسند أحمد .

المطبعة الميمنية ، القاهرة (١٣١٣هـ) ، (٦ أجزاء) . وطبع مصورا عنها (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .

الخفاجي : الشهاب أحمد ابن محمد بن عمر (ت١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م) .

- ريحانة الألبا ، وزهرة الحياة الدنيا .

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط - عيسى البابي الحلبي ، القاهرة سنة (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م) ، جزآن .

الخلوتي : محمد بن أحمد بن علي الجمل .

- بهجة الفكر ، على مولد ابن حجر .

طبع بمطبعة الكمال الأحمدية - بطنطا سنة (١٣٢٢هـ) .

خليفة : حاجي مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون .

ط - إسطنبول (١٩٤١م-١٩٤٣م) ، نشر محمد شرف الدين . مجلدان .

أبو داود : أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

- السنن .

تحقيق محيي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، مصر (١٩٥٠م) .

دائرة المعارف الإسلامية .

نقلها إلى اللغة العربية : محمد ثابت الفندي ، أحمد الشنتناي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) .

دائرة المعارف الإسلامية : باللغة الإنجليزية .

The Encyclopaedia Of Islam .

New Edition .

Leiden E . J . Brill london Luzac & Co 1971.

الدويش : أحمد بن عبد الرزاق .

فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

من مطبوعات الرئاسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالرياض . سنة (١٤١١هـ) .

الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) .

- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . تحقيق علي محمد البجاوي .

ط . دار إحياء الكتب العربية مصر سنة (١٣٨٢هـ/١٩٦٣م) ، (٤ أجزاء) .

الرمال : غسان علي محمد .

- صراع المسلمين مع البرتغاليين فى البحر الأحمر .

ط - جدة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) .

الريان : خالد .
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية .
التاريخ وملحقاته - الجزء الثاني .
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .
الزبيدي : محمد بن محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م) .
- تاج العروس ، من جواهر القاموس .
ط - المطبعة الخيرية بالجمالية ، القاهرة سنة (١٣٠٦هـ/١٣٠٧م) (١٠مجلدات) .
الزركلي : خير الدين (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) .
- الأعلام .
طبعة دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان - (١٩٩٠م) ، (٨ أجزاء) .
زيدان : جرجي (ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م) .
- تاريخ آداب اللغة العربية .
منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت سنة (١٩٦٧م) . (٤ أجزاء) .
سركيس : يوسف إليان (ت١٢٥١هـ/١٩٣٢م) .
- معجم المطبوعات العربية والمعربة .
ط - مكتبة الثقافة الدينية - مصورة عن الطبعة القديمة التي طبعت بمطبعة سركيس - مصر سنة (١٣٤٦هـ/١٩٢٨م) . جزآن .
سزكين : فؤاد .
- تاريخ التراث العربي .
نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي .
ط - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
الشامي : د. عبد العال عبد المنعم .

- مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي .

قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة الكويت . الطبعة الأولى سنة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

الشقوي : عبد الله بن ناصر .

- السخاوي مؤرخاً (٨٣١-٩٠٢هـ) .

رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الرياض ، سنة (١٤٠٧هـ) .

الشلي : محمد بن أبى بكر المكي (ت١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م) .

- المشرع الروي ، فى مناقب السادة الكرام آل باعلوي .

نشر محمد بن أحمد الشاطري ، ط - جدة سنة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، جزآن .

الشوكاني : محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) .

- البدر الطالع ، بمحاسن من بعد القرن السابع . مطبعة السعادة ، القاهرة سنة (١٣٤٨هـ) ، جزآن .

الطبري : علي بن عبد القادر (ت١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) .

- الأرج المسكي ، فى التاريخ المكي .

تحقيق محمد بن صالح الطاسان . طبع على الآلة الكاتبة كجزء من رسالة دكتوراه قدمت لكلية الآداب بجامعة أدنبرة فى بريطانيا ، سنة (١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) .

الطبري : محمد بن علي بن فضل الحسيني المكي (١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م) .

- إتحاف فضلاء الزمن ، بتاريخ ولاية بني الحسن .

تحقيق د/ ناصر بن عبد الله بن سلطان البركاتي . طبع على الآلة الكاتبة كرسالة دكتوراه قدّمتْ لجامعة مانشستر سنة (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م) .

- سمط النجوم العوالي ، فى أنباء الأول والتوالي .

ط - المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) ، (٤ أجزاء) .

ابن علان : محمد علي بن محمد علان الصديقي المكي (١٠٥٧هـ/١٦٤٧م).

إنباء المؤيد الجليل مراد ، ببناء بيت الوهاب الجواد .

تحقيق خالد عزّام الخالدي رسالة ماجستير مقدّمة لجامعة الملك سعود بالرياض سنة (١٤٠٧هـ) بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الله عقيل عنقاوي . طبعت بالآلة الكاتبة .

ابن العماد الحنبلي : عبد الحي بن علي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م) .

- شذرات الذهب ، فى أخبار من ذهب .

ط - دار الفكر بيروت سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٨٩م) ، (٨ أجزاء) مصورة عن طبعة القاهرة سنة (١٣٥٠هـ) .

عنان : محمد عبد الله .

فهرس الخزانة الملكية الحسنية (قسم التاريخ وكتب الرحلات) .

طبع الرباط بالمغرب ، سنة (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

العيدروسي : محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) .

- النور السافر ، عن أخبار القرن العاشر .

تصحيح محمد رشيد أفندي الصفار ، مطبعة الفرات - بغداد - ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) .

الغزي : نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد (ت١٠٦١هـ/ ١٦٥١م) .

- الكواكب السائرة ، بأعيان المائة العاشرة .

تحقيق جبرائيل سليمان جبور ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت سنة (١٩٧٩م) ، (٣ أجزاء) .

الفاداني : أبو الفيض محمد ياسين بن عيسى المكي .

- أسانيد الفقيه أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة (٩٧٤هـ) .
طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان سنة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) .
الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م) .
القاموس المحيط .
طبع مصر ، سنة (١٣٠٦هـ) .
القطبي : عبد الكريم بن محب الدين النهروالي (ت١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م) .
- إعلام العلماء الأعلام ، ببناء المسجد الحرام .
تعليق أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي .
ط - دار الرفاعي ، الرياض سنة (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .
قوتلاي : خليل إبراهيم .
- الإمام علي القاري وأثره فى علم الحديث .
طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان ، سنة (١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) .
(أصل الكتاب رسالة للماجستير مقدمة إلى قسم الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى بمكة بتاريخ ١٤٠٦هـ) .
الكتاني : عبد الحي بن عبد الكبير (ت١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) .
- فهرسة الفهارس والأثبات ، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات .
طبع باعتناء وفهرسة الدكتور إحسان عباس . ط - دار الغرب الإسلامي - بيروت - سنة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) - (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) فى ثلاثة أجزاء .
كحالة : عمر رضا (معاصر) .
- معجم المؤلفين .
ط - دار إحياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ ، (١٥ مجلدًا) .
اللكنوي : محمد عبد الحي الهندي (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) .
- الفوائد البهية فى تراجم الحنفية .

تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

مبارك : علي باشا .

- الخطط الجديدة لمصر القاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة .

المطبعة الكبرى الأميرية ، بولاق - مصر - سنة (١٣٠٥هـ) .

المتقي الهندي : علي بن حسام الدين (ت٩٧٥هـ/١٩٦٨م) .

كنز العمال ، في سنن الأقوال والأفعال .

طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، (١٨ مجلد) .

مجهول :

- النعمة الكبرى على العالم . (منسوب خطأ لابن حجر) .

طبع بمطبعة الاستقامة بمصر سنة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) .

المحبي : محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١هـ/١٦٩٩م) .

- خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادي عشر .

طبعة مصورة ، دار صادر بيروت ، د . ت . (٤ مجلدات) ، عن طبعة بولاق (١٢٨٤هـ) .

محمد فريد بك المحامي .

- تاريخ الدولة العلية العثمانية .

تحقيق د/ إحسان حقي ، دار النفائس ، بيروت (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

مخلوف : محمد بن محمد المنستيري (١٣٦٠هـ/١٩٤١م) .

- شجرة النور الزكية ، في طبقات المالكية .

المطبعة السلفية ، القاهرة (١٣٤٩هـ/١٩٥٢م) ، جزآن .

مرداد : أبو الخير عبد الله بن أحمد المكي (ت١٣٤٣هـ/١٩٥٤م) .

- المختصر ، من كتاب نشر النور والزهر ، في تراجم أفاضل مكة من القرن الرابع عشر .

اختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي . ط - عالم المعرفة ، جدة سنة (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

معروف : بشار عواد .

- الذهبي ومنهجه فى كتابة تاريخ الإسلام . (رسالة دكتوراه من جامعة بغداد) .

مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - د - ت .

النهروالي : قطب الدين محمد بن علاء الدين المكي (ت٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) .

- الإعلام ، بأعلام بيت الله الحرام .

طبعة مصورة عن الطبعة الأوربية القديمة . ط - دار الخياط - لبنان - بيروت سنة (١٩٦٤م) .

- البرق اليماني ، فى الفتح العثماني .

طبع بإشراف حمد الجاسر ، منشورات دار اليمامة ، الرياض (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) .

الهندي : علي بن المتقي (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) .

- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . نشر مكتبة التراث الإسلامي بحلب، دون تاريخ (١٣ جزءاً) .

الهيلة : محمد الحبيب .

- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر (جمع وعرض وتعريف) .

نشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، مكة سنة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) .

طبع دار الغرب الإسلامي بيروت - لبنان - .

الوادي آشي : محمد بن جابر الأندلسي (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) .

تحقيق د/ محمد الحبيب الهيلة . طبع ونشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث جامعة أم القرى - مكة المكرمة - .

طبع الشركة التونسية (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) .

الونائي : علي بن عبد البر الحسيني الشافعي (ت١٢١١هـ/ ١٧٩٦م) .

- عمدة الأبرار ، فى أحكام الحج والاعتمار ، وبهامشه مختصر الإيضاح لابن حجر . طبعة مصرية قديمة ، د - ت .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) .

المشترك وضعاً ، والمفترق صقعا .

طبعة أوربا سنة (١٨٤٦م) ، مصورة منها طبع عالم الكتب بيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .

- معجم البلدان .

ط - دار صادر ، بيروت سنة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، (٥ مجلدات) .

* * *

فهرس الموضوعات

مؤلفات ابن حجر في غير التاريخ

تآليفه في السيرة النبوية

تآليفه في التاريخ الإسلامي

تآليفه في التراجم

مؤلفات ابن حجر ورسائله المشتملة على معلومات تاريخية وحضارية اجتماعية تصور عصره

* * *

